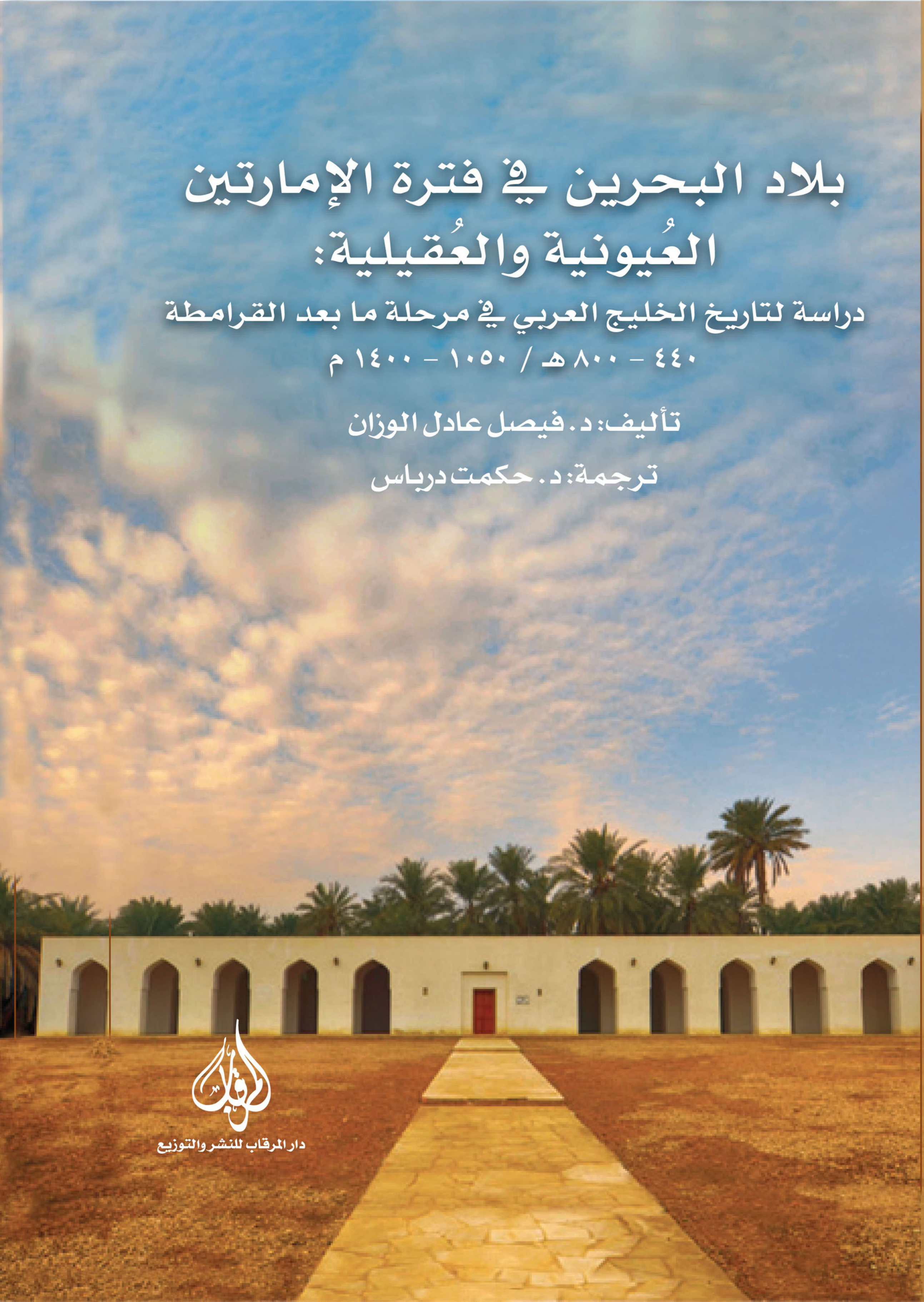


بلاد البحرين في فترة الإمارتين العُيونية والعُقيلية:

دراسة لتاريخ الخليج العربي في مرحلة ما بعد القرامطة

٤٤٠ - ٨٠٠ هـ / ١٠٥٠ - ١٤٠٠ م

تأليف: د. فيصل عادل الوزان

ترجمة: د. حكمت درباس

دار المرقاب للنشر والتوزيع

بلاد البحرين في فترة الإمارتين
العُيونية والعُقيلية

المواصفات الشكلية للكتاب: حجم قطع الورق: ١٦,٥ سم × ٢٣,٥ سم، عدد الصفحات: ٤١٢

بريد إلكتروني: almirqab.publishing@gmail.com
بريد المؤلف: Faisal.alwazzan@hotmail.com

الرقم الدولي ISBN:

978 – 9921 – 9707 – 1 - 5

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه غير منشورة بالإنجليزية مقدمة لجامعة إدنبره تحت عنوان:

Politics, Economy and Religion in a Near Eastern Periphery: The Region of Baḥrayn in East Arabia c. 1050 – c. 1400 CE

Faisal Alwazzan

صورة الغلاف الأمامي (مسجد الجعلانية أو مسجد هبة العيوني في قرية البطالية– الأحساء) من تصوير محمد الفهيد.

صورة الغلاف الخلفي (مسجد الخميس في بلاد القديم – مملكة البحرين) من متحف البحرين الوطني.

غلاف الكتاب من تصميم: بريكس ديزاين www.bricks.design



بلاد البحرين في فترة الإمارتين العُيونية والعُقيلية:

دراسة لتاريخ الخليج العربي في مرحلة ما بعد القرامطة

٤٤٠ - ٨٠٠ هـ / ١٠٥٠ - ١٤٠٠ م

تأليف:

د. فيصل عادل الوزان

ترجمة:

د. حـكـمـت دربــاس

إلى

والدتي، سميرة أحمد الرفاعي

ووالدي، عادل أحمد الوزان

أهدي هذا الكتاب

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

أتشرف بتقديم خالص الشكر لجميع من ساعدني على كتابة هذا العمل، الذي هو بالأصل أطروحتي المقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة إدنبره في اسكتلندا، بريطانيا (٢٠١١ - ٢٠١٥).

إن أول من يستحق الشكر هما والديَّ الغاليين، اللذين أَدين لهما بكل شيء. ثم أود التعبير عن خالص شكري لجامعة الكويت التي منحتني فرصة ثمينة بابتعاثي لإكمال دراستي العليا وتحمل نفقات الدراسة والمعيشة بكرم بالغ. وكان من توفيق ربي وحسن حظي أن أدرس بجامعة إدنبرة وأتلقى التدريب على يد الدكتور آندرو مارشام والبروفسور آندرو نيومان، اللذين أشرفا عليّ في تلك المرحلة، فقد كانا نعم الأستاذين المتصفين بالعلم والأخلاق والتواضع، فلم يبخلا عليّ بالتوجيه والتشجيع، وقد تكبد الدكتور مارشام عناء مراجعة الكثير من مسودات الأطروحة قبل التسليم النهائي. وأود أن أشكر أيضا الدكتور آنتوني غورمان، رئيس القسم آنذاك، لرعايته المستمرة. كما وأشكر البروفسور هيو كينيدي والدكتور أندرياس غوركي اللذين ناقشا الأطروحة وقدما نصائح وتوصيات لتطوير العمل وشجعا على نشره. ولا يمكنني نسيان أساتذتي بجامعة الكويت، وخصوصا: البروفسورة ميمونة الصباح عميدة كلية الآداب، والبروفسور عبدالهادي العجمي، والبروفسور أحمد الطوخي رحمه الله، والبروفسور ناصر الدين سعيدوني، وغيرهم ممن تتلمذت على يديه.

ويمتد شكري إلى أساتذتي بجامعة إدنبره: الدكتورة غولناز نانبخش والدكتورة آزين حقيقي اللتين علمتاني مبادئ اللغة الفارسية، والبروفسورة زابينه روله أستاذة اللغة الألمانية. وأشكر أيضا أصدقائي: الدكتور طلال العازمي، وفيصل العنزي، والدكتور يوسف حمدان، والدكتور محمد باعبد

الله، وعبد الله سعد الهتلاني، وعبد الله المهنا، ومحمد الفرج، والدكتورة أل وين سو، والدكتور فرانشيسكو كابيلاري، والدكتورة هنّا لينا هاجيمان، والدكتور ياسر ميرداماد. وأنا ممتن أيضا للمرحوم طارق المصري وراشد العجمي وعبد الله العازمي وعبد الله الكندري وأحمد دورماز من مكتبة جابر الأحمد المركزية لمساعدتهم لي في الحصول على مواد علمية. وكذلك أشكر أحمد خامه يار من مركز إحياء ميراث اسلامي بمدينة قم الإيرانية لإرساله لي بعض صور المخطوطات. وكما يسرني أن أبدي امتناني للدكتور عبد الله العسكر رحمه الله من جامعة الملك سعود بالرياض على تواصله معي ومناقشاته المثمرة ولإرساله لي بعض أعماله. وممتن أيضا للدكتور فهد الحسين من جامعة الملك سعود، وللدكتور حسين المسري والدكتور بدر الرشيدي من جامعة الكويت، والأستاذ محمود الهاجري من متحف الدمام لإرسالهم بعض كتاباتهم. وأشكر الأستاذ رونان سوان الذي قام بالتدقيق اللغوي للنص الإنجليزي، كما وأشكر الأستاذ عبدالله الحمياني لمساعدته في صنع الخرائط. وكذلك الدكتور حامد المطيري والأستاذ محمد الفهيد لتزويدهما لي بالصور الفوتوغرافية، وكذلك أشكر د. يوسف البدر.

وممن يستحق الشكر والثناء أيضا القائمون على مكتبة جامعة إدنبرة، ومكتبة جامعة الكويت، ومكتبة جامعة مانشستر، ومكتبة البودليان بجامعة أكسفورد، ومكتبة سواس بجامعة لندن، والمكتبة البريطانية بلندن، ومتحف البحرين الوطني، ومركز عيسى الثقافي بالبحرين، لمجهودهم في عملهم الذي سهل عليّ الاستفادة من المواد العلمية.

وختاما أوجه عميق شكري إلى مترجم هذا العمل، الدكتور حكمت درباس، الذي عمل جاهدا لفترة طويلة وبإتقان ليخرج الكتاب بلغة عربية رائعة جمعت بين الدقة والسلاسة.

د. فيصل عادل الوزان، الكويت

١١ أكتوبر ٢٠١٨

مقدمة المترجم

لقد أعادني هذا الكتاب القيّم للزميل الدكتور فيصل الوزّان إلى عالم الدراسات الإسلامية بعد أن ابتعدت عنه بعض الشيء بسبب انشغالي بالدراسات الساميّة. فتح الكتاب عيني على زاوية مجهولة لدي ولدى معظم القراء العرب كما أظن: تاريخ المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، المعروفة في المصادر الإسلامية باسم «إقليم البحرين»، في مرحلة ما بعد القرامطة. فقد انصب اهتمام الباحثين في السابق على القرامطة لفرادة هذه الحركة وأهميتها في التاريخ الإسلامي الوسيط، ولكن من زاوية إخبارية على الأغلب (لا تزال هذه الحركة بحاجة إلى المزيد من البحث النقدي متعدد المصادر). يضيء الوزان هنا الفترة اللاحقة التي لم تنل حظها من البحث العلمي، أي تلك التي خضعت فيها بلاد البحرين لحكم الإمارتين العيونية والعقيلية، وألحقت خلالها بعض موانئها بدول السواحل الشرقية.

لا يقدم الباحث مجرد سرد تاريخي تقليدي أسوة بالكثير من المؤلفات في هذا المجال، بل يضع سرده في إطار نظري مهم: تحليل المنظومات العالمية (World-systems Analysis)، وهي نظرية تقارب التاريخ من زاوية جدلية واسعة تركز على علاقة المركز بالأطراف في الحقبة الرأسمالية (القرن ١٦ فصاعدا) من منظور أوروبي مركزي. وأعتقد أن الوزان هو أول من تجاوز هذا السياق المركزي وطبقها على التاريخ الإسلامي في الفترة المعنية. فهو يرى أن إقليم البحرين شكل طرفا، أو شبه طرف، في علاقته بالقوى المركزية العظمى في العراق ومصر وإيران. وقد انعكس هذا على الاقتصاد والسياسة والثقافة والدين فيه، فاتخذت أشكالا هامشية ذات خصوصية مناطقية تتوافق وموقعه الطرفي.

يعتمد المؤلف على كمية ضخمة من المصادر الكتابية (العربية والفارسية والغربية)، ويستخدم الأدلة الأثرية بأسلوب حِرفي سبّاق يعكس وعيا بأهميتها في استقراء التاريخ. كما يعتمد تقسيما شبه موحد للفصول يساعد القارئ على التركيز، فيستهل كل فصل بمقدمة يوجز فيها الأفكار والحجج الرئيسة، ثم ينتقل إلى المتن حيث يخوض في التفاصيل ويسوق الأدلة، ليعيد تلخيص ما قدمه في الخاتمة. وفي هذا تأثر بالمدرسة الأنجلو-ساكسونية في كتابة التاريخ، والتي يختلف أسلوبها عن أسلوب المدرسة الفرنسية، حيث يتخذ السرد طابعا مكثفا غير منظم قد يشتت القارئ أحيانا. ويبدو هذا التأثر مفهوما، فالوزان خريج جامعة إدنبره (اسكتلندا)، وعمل تحت إشراف الدكتور أندرو مارشام (Andrew Marsham) الذي كتب حول السلطة والذاكرة في العصر الإسلامي الباكر، وأندرو نيومان (Andrew Newman) المختص بتاريخ إيران والشيعة الاثني عشرية، خاصة في العصر الصفوي. كما أنه متأثر بكتابات المؤرخ البريطاني المعروف هيو كينيدي (Hugh Kennedy) الذي وضع مؤلفات مرجعية حول التاريخ الإسلامي في العصر الباكر والوسيط.

يغني الوزان الإطار النظري العام لتحليل المنظومات العالمية بمناهج ومقاربات متنوعة، فنراه يستخدم مقاربة «خلدونية» عند تعامله مع البيئة والجغرافية وأثرهما على الاقتصاد والمجتمع (الفصل الأول). ولعل الجانب الأكثر تبصرا في الكتاب هو استعانته بمناهج الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. ويتجلى هذا بوضوح في الفصل الخامس، ولا سيما في القسم المتعلق بالإمارة العقيلية، حيث يقر بنقص المصادر. ولردم هذه الفجوة، فإنه يستخدم نظرية روتون (M.B. Rowton) حول «الدولة البدو-حضرية» في تحليله لبنية الإمارة العقيلية. وسبق لي أن اطلعت على هذه النظرية المهمة في أثناء دراستي لتاريخ الشرق القديم في الألف الثاني قبل الميلاد، إذ ابتكرها روتون عند دراسته دول سوريا وبلاد الرافدين آنذاك، حيث ركز على البدو

وفئات المقتلعين والمهمشين والمرتزقة في المصادر الأكادية. ترى نظرية الدولة البدو-حضرية Dimorphic state أن دول المشرق الإسلامي ذات طابع مركب، فالحاكم البدوي يقيم في الحاضرة، حيث يحاكي الحكام الحضر، لكنه يعتمد على المخزون البشري العسكري في البوادي. وتطبيق الوزان لها صائب تماما، فتغير الزمن لم يؤثر كثيرا على البنى الاجتماعية السياسية في المشرق الإسلامي (حتى وقت قريب). وهو يلجأ أيضا إلى مقارنات أخرى ذكية، فيقارن دور العقيليين في «الحرب الباردة» بين المماليك والمغول بأدوار المناذرة والغساسنة في «الحرب الباردة» بين الروم والفرس، فيما يشبّه دورهم الاقتصادي كتجار قوافل عَبْر إقليميين بأدوار الأنباط والجرهيين في العصور القديمة. ولم يسبق لأحد، بموجب معلوماتي، أن استخدم مقارنات كهذه. وهي تعكس سعة اطلاعه وعدم اطمئنانه لمجرد الإتيان بسرد تقليدي. فالتعليل يبدو محرضا أساسيا في طريقة تفكيره. وتتضح مهارته أيضا في تعامله مع المعطيات الكتابية في الفصل الأخير المتعلق بمسألة العلماء في البحرين، إذ يبتعد عن المماحكات الطائفية عند الباحثين العرب والإيرانيين ويقدم مقاربة معرفية متأنية لموضوع علوم الاثني عشرية في الإقليم. فيحاجج بأن التصور القائل ببحرينية العلماء المسلمين الذين حملوا نسبة «البحراني» محض تلفيق جاء به مثقفون بحرينيون لاحقون (بعد بضعة قرون) اضطلعوا بأدوار وظيفية في الإمبراطورية الصفوية، وأرادوا تقديم صورة «ذهبية» للتراث العلمي لإقليم البحرين الهامشي. اعتمد هؤلاء على نسبة «البحراني» لا غير في زعمهم، مع أن العلماء الذين حملوا هذه النسبة قد ولدوا وتوفوا في مناطق أخرى، ولم تربطهم أي علاقة بالبحرين.

لم تواجهني صعوبات جمة في أثناء الترجمة، فالعمل مكتوب بلغة سلسة بعيدة عن الاستعراض الأسلوبي، لكنها ثرية معرفيا. حاولت استخدام مصطلحات التراث الإسلامي في الكتاب. على سبيل المثال، عرّبت

(biographical dictionary) «معجم تراجم»، فالمصطلح شائع في المؤلفات الإسلامية من العصور الوسطى كما يتضح من عشرات «معاجم التراجم». وعدت أحيانا إلى المصادر الأصلية لتتبع الاقتباسات والمفردات. وآثرت عدم كتابة الأسماء الأجنبية (أقصد أسماء الباحثين) بالحرف اللاتيني في المتن كي لا يتشوش القارئ، إذ يمكن العثور على هذه الأسماء في الهوامش السفلية بسهولة.

لقد سرني العمل على ترجمة هذا الكتاب وتقديمه للقارئ العربي، وتعلمت منه الكثير شخصيا. وأعتقد، من دون مبالغة، أنه سيكون مرجعا لا غنى عنه للباحثين والطلاب في حقل الدراسات الإسلامية.

د. حكمت درباس

لايدن، هولندا (٣ نوفمبر ٢٠١٨)

dirbas.hekmat@gmail.com

مقدمة الكتاب

١ – إقليم البحرين (١٠٥٠–١٤٠٠م) من منظور تحليل المنظومات العالمية (World-Systems Analysis)

يتناول هذا الكتاب جزءا من تاريخ شرقي الجزيرة العربية، المعروف باسم «بلاد البحرين» أو «إقليم البحرين» في المصادر الإسلامية من العصور الوسطى، حيث يغطي الفترة الممتدة من منتصف القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري/ منتصف القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي. يركز الكتاب على أربعة مواضيع رئيسة، هي: (١) جغرافية الإقليم التاريخية واقتصاده؛ (٢) الكيانات السياسية التي حكمته؛ (٣) الأدبيات البحرينية؛ (٤) مسألة التديُّن وتاريخ العلم والعلماء في إقليم البحرين.

يطرح الكتاب فرضية مؤداها أن إقليم البحرين احتل في السياق الأوسع للعالمين الإسلامي والأوراسي بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر مكانة طرفية/ هامشية، قبل أن تتطور وتصبح شبه طرفية. لقد كانت مدن الإقليم بعيدة جغرافيا، ومعزولة نسبيا، وكانت الأغلبية العددية لصالح السكان ذوي الطابع البدوي الذين اعتادوا في معظم الأوقات على تحدي سلطة الأنظمة السياسية الحضرية وعرقلة التقدم الحضاري في المدن القليلة هناك، وأهمها الأحساء والقطيف. ويجادل الكتاب أيضا بأن اقتصاد إقليم البحرين في تلك الفترة شهد ركودا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وتعرضت موانئه للتهميش من قبل موانئ السواحل الشرقية للخليج العربي. بدأ اقتصاد إقليم البحرين بالتعافي مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بعد ضم موانئه بواسطة مملكة جزيرة قيس والأتابكية السلغورية، ومع ذلك بقيت هامشية ضمن شبكتيهما التجارية. حازت الكيانات

السياسية المحلية في بلاد البحرين قوات عسكرية ضعيفة، وافتقرت إلى السلطة المركزية، وعانت من تعدد القيادات، وكانت في حالة من الضعف بالمقارنة مع الأنظمة الإقليمية الأكبر. بالكاد انتبه المؤرخون الخارجيون إلى الإمارة العيونية الحضرية، وذلك بسبب العزلة التي فرضتها على نفسها نتيجة توجهها الاستراتيجي إلى الزراعة وافتقارها إلى الأنشطة البحرية والبرية بعيدة المدى وعدم استقرارها السياسي. في المقابل، كانت الإمارة التي خلفتها، أي العقيلية، ذات طابع «بدوي» ومعروفة بشكل أفضل في المناطق المحيطة ببلاد البحرين. وقد عمل أمراؤها محاربين بالوكالة في أثناء الحرب بين المغول والمماليك. أصبح هؤلاء الأمراء لاحقا تجار قوافل وناقلي بضائع، وربطوا موانئ الخليج وأسواقه التي كان بعضها تابعا للمغول بمصر والشام التابعتين للدولة المملوكية عبر تجارة القوافل وتجارة المرور. أما النتاج العلمي والأدبي في بلاد البحرين فكان محدودا آنذاك، واقتصر على الشعر والنثر العربي. تنوعت «الطوائف» الدينية في الإقليم الذي لم يكن موحد المذهب، فضمت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فرقة من الإسماعلية، حلت محلها لاحقا الشيعية الاثنا عشرية التي يبدو أنها اتسمت بخصائص شعبوية أو فلكلورية غير مؤصَّلة علميا أسوة بالحواضر. وكان السنة حاضرين أيضا، لكنهم افتقروا إلى العلماء كذلك، وتم تمثيلهم بشكل رئيس من قبل النخب الحاكمة المنتمية إلى المذهبين الحنفي والشافعي.

من المهم البدء بتوضيح خصائص المناطق الطرفية وشبه الطرفية قبل مناقشة أسباب تصنيف بلاد البحرين منطقة طرفية. لن نستخدم هذا التوصيف فقط للدلالة على الموقع الجغرافي للإقليم على حافة المراكز القوية، كالإمبراطورية السلجوقية والفاطمية ولاحقا المملوكية والإيلخانية المغولية، بل أيضا لأن مستواه السياسي والاقتصادي والثقافي كان أقل تقدما من تلك المراكز المحيطة به. ولا بد لنا من التوضيح أيضا أن مصطلح «طرفي» (كما

هو مستخدم على مدار هذا الكتاب) لا يتطابق مع المعنى نفسه للمصطلح الحديث المستخدم في تحليل المنظومات العالمية الذي يحلل المنظومات العالمية انطلاقا من القرن السادس عشر ومن منظور أوروبي مركزي بالدرجة الأولى. عوضا عن ذلك، سيتم استخدام مصطلح «الطرف» في سياق ما يعرف بـ «الأنساق ما قبل الرأسمالية» الذي يتقاسم بعض مظاهر النظرية الحديثة المناسبة والقابلة للتطبيق على العصور الوسطى وحتى القديمة.(١)

إن «جدلية المركز والأطراف» هو أحد فروع تحليل المنظومات العالمية الحديث، وجرى تطويره بداية بواسطة إيمانويل ولرستين (١٩٧٤)، الذي يرى أن بالإمكان تقسيم العالم إلى: مناطق مركزية، وشبه طرفية، وطرفية. ويتم تحديد وضع المنطقة وفقا لدرجة تحكمها بالنظام العالمي ودورها فيه، بالإضافة إلى تراتبيتها العالمية (أو موقعها في التسلسل الهرمي العالمي). يؤرخ وولرستين بداية هذا النظام في الفترة بين ١٤٥٠ و ١٦٤٠م، حينما هيمنت أوروبا الغربية على العالم وبدأت الرأسمالية الحديثة بالظهور. ويُعرّف المركز بوصفه المنطقة المتطورة والصناعية، فيما يمثل الطرف المنطقة المتخلفة والفقيرة التي تقوم بتصدير المواد الخام وتتعرض لاستغلال المركز. أما المنطقة شبه الطرفية فتقع في منزلة وسطى بين هاتين.(٢)

ومع ذلك، فقد كان للعصور الوسطى، بل والقديمة، منظوماتها العالمية التي طورت في الواقع نظاما اقتصاديا مهد الطريق لهيمنة الأوروبيين في القرن السادس

(١) حول مراجعة لأدبيات تحليل المنظومات العالمية، انظر على سبيل المثال:

Thomas D. Hall, 'World-Systems: An Appraisal,' in *World-Systems Theory in Practice: Leadership, Production and Exchange*, ed. Nick Kardulias (Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, 1999), 1-23.

(2) Immanuel Wallerstein, *The Modern World-System I: Capitalist Agriculture and the Origins of European World-Economy*, 1600-1750 (New York: Academic Press, 1974), 349-351.

عشر.[٣] وبموجب رأي هال، كان الأنثروبولوجيان بيلس ووايتكوتّون (١٩٧٥، ١٩٧٩) رائدين في تطبيق نسخة معدلة عن تحليل المنظومات العالمية على الأنساق ما قبل الرأسمالية، أي قبل القرن السادس عشر.[٤] وتعقب موديلسكي وثومبسون (١٩٩٦) أصول النظام العالمي الجديد، فأرجعاه فترة ألف عام كحد أدنى.[٥] علاوة على ذلك، أعاد غيلس وفرانك أصول النظام العالمي إلى خمسة آلاف عام مضت.[٦] وهكذا ظهرت محاولات عدة عملت على إخضاع مناطق من العصور الوسطى والقديمة إلى تحليل المنظومات العالمية.

يحدد ديفيد ولكنسون سمات الفئات الثلاث، أي المناطق المركزية وشبه الطرفية والطرفية، في فترات ما قبل الحداثة على النحو الآتي: (١) يعد «المركز» بمثابة النواة، وهو أقدم وأكثر تقدما، ثري، وقوي؛ (٢) يرتبط «شبه الطرف» بالمركز بقوة، وهو أحدث، أقل أهمية، بعيد، حديث الإلحاق، أضعف، وأكثر فقرا وتخلفا؛

(3) Janet Abu-Lughod, *Before European Hegemony: The World System A.D.* 1250-1350 (New York: Oxford University Press, 1989), 8-9.

(4) Thomas D. Hall, 'World-Systems: An Appraisal,' in *World-Systems Theory in Practice: Leadership, Production and Exchange*, ed. Nick Kardulias (Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, 1999), 3, 20 cited R. Pailes and J. Whitecotton, 'Greater Southwest and Mesoamerican World-Systems' Paper presented at the Southwestern Anthropological Association Meeting, Santa Fe, NM. 1975; R. Pailes and J. Whitecotton, 'The Greater Southwest and Mesoamerican World-System: An Exploratory Model for Frontier Relationships,' in *The Frontier: Comparative Studies*, vol.2, ed. W. Savage and S. Thompson (Norman: University of Oklahoma Press, 1979), 105-121.

(5) G. Modelski and W. Thompson, *Leading Sectors and World Powers: The Coevolution of Global Economics and Politics* (Columbia: University of South Carolina Press, 1996).

(6) B. Gills and A. Frank, '5000 Years of World System History: The Cumulation of Accumulation,' in *Core/Periphery Relations in Precapitalist Worlds*, ed. Christopher Chase-Dunn and Thomas Hall (Boulder: Westview Press, 1991), 67-112.

(٣) أما «الطرف» فضعيف الارتباط بالمناطق المركزية، ويضم البدو الرُّحَّل وفلاحي الريف الذين يعيشون على الكفاف، ممن لم يلتحقوا بالمدينة بعد.[(٧)]

وقد لاحظ ديفيد ولكنسون الوضع الاقتصادي لبلاد البحرين في غرب الخليج العربي، على الرغم من عدم تقديمه دراسة واسعة لهذا الإقليم، فصنفه «شبه طرف» في خرائطه للمنظومات العالمية بين ٧٣٧ و ١٤٧٨م (انظر الشكل ١)

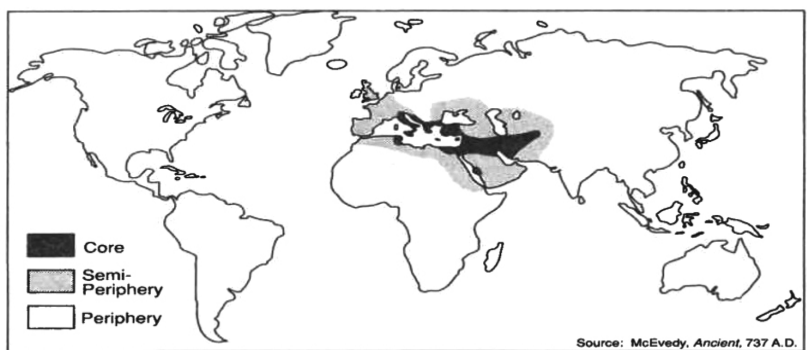


Figure 6. Central Civilization in 737 A.D.

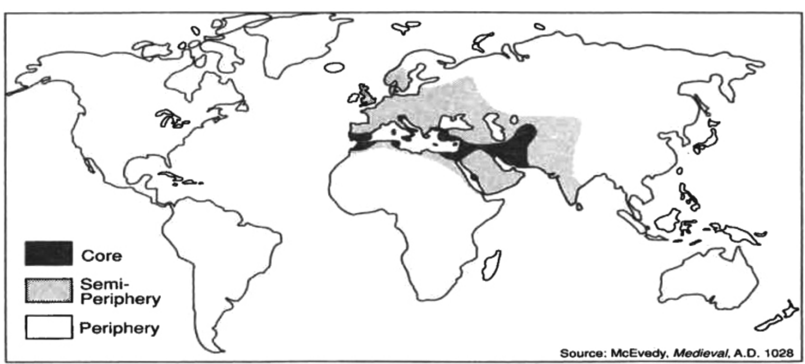


Figure 7. Central Civilization in 1028 A.D.

(7) David Wilkinson, 'Cores, Peripheries and Civilizations,' *in Core/Periphery Relations in Precapitalist Worlds*, ed. Christopher Chase-Dunn and Thomas Hall (Boulder: Westview Press, 1991), 121.

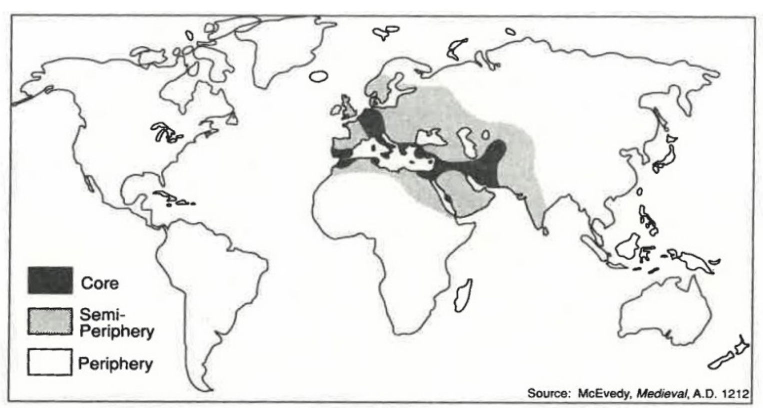


Figure 8. Central Civilization in 1212 A.D.

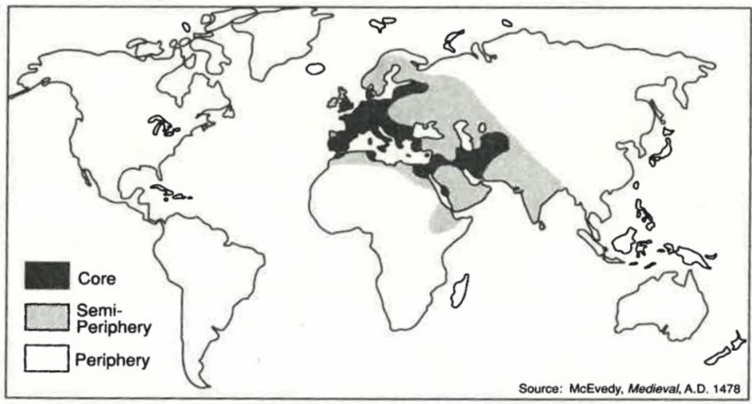


Figure 9. Central Civilization in 1478 A.D.

الشكل (١): وضع إقليم البحرين كشبه طرف في خرائط ولكنسون لتحليل المنظومات العالمية بين ٧٣٧-١٠٢٨ م و ١٢١٢ و ١٤٧٨ م

(المصدر: David Wilkinson, 'Cores, Peripheries and Civilizations', 147)

يبدو أن إقليم البحرين في الفترة حوالي ٤٤٠-٨٠٠ هـ/ ١٠٥٠-١٤٠٠م تمتع ببعض خواص المناطق الطرفية وشبه الطرفية.[٨] ويبدو أيضا أنه اتسم في فترة ما بعد القرامطة، بما في ذلك المدن الثلاث الرئيسة الأحساء والقطيف وجزيرة أوال، بالملامح الآتية: (١) ضعف اتصالاته بالمراكز الأكثر تقدما بسبب العوائق الجغرافية؛ (٢) عجز في بنيته الاقتصادية ومحدودية في موارده الطبيعية أديا إلى

(٨) من الصعب التقيد بإحدى الفئتين، فكلاهما ذات سمات تعميمية.

انخفاض نسبة السكان وعدد المدن؛ (٣) تأثره المباشر بحال الاقتصاد الإقليمي ككل؛ (٤) افتقاده إلى سلطة محلية مركزية وقوية، وهو ما أدى إلى اعتماده على القوى المركزية في أوقات الأزمات، في حين كان تأثير المناطق المركزية عليه غائباً أو إسمياً؛ (٥) تواضع في إمكاناته العسكرية سهّل وقوع غزوات متكررة من قوى خارجية، فضلا عن محدودية نفوذ هذه الإمكانات خارج الإطار المحلي؛ (٦) نقص حاد في الأنشطة العلمية، وبالتالي عدم وجود مذاهب مؤصَّلة فقهيا وعلميا وذات مرجعية محلية نتيجة للخصائص المذكورة أعلاه.

لاحظ بعض المؤرخين، بما في ذلك إيريك وولف وفرناند بروديل وجانيت أبو لغد، أن ظاهرة الاقتصاد «العالمي» ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي. وبموجب وصف أبو لغد، فإن نظام التجارة الدولية في القرن الثالث عشر والإنتاج المرتبط به كانا أكثر تعقيدا من ناحية التنظيم، وأكبر حجمًا، وأكثر تطورا في التنفيذ على نحو لم يشهده العالم من قبل. ربط هذا النظام مساحة شاسعة امتدت بين شمال غربي أوروبا والصين. التقت ممرات الشركاء التجاريين المتجاورة في موانئ الخليج معززة أهمية النظام.[٩]

ترى أبو لغد أن النظام العالمي في القرن الثالث عشر لم يكن يتألف من قوة مركزية واحدة، بل من عدد من القوى «المركزية» المتعايشة. ونتيجة للعلاقات التعاونية والتنافسية بينها، أخذت هذه القوى المركزية المتعايشة تتكامل بشكل متزايد على مدار القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر. وكتبت أبو لغد: «شكلت القوى الإمبراطورية العربية–الفارسية مركزا واحدا من هذا القبيل، كان محاطا بمناطقه شبه الطرفية ومتصلا بمناطقه الطرفية من خلال مجالات أحادية الربط».[١٠]

(9) Janet Abu-Lughod, *Before European Hegemony*, 8-10, 353.

(10) Janet Abu-Lughod, *Before European Hegemony*, 364-365.

في ضوء هذا التحليل يمكن تصنيف إقليم البحرين منطقة طرفية في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بموجب علاقته مع القوى المركزية للسلاجقة في العراق وإيران والفاطميين في مصر. ولاحقا تحولت المدينتان الساحليتان للبحرين، أوال والقطيف، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى مناطق شبه طرفية في علاقتهما التبعية بالقوى المركزية التي خضعتا لها على السواحل المقابلة للخليج، أي المغول وأتباعهم، كالسلغوريين ولاحقا مملكة هرمز، الذين هيمنوا على الخليج اقتصاديا وسياسيا وعسكريا. استغلت هذه القوى المركزية المادة الخام الأكثر أهمية في البحرين، وهي اللآلئ عالية الجودة المتوفرة في مصائد اللؤلؤ على مقربة من أوال والقطيف. كما استغلت أيضا موقعي المدينتين على الخليج في شبكة التجارة. وفي المقابل، شكل الجزء الداخلي للبحرين الذي كان محكوما من البدو العقيليين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر طرفا أو شبه طرف بالنسبة إلى القوتين المركزيتين الكبريين آنذاك: المماليك في مصر والمغول الإيلخانيين في العراق وإيران، حيث وظفتا هذه الإمارة البدوية في الحرب بينهما (١٢٦٠-١٣٢٣م). لعب العقيليون أيضاً دور ناقل للبضائع من موانئ البحرين - التي كانت خاضعة لأتباع المغول- إلى مصر، فشكلوا بذلك طريقا بريا إضافيا وموازيا لطريق التجارة البحرية إلى أراضي المماليك، وهكذا ربطوا القوتين المركزيتين الكبريين للشرق الأدنى تجاريا.

خلال معظم التاريخ الإسلامي اتخذت شعوب إقليم البحرين وكياناتها السياسية في شرقي الجزيرة العربية موقفا عدائيا تجاه الأنظمة السياسية في العراق. تجسد هذا العداء في تبنيهم توجهات دينية-سياسية بديلة تتعارض مع توجهات القوى المركزية. ومنذ ما يعرف بالفتنة الثانية في العصر الأموي، احتُل إقليم البحرين من قبل جماعات من القبائل التي سميت بـ «الخوارج» (٦٨٦-

٧٣٠م) واستقل سياسيا عن خلافة الزبيريين في الحجاز والعراق وخلافة الأمويين في الشام والعراق.[١١] صار إقليم البحرين فيما بعد، على مدار معظم العصور الوسطى، موطنا لمعارضي السلطة المركزية، كزعيم حركة الزنج (٨٦٣–٨٦٨م)، والقرامطة الجنابيين لاحقا (٨٨٩–١٠٧٧م). وبشكل عام، استمر هذا الوضع تحت سلطة الأمراء العيونيين (١٠٧٧–١٢٣٦م) والعقيليين (١٢٣٠–١٤٠٠م) الذين انخرطوا في معارك مع جيوش من العراق.

انقسمت شعوب البحرين بحسب أنماط معيشتها إلى مجموعات حضرية وبدوية وشبه بدوية، انتظمت في وحدات قبلية. مارس الحضر مهناً مستقرة، كالزراعة والتجارة وصيد الأسماك واللؤلؤ وصناعة السفن والمهن اليدوية وما إلى ذلك. اعتمد البدو بالدرجة الأولى على الرعي، وحماية قوافل التجارة والحج، والغزو وشيء من التجارة بمنتجات الماشية والأغنام. اختلفت طبيعة العلاقة بين هاتين المجموعتين من وقت لآخر، وكانت عرضة للظروف الاقتصادية والسياسية. ففي بعض الأحيان تعاون الطرفان وشكلا علاقة تكاملية، بحيث قدم كل طرف للآخر ما ينقصه من حاجات اقتصادية وعسكرية. وفي أحايين أخرى وقعت صدامات بين الحضر والبدو، ولا سيما عندما عانى الأخيرون من الجفاف في الصحراء ووجدوا أن «الدولة» تعيش حالة هشاشة. وبشكل عام، اتسمت العلاقة بين المجموعات البدوية والنظام الحضري بالطابع العكسي، فعندما يصبح الكيان السياسي الحضري قوياً، فإنه يُخضع الجماعات البدوية، فيمنعها من ممارسة الغزو والنهب، ويدمجها في النظام الاقتصادي خصوصا في خفارة قوافل التجارة والحج،

(١١) انظر: محمد الملحم، *تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري* (الدمام: نادي الشرقية الأدبي، ١٩٩٧).؛ وكذلك:

Faisal Alwazzan, ‘Religion and Political Loyalty in the Region of Baḥrayn in Late Antiquity and Early Islam’ (Masters Diss., The University of Edinburgh, 2011).

مستخدما إياها أيضا كقوة عسكرية مساعدة. وعندما يضعف الكيان السياسي الحضري، تزداد قوة البدو ليشكلوا منافسا لأمراء الدولة.[١٢] سنلاحظ هذه الظاهرة في أثناء مناقشتنا لإمارة العيونيين وخلفائهم العقيليين. ومن الظواهر الأخرى الواضحة في تاريخ هذا الإقليم أيضا الاعتماد الكبير على سياسة بناء التحالفات، فقد كانت وسيلة أساسية لجميع اللاعبين السياسيين في المنطقة، ومورست تقريبا في كل المواجهات السياسية والعسكرية، لا بين القوى المحلية فحسب، بل مع القوى الخارجية في بعض الأحيان.

شهد السياق التاريخي الأوسع للفترة ما بين حوالي ١٠٥٠ و١٤٠٠م سقوط البويهيين في العراق وغرب إيران وصعود السلاجقة والقبائل التركمانية في الهضبة الإيرانية والعراق ليحلوا محل البويهيين حوالي عام ١٠٥٠ م. تزامن هذا مع انهيار القرامطة في إقليم البحرين على يد أسر حاكمة محلية. وفي الوقت نفسه تقريباً تبنى الفاطميون عام ١٠٧٣ م استراتيجية بحرية هدفت إلى تحويل الطرق التجارية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية لتمويل حربهم ضد خصومهم السلاجقة والصليبيين. وقد ساهم هذا في تراجع اقتصاد منطقة الخليج، بما في ذلك شرقي الجزيرة العربية، التي عانت على وجه الخصوص فترة طويلة من التراجع الاقتصادي ربما منذ تأسيس البصرة.[١٣] لاحقا، جرى إحياء الأنشطة البحرية تدريجيا بواسطة مملكة جزيرة قيس والسلغوريين، فأعادت تحويل مسار معظم السفن المتاجرة مع الهند إلى الخليج العربي ابتداء من حوالي ١١٠٠م، وانتهى بها المطاف باحتلال بعض موانئ إقليم البحرين في القرن الثالث عشر الميلادي.

بحلول عام ١٢٦٠م شكلت الإيلخانية المغولية والسلطنة المملوكية

(١٢) علي الوردي، *دراسة في طبيعة المجتمع العراقي* (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥)، ص١٣-١٤.

(١٣) انظر الفصل الأول.

القوتين العظميين في المشرق الإسلامي. حكم المغول إيران والعراق، فيما حكم المماليك مصر وأجزاء من الشام. أثرت الحرب بين الطرفين على الأجزاء الداخلية لإقليم البحرين وساهمت في صياغة سياساته واقتصاده. في هذه الأثناء ظهرت كيانات سياسية صغيرة في الخليج، كالقيصريين في جزيرة قيس، والأتابكة السلغوريين في فارس، وسلالة الطيبيين، ومملكة هرمز. سيطرت هذه الكيانات على السياسة والاقتصاد في الخليج، وخضعت موانئ الجزيرة العربية لحكمهم من ١٢٣٦ إلى ما بعد ١٤٠٠ م على التعاقب.

٢ - أهمية البحث

تنبع أهمية الإقليم وجدوى دراسته في فترة ما بعد القرامطة من أن السكان المحليين قد كرسوا استقلالهم السياسي عن الدول المركزية خارج إقليمهم، وهو أمر سنّه القرامطة من قبلهم.[١٤] كانت الإمارة العيونية (١٠٧٧-١٢٣٦م) مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة، لكن من دون افتعال حالة عداء معهما. ولم تقم على إيديولوجيا كما هو حال القرامطة. أدى هذا الحكم الذاتي إلى استقلالهم في صياغة سياساتهم وتقاليدهم الخاصة التي ناسبت الجغرافية الطبيعية والبشرية لمنطقتهم ضمن إطار حضري-بدوي.

كان الدور السياسي لهذه الإمارة محوريا بالنسبة للأنظمة السياسية اللاحقة في شرقي الجزيرة العربية، فقيامها بعد الدولة الجنابية كرس لسلسلة إمارات تاريخية في الإقليم، وقدمت نموذجا سياسيا مبكرا ورّثَت مظاهره للإمارات اللاحقة في المنطقة. ومن بين الممارسات الاجتماعية والسياسية المشتركة

(١٤) شهد القرن الأول الهجري نشوء إمارات مستقلة عن الدولة الأموية، كإمارة بكر بن وائل وإمارة عبد القيس، وهي إمارات وصفت بأنها خارجية في المصادر الإسلامية، وذلك لإلغاء شرعيتها والتقليل من شأنها.

بين الإمارة العيونية والإمارات الخليجية اللاحقة: قضية الخلافة على المشيخة وشرعية الأمير، ومسألة توزيع السلطة وتداولها بين الأسرة الحاكمة وزعماء القبائل والنخبة الاجتماعية والتجارية، وسياسة التحالفات الداخلية والخارجية، وتوازن القوى بين الأمراء والبدو والتجار، والزواج السياسي بين الأمراء والقبائل، وبنية الجيش، والتحالفات السياسة، والخلافات ضمن فروع الأسرة الحاكمة على السلطة، وملكية الأراضي.

لم تُدرس فترة ما بعد القرامطة بشكل مفصل من قبل الباحثيين الغربيين كما هو مبين في القسم اللاحق (مراجعة الدراسات السابقة). ولم تعتمد الدراسات العربية للموضوع على الأدلة الأثرية والكتابية بشكل كبير، مع أنها أصبحت متاحة مؤخرا. وقد أدى هذا إلى محدودية في قدراتها على طرح الأسئلة ووصف الأحداث وتحليلها. وبموجبه، سيسعى هذا البحث إلى تجاوز المراجع الحالية وتحديثها.

بما أن هذا الكتاب يتبنى مقاربة قائمة على تحليل المنظومات العالمية في فهم تاريخ البحرين، فإن تناول موقع الإقليم في السياق العالمي الأوسع ووضعه الاقتصادي سيقدم إضافة نوعية لتاريخ بلاد البحرين.

ما زال الغموض يكتنف مسألة الدين والمعتقدات المذهبية في بلاد البحرين في الفترة موضوع الدراسة بسبب ندرة المصادر من جهة وتورط القوى السياسية المتنافسة والطائفية في بعض الدول المطلة على الخليج عند التعامل مع هذه المسألة من جهة ثانية. بموجبه، ثمة حاجة ماسة إلى تحاشي هذا التوتر بتناول المسألة بطريقة موضوعية علمية. سنقوم بذلك من خلال تضمين كل الأدلة المتوافرة التي تشير إلى التعايش السلمي بين مختلف طوائف الإقليم، فضلا عن تقديم فهم سياقي للدين أكثر عمقا من الناحية التاريخية. سنبين أن التدين في بلاد البحرين، بوصفها «منطقة طرفية» ذات اقتصاد وسلطة

ضعيفين، كان فلكلوريا بشكل رئيس ولا يشبه إلى حد كبير التدين الممارس في المدن الكبرى للمناطق المركزية: العراق وإيران والشام ومصر، أو التدين الحديث في دول الخليج العربي، الذي هو أكثر تأصيلا في طبيعته.

٣ – مراجعة الدراسات السابقة

لا يوجد أي كتاب باللغات الغربية يغطي تاريخ بلاد البحرين في مرحلة ما بعد القرامطة ١٠٥٠–١٤٠٠ م. كما لم يتم تضمين الإمارة العيونية في الأعمال التاريخية القليلة حول الأسر الحاكمة الإسلامية بواسطة باحثين غربيين، مثل زامباور وبوسوورث.[١٥] وبموجبه، لم تُقدم أية مناقشة للإقليم في تلك المرحلة التاريخية. وفي المقابل، ثمة دراسات متفرقة حول بعض موضوعات هذا الكتاب. يعثر المرء في الموسوعات على مواد صغيرة فقط حول العيونيين والعصفوريين كتبت بواسطة رينتز وموليّغان، وسميث، وماديلونغ، والنابودة.[١٦] بالإضافة إلى ذلك، يوجد بضع دراسات حول الشاعر علي بن المقرّب العيوني وديوانه وشرحه. يحتوي هذا المصدر، المعنون شرح *ديوان ابن المقرب*، على كمية وفيرة من المعلومات التاريخية كما سنلاحظ لاحقا. وفي المقابل، فإن الدراسات التاريخية بالعربية أكثر وفرة نسبيا.

إن أول باحث غربي اكتشف مخطوط شرح *ديوان ابن المقرب* واستخدمه مصدرا تاريخيا لنهاية مرحلة القرامطة هو دو خويه (١٨٦٣–١٩٠٩) في

(15) Eduard von Zambaur, *Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam* (Bab Pyrmont: H. Lafaire, 1955); Clifford Edmund Bosworth, *The New Islamic Dynasties: A Chronological and Genealogical Manual* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1996).

(16) Rentz and Mulligan, 'al-Baḥrayn', *EI²*; G.R. Smith, ''Uṣfūrids', *EI²*; W. Madelung, 'Karmati', *EI²*; Hasan al-Naboodah, 'Bahrain' in *Medieval Islamic Civilization: An Encyclopedia*, ed. Josef Meri (New York: Taylor and Francis, 2006), vol.1, 95.

مقالته «نهاية إمبراطورية القرامطة في البحرين» (١٨٩٥)، حيث برهن أن هذا الديوان هو مصدر جدير بالثقة ودقيق لتاريخ القرامطة وثورات الأسر المحلية الثلاث، كما قدم أخبار إمارتي آل الزَجّاج وآل عياش.[١٧] وقد مرت ثمانون سنة أخرى قبل ظهور ثاني دراسة غربية حول مخطوط الديوان، هي طبعة للمجموعة الشعرية مع دراسة نقدية (بالإنجليزية) قدمها صلاح نيازي أطروحة للدكتوراه في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (سواس) عام ١٩٧٥.[١٨] وبعد عام من ذلك ظهرت مقالة صفاء خلوصي حول السيرة الذاتية للشاعر ابن المقرب وأهمية شرح الديوان للبحث العملي في «وقائع مؤتمر ندوة الدراسات العربية»، حيث شدد فيها على أهمية هذا المصدر بما يقدمه من معلومات وفيرة حول مجموعة من المواضيع، بما فيها اللغة والتاريخ والجغرافية وحتى الأنثروبولوجيا.[١٩] وفي العام نفسه كتب هانس يورجين فيليب تاريخا عاما للأحساء يتضمن شذرات حول العيونيين والعقيليين.[٢٠] لكن لم تتطرق أي من هذه الدراسات للعيونيين والعقيليين بالتفصيل.

وفيما يخص الدين والمذاهب في البحرين، كان خوان كول (١٩٨٧) أول من ناقش الموضوع، إذ يرى أن قيام الحكام البدو الإسماعيليين بتعيين قضاة من الشيعة الاثني عشرية أدى إلى تحول سكان البحرين من الإسماعيلية

(17) M. J. de Goeje, 'La Fin de l'Empire des Carmathes du Bahrain,' *Journal Asiatique* 5 (1895): 5-30.

(18) Salah Niazi, 'An Edition of the Dīwan of Ali ibn al-Muqarrab and a critical Study' (PhD diss., School of Oriental and African Studies, 1975).

(19) Safa Khulusi, 'A Thirteenth Century Poet from Bahrain,' *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 6 (1976): 91-102.

(20) Hans-Jürgen Philipp, *Geschichte und Entwicklung der Oase al-Hasa (Saudi-Arabien)* (Saarbrücken: Breitenbach, 1976), 46-55.

إلى الاثني عشرية.[21] وقد ركزت أطروحة الدكتوراه لعلي العريبي في جامعة ماكجيل (١٩٩٥) على الجوانب الفلسفية والصوفية للعلماء الذين انتسبوا إلى إقليم البحرين وعاشوا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وهو يجادل بأن هؤلاء العلماء كانوا من أوائل علماء الاثني عشرية الذين أدخلوا الفلسفة والتصوف إلى التراث الاثني عشري.[22] سنناقش هذه الحجج في الفصل الثامن من هذا الكتاب.

نُشر عدد لا بأس به من الأعمال بالعربية والفارسية، لكنها تمثل سردا عاما غير تحليلي لبلاد البحرين بين ١٠٥٠-١٤٠٠م. ويتعلق السؤال الجوهري لهذه الدراسات بهوية الخليج، عربية أم فارسية، والانتماء المذهبي لسكان شرقي الجزيرة العربية، سنة أم شيعة. ويبدو أن هذه الأسئلة نابعة من السياقات الإيديولوجية للدول العربية وإيران في فترات محددة. على سبيل المثال، كانت القومية العربية والبعثية بين أربعينيات وسبعينيات القرن الماضي تنافس دعوات القومية الإيرانية. ومنذ الثمانينيات، عقب الثورة الإيرانية التي جاءت برجال الدين الشيعة إلى السلطة، وحتى وقت قريب، أصبحت المذهبية بين الشيعة والسنة أكثر حدة والأداة الجديدة للصراع، وقد انعكس هذا سلبا على البحث العلمي.

كانت الكتابات الكويتية والعراقية تستخدم في بعض الأحيان مصطلح الخليج العربي، وهو ما فعله الطلاب الكويتيون ذوو التوجه القومي العربي

---

(21) Juan Cole, 'Rival Empires of Trade and Imamī Shiʿism in Eastern Arabia 1300-1800,' *International Journal of Middle East Studies* 19/2 (1987): 177-204. Republished in Juan Cole, *Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shi'ite Islam* (London: I.B. Tauris, 2005), 31-57.

(22) Ali al-Oraibi, 'Shīʿī Renaissance: A Case Study of the Theosophical School of Bahrain in the 7th/13th Century' (PhD diss., McGill University, 1992).

في أربعينيات القرن العشرين في مجلة «البعثة» التي كانوا يصدرونها في القاهرة. ولكنها لم تكن مدعمة بالأدلة العلمية.[٢٣]

ربما كان المؤرخ الإيراني عباس إقبال أشتياني من أوائل الذين استهلوا الجدل حول هوية الخليج مع المؤرخين العرب بشكل علمي عندما ألف كتابا عام ١٩٤٩ بطلب من وزارة الخارجية الإيرانية يهدف إلى إظهار الأساس التاريخي الذي بمقدور إيران استخدامه لإعلان سيادتها على الجزر والمناطق الساحلية للخليج برمته، ولا سيما الجزء الغربي. من أجل هذا الهدف، استشهد أشتياني بشكل غير دقيق بالفترات المتفرقة التي قامت فيها الدول التي نشأت في أراضي تتبع إيران في الوقت الحاضر، بما في ذلك الديالمة (البويهيون) والتركمان (السلاجقة والأتابكة) والمغول والهرمزيون، باحتلال جزر الخليج وموانئه من قواعدهم في إيران. وهكذا استنتج أن إيران تمتلك أحقية حكم منطقة الخليج العربي كلها.[٢٤] ولكنه نسي أن يتحدث عن الكيانات العربية على الساحل الغربي التي احتلت أجزاء من الأراضي الإيرانية.

ربما كانت أقدم محاولة أكاديمية عربية للرد على أشتياني هي بحث قدمه الأديب الكويتي عبدالرزاق البصير إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس ببغداد في فبراير ١٩٦٥م، وكان بعنوان «تسمية الخليج بالخليج العربي»[٢٥]. وفيه ساق الأدلة من كتب الجغرافيا التاريخية على عدم ثبوت تسمية الخليج بالخليج أو البحر الفارسي، وبين أن أسماءه تعددت في الكتابات، وأرجع أصل هذه التسمية إلى اليوناني نيركوس (نيارخوس). وتبع بحثَ البصير كتابُ قدري

(٢٣) انظر على سبيل المثال مقالة «إلمامة بتاريخ الكويت» في *مجلة البعثة*، تحرير عبدالعزيز حسين، المجلد الأول، السنة الأولى، العدد الثامن، ١٩٤٧، ص١٦٧، ١٧٠.

(٢٤) عباس إقبال إشتياني، *مطالعات در باب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس* (طهران: إنتشارات أساطير ١٣٨٤ هـ [٢٠٠٥ م]، إعادة طبع لنسخة ١٣٢٨ هـ [١٩٤٩ م])، ج١، ص١٤-١٤٥.

(٢٥) عبدالرزاق البصير، «تسمية الخليج بالخليج العربي»، بحث قدم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس ١٥ – ٢١ شباط ١٩٦٥م في بغداد (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥).

قلعجي *الخليج العربي* (١٩٦٥) الذي اعترض فيه أيضا على الاسم التقليدي للخليج (الفارسي) مشيرا إلى هويته العربية، فقال إنه يجب أن يسمى «الخليج العربي». وهو يذكر أن الأدميرال نيارخوس (٣٠٠-٣٦٠ ق.م)، خلال غزو الاسكندر المقدوني للشرق، ربما كان أول من وصف الخليج بالفارسي في أثناء رحلته البحرية إلى الشواطئ الفارسية الشرقية، لكنه لم يكن مطلعا على وجود العرب على الشواطئ الغربية. واقتبس قلعجي أيضا عن الجغرافي الروماني فيليني (٧٧-٧٩ م) والجغرافي الألماني الدنماركي نيبور (١٧٧٢م) والرحالة الإنجليزي أوين، الذين استخدموا جميعا اسم «الخليج العربي».[٢٦] ظهرت لاحقا دراسات عدة كررت الأطروحات والحجج ذاتها التي أثارها قلعجي، مثل محمد ارشيد العقيلي (١٩٩٣) وعمر فوزي (٢٠٠٠).[٢٧] وقد أكد الأخير على الحضور العربي في الخليج بما في ذلك السواحل الإيرانية، قائلا إن العرب شكلوا وحدة ثقافية على الرغم من خضوعهم المتقطع للدول الإيرانية.

واذا استثنينا الدراسات المعنية بمسألة هوية الخليج، فثمة القليل من الدراسات العربية التخصصية التي محصت مرحلة ما بعد القرامطة. وعلى الرغم من تركيز بعضها على جوانب معينة من تاريخ العيونيين، فإنها تقوم على المقاربة الوصفية ذاتها التي تخلو من فروق جوهرية في النظرة العامة. على سبيل المثال، كتب محمد آل عبد القادر أول وصف حديث للإمارة العيونية في كتابه العام حول مدينة الأحساء: *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد* (١٩٦٠).[٢٨] كما كتب علي الخضيري سيرة للشاعر علي

(٢٦) قدري قلعجي، *الخليج العربي* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥)، ص٧-٢٤.

(٢٧) محمد رشيد العقيلي، *الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة* (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣).

فاروق عمر فواز، *الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط* (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٠).

(٢٨) محمد الأحسائي، *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد*، تحقيق حمد الجاسر (الرياض: مطبعة الرياض، ١٩٦٠).

بن المقرب العيوني ودراسة لشعره، ضمّنها أيضا بعض المعلومات حول التاريخ العيوني. وفي أطروحته للماجستير (١٩٨٤) التي نشرت لاحقا ككتاب (٢٠٠١) كان عبد الرحمن المديرس أول من قسم التاريخ العيوني إلى أربع مراحل: التأسيس والقوة، التشظي السياسي، التعافي وإعادة التوحيد، الاضمحلال والسقوط. وقد تم قبول هذا التقسيم واستخدامه في معظم الدراسات اللاحقة، بما في ذلك كتابنا هذا. وكتب المديرس خطوطا عامة حول النظام الإداري والأنشطة التجارية والنتاج العلمي في فترة الإمارة. واستنتج أن العيونيين كانوا أول سلالة بحرينية في التاريخ الإسلامي حكمت البحرين بشكل مستقل، ومع ذلك حافظت على تحالف جزئي مع الخلافة العباسية. وربط مراحل القوة بعلاقاتهم القوية مع العباسيين، ومراحل الضعف بغياب هذه العلاقات. وكرس فضل العمّاري (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، الذي اعتمد على الشعر أكثر من الشرح في كتابة تاريخ العيونيين، قسما لعقيدة الشاعر ابن المقرّب، واستنتج أنه كان شيعيا. وتعامل عمران العمران (١٩٩٣) بشكل مفصل مع سيرة ابن المقرب وجماليات شعره أيضا. فيما قدم عبد الرحمن الملا (٢٠٠٢) عملا رائعا يتضمن معلومات مفصلة حول جغرافية البحرين ومراكزه الحضرية واقتصاده قبل مناقشة التاريخ السياسي للعيونيين. وكتب محمد خليل (٢٠٠٦) وصفا غير تحليلي هو الأطول للتاريخ السياسي للبحرين في العصور الوسطى بين سقوط القرامطة وقدوم البرتغاليين.[٢٩] تطرح هذه الدراسات حججا بخصوص أسئلة عدة، كدور الدعم التركماني في التغلب على القرامطة ومحاولاتهم اللاحقة غزو الإقليم،

(٢٩) علي الخضيري، *علي بن المُقرّب: حياته وشعره* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)؛ عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين* (٤٦٩-٦٣٦ هـ/ ١٠٧٦-١٢٣٨م) (الرياض: إصدرات دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)؛ فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية* (الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٣ هـ[١٩٩٢])؛ عمران العمران، *ابن المقرب: حياته وشعره* (دار النشر غير معروفة، ١٤١٤ هـ[١٩٩٣]).

وطبيعة العلاقات السياسية مع الخلافة العباسية، ومذهب العيونيين، والشاعر علي بن المقرب.[٣٠] تحاشى فهد الحسين (٢٠٠٦) الوصف العام للتاريخ وركز على الأنشطة الزراعية في فترة الإمارة العيونية في مقالته التي اعتمد فيها على علم الآثار وشرح *ديوان ابن المقرب* لدراسة النظام المائي والمصادر المائية والفلاحين ومُلّاك الأراضي.[٣١]

كُتبت الدراسة الأكاديمية العربية الأكثر تفصيلا للإمارة العقيلية/ العصفورية بواسطة عبد اللطيف الحميدان، وهي بعنوان: *إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية* (١٩٧٩)، حيث قام فيها باستبناء تاريخ البحرين خلال الفترة ١٢٣٠-١٤٠٠م، معتمدا على عدد كبير من المواد الصغيرة لمعلومات متناثرة عثر عليها في مصادر أولية عدة. وضع الحميدان تاريخ البحرين في سياق الحرب المملوكية الإيلخانية ١٢٦٠-١٣٢٣م، وسلط الضوء على دور قبيلة بن عقيل في الحرب. كما ركز على حكم مملكة قيس والسلغوريين وهرمز لأوال والقطيف، وأطلق على السلالة البدوية التي حكمت البحرين اسم الإمارة العصفورية. وهو يرى أن السبب الرئيس لسقوط العيونيين كان عجزهم عن حماية الإقليم من غزوات البدو ومن الغزوات البحرية لمملكة قيس، ما أدى إلى خسارة أراضي البحرين وموانئه التجارية لصالح القيسيين. دفع هذا بالتجار وبعض الشخصيات البحرينية الأخرى إلى البحث عن قوة محلية بديلة قادرة على توفير أمن أفضل

---

(٣٠) محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص١١٤-١١٥، حاشية ٤؛ عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص٧٨؛ عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية* (الكويت: مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢).

(٣١) فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين خلال عصر الدولة العيونية: رؤية إثنوغرافية»، في *مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية* (المنامة، ٢٠٠٦)، ص٣٣٧-٣٨٧.

لتجارتهم وثرواتهم. خلع التجار الأمير العيوني في الأحساء وأعلنوا الولاء لعصفور بن راشد زعيم قبيلة بني عقيل.[٣٢]

٤ - بنية البحث وأسئلته وأهدافه

إن هذا الكتاب منظم على النحو الآتي: يتناول الفصل الأول الجغرافية التاريخية لإقليم البحرين واقتصاده، فيسلط الضوء على التقلبات الاقتصادية في منطقة الخليج خلال الفترة ١٠٥٠-١٤٠٠م، وذلك بالاعتماد على ما يتوفر من دراسات للأدلة الأثرية، حيث نضعها في السياق الاقتصادي الأوسع للشرق الأدنى. تختلف المناقشة التي يتبناها هذا الفصل عن الدراسات السابقة لبعض المؤرخين العرب الذين اعتمدوا على مصادر كتابية أقدم تعود إلى ما قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وعدّوا اقتصاد البحرين مزدهرا، وذكروا منتجات زراعية من الفترات السابقة. وربما افترضوا الاستمرارية ذاتها للوضع الاقتصادي والناتج الزراعي. كما يتناول هذا الفصل تأثير جغرافية إقليم البحرين على مجتمعاته واقتصاده وسياساته.

يقدم الفصل الثاني سردا تحليليا للإمارتين قصيرتي الأمد اللتين أطاحتا بالقرامطة في أوال والقطيف: إمارة آل الزَجّاج وإمارة آل عياش. ويناقش كذلك العوامل السياسية والاقتصادية التي أججت ثورتيهما، ويفسر رسالة الأمير العوام بن محمد الزجّاج إلى الخليفة العباسي واتصالات آل عياش مع السلاجقة.

يتناول الفصل الثالث صعود الإمارة العيونية التي دامت حوالي ١٦٠ عاما (١٠٧٧-١٢٣٦م)، فيسلط الضوء على أربعة موضوعات أساسية. أولا، يشرح

---

(٣٢) نشرت المقالة في ثلاث مجلات، سأستخدم الأخيرة منها. عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، *الوثيقة* ٢، ٣ (١٩٨٣)، ص٢٦-٧٤. وقد نشرت أولا في *مجلة كلية الآداب*، جامعة البصرة ١٥ (١٩٧٩)، ص٦٩-١٤٠؛ ولاحقا في *مجلة العرب* ١٥، ١/ ٢ (١٩٨٠)، ص٦٥-١١٥.

الخطوات الأولى التي اتخذها مؤسس الإمارة العيونية للإطاحة بالقرامطة في الأحساء: تأسيس التحالف العسكري، وحصار السنوات الست، وسقوط المدينة. ثانيا، يقدم إعادة تفسير لطبيعة حملات التركمان إلى البحرين تختلف عن وجهة النظر التي تبناها مؤخرا بعض الباحثين، بما فيهم المديرس والجنبي وخليل، حول توجيه السلطان السلجوقي للحملات. فنقترح، عوضا عن ذلك، أن هذه الحملات شنها القادة العسكريون التركمان لتأسيس نظام حكم ذاتي مستقل نسبيا عن السلاجقة العظام الذين يبدو أنهم لم يكونوا مهتمين بالإقليم. ثالثا، يشكك هذا الفصل في أطروحة علاقات الفاطميين بمؤسس الإمارة العيونية التي جادل بشأنها المديرس وخليل وآخرون بناء على رسالة مزعومة أرسلها الخليفة الفاطمي إلى تابعه في اليمن يشيد فيها بغزو عبد الله بن علي للأحساء. نحن نطعن بهذا الدليل لأسباب عدة أهمها هو أن التاريخ المذكور على الرسالة يسبق فتح الأحساء. رابعا، ثمة مناقشة أكثر تفصيلا لنظام الدواوين في الإمارة، والسياسة الاقتصادية وتشكيل الجيش.

يركز الفصل الرابع على فترة اضمحلال الإمارة العيونية وسقوطها، فيتناول ثلاثة موضوعات: أولا، التقسيم السياسي للإمارة وتحولها إلى دويلتي مدن ثم ثلاث. ثانيا، نقدم تحليلا للعلاقة المعقدة والصراع بين الأمراء وأعضاء الأسرة الحاكمة، والبدو والتجار. ثالثا، ندرس سقوط الإمارة في أوال على أثر الغارات البحرية التي شنها القيسيون والسلغوريون، وإسقاط العقيليين للإمارة العيونية في الأحساء والقطيف.

يتألف الفصل الخامس من قسمين، يركز الأول بينهما على الدول التي قامت في جزر الخليج وساحله الشرقي واحتلت أوال والقطيف وأدمجتهما في شبكاتها التجارية. وهذه الدول هي: الأتابكية السلغورية في فارس (١٢٣٦-١٢٧٠م)، ثم الإيلخانية المغولية (١٢٧٠-١٢٨٠م)، ومملكة

هرمز (١٢٨٠-١٢٩٠م)، والأسرة الطيبية (١٢٩٠-١٣٣٣م)، ومملكة هرمز مجددا (١٣٣٥-١٤٧٠م). يتناول القسم الثاني صعود الإمارة العصفورية/ العقيلية وبنيتها الاجتماعية السياسية ونظامها. كما يشرح أسباب مساهمة العقيليين في «الحرب الباردة» بين المماليك والمغول وكيف أدت علاقاتهم الاستراتيجية بالمماليك في مصر والأنظمة السياسية الحاكمة لأوال والقطيف إلى تحولهم إلى تجار قوافل محترفين.

يركز الفصل السادس على تاريخ الأدب في إقليم البحرين (١٠٥٠-١٤٠٠م)، فيصف النثر (أسلوب شرح *ديوان ابن المقرب* ورسالة العوام بن محمد الزجاج)، ويتناول الشعراء الذين عاشوا في فترة الإمارتين العيونية والعقيلية، إذ لم يتم التعريف بالعديد من الشعراء في الدراسات المؤخرة. كما يحلل هذا الفصل العلاقة بين الأمراء والشعراء.

الفصل السابع مكرس لمسألة المذاهب وطبيعة التدين في بلاد البحرين، إذ نستخدم فيه مواد أثرية وكتابية مكتشفة حديثا تساعد على تقديم تفسير جديد للتاريخ الديني للإقليم. خلافا للنزعة التي انتشرت مؤخرا عند المؤرخين، والتي تصور البحرين موطنا لعقيدة واحدة، يحاجج هذا الفصل بأن البحرين ضم في فترات معينة طوائف/ جاليات متعايشة من السنة الأحناف والشافعيين ومن الإسماعيليين والاثني عشرية، يبدو أن الطابع الفلكلوري غلب على معظمها. ونبحث أيضا في كيفية وصول كل مذهب إلى الإقليم.

يتناول الفصل الثامن مسألة العلماء والإنتاج العلمي في البحرين، فيتحدى وجهة النظر التقليدية التي ترى أن عددا من علماء الاثني عشرية الذين عاشوا في القرون (١١-١٣م) وحملوا نسبة البحراني كانوا يقيمون في البحرين. هؤلاء العلماء هم محمد بن محمد البحراني (القرن ١٢م)، وراشد بن إبراهيم البحراني (توفي ١٢٠٨م)، وأحمد بن علي بن سعادة البحراني

(توفي ١٢٧٠م)، وإبراهيم بن الحسين البحراني (عاش حوالي ١٢٧٠م)، وعلي بن سليمان البحراني (توفي ١٢٧٤م)، وفضل بن جعفر البحراني (توفي ١٢٧٧م)، وميثم بن علي البحراني (توفي حوالي ١٢٨٨م)، وأحمد بن المتوّج البحراني (توفي ١٤١٧م). يتتبع هذا الفصل بالتحليل تقارير التراجم حول أماكن ولادة هؤلاء العلماء وإقامتهم وتحركاتهم ووفاتهم وأماكن دفنهم. ويشرح أول ظهور للتقارير التي تربطهم بالبحرين في سياق البيئة السياسية التي عاش فيها كتاب تراجمهم.

٥ – المصادر الأثرية والمكتوبة

على الرغم من إجماع المؤرخين الحاليين على أن تاريخ البحرين في الفترة ما بين حوالي ١٠٥٠–١٤٠٠م غامض للغاية، إلا أنهم لم يأخذوا بالحسبان جميع الأدلة المتاحة. في الواقع، ثمة كمية متزايدة من الأدلة الأثرية. ومن ناحية أخرى، يوجد أدلة نصية أكثر مما قد تم استخدامه سابقا. إن اكتشافات كهذه تعمق معرفتنا بتاريخ البحرين وتسهل تفسير التاريخ في تلك الفترة.

تشمل المجموعة الواسعة من الأدلة الأثرية: النقوش، والنقود، وبقايا العمارة والبنى التحتية، والأختام والتمائم، والفخار. أولا، تضم منطقة سوق ومسجد الخميس في مملكة البحرين الحالية نقوشا من الفترات العائدة إلى حكم العيونيين، وتابعي المغول، والهرمزيين. وهي توفر معلومات قيمة حول السياسة والإدارة والمذاهب الدينية وجوانب اقتصاد البلد وحالته. لقد درست هذه النقوش بواسطة مونيك كيرفران ولودفيك كالوس.[٣٣] ثانيا، تم اكتشاف

(33) Monik Kervran, ‘La mosquée al-Khamis à Bahrain: son Histoire et ses inscriptions. I. Le Monument,’ *Archeologie Islamique* 1(1990): 7-51; Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain: Contribution a l’Histoire de Bahrain Entre Les XIe ET XVIIe Siècles (Ve-XIe De L’ Hégire)* (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1990).

العديد من النقود في مملكة البحرين والقطيف، وهي تعود إلى سلالات وحكام مختلفين. نذكر منها نقودا استخدمت من قبل القرامطة والعيونيين والأتابكة والمغول، وهي مفيدة لفهم الوضع الاقتصادي للبحرين. اكتشفت مجموعة نقود وقدمت لنايف الشرعان (٢٠٠٢) ليدرسها، فتبين أنها خاصة بالإمارة العيونية، وهي تقدم دليلا حول الهوية الشيعية لبعض حكامها وميولهم السياسية. يؤكد الشرعان أن الإمارة كانت مستقلة تماما عن الخلافتين العباسية والفاطمية آنذاك، ويذكر أن أمراءها زاولوا نمط حكم ملكي أو سلطاني من ناحية الشكل الحكومي والطقوس السياسية.[٣٤] علاوة على ذلك، اكتشف نيكولاس لوفيك (١٩٧٤) نقودا خاصة بالأتابكة والمغول في أوال ودرسها.[٣٥] ثالثا، ما زالت مواقع المساجد وبقايا القصور ماثلة في أوال (مسجد الخميس) والأحساء (المسجد الجامع). وتشير تحليلات عمارتها وأعماقها ومستوياتها الأرضية إلى فترات البناء ومراحلها المختلفة. إن تأثير العمارة الخارجية جلي كما استنتج فهد الحسين (٢٠٠١). أضف إلى ذلك أن العديد من الآبار المائية وبعض الأنابيب الفخارية ما زالت موجودة، وهي توفر معلومات حول إمدادات المياه ونظام الري. رابعا، اكتشفت الآثارية فينيتيا بورتر في قلعة البحرين أختاما منقوشة وتمائم وأحجار صلاة تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي.[٣٦] تعرض هذه المكتشفات رموز الاثني عشرية بالإضافة إلى معلومات حول

(٣٤) انظر: نايف الشرعان، *نقود الدولة العيونية في البحرين* (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢).

(35) Nicholas Lowick, 'Trade Patterns on the Persian Gulf in the Light of Recent Coin Evidence,' in *Near Eastern Numismatics, Iconography, Epigraphy and History: Studies in Honor of George C. Miles*, ed. Dickran Koumjian (Beirut: American University of Beirut, 1974).

(36) Venetia Porter, 'Arabic Inscriptions from Qalʿat al-Bahrain Excavations,' in *Islamic Remains in Bahrain*, ed. K. Frifelt (Moesgaard: Jutland Archaeological Society, 2001), 201-207.

مكان الصنع، وهو مدينة مشهد في إيران. خامسا، تم استخراج عدد كبير من شظايا الفخار الصيني في قلعة البحرين الواقعة في مملكة البحرين، ودرستها مونيك كيرفران مقترحة وجود علاقة تجارية بين البحرين والصين.[٣٧] سادسا، اكتُشف حجر جيري لنص تدشين مسجد في القطيف يعود إلى الملك تهتمن الثاني الهرمزي، لكن يبدو أن مدينة القطيف تفتقر إلى المسوحات الأثرية. ولسوء الحظ، ما زالت الأدلة الأثرية الخاصة بالعقيليين غير مكتشفة.

إن المصادر الكتابية حول البحرين في القرون موضوع هذه الدراسة قليلة. يوجد مصدر بحريني محلي يتضمن معلومات حول آل الزَجّاج وآل عياش والإمارات العيونية. كما يقدم معلومات حول العقيليين الأوائل الذين أطاحوا بالعيونيين في وقت لاحق وأسسوا إمارتهم. يتألف هذا المصدر من ثلاثة أجزاء: ديوان علي بن المقرب العيوني (١١٧٦-١٢٣٠/ ٤٠م)، وشرح للشعر، وملحق فيه معلومات تاريخية عن الإمارة العيونية، كلاهما مجهول المؤلف. يعرف هذا المصدر باسم شرح *ديوان ابن المُقَرَّب*.[٣٨]

إن شرح *ديوان ابن المقرب* هو المصدر الرئيس لإمارتي آل الزَجّاج في جزيرة أوال وآل عياش في القطيف قصيرتي الأجل، اللتين أنهتا حكم القرامطة في هاتين المدينتين. والأهم من ذلك هو أنه المصدر الوحيد المفصل لتاريخ الإمارة العيونية، إذ يصف حصار الأحساء وفتحها، وحملات التركمان، وغارات القيسيين والسلغوريين البحرية، والصراعات الداخلية بين الأمراء والعلاقة المعقدة مع البدو. كما يزودنا بأسماء الأمراء العيونيين. ويكشف

---

(37) Monik Kervran, et al., *Ḥafriyyāt Qalʿat al-Baḥrayn* (1977-1979) (Bahrain: Wazārat al-Iʿlām, 1982), 69-82.

(٣٨) مجهول، شرح *ديوان ابن المقرب*، تحقيق عبد القادر الجنبي وعلي البيك وعبد الغني العرفان (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣).

عن حال الاقتصاد ومجتمع الإقليم وجغرافيته في تلك الفترة، بالإضافة إلى الشؤون الداخلية للعقيليين قبل إطاحتهم بالعيونيين. ومع ذلك، يبدو أن هذا المصدر يخبر جانبا واحدا من القصة. إن الشاعر الذي ينتمي إلى الأسرة العيونية وشارح الديوان (أو شراحه) يبدوان منحازين ضد البدو العقيليين وبعض الأمراء الذين سجنوا ابن المقرب ووالده وصادروا أملاكهما. أضف إلى ذلك أن شرح الديوان يحتوي على قصيدة ابن المقرب الميمية وشرحها، التي تعد الأكثر أهمية، حيث ألقيت في بلاط الخلافة في بغداد، وتضمنت معلومات عن الفترة التشكلية للإمارة التي لم يعايشها شخصيا. وعلى الرغم من أهميتهما، إلا أننا نلاحظ أن الشاعر بالغ فيها على الأرجح، ولعله أراد أن يبرهن من خلالها على عظمة الإمارة التي جاء منها لينال مزيدا من الاحترام.

لا يقدم شرح *ديوان ابن المقرب* جماليات لغوية فحسب، بل يتضمن معلومات حول اللهجة المحلية للبحرين، علاوة على التراجم والجغرافية وعلم الأصوات وعلم الأنساب، والتاريخ، الذي يعد الأهم لبحثنا هذا. من الواضح أن الشاعر و الشارح المجهول لديوانه أرادا تمثل دور المؤرخ أيضا. ففي كثير من الحالات يقدمان معلومات عن الأمراء الجدد، والأمراء العيونيين، وتواريخ الأحداث، وأسماء المعارك، وأعداد القوات، والمعاهدات السياسية والاقتصادية، والوثائق الكتابية، كالرسائل الموجهة من قبل الثوار البحرينيين إلى الخلافة والسلاجقة في بغداد، ووصف للأحداث الهامة والاحتفالات بالانتصارات العسكرية في مناطق عدة، بما في ذلك البحرين ونجد وعُمان وبغداد والموصل والشام. لقد كان الشاعر شاهد عيان على الكثير من الحوادث الموصوفة في قصائده. أما المعلومات المتعلقة بالحوادث التي وقعت قبل حياته وحياة شارح ديوانه فمستمدة من مصادر مجهولة، لعلها كتب مفقودة أو تواريخ شفهية محلية. على سبيل المثال، يمكن مقارنة دور الشاعر علي بن المقرب كمؤرخ بدور فرّوخي سيستاني شاعر بلاط الغزنويين في نهاية القرن

العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الميلادي، ومُعِزّي شاعر بلاط السلاجقة في نهاية القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر الميلادي.[٣٩]

ووفقا للجنبي ومحققي شرح *ديوان ابن المقرب* يؤرخ المخطوط الأقدم لهذا العمل في ٩٠١ هـ/ ١٤٩٦م، أي بعد حوالي ٢٧٠ عاما من وفاة الشاعر، وقد تم استنساخه في حيدر آباد في الهند بواسطة شرف الدين الحسيني النجفي. وهو يضم ٧٧ قصيدة ومقطوعة و٤١٤٣ بيتا. القصائد في المخطوط ليست منظمة هجائيا. وهو موجود حاليا في مكتبة ولاية برلين، تحت الرقم ١٩٨ . ويتضمن معلومات فريدة حول قبيلة عبد القيس والعيونيين والبحرين لا يمكن العثور عليها في مخطوطات الفترات اللاحقة.[٤٠]

ويقترح الجنبي وجود نسختين أصليتين لـ شرح *ديوان بن المقرب*، الأولى أملاها الشاعر نفسه على راوي أو رواة في العراق، وجرى استنساخ مخطوط برلين منها، والثانية أملاها الشاعر أيضا، لكن في البحرين، وأقدم نسخة معروفة لها مؤرخة في ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٦م، وقد نسخها محمد بن علي الحساوي، وتتضمن ٩٨ قصيدة ومقطوعة و٥١٠٤ بيتا، وتعرف باسم «مخطوط الرِضَوية». القصائد مرتبة أبجديا. وتوجد النسخة في كتابخانه مركزي أوستان قدس في مشهد في إيران تحت الرقم ٤٨٣٣ . ويتضمن هذا المخطوط ملحقا في غاية الأهمية يسرد حوادث وأسماء أمراء الأسرة العيونية، وبعض المعلومات حول القرامطة والقيسيين والسلغوريين، علاوة على معلومات حول سقوط الإمارة في جزيرة أوال وتاريخ وقوعه. الغريب في الأمر هو أن هذه المخطوطات الأقدم تحتوي على معلومات أكثر من تلك التي تقدمها الأحدث. وهذا الملحق

(٣٩) حول هذين الشاعرين وأعمالهما، انظر:
Tetley, *The Ghaznavid and Seljuq Turks: Poetry as a Source for Iranian History* (London: Routledge, 2009).

(٤٠) مجهول، شرح *ديوان ابن المقرب*، ج٣، ص٦١-٦٤.

لا يوجد في أي مخطوط آخر لـ *شرح ديوان*، باستثناء قطعة من معجم التراجم المكرس لشخصيات شيعية، والذي كتب بواسطة عالم شيعي كان اثني عشريا على الأرجح. ووفقا لحمد الجاسر، فإن مؤلف هذا المخطوط هو الحسن بن شدقم الحسني (١٥٣٥-١٥٨٤م)، والقطعة هي جزء من مخطوط ابن شدقم *زهر الرياض وزلال الحياض*.(٤١) ويحاجج الجنبي، في المقابل، بأن ابن شدقم اقتبس الملحق من «مخطوط الرِضَوية» لـ *شرح ديوان*. أضف إلى ذلك، ثمة كتاب قد نُشر قديما لـ شرح ديوان مطبوع في بومبي في الهند عام ١٨٩٣م، لكنه لا يتضمن أية إشارة إلى المخطوطات التي استخدمها المحققون. يضم الكتاب قصيدتين وبضع أبيات لم يتم العثور عليها في المخطوطات المتاحة التي استخدمها المحققون الحديثون لجمع *شرح ديوان*.(٤٢)

أما المصدر العراقي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، لسبط بن الجوزي الذي أنهى كتابته سنة وفاته (٦٥٤ هـ/ ١٢٥٧م) فيزودنا بمعلومات موجزة حول إمارتي آل الزَجّاج وآل عياش البحرينيتين. استقى المؤلف معلوماته من غرس النعمة (١٠٢٥-١٠٨٨م)، وهو مصدر أقدم، بواسطة رحالة اسمه أبو حفص الريحاني.(٤٣) لقد ذُكر اسم مؤسس الإمارة العيونية، عبد الله بن

---

(٤١) نشر العمل بواسطة حمد الجاسر في ملحق محمد الأحسائي، *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد* (الرياض: مطابع الرياض، ١٩٦٠)، ص٢٤٩-٢٥٤؛ حمد الجاسر، «إلى الأستاذ الجنبي: حول ديوان ابن المقرب»، الجزيرة ٢٣ ربيع الأول ١٤٢١ هـ[٢٧ حزيران، ٢٠٠٠]. متوافر على الرابط: http://www.al-jazirah.com/2000/20000627/ar2.htm

(٤٢) قدم الجنبي وزملاؤة وصفا كاملا لـ ١٩ مخطوطا للمصدر. انظر: مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص٥٦-١١٩.

(٤٣) يوسف سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الخن وكمال الخراط (دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣)، ج١٩، ص١٨٧-١٨٩؛ سهيل زكار (إعداد)، *الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن* (دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧).

علي، بوصفه ثائرا كان يحاصر القرامطة في الأحساء، وتلقى دعما من الضابط التركماني أرتق. ولا يقدم الكتاب معلومات حول الإمارة العيونية. وقد تعكس هذه المعلومات المختصرة لسبط بن الجوزي حول البحرين قلة أهمية الإقليم في حسابات الخلافة/ الوزراء وجمهور المؤلِّف.

ويوجد أيضا كتاب *تاريخ وصاف الحضرة*، وهو نص فارسي لعبد الله الشيرازي المعروف باسم وصّاف، وكان مؤرخا فارسيا من القرن الرابع عشر الميلادي وشاعر مديح عند المغول الإيلخانيين. يتضمن الكتاب معلومات موجزة حول الحملة التي شنها الأتابك السلغوري أبو بكر على جزيرة أوال عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م. أدت هذه الحملة إلى هزيمة محمد بن أبي ماجد، آخر أمراء العيونيين، وأسفرت بالتالي عن نهاية الإمارة العيونية في الجزيرة. ويزودنا الكتاب أيضا بمعلومات حول غزو السلغوريين للقطيف عام ١٢٤٤م ومقتل القائد العقيلي.[٤٤]

وإذ يرى المؤرخون أن فترة العيونيين غامضة، فإن التاريخ اللاحق أكثر غموضا. إن ندرة المصادر الأولية هي المشكلة الرئيسة في دراسة العقيليين والبحرين خلال الفترة من ١٢٣٠ إلى ١٤٠٠م. فخلافا لإمارة العيونيين السابقة، التي تركت لنا مصدرا محليا على الأقل هو شرح *ديوان ابن المقرب*، لم يترك لنا العقيليون مصدرا بحرينيا واحدا. ولحسن الحظ يزودنا شرح *ديوان* ببعض المعلومات حول الزعيم البدوي راشد بن عميرة وقبيلته بني عقيل المتحدرين من عامر بن صعصعة ودورهم وتأثيرهم على الإمارة العيونية. لكن موت الشاعر ابن المقرب تزامن مع سقوط العيونيين، وعليه ليس بمقدورنا الحصول على معلومات تاريخية حول البحرين من مصادر

(٤٤) عبد الله شيرازي، *تحرير تاريخ وصاف الحضرة*، تحقيق محمد آيتي (طهران: بنياد فرهنگ إيران، ١٣٤٦ هـ [١٩٦٧]).

محلية. أضف إلى ذلك أن الأدلة الأثرية الخاصة بالعقيليين وفترة حكمهم لم تكتشف بعد.

بناء على ما تقدم، اضطر الباحثون المختصون بالعقيليين والإقليم إلى البحث في مصادر المناطق المجاورة، ولا سيما التواريخ التي كتبها مؤرخو الفترة المملوكية والمغولية ممن عاصروا الأحداث أو عاشوا في فترات لاحقة ليست ببعيدة. وسيخولنا هذا الاعتماد معرفة المزيد عن علاقات العقيليين الخارجية بالمقارنة مع شؤونهم الداخلية، فيما ينطبق العكس على تاريخ العيونيين، حيث يقدم لنا شرح *ديوان* قدرا كبيرا من المعلومات حول شؤونهم الداخلية، لكن القليل جدا حول علاقاتهم الخارجية. علاوة على ذلك، وكما سبق أن أوضحنا، يُبين صمت المصادر غير البحرينية حول العيونيين، أي العراقية والإيرانية والمصرية، غيابا ملحوظا لمشاركتهم في السياسة الدولية، وأن إقليم البحرين لم يكن حتى على جدول اهتمامات القوى العظمى آنذاك.

بعد سقوط بغداد عام ١٢٥٨م، طغت القاهرة تحت حكم المماليك (١٢٦٠-١٥١٧) على بغداد كمركز للفكر العربي والإسلامي. لعب مؤرخون مصريون، وإلى حد ما شاميون، الدور ذاته للمؤرخين العراقيين خلال العصر العباسي سابقا في تدوين الأحداث التي وقعت حولهم وتقديم تفسير لها.[٤٥] وبموجبه، تزودنا المصادر المملوكية بمعظم المعلومات والتقارير الموجزة حول العقيليين في البحرين ١٢٥٠-١٤٠٠ م. وكان سبب

(٤٥) حول الدراسات العلمية لكتب التاريخ المملوكي، انظر:

Donald Little, *An Introduction to Mamluk Historiography* (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1970); Donald Little, *History and Historiography of the Mamlūks* (London: Variorum Reprints, 1986); T. Khalidi, *Arabic Historical Thought in the Classical Period* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), 182-231; Hugh Kennedy, ed., *The Historiography of Islamic Egypt (c.950-1800)* (Leiden: Brill, 2000), 23-167.

اهتمام المماليك بالعقيليين هو إمكاناتهم الاقتصادية والعسكرية. فقد احتاج المماليك إلى دعمهم وتعاونهم في حربهم ضد المغول. وشكلت الجزيرة العربية فضاء استراتيجيا للسلطنة المملوكية التي حاولت التواصل مع معظم القبائل وبناء التحالفات معها، ولا سيما المحيطة بالحجاز، حيث تقع الأماكن المقدسة.(٤٦) تمكن المماليك بتحالفهم مع قبائل الجزيرة العربية من السيطرة على قوافل الحج القادمة من الأراضي الخاضعة لحكم المغول، ليجعلوا هذه المزية الاستراتيجية ورقة للتفاوض مع المغول. كما لعب العقيليون دور الشريان البري الذي يغذي مصر بالبضائع عبر القوافل التي سيّروها.

تقع المصادر المملوكية في فئات عدة تضم كتب التاريخ، مثل *المختصر في أخبار البشر* لأبي الفدا (١٢٧٣-١٣٣١م) و*السلوك في معرفة الدول والملوك* للمقريزي (١٣٦٤-١٤٤٢م)؛ وكتب الأنساب: *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب* و*قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان* للقلقشندي (١٣٥٥-١٤١٨م)؛ وكتب الجغرافية: *كتاب الجغرافيا* لابن سعد المغربي (١٢١٣-١٢٨٦)؛ وكتيبات الأرشفة والتدوين: *التعريف بالمصطلح الشريف* لابن فضل الله العمري (١٣٠٠-١٣٤٨م)، *تثقيف التعريف* لابن ناظر الجيش (توفي ١٣٨٤م)، و*صبح الأعشى* للقلقشندي؛ بالإضافة إلى السِيَر، مثل *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور* لمحيي الدين بن عبد الظاهر (توفي ١٢٩٣م).(٤٧)

تتضمن المصادر الفارسية حول فترة المغول، والتي كتبت في المناطق الوسطى والجنوبية والجنوبية الشرقية من إيران، معلومات مهمة حول

(46) Donald Little, 'The History of Arabia during the Bahri Mamluk Period According to Three Mamluk Historians' in Donald Little, *History and Historiography of the Mamluks* (London: Variorum Reprints, 1986), IV, 17-22.

(٤٧) انظر المعطيات الكاملة للمصادر والمراجع في الفصل السابع.

البحرين، لكنها موجزة ومتناثرة.[٤٨] كُتب *نظام التواريخ* بواسطة الفقيه الشافعي الشهير ومفسر القرآن قاضي ناصر الدين بيضاوي (توفي ١٢٨٦ أو ١٢٩٢م)[٤٩] الذي عمل قاضيا في شيراز تحت حكم السلغوريين وأبقا خان المغولي. وتتخلل كتاباته حول الأتابكة السلغوريين معلومات موجزة عن احتلال أوال والقطيف. وثمة مصدر آخر هو *تاريخ وصّاف الحضرة* لعبدالله الشيرازي المعروف بـاسم وصّاف (توفي ١٣٢٣م)، حيث أشار بإيجاز إلى حكم السلغوريين والمغول والطيبيين في أوال والقطيف. كما ذكر المؤرخ والجغرافي حمد الله مستوفي قزويني (١٢٨١-١٣٤٩م) أيضا إخضاع السلغوريين لموانئ الخليج، بما في ذلك أوال والقطيف. ونذكر كذلك كتابي *مجمع الأنساب* (١٣٤٢/ ٤٣م) للشبانكاري (عاش حوالي ١٣٤٣م) و*منتخب التواريخ معيني* (١٤١٣م) لنَطْنزي، وكلاهما يقدم معلومات حول مملكة هرمز وحكمها لموانئ الخليج، بما فيها أوال والقطيف. تزودنا المصادر اللاحقة، مثل *تاريخي جهان أرا* لأحمد غفّاري (توفي ١٥٦٥م) (مطلع العصر الصفوي) و*جامع الدول* لمنجّم باشي (موظف في البلاط العثماني، توفي ١٧٠٢م)، بتفاصيل حول بعض موانئ البحرين التي احتلتها قيس وفارس

---

(٤٨) إن البحث العلمي في المؤلفات التاريخية الفارسية أقل تطورا من نظيره في المؤلفات العربية. حول المؤلفات التاريخية الفارسية من فترة المغول، انظر:

John E. Wood, 'The Rise of Timurid historiography,' *Journal of Near Eastern Studies* 46 (1987): 81-108; Charles Melville, ed., *Persian Historiography: A History of Persian Literature Vol. X* (London: I.B. Tauris, 2012), 155-208; =

=Andrew Peacock, *Mediaeval Islamic Historiography and Political Legitimacy: Bal'ami's Tarikhnamah* (London: Routledge, 2007); Charles Melville, 'Historiography, iv. Mongol Period', in *Encyclopædia Iranica*.

(٤٩) انظر:

Charles Melville, 'From Adam to Abaqa: Qadi Baidawi's Rearrangement of History,' *Studia Iranica* 30 (2001): 67-83.

وهرمز تختلف عن تلك الموجودة في المصادر الأقدم.[٥٠] أضف إلى ذلك أن كتاب *شاهنامة* المفقود لتوران شاه، والذي يتضمن معلومات تاريخية حول تاريخ مملكة هرمز، محفوظ في كتاب *ملوك* هرمز للبرتغالي بيدرو تيشيرا (توفي ١٦٤١م) الذي ترجمه من الفارسية إلى البرتغالية. وتُرجم فيما بعد إلى الإنجليزية بواسطة وليم سنكلير. يتضمن الكتاب تفاصيل حول أوال والقطيف في نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر الميلادي.

تتضمن كتب الجغرافية والرحلات لناصر خسرو (توفي ١٠٨٨م) والإدريسي (توفي ١١٦٦م) وياقوت الحموي (توفي ١٢٢٩م) وابن مجاور (توفي ١٢٩١م) وابن بطوطة (توفي ١٣٠٤م) وماركوبولو (١٣٢٤م) معلومات حول الجغرافية والدين والاقتصاد والسياسة لمدن الخليج من نهاية القرن الحادي عشر إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادي.[٥١]

وبمعزل عن الشاعر ابن المقرب، فثمة معلومات حول شعراء البحرين في المعجم الشعري *خريدة القصر وجريدة العصر* وتكملته لعماد الدين الإصفهاني وكذلك في كتاب *الدرر الكامنة* لابن حجر. لكنهما، لسوء الحظ، يزودانا بمعطيات قليلة ويحتويان على مقتطفات من أشعارهم. ومع ذلك، تلقي هذه التقارير ضوءا على طبيعة العلاقة بين الشعراء والأمراء العيونيين، علاوة على معلومات حول حركة الشعراء من البحرين وإليه.

يوجد أيضا القليل من الكتابات العائدة إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر لعلماء يُنسبون إلى البحرين. لقد ترك لنا علماء يحملون نسبة «البحراني»،

(٥٠) يقتبس عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، *الوثيقة* ٢، ٣ (١٩٨٢)، ص٤٤ عن أحمد غفاري، *تاريخ جهان أرا* (طهران: ١٩٦٤)، ١٢٦-٢٧؛ منجّم باشي، *جامع الدول*، ص٤٤٦-٤٧.

(٥١) انظر المصادر والمراجع في الفصل الأول والخامس والسابع.

صُنفوا لاحقا بحرينيي المولد والنشأة والوفاة، مجموعة من الأعمال. فيما طبع العديد من هذه الأعمال، فإن أخرى ما زالت على هيئة مخطوطات. ولكن هذه الكتب والرسائل والمقدمات العلمية المعروفة بـ «الإجازات» تخبر القليل من المعلومات عن مسألة انتمائهم «الوطني». سنناقش هذه المصادر ومسألة نسبتها إلى البحرين باستفاضة في الفصل الثامن. وثمة مصدر معاصر لتلك الفترة هو مجمع *الآداب ومعجم الألقاب* لابن الفُوَطي (توفي ١٣٢٣) تتخلله معلومات قليلة حول العالم ميثم البحراني. وقد كُتبت الكمية الأكبر من المصادر المتعلقة بهؤلاء العلماء في القرون اللاحقة.

الفصل الأول
جغرافية إقليم البحرين التاريخية واقتصاده
١٠٥٠-١٤٠٠ م

١ – مقدمة

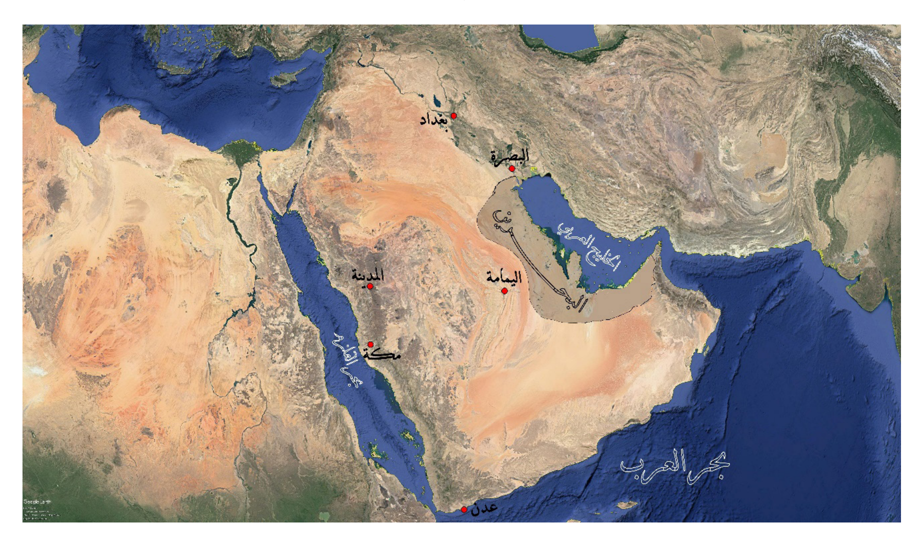
يتناول هذا الفصل جغرافية إقليم البحرين التاريخية واقتصاده في الفترة ١٠٥٠–١٤٠٠م. شهدت هذه الفترة صعود الإمارتين العيونية (١٠٧٧–١٢٣٠م) والعقيلية (١٢٣٠–١٤٠٠م) وأفولهما، كما احتلت مجموعة من الكيانات السياسية التي قامت في جزر الخليج العربي وساحله الشرقي بعض موانئ الإقليم منذ عام ١٢٣٠م. يناقش هذا الفصل أربعة مواضيع. أولا، نعرّف إقليم البحرين ونحدده جغرافيا ونصف مدنه وتضاريسه ومناخه. ثانيا، نقدم وصفا عاما بالموارد الطبيعية والمصادر الرئيسة لاقتصاد الإقليم، وهي: الزراعة والغوص على اللؤلؤ والتجارة البحرية والبرية والرعي. ثالثا، نقترح إعادة تقييم لوجهة نظر بعض المؤرخين الحاليين حول انتعاش الاقتصاد في تلك الفترة. ولهذا الهدف، سنقدم اللقى الأثرية والمسكوكات، فنستخدمها أدلة محتملة على الوضع الاقتصادي، كما نضع اقتصاد الإقليم المحلي في سياق التطورات الاقتصادية للشرق الأدنى في الفترة قيد الدراسة. رابعا، نقدم في هذا الفصل شرحا وتحليلا لتأثير جغرافية البحرين على المجتمع والسياسة والاقتصاد، آخذين بالحسبان عزلته النسبية وبعده عن الأقاليم المحيطة.

يتبنى هذا الفصل وجهة نظر مخالفة لتصورات بعض الباحثين، كالمسري والمديرس وآل ثاني والملا والرشيدي، الذين يرون أن اقتصاد بلاد البحرين

كان دائم الازدهار في العصور الوسطى. يؤكد هذا الفصل، بالاعتماد على الأدلة الأثرية والكتابية، على ما جاء به علماء الآثار، مثل وايتهاوس وكينّيت، من حجج ويدمجها، وهي تتعلق بتدهور اقتصاد الإقليم، الذي يبدو أنه شهد حالة تراجع حاد في الفترة قيد الدراسة، ثم ما لبث أن بدأ يتعافى تدريجيا فيما بعد، لكن بشكل طفيف.

يحاجج هذا الفصل أيضا بأن التراجع الاقتصادي كان نتيجة عوامل داخلية وخارجية. والعوامل الداخلية هي: (١) الجغرافية الطبيعة والبشرية والمناخ غير المساعد للنمو؛ (٢) دمار بعض موانئ الإقليم وضعف بنيته التحتية بسبب الحروب بين الكيانات السياسية المتنافسة؛ (٣) عدم اهتمام كياناته السياسية ونخبته التجارية بتطوير تجارة بحرية واسعة النطاق؛ (٤) انقسام هذه الكيانات والصراعات الحادة بينها. أما العوامل الخارجية فتتمثل في: (١) احتمال قيام العباسيين بمقاطعة البحرين تجاريا بوصفه بلد القرامطة سيئي السمعة؛ (٢) تحول خطوط التجارة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر بالتزامن مع التغير المناخي الذي حدث في إيران؛ (٣) تفوق الموانئ الإيرانية تجاريا على موانئ شرقي الجزيرة العربية. ويبدو أن تعافي اقتصاد البحرين بدأ في الفترة ١٠٥٠– ١٠٦٠ م بعد انهيار القرامطة كما يُظهر شرح *ديوان ابن المقرب*. فقد بدأت الإمارات الجديدة، ولا سيما في جزيرة أوال، بالانخراط في التجارة الإقليمية واستقبال تجار اللؤلؤ والغواصين من المناطق الإقليمية كما بيّن الإدريسي. لكن النمو الاقتصادي لم يكن ثابتا، إذ تراجع مجددا بسبب افتقار البحرين إلى سلطة قوية، ما أدى بدوره إلى صراع داخلي بين الكيانات السياسية وبين الأمراء والبدو. ويبدو أن النمو الاقتصادي قد عاد في ثلاثينيات القرن الثالث عشر الميلادي حينما قامت مملكة قيس والسلغوريون والمغول والطيبيون والهرامزة، بعد استعادتها للتجارة البحرية من البحر الأحمر، باحتلال بعض موانئ الخليج ودمجها في شبكتها التجارية. كما شارك البدو في التجارة في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن التالي، فنقلوا البضائع التي كانت ترد

موانئ الخليج برا إلى مصر المحكومة من قبل حلفائهم المماليك، وبهذا ربطوا القوتين المركزيتين العظميين في الشرق الأدنى.



الشكل (٢): الموقع الجغرافي لإقليم البحرين.



الشكل (٣) : أسماء بعض المواضع في بلاد البحرين.

٢ – موقع إقليم البحرين وتضاريسه ومناخه

إن الإقليم الجغرافي التاريخي المعروف لدى عدد من الجغرافيين المسلمين، بمن في ذلك أبي عبيد البكري (توفي ١٠٤٩م) وياقوت الحموي (توفي ١٢٢٩م) وغيرهما، باسم *بلاد البحرين* كان يقع في شرقي الجزيرة العربية وينحصر من الشمال بالبصرة في جنوب العراق، ومن الجنوب بجلفار أو جرفار (قرب رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة) في شمال عمان، ومن الشرق بسواحل الخليج ومن الغرب بصحراء الدهناء التي فصلت البحرين عن هضبة نجد في وسط الجزيرة العربية.[٥٢] تضم هذه المنطقة حاليا: دولة الكويت والمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية ومملكة البحرين ودولة قطر والنصف الشمالي أو الغربي لدولة الإمارات العربية المتحدة (أبوظبي، ودبي، والشارقة وعجمان وأم القيوين). عُرف سكان هذا الإقليم، ولا سيما بدو القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، في المصادر المملوكية باسم *عرب البحرين*.[٥٣]

في المقابل، تميل المصادر الفارسية من القرن الرابع عشر الميلادي فصاعدا إلى إطلاق اسم البحرين على جزيرة أوال حصرا، ربما بتأثير من كتاب *نظام التواريخ* لناصر الدين بيضاوي (توفي ١٢٨٦م) الذي تم تبنيه في كتاب *تاريخ وصّاف الحضرة* لعبد الله شيرازي (١٣٢٧م) ومن ثم *تاريخ گزيده* لحمد الله مستوفي قزويني (١٣٢٩م) و *مجمع الأنساب* للشبانكاري

---

(٥٢) عبد الله البكري، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع* (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣)، ج١، ص٢٢٨؛ أبو القاسم بن حوقل، *صورة الأرض* (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢)، ص٣٣؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان* (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)، ج١، ص٣٤٦–٤٩؛ زكريا القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد* (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ)، ص٧٧–٧٨.

(٥٣) انظر على سبيل المثال: أحمد المقريزي، *السلوك في معرفة دول الملوك*، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة، مكان الطباعة غير معروف، ١٩٤١)، ج١، ص٢١٤–٢١٥. يعرض الفصل الخامس من هذا الكتاب المزيد من الأمثلة عند التعامل مع العقيليين.

(١٣٣٣م) و منتخب *التواريخ* لنطنزي (١٤١٣م).[٥٤] فهؤلاء يميزون البحرين عن القطيف عند كتابتهم عن الحملات العسكرية التي جُرّدت لإخضاعهما. عُرفت الجزيرة باسم البحرين منذ ذلك الوقت حتى مملكة البحرين الحالية. ومع وصول البرتغاليين في القرن السادس عشر كان اسم «البحرين» لا أوال مستخدما، حيث يمكن ملاحظته في الكتابات البرتغالية لأفونسو دلبوكيرك (١٥٠٧م) وبيدرو تيشيرا (١٥٩٠م).[٥٥]

انقسمت تضاريس البحرين إلى ثلاث مناطق: ضم القسم الأول السهول الساحلية التي شملت المنطقة الساحلية كاملة على ارتفاع لا يتجاوز ٢٠٠م. كانت القطيف والعقير المدينتين الأهم في هذه المنطقة التي تخللها العديد من الرؤوس وأشباه الجزر، كشبه جزيرة قطر ورأس تنورة ورأس السفانية ورأس مشعاب ورأس الزور ورأس القليعة ورأس الأرض ورأس عجوزة ورأس الصبية وكثير منها تسميات حديثة. ضم القسم الثاني السهول الوسطى المتحدرة من الغرب إلى الشرق، فغطت معظم مناطق الإقليم، وضمت الكثبان الرملية والصحاري مثل (مرداء هجر ونبوك والدهناء والبينونة والدو)، والتلال مثل (الشبعان والقارة ومتالع والرمانتان وباب والمقر وأوارة

(٥٤) ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، تحقيق مير هاشم محدث (طهران: بونياد موقوفات دكتور أفشار، ١٢٨٢ هـ [٢٠٠٣م])، ص١٢٣؛ عبد الله الشيرازي، *تحرير تاريخ وصّاف الحضرة*، ص١٠٥؛ حمد الله مستوفي قزويني، تاريخ گزيده، تحقيق عبد الحسن نفائي (طهران: مؤسسة انتشارات أمير كبير)، ص٥٠٦؛ معين الدين نطنزي، منتخب *التواريخ* معيني، تحقيق جان أوبن (طهران: كتاب فروشي خيام، ١٣٣٦ هـ [١٩٥٧م])، ص١٢، ١٧؛ محمد شبانكاري، *مجمع الأنساب* في:

Jean Aubin, 'Les Princes D'Ormuz Du XIII AU XV Siecle,' *Journal Asiatique* 241 (1953): 129-136, at 133.

(55) Afonso de Albuquerque, *Al-Sijjil al-Kāmil li-Aʿmāl Afonso de Albuquerque*, trans. ʿAbdulraḥmān al-Shaykh (Abū Ẓabī, al-Majmaʿ al-Thaqāfī, 2000), vol.1, 184; William F. Sinclair, ed., *The Travels of Pedro Teixeira with his Kings of Harmuz and Extracts from his Kings of Persia* (London: The Hakluyt, prior to 1923), 26, 29, 173-177.

والصليب وتياس والرحا) والأودية مثل (وادي الستار، وفروق، والشيطان، والصمان، والباطن). فصلت صحراء الدهناء في الغرب الإقليم عن هضبة نجد، فيما فصلته صحراء الربع الخالي وجبال الفجيرة والوريعة والطيبة ومسافي والعبادلة في الجنوب عن إقليم عمان. وشكل وادي الصمان على مقربة من الدهناء مرعى للبدو، وهو يمتد من الربع الخالي في الجنوب إلى صحراء العراق في الشمال، ويبلغ طوله حوالي ٣٨٠ كم وعرضه حوالي ٨٠-٢٢٥ كم. ضم القسم الثالث الجزر، وأهمها جزيرة أوال. وتم استيطان جزر أخرى، مثل سماهيج وسترة وتاروت وشُفار وحوارين.(٥٦)

لا يوجد وصف مفصل لمناخ الإقليم في مصادر العصور الوسطى باستثناء الإشارات العامة حول طقسه الحار صيفا وعواصفه الرملية.(٥٧) وبشكل عام، يتسم المناخ الحالي للإقليم، الذي لا يختلف جوهريا عن العصور الوسطى، بالجفاف في الشمال والرطوبة في الجنوب، خاصة في المنطقة الساحلية في المدن الرئيسة: القطيف والأحساء وأوال. ترتفع الحرارة جدا في الصيف الذي هو الفصل الأطول (من مايو إلى أكتوبر)، وتصبح باردة في الشتاء القصير (ديسمبر ويناير). معدل الأمطار في الإقليم منخفض جدا، حيث تهطل بين

(٥٦) محمد الملحم، *تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري*؛ وكذلك:

William Facey, *The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia* (London: Stacey International, 2000), 11-16.

(57) Ḥamdullāh Mustawfī Qazwīnī, *The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub*, ed. G. Le Strange (Leiden: E. J. Brill Imprimerie Orientale, 1919), 136.

محمد بن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٢٢ هـ [١٩٠٤ م])، ج١، ص٢٠٩-٢١٠؛ عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية* (الكويت: مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢)، ص١٧-١٨.

أكتوبر وأبريل، خاصة في الشمال.[٥٨] وكان الجفاف معهودا في شبه الجزيرة العربية، فتسبب في بعض الأحيان، حينما يمتد إلى فترات طويلة، بتحركات قبلية وهجرات ضخمة إلى مناطق أخرى في شبه الجزيرة أو خارجها.[٥٩] وقد أشار مصدر من تلك الفترة بشكل غامض إلى مجاعة في الإقليم عام ١١٥٩م.[٦٠]



الشكل (٤): المدن الرئيسة والواحات في إقليم البحرين في شرقي الجزيرة العربية.

(58) William Facey, *The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia*, 18-19.

(٥٩) حول هذا الموضوع، انظر: فهد الحسين، «الأحوال المناخية وأثرها على بدو شبه الجزيرة العربية خلال القرن الخامس الهجري: تغريبة بني هلال أنموذجا»، *مجلة جامعة الملك سعود* ١، ٢٢ (٢٠١٠)، ص٦٧-٨٤.

(٦٠) عماد الدين الإصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر: (قسم شعراء العراق)*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: وزارة العلم، ١٩٧٣)، ج٢/ قسم٤، ص٦٨٣-٨٤.



الشكل (٥): القرى الرئيسة في جزيرة أوال.

كان يوجد العديد من المدن والقرى والواحات المتفرقة في بلاد البحرين، يقع معظمها حاليا في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية. والمدن الأكبر والأكثر أهمية هي: الأحساء، والقطيف، وبلاد القديم في جزيرة أوال.

كانت الأحساء تقع على مقربة من مدينة هجر، وقد أصبحت عاصمة القرامطة الذين بنوها عام ٢٨٧ هـ/ ٩٠٠م، ومن ثم عاصمة العيونيين والعقيليين. وكانت بعيدة عن الساحل واشتهرت بمنتجاتها الزراعية، ولا سيما التمور.[٦١] ووفقا لدراسات فهد الحسين الأثرية، فإنها تقع حاليا في قرية البطالية. من المواقع الأكثر أهمية التي تشتهر بها الأحساء: المسجد الرئيس المعروف باسم *المسجد الجامع*، وتل قصر الإمارة الذي يعرف لدى السكان المحليين باسم «قصر قريمط»، أي قصر القرامطة أو قُرمُط، لكن الاسم أخذ صيغة التصغير. من المرجح أنه كان بمثابة قصر للقرامطة ومن ثم العيونيين. وللأسف، لا يوجد بقايا قائمة منه. وقد بنت الحكومة السعودية مدرسة عام ١٩٦٠ شغلت مساحة واسعة من الموقع. وتفيدنا التنقيبات الأثرية الحديثة بمعلومات حول فترة الاستيطان الحضري. نقب الحسين الموقع واستنتج أنه يتألف من ست طبقات، تعود الأولى منها إلى القرن السابع الميلادي على الأقل، والأخيرة إلى القرن الحادي عشر الميلادي. وأخبره السكان المحليون أنه في الوقت الذي قامت فيه السلطات بتحديث البنية التحتية للقرية عام ١٩٨٤ اكتشفوا على بعد أربعة أمتار تحت الأرض أنبوبا فخاريا يربط التل بعين ماء. وأماط فهد الحسين اللثام عن أنبوب مماثل في أثناء تنقيباته، فعده دليلا على وجود حمام داخل القلعة. في الواقع، أخبره السكان المحليون بأنهم لاحظوا وجود بقايا حمام يعتقدون أنه كان المكان الذي قتل فيه زعيم

(٦١) أحمد بن الفقيه، مختصر *كتاب البلدان* (لايدن: بريل، ١٨٨٥)، ص١١٤.

القرامطة. ولاحظ الحسين وجود بقايا ثقب دائري (بقطر مترين) في الأرض، فاقترح أنه كان إما بئر ماء أو خزانا. وهو يصف أيضا بقايا جدران مصنوعة من الطين وبوابة بارتفاع أربعة أمتار.(٦٢)

إلى الجنوب من التل يوجد بقايا مسجد عيوني. وثمة من اقترح أن العيونيين بنوا عددا من المساجد وربما حدّثوا أخرى قديمة بعد هجران القرامطة -كما يُزعم- للشعائر الدينية، بما في ذلك الصلاة.(٦٣) ما زالت مواقع العديد من هذه المساجد المذكورة في شرح *ديوان ابن المقرب* مجهولة، باستثناء مسجد واحد هو *المسجد الجامع* الذي يعتقد أنه كان المسجد الرئيس للعيونيين. درس الحسين بقايا هذا المسجد الواقع في قرية البطالية واستنتج أنه الذي بني بواسطة ابنة مؤسس الإمارة، هبة بنت عبد الله بن علي العيوني، وأنه كان المسجد المركزي في الأحساء (انظر الشكل ٥). ويؤكد الحسين، بالنظر إلى المستوى الأرضي للمسجد وعمارته وبعض اللقى الفخارية، أنه بني خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر- الثاني عشر الميلاديين. ويوضح أنه يشبه عمارة المساجد التي بنيت في ذلك الوقت في المدن المحلية في العراق وإيران.(٦٤)

المسجد رباعي الهيئة، يبلغ طول جانبه الشرقي ٣٨,٥م، فيما يبلغ طول باقي الجوانب ٤٣ م. وتتكون المساحة الداخلية من فناء مكشوف مستطيل الشكل وسقف كبير من القواطع للصلاة مدعوم بأعمدة مستطيلة. يحتوي المسجد على محرابين أجوفين (نصفي دائريين في الجدار المواجه لمكة)

(٦٢) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية بقرية البطالية* (الرياض: وزارة المعارف، ٢٠٠١)، ص٧٣-٧٤.

(٦٣) حول حظر الصلاة في الأحساء، انظر: ناصر خسرو، *سفرنامه*، ص١٠٩-١١٠؛ محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج*، ص١٤٧.

(٦٤) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية بقرية البطالية*، ص٦٠، ١٥٢.

مصنوعين من الجبس. يقع المحراب الرئيس في الوسط، والثاني إلى الشمال منه، وكلاهما مزين بنقوش على شكل الزهور.(٦٥)



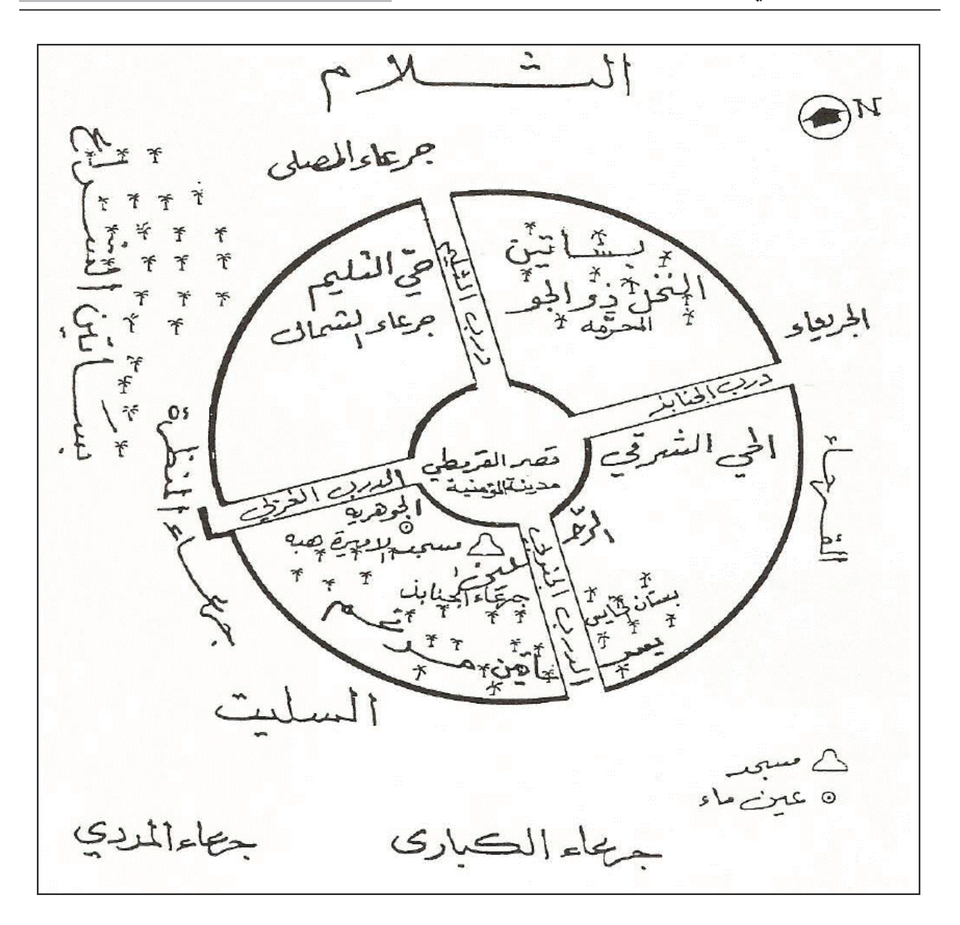
الشكل (٦): المسجد الجامع، المسجد الرئيس في الأحساء في أثناء الإمارة العيونية (المصدر: فهد الحسين).

وقد درس فهد الحسين أيضا مخطط مدينة الأحساء التاريخية، وبيّن أنها كانت تضم سورين، داخلي وخارجي، وأربع بوابات، وأربعة أحياء، وأربع طرق أدت جميعها إلى المركز حيث كان يقع قصر الإمارة.(٦٦) كان سور المدينة المزدوج محاطا بحدائق قريبة جدا من الجدار الخارجي، وما وراء ذلك كان ثمة مزارع أكبر، الكثير منها مذكور في شعر ابن المقرب وشرحه، عُرفت باسم نخل إشارة إلى منتجاتها الرئيسة. ضمت هذه المزارع الغنية بالعيون والجداول بيوت العديد من مالكي الأراضي، بما في ذلك العيونيين الذين جاؤوا من قرية العيون في شمال الأحساء.(٦٧)

(٦٥) فهد الحسين، *آثار المنطقة الشرقية* (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٣ هـ [٢٠٠٣ م])، ص١٣٥-٣٦.

(٦٦) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية*، ص١٨٤-٨٥، ١٨٨-٩٢.

(٦٧) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية*، ص٢٣٩.



الشكل (٧): مخطط أولي لمدينة الأحساء.© فهد الحسين

وكانت أحياء المدينة الأربعة منظمة على النحو الآتي: أولا، الحي الشرقي وهو الأقدم. ثانيا، حي الرَحْلين الذي كان يعد الأكثر أهمية بالنظر إلى ارتباطه بالمواقع الإدارية، مثل دواوين الجيش، وبيت المال، ودائرة مِنَح/ إقطاعات الأراضي، والمسجد الرئيس، والمحكمة، ونقطة التجمع العسكري. ثالثا، حي الثليم في الشمال الذي سكنه الشاعر المشهور علي بن المقرب. وضم الحي الرابع حدائق عرفت واحدة منها في الجنوب تدعى مُرغَم.[٦٨] وعلاوة على

(٦٨) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية*، ص١٨٦-٩٢.

ذلك، ثمة ذكر لدربين في شعر ابن المقرب، هما درب الجنابذ في الشرق ودرب الثُلَيم في الشمال. ويقترح الحسين وجود دربين آخرين إلى الجنوب والغرب بموجب بعض أخبار المعارك المذكورة في شرح *ديوان ابن المقرب*.[٦٩]

وكانت مدينة القطيف تقع شمال شرق الأحساء وعلى بُعد ميل من مينائها بجزيرة تاروت.[٧٠] وقد كانت عاصمة إمارة آل عياش، وفيما بعد عاصمة بعض الأمراء العيونيين و «دولة مدينة» عيونية. وليس لدينا سوى القليل من المعلومات حول مخطط المدينة. ويبدو أن القلقشندي (توفي ١٤١٨م) استقى معلوماته حولها من وصف السكان المحليين لها، فيذكر أنها ضمت خندقا وسورا بأربع بوابات. وأخبر بأن ماء البحر كان يبلغ السور في أوقات المد العالي مخلفا آثارا واضحة على الأرض بعد انحساره في أوقات الجزر. ويضيف القلقشندي أنها (أي القطيف) كانت تفوق الأحساء مساحة، مع عدد أقل من أشجار النخيل.[٧١]

أما جزيرة أوال التي شهدت ثورة آل الزجاج ضد القرامطة مستهلة بذلك سلسلة من الثورات عليهم في المدن الرئيسة،[٧٢] فقد وصفها ياقوت الحموي في معجمه باستفاضة، ويبدو أنها كانت الأكثر شهرة في الإقليم في زمانه.[٧٣] وكتب البكري (ت: ١٠٩٤م) في كتابه *المسالك والممالك* أن أكثر سكان

---

(٦٩) فهد الحسين، *الآثار الإسلامية*، ص١٨٤-٨٦.

(٧٠) إسماعيل أبو الفداء، *تقويم البلدان* (باريس: إمبرمبير رويال، ١٨٤٠)، ص٩٩.

(٧١) أحمد القلقشندي، صبح *الأعشى في صناعة الإنشا*، تحقيق يوسف طويل (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧)، ج٥، ص٥٣-٥٤.

(٧٢) انظر الفصل الثاني.

(٧٣) ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٢، ص٤٣٢.

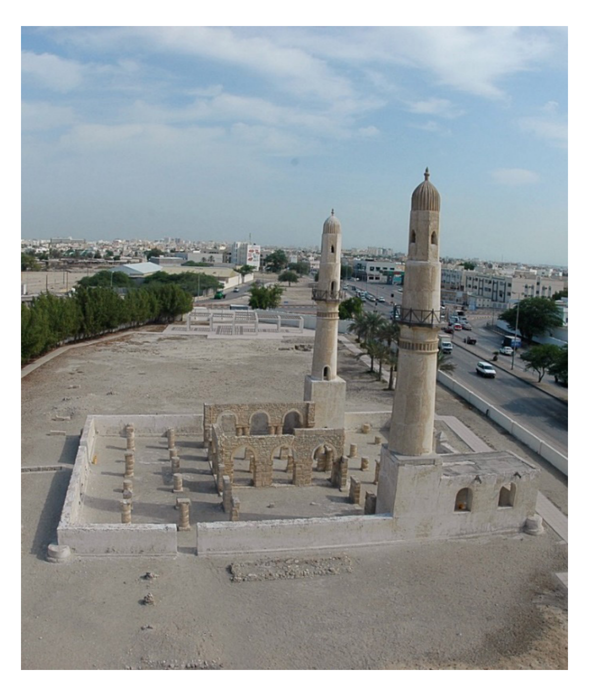
أوال من أهل اليمامة.[٧٤] إن بقاياها الأثرية تفوق تلك التي في الأحساء والقطيف عددا. ويقع مسجد أوال الأقدم، المعروف حاليا باسم «مسجد الخميس»، في بلاد القديم على بعد ثلاثة أميال من المنامة، ويشتهر بمئذنتيه التوأمين (انظر الشكل ٦). جذب هذا المسجد، بالإضافة إلى المقبرة القريبة منه، اهتمام عدد من الآثاريين والمؤرخين. وأنجزت الأعمال الأبرز حوله بواسطة إرنست دييز (١٩١٤) الذي ربما كان أول من كتب عنه بأسلوب أكاديمي، وكذلك بلغريف (١٩٥٧)، وكيرفران (١٩٩٠) وكالوس (١٩٩٠) اللذين عملا مع البعثة الأثرية الفرنسية، ووايتهاوس (٢٠٠٣)، وحسين محمد حسين (٢٠١٠).[٧٥]

ويعتقد أن المسجد ومآذنه قد مروا بثلاث مراحل من البناء. ولم يتبق من المبنى الأصلي سوى بقايا جدار القبلة الذي يضم محرابا على هيئة مشكاة (نصف دائري، أبعاده ٧٠ سم X ٣٥ سم) وجزءا صغير من أرضية كلسية. وبقايا أبعاد الجدار على النحو الآتي: ارتفاع ٥, ٠م، بطول ٨,٧٥م، وسُمك ٦, ٠ م.

(٧٤) عبدالله البكري، *المسالك والممالك*، تحقيق جمال طلبة (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ج. ١، ص. ٢٨٦. وقيل إن أوال اسم صنم لتغلب وبكر بن وائل.

(75) Ernst Diez, 'Eine Schiitische Moschee-Ruine auf der Insel Bahrein,' dans *Jahrbuch der Asiatischen Kunst* II (1925): 101-105; James Belgrave, *Welcome to Bahrain*, 3rd edition (al-Manama: James Belgrave, 1957), 75, 83-86; Monik Kervran, 'La mosquée al-Khamis à Bahrain: son Histoire et ses inscriptions. I. Le Monument,' *Archeologie islamique 1*(1990): 7-51; Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain: Contribution a l'Histoire de Bahrain Entre Les XIe ET XVIIe Siècles (Ve-XIe De L' Hégire)* (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1990); David Whitehouse, 'The al-Khamis Mosque on Bahrain: A Note on the First and Second Phases,' *Arabian Archaeology and Epigraphy* 14, 1 (2003): 95-102;

حسين محمد حسين، *مسجد الخميس: الحوزة الأولى وأول مسمار في نعش القرامطة* (المنامة: شركة دار الوسط للنشر والتوزيع، ٢٠١٠).



الشكل (٨): مسجد الخميس (متحف البحرين الوطني).

ما زال تاريخ البناء الأصلي للمسجد محط جدل. وبموجب الآثارية مونيك كيرفران، يعود التاريخ الأقدم إلى عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧٢٠م) أو إلى العصر الأموي على الأقل. وقد قدمت حجتين لهذا التاريخ، أولا اعتمادها على كتاب *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية* لمحمد بن خليفة النبهاني الذي زار الجزيرة عام ١٩١٤م، وذكر أن بناء المسجد والمدرسة المجاورة له مع المئذنتين كان بأمر من عمر بن عبد العزيز. ثانيا، كتبت كيرفران بأن عمر بن عبد العزيز كان أول من أدخل المشاكي (جمع مشكاة) في محاريب المساجد، حيث يظهر أحدها في جدار القبلة.[٧٦] أما وايتهاوس فلم يناقش فرضية بناء المسجد بأمر من عمر بن عبدالعزيز،

(76) Monik Kervran, ‘La mosquée al-Khamis à Bahrain’, 7, 35-6;

محمد بن خليفة النبهاني، *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية* (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٩) ص ٣٢ – ٣٣.

ولكنه أظهر أن أسلوب بنائه مشابه لأساليب بناء المساجد الصغيرة في سيراف على الساحل المقابل للخليج في القرن التاسع الميلادي، والتي بنيت بعد قرن من عهد عمر بن عبد العزيز. وقد رفض حسين فرضية النبهاني وكيرفران واصفا إياها بالخرافة غير المدعومة بالدليل التاريخي، واقترح أن الأمير العوام بن محمد الذي ثار على القرامطة في حوالي ١٠٥٨م كان المسؤول عن بناء المسجد، وذلك بموجب قصة مذكورة في شرح *ديوان*.(٧٧) ويعتقد وايتهاوس أن المرحلة الثانية من بناء المسجد تعود إلى فترة لا تتجاوز القرن الثاني عشر الميلادي.(٧٨) أما تاريخ المرحلة الثالثة فمعروف من خلال نقش حجر الأساس الذي يذكر اسم الأمير العيوني محمد بن الفضل عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤-٢٥ م. وقد وسعت مساحة المسجد من ١٢٣م٢ إلى ٦٣٢م٢ وبنيت المئذنة الغربية. ثم بنيت مئذنة ثانية لاحقا عام ٧٢٤ هـ[١٣٢٤ م].(٧٩)

وبيّن بلغريف أن الجهات المختصة في البحرين عثرت في أثناء أعمال الصيانة التي أجرتها في الموقع عام ١٩٥٠ على قبرين أسفل الجدار الشرقي يشبهان القبور الموجودة في المقبرة المجاورة، لكنهما ليسا مواجهين لمكة كما هو حال القبور الإسلامية. وعليه اقترحَ أن المسجد شُيد فوق جزء من مدفن قديم.(٨٠)

ويذكر ملحق شرح *ديوان ابن المقرب* وجود مسجد في أوال يدعى «مسجد سبسب»، يقع في قرية تسمى صدد في غرب الجزيرة. وبحسب الجنبي، فإن هذه القرية تقع على الساحل، ولا زالت معروفة إلى اليوم، وتبعد عن المنامة مسافة ١٦

(٧٧) حسين محمد حسين، *مسجد الخميس*، ص١٣، ٢٢. وانظر كذلك الفصلين الثاني والسابع من هذا الكتاب.

(78) David Whitehouse, 'The al-Khamis Mosque on Bahrain', 95-101, n.1.

(79) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 27.

(80) James Belgrave, *Welcome to Bahrain*, 84.

كم تقريبا.[٨١] إلا أنه من خلال استشكال الجنبي يبدو أن المسجد قد نقل اسمه إلى منطقة قريبة من صدد، وهي قرية دار كليب إلى الجنوب منها.

٣ - الموارد الطبيعية والأنشطة الاقتصادية الرئيسة في البحرين

يقدم هذا القسم وصفا عاما بموارد البحرين الطبيعية وأنشطته الاقتصادية الرئيسة. نعرض الأدلة الأثرية المتعلقة بالفترة قيد الدراسة. فيما نقوم في الفصول اللاحقة بوضع الاقتصاد في سياق التاريخ السياسي للكيانات التي حكمت البحرين أو أجزاء منه.

مع أن الصحاري غطت معظم أراضي إقليم البحرين، إلا أنه امتلك مصادر مائية كافية للزراعة على نطاق محدود. فقد ضمت واحاته وبعض جزره جداول وآبارا وسبخات وبحيرات. على سبيل المثال، تخلل وادي الستار العديد من العيون، بما في ذلك ثرمدا وحنيذ[٨٢] ونِطاع ومَتالِع والقاع والعُتيّد.[٨٣] وكانت مُحَلّم والجريب[٨٤] العينين الرئيستين في البحرين، حيث أشيد بهما على نطاق واسع في الأدب.[٨٥] ويتفرع جدولا الصفا والسرى/السري من عين مُحلّم.[٨٦] وكانت المياه الجوفية للمنطقة تقع على مقربة من سطح الأرض بحيث يمكن للسكان المحليين الوصول إليها بسهولة، خاصة

---

(٨١) مجهول، شرح *ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص١٢٨٨.

(٨٢) ياقوت، معجم *البلدان*، ج٣، ص١٨٧-٨٨.

(٨٣) الحسن الإصفهاني، *بلاد العرب*، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٦٨)، ص٣٤٦-٤٧.

(٨٤) الحسن الهمداني، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق محمد الأكوع الحوالي (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠)، ص٢٥١؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٤، ص١٧٩-٨٠.

(٨٥) ثمة قائمة بعيون الماء في الأحساء في: محمد الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ج١، ص٤٦-٥١.

(٨٦) ياقوت، معجم *البلدان*، ج٣، ص٢١٩.

في القطيف والأحساء وجزيرة أوال. ما زالت بعض هذه العيون والآبار موجودة، كعين أبو زيدان وعين عذار في أوال وعين الجوهرية في الأحساء. ووفقا لوليم فيسي، فإن «المياه الجوفية الطبيعية التي انبجست إلى السطح في الأحساء والقطيف تكونت في الماضي من هطول الأمطار في وسط الجزيرة العربية. تسرب هذا الهطول إلى المياه الجوفية حاملا طبقات ذات أعماق وأعمار مختلفة». كما يضيف «بما أن هذه الطبقات تنحدر طفيفا نحو الشرق، فإن الماء ينتقل ببطء فيشكل ضغطا طبيعيا مخلفا منافذ في الصخور إلى الشرق من منحدر الصمان».[٨٧]

٣ - ١- النشاط الزراعي

كانت الزراعة من أهم الأنشطة الاقتصادية في مدن البحرين وواحاته. إذ أنتج الإقليم في العصر الإسلامي المبكر التمور والأعناب والخضروات والفاكهة والحبوب.[٨٨] استخدمت هذه المنتجات للاستهلاك المحلي، كما صُدّرت إلى أقاليم أخرى في الجزيرة العربية وبلاد فارس وربما غيرها. وكانت التمور المنتج الأساسي في بلاد البحرين، فشكلت الغذاء الرئيس للسكان كما يذكر ابن مجاور (١٢٣٣م).[٨٩] تميزت هذه التمور بجودتها العالية وتنوعها الكبير، علاوة على انخفاض ثمنها بسبب الوفرة.[٩٠] وأُنتجت أصناف أخرى من الفاكهة، كالمانغو والموز والليمون والرمان والتين والعنب، خاصة في هجر/ الأحساء والقطيف وأوال. ويروى أن زراعة القطن والحِناء

(87) William Facey, *The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia*, 16.

(٨٨) عبد الله جاسم آل ثاني، *الحياة السياسية والاقتصادية في إقليمي عمان والبحرين* (الحادي عشر والثالث عشر الميلادي) (بيروت: دار العلوم العربية، ٢٠٠٨)، ص١٨٨.

(٨٩) يوسف بن مجاور، *تاريخ المستبصر*، تحقيق دو خويي (لايدن: بريل، ١٩٥١-٥٤)، ص٣٠١.

(٩٠) ناصر خسرو، *سفرنامه* (طهران: استخارتي زفّار، ١٣٣٥ هـ[١٩٥٦])، ص١١٢.

انتشرت على نطاق واسع،[٩١] بالإضافة إلى القمح والشعير.[٩٢] زرعت هذه المحاصيل في العصر الإسلامي المبكر، ولا معلومات لدينا حول استمرار الإقليم في إنتاج معظمها بالكميات نفسها في الفترة ١٠٥٠-١٤٠٠ م.

على الرغم من إهمال الأمراء العيونيين للشؤون البحرية، إلا أنهم أولوا الزراعة اهتماما خاصا وأسسوا نظاما زراعيا. تزودنا دراسة فهد الحسين الرائدة والمفصلة لهذا الموضوع بمعلومات حول النظام الزراعي الجديد، وطرق الزراعة، وسياسات منح الأراضي، والضرائب. وتقدم لنا قائمة بمزارع الإمارة العيونية وآبار المياه الرئيسة والجداول، كما تشرح أسباب تمركز الزراعة في مدينتي الأحساء والقطيف وشمال جزيرة أوال. عرفت المناطق المحيطة بهذه المدن باسم *السواد* (الأراضي الخصبة). وتبين دراسة الحسين أن الأمراء العيونيين استثمروا في الزراعة ووسعوا الأراضي الزراعية لزيادة ممتلكاتهم.[٩٣] وبوصفهم زعماء مجتمع قبلي، احتاج هؤلاء الأمراء إلى تعزيز ثرواتهم من أجل تلبية متطلبات السياسات القبلية، ككسب ولاء أفراد الأسرة الحاكمة والتجار وقادة البدو.

وبموجب الحسين، كان هناك صنفان من الأراضي الزراعية. عرف الأول، الذي كان يقع داخل أسوار المدن، باسم *البساتين والنخل*، والثاني، في أرباض المدن، باسم *القرحاء*.[٩٤] أما الملّاك الرئيسون للأراضي الزراعية فهم: خزينة

(٩١) عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ج١، ص٢٨٦.

(٩٢) محمد بن حوقل، *صورة الأرض*، ص٣٣

(٩٣) فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين خلال عصر الدولة الأموية: رؤية إثنوغرافية»، في *مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية* (المنامة، ٢٠٠٦)، ص٣٤١.

(٩٤) فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين»، ص٣٤٢.

الإمارة والأمراء وأعضاء الأسرة الحاكمة والملاك/ التجار ولاحقا شيوخ البدو العقيليين، ثم صارت مملكة قيس من ضمن ملاك الأراضي الزراعية في فترة ضعف العيونيين.

وكان هناك صنفان من مِنَح الأراضي. الأول هو المنح المؤقت للأراضي بهدف الاستثمار الزراعي، حيث وهب الأمراء العيونيون الأراضي إقطاعات لمن شاؤوا إلى فترة مؤقتة تنتهي بالوفاة أو الاستعادة أو المصادرة. وقد توجب على المالك المؤقت أو المستأجر دفع مبلغ معين من المال أو أجرا عينيا سنويا للخزينة. شملت هذه الأراضي في بعض الأحيان قرى بكاملها. أما الصنف الثاني فيمثل منح الأراضي للملكية الدائمة القابلة للتوريث أيضا.[٩٥] وعرف في أماكن أخرى من البلاد الإسلامية باسم «طُعمة».[٩٦]

٣-٢- الغوص على اللؤلؤ

إن الغوص على اللؤلؤ والمتاجرة به مهنة قديمة مارسها الناس الذين عاشوا بالقرب من سواحل الخليج العربي. وكان في الفترة موضوع هذه الدراسة أحد الأنشطة الرئيسة، إن لم يكن المهنة الأولى لسكان أوال، وربما، بدرجة أقل، في القطيف.[٩٧] وشكلت إيراداته مصدرا ماليا مهما للقرامطة

(٩٥) فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين»، ص٣٥٧-٦٨؛ وانظر كذلك الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(96) Hugh Kennedy, *The Armies of the Caliphs: Military and Society in the Early Islamic State* (London: Routledge, 2001), 85; Claude Cahen, 'Ikta'', *EI*[2].

(٩٧) انظر هاتين الدراستين المفصلتين لصيد اللؤلؤ وتاريخه في التراث العربي وآثاره: عبد الله يوسف الغنيم، *كتاب اللؤلؤ* (الكويت وبيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨)؛
Robert Carter, 'The History and Prehistory of Pearling in the Persian Gulf,' *Journal of the Economic & Social History of the Orient* 48, 2 (2005): 139-209.

والعيونيين.[٩٨] وعلى إثر سقوط العيونيين في ثلاثينيات القرن الثالث عشر الميلادي سيطرت دول الساحل الشرقي على نشاط الغوص على اللؤلؤ في مصائد جزيرة أوال.

كان البحر المحيط بأوال بمثابة مستودع من اللؤلؤ. وقد ترك لنا الجغرافي الشريف الإدريسي (القرن ١٢م) تقريرا مفصلا حول حرفة صيد اللؤلؤ وتجارته، فكتب أن سكان أوال هم سادة هذه الحرفة، بحيث تقاطر التجار برؤوس أموالهم من أماكن مختلفة من العالم لزيارة الجزيرة بهدف الاستثمار. استأجر التجار غواصين ومنحوهم أجورا تتناسب وخبراتهم ومهاراتهم. وكان شهرا أغسطس وسبتمبر، حيث يبحر حوالي ٢٠٠ مركب لصيد اللؤلؤ، الأوقات النموذجية للغوص.[٩٩] كما كتب ابن بطوطة (القرن ١٤) أن الغواصين والتجار من البحرين (أوال) والقطيف وبلاد فارس كانوا يخرجون بمراكبهم في شهري إبريل ومايو بحثا عن اللؤلؤ. وفرضت السلطات ضريبة الخمس على العائدات.[١٠٠] وكانت اللآلئ البحرينية جيدة السمعة ومشهورة عالميا. إذ يدرج مصدر تاريخي صيني من القرن الثالث عشر الميلادي اللآلئ ضمن منتجات أخرى مستوردة من البلدان الخارجية، بما في ذلك البحرين.[١٠١]

(٩٨) مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص٩٩٢، ١٢٩٢-٩٣.

(٩٩) محمد الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ)، ج١، ٣٨٧-٩١.

(١٠٠) ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ص٢٠٩.

(101) Friedrich Hirth and W. W. Rockhill, tr., ed., *Chau Ju-Kua: His Work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Century entitled Chu-fan-chi* (St. Petersburg: Printing Office of the Imperial Academy of Sciences, 1911), 117, 122, n.13.

٣-٣- التجارة البرية والرعي

لم تؤثر الطبيعة الصحراوية للإقليم على الحياة الاجتماعية للعديد من سكانه بأن شكلت بنيتهم القبلية فحسب، بل أثرت على أنشطتهم الاقتصادية كذلك. كانت حماية القوافل والرعي الظاهرتين الأبرز لاقتصاد الصحراء.[١٠٢] ومورس الرعي في الإقليم من قبل القبائل البدوية بشكل أساسي، ولا سيما العقيليين. أما التجارة البرية فمارسها الحضر والبدو على حد سواء، لكن البدو هم الذين كانوا قادرين على حماية القوافل، وقد منحهم هذا مصدر قوة ومنفعة. وفي بعض الأحيان، أشرفت السلطة الحضرية على هذه التجارة في مدينة الأحساء الرئيسة في ظل القرامطة ولاحقا مع العيونيين في فترات أوجهم السياسي والعسكري.

ولسوء الحظ، فإن المعلومات المتعلقة بالتجارة البرية في فترة الإمارة العيونية نادرة. ومع ذلك يبين شرح *ديوان ابن المقرب* أن العيونيين فرضوا، في فترة أوجهم السياسي، هيمنتهم العسكرية على قبائل وسط الجزيرة العربية وشمالها. وأبرم أحد أمرائهم صفقة مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله (١١٨٠-١٢٢٥م) لحماية الطرق المؤدية إلى مكة. ولعل هذا يشير إلى مستوى من الاستقرار ساهم في تسهيل التجارة البرية.

استغلت قبيلة بني عقيل، وهي الأكبر والأنشط في البحرين، ميزة هيمنتها على الصحراء لتطيح بالعيويين لاحقا. صاغت أنشطة العقيليين الصحراوية، بما في ذلك التجارة البرية وحماية القوافل، سياسة إمارتهم وعلاقاتها

(١٠٢) عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، *الوثيقة* ٣/ ٢ (١٩٨٢)، ص٣٢.

الخارجية بين ثلاثينيات القرن الثالث عشر والقرن اللاحق. وعزز التحالف العقيلي المملوكي ضد المغول التجارة البرية.[١٠٣] تحول العقيليون في نهاية المطاف إلى تجار، وبدؤوا بنقل البضائع (أهمها الخيول) من البحرين إلى مصر والهند مستفيدين من تجارة الخيول المزدهرة عند أسرة الطيبيين.[١٠٤] تحكمت السلالة الطيبية، التي حكمت فارس لصالح أسيادها المغول، بأوال والقطيف، فبدأت بتربية الخيول فيهما.[١٠٥]

وكما هو حال أجزاء عدة من الجزيرة العربية، كان الرعي المهنة الرئيسة في البحرين. يقدم لنا مصدرنا البحريني، *شرح ديوان ابن المقرب*، معلومات عن النزاعات بين العيونيين والعقيليين، حيث حاول العقيليون أحيانا استخدام واحات خصومهم ومزارعهم كمراعي لقطعانهم.[١٠٦] وربما كان وادي الصمان الموئل الأهم للرعاة.

(١٠٣) انظر الفصل الخامس.

(١٠٤) ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق كامل الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، ج٣، ص٥٥.

(١٠٥) انظر الفصل الخامس.

(١٠٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠١١-١٢.

٣-٤ – التجارة البحرية

المعطيات المتعلقة بالتجارة البحرية نادرة أيضا. ومع ذلك، يتكرر ذكر سلعتين في المعلومات المتفرقة بخصوص تجارة البحرين في الفترة قيد الدراسة، هما اللآلئ والخيول. عُرفت لآلئ أوال البحرينية بجودتها، فكانت المادة الرئيسة للتصدير في الجزيرة.(١٠٧) وصلت اللآلئ (تحديدا من أوال) إلى مكان ببعد الصين، إذ يتخلل مصدر صيني عنوانه *وصف الشعوب الهمجية* لمفتش الجمارك شاو جو كوا (١١٧٠-١٢٢٨م) ذكر اسم *پاي لين* (Pai-lien) ضمن قائمة البلدان التي استوردت منها الصين البضائع في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تحت حكم سلالة سونغ. وقد فسر مترجمو الكتاب ومحققوه الكلمة بمعنى البحرين. وأدرج شاو جو كوا اللآلئ ضمن المنتجات المستوردة من الدول التي تعاملوا معها.(١٠٨) وبالفعل، أسفرت تنقيبات البعثة الأثرية الفرنسية في أوال عام ١٩٧٧ عن العديد من النقود الصينية من الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وهو ما يؤكد وجود هذه العلاقة التجارية.(١٠٩) لقد عُثر على قطع من الفخار الصيني في قلعة البحرين تعود إلى الفترة بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر. حوالي ٥٠ ٪ من الشظايا هي من الفخار السيلادوني المصنع تحديدا في الصين. ٢٠ ٪ من الفخار الأزرق والأبيض، و ٢٢ ٪ من أنواع مختلفة مطلية بالبني والأزرق. ويضم ما

(107) Ḥamdullāh Muswafī Qazwīnī, *The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub*, 226.

(108) Friedrich Hirth and W. W. Rockhill, trans. ed., *Chau Ju-Kua: His Work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Century, entitled Chu-fan-chi* (St. Petersburg: Printing Office of the Imperial Academy of Sciences, 1911), 117, 122, n.13.

(١٠٩) انظر الحاشية ١١٥ أدناه.

تبقى من المكتشفات قطعا من الصخور المعروفة باسم «دينغ» وفخار صيني أبيض.[١١٠] تتوافق هذه اللقى مع الأدلة الكتابية المتعلقة بالعلاقات التجارية بين جزيرة أوال والصين.

كان ميناء دارين في جزيرة تاروت بالقرب من القطيف أحد الموانئ المهمة في العصور القديمة وفترة الإسلام الباكر. فيرد ذكره بكثرة في الشعر القديم بوصفه الميناء الرئيس لاستيراد عطر المسك.[١١١] ومع أن المصادر من القرن الحادي عشر فصاعدا لا تزودنا بمعلومات حول ميناء القطيف، إلا أنه كان أيضا ضمن سلسلة الموانئ التي احتلتها الدولة السلغورية والمغول والطيبيون والهرامزة، ما يوحي بأنه واصل أنشطته، لكنه لم ينل شهرة خاصة.

وربما تم استيراد بعض المواد الخام التي افتقر إليها الإقليم عبر التجارة البحرية، كالخشب والحديد والنحاس. وعثر في أوال أيضا على قطع أثرية لسلع مصنّعة في مدينة مشهد.[١١٢] وكما سبق أن أشرنا، شهد الإقليم أيضا تربية الخيول، فصدرها العقيليون بحرا إلى الهند وفقا لابن فضل الله العمري، وبرا إلى مصر وفقا للمقريزي.[١١٣]

(١١٠) حول وصف شامل للفخار، انظر مونيك كيرفران وآخرون، *حفريات قلعة البحرين* (١٩٧٧–١٩٧٩)، ص٦٩–٨٢.

(١١١) ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٢، ص٤٣٢.

(112) Venetia Porter, ‘Arabic Inscriptions from Qalʿat al-Bahrain Excavations,’ in *Islamic Remains in Bahrain*, ed. K. Frifelt (Moesgard: Jutland Archaeological Society, 2001), 201-207.

(١١٣) انظر الفصل الخامس.

٤ - الأدلة الأثرية: المسكوكات والفخار والمستوطنات

بشكل عام، تعكس النقود المعدنية الأثرية في مدينة تاريخية وضعها الاقتصادي في الماضي. استخدمت النقود الذهبية والفضية كمواد للتبادل على نطاق عالمي، وضُربَت بواسطة إمبراطوريات عظيمة ذات نفوذ امتلكت مناجم ذهب وفضة أو منتجات ثمينة أخرى للمبادلة بهذين المعدنين المهمين. استخدمت النقود الذهبية والفضية بشكل أساسي لشراء المنتجات الضرورية من الدول الأخرى، ولغرض تأسيس الجيوش وتمويلها، وقوات الشرطة، والقضاء، وإقامة مشاريع البنى التحتية، كالمدن والقصور والمساجد والآبار والطرقات. كما دعمت هذه المعادن الاستقلال الاقتصادي عن الأنظمة النقدية للدول الأخرى، وكانت بمثابة تعبير عن الإيديولوجيات السياسية والدينية، علاوة على كونها أداة شرعنة ذاتية.(١١٤) أما النقود المصنوعة من المعادن الأرخص، كالرصاص والنحاس والبرونز، فكانت قوتها الشرائية محدودة للغاية. وقعت هذه المعادن في أسفل السلم القيمي واستخدمها الناس لقضاء حاجات الشراء اليومي.(١١٥)

يبدو أن إقليم البحرين افتقر إلى العملات الذهبية والفضية في الفترة ١٠٥٠-١٤٠٠ م. وكان الرصاص (المخلوط أحيانا بالنحاس أو البرونز) هو المادة النقدية المهيمنة على حقل الاكتشافات حتى الآن، وهذا يدل على ضعف الاقتصاد بالمقارنة مع اقتصادات المناطق المجاورة. لا يمكننا افتراض انعدام النقود الذهبية والفضية، فمصادرنا البحرينية تذكر أن الدنانير،

(114) Andrew Ehrenkreutz, 'Monetary Aspects of Medieval Near Eastern Economic History' in Monetary Change and Economic History in the Medieval Muslim World, ed. Jere L. Bacharach (Hampshire: Variorum, 1992), 38.

(115) Wan Kamal Mujani, 'The Fineness of Dinar, Dirham, and Fals during the Mamluk Period,' Journal of Applied Sciences Research, 7/12 (2011): 1897.

وهي عملات ذهبية، استخدمت في ظروف عدة، لكن يبدو أن تداولها لم يكن واسع النطاق في البحرين ١٠٥٠-١٤٠٠ م. لقد تم اكتشاف ثلاث قطع نقدية ذهبية تعود إلى فترات سابقة (بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين).(١١٦) وربما يوحي هذا بتراجع اقتصاد البحرين بالمقارنة مع الفترة بين القرنين الثامن والعاشر، حين استخدمت النقود الذهبية.

عثرت البعثة الأثرية الدنماركية ١٩٥٣-١٩٦٥م على بعض النقود القرمطية الرصاصية في أوال. واكتشفت نقود أخرى، رصاصية ونحاسية، في الجزيرة نفسها، بعضها يعود إلى الأتابكة السلغوريين الذين حكموها بين ١٢٣٦-١٢٨٢م، وأخرى تعود إلى أتباع المغول الذين حكموها بين ١٢٨٢-١٣٣٥م.(١١٧) وعثر مؤخرا على نقود عيونية مصنوعة من خليط من الرصاص والنحاس أو البرونز.(١١٨)

واكتشفت البعثة الأثرية الدنماركية ٢٣ نقدا صينيا في قلعة البحرين (في مملكة البحرين الحالية) خلال موسم ١٩٧٧-١٩٧٨، من الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، تعود إلى عصر سلالتي سونغ الشمالية والجنوبية. وقد تم تأريخها بين ١٠٦٨ و ١٢٢٥م.(١١٩)

(١١٦) ضُربت الأولى عام ٧٥٠-٧٥١ وهي تنتمي إلى الخليفة العباسي السفاح (٧٤٩-٧٥٤)، فيما تنتمي الثانية إلى الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩)، والثالثة ضربت في المنصورية قرب القيروان وتعود إلى خامس الخلفاء الفاطميين العزيز نزار (٩٧٥-٩٩٦). انظر:
Timothy Insoll, ‘Three Gold Dinars from Bahrain’, Numismatic Chronicle, vol.163 (2003): 395-8.

(117) Nicholas Lowick, ‘Trade Patterns on the Persian Gulf’, 321-329.
هذه النقود محفوظة في متحف فورهيستورك في آرهوس في الدنمارك.

(١١٨) انظر: نايف الشرعان، *نقود الدولة العيونية في البحرين* (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢). وستتم مناقشة هذه النقود في الفصل الرابع.

(١١٩) حول وصف شامل لهذه النقود، انظر: مونيك كيرفران وآخرون، *حفريات قلعة البحرين* (١٩٧٧-١٩٧٩)، ص٥٤-٥٧.

تتوافق هذه المكتشفات من العملات المعدنية منخفضة القيمة مع الأدلة النصية حول سوء الأوضاع الاقتصادية، كرحلة ناصر خسرو *سفرنامه* وكتاب شرح *ديوان ابن المقرب*. فقد زار الرحالة ناصر خسرو الأحساء عام ١٠٥٠م، في الفترة القرمطية المتأخرة، إذ يذكر أن الناس كانوا يستخدمون عملات مصنوعة من الرصاص على نطاق محلي فقط. كما يفيدنا بأن زعماء القرامطة كانوا يتلقون نصف إنتاج أوال من اللؤلؤ.[١٢٠] ومن المحتمل أنهم استخدموا اللؤلؤ كنقد لتبادل البضائع الضرورية والثمينة وللخدمات الضرورية.

حتى لو لم يكن للنقود الرصاصية قيمة خارج الإقليم، إلا أنها أدت بعض الأغراض بالتأكيد. ولنا أن نفترض أن هذه النقود كانت ترمز إلى الاستقلال السياسي والديني والهوية السياسية. ويبدو أن النقود العيونية تبرز الهوية الشيعية لبعض الحكام العيونيين المتنافسين والاستقلال عن الخلافتين العباسية والفاطمية. ولربما استخدمت أدواتٍ للشرعنة السياسية، ولا سيما عند احتدام الصراع بين أفراد الأسرة العيونية الحاكمة متبايني المذهب بين سني وشيعي.[١٢١]

اكتشف علماء الآثار مدنا أو مستوطنات أثرية عدة من العصر الإسلامي في شرقي الجزيرة العربية، من بينها مستوطنات في كاظمة (في دولة الكويت حاليا)، والمروب (في دولة قطر حاليا)، والجميرة (في إمارة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا). واتضح للبعثات الأثرية اضمحلال هذه المستوطنات في فترات متقاربة، تحديدا في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. وهي الفترة التي كان يخوض فيها الجنابيون القرامطة حربا شعواء

(١٢٠) ناصر خسرو، *سفرنامه*، ص١١٢.

(١٢١) انظر الفصل الرابع.

ضد العباسيين في عصرهم الثاني.[١٢٢] ومن المحتمل أن اضمحلال هذه المدن يعود في أحد أسبابه إلى التراجع الاقتصادي الناتج عن فك الارتباط مع مدن الأقاليم المجاورة، وتأثير العمليات العسكرية على المناطق الطرفية.

٥ - تأثير جغرافية البحرين على المجتمع والسياسة والاقتصاد

كانت المدينتان الرئيستان في البحرين، الأحساء والقطيف، محاطتين بالصحراء، وبالخليج من الشرق. لقد عزلهما هذا الموقع الجغرافي وجعل وصول الجيوش القادمة إليهما برا من العراق صعبا. وبسبب بعده الجغرافي النسبي، تحول إقليم البحرين إلى موطن لإمارات مستقلة، كالإمارة البكرية (٦٨٦-٧٢٣م)، وإمارة عبدالقيس (٦٩٧-٧٢٣م)، وإمارة بني سلم (٨٨٧-٨٩٩م)، وإمارة علي بن محمد (٨٦٣-٨٦٨م)، والدولة الجنابية «القرمطية» (٨٩٩-١٠٧٧م). ولم يختلف الوضع في فترة ما بعد القرامطة كثيرا، إذ حافظت الدول على استقلالها السياسي، وصدت محاولات احتلالية للقوات القادمة غالبا من العراق.

يميل المؤرخون العرب المختصون بالعصور الوسطى إلى المبالغة في الثراء الاقتصادي لإقليم البحرين وإعطائه دورا بارزا في شبكة التجارة الدولية

(١٢٢) انظر سلطان الدويش، *كاظمة البحور دراسة تاريخية أثرية* (الكويت: إدارة البحوث والدراسات في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠١٧)؛ فيصل الوزان، *تاريخ أرض الكويت في العصور الإسلامية* (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١٨)؛ صباح جاسم، «التنقيب في مستوطنة جميرة بإمارة دبي،» *مجلة سومر* ٣٦، ٢-١ (١٩٨٠): ٦٣ - ١٠٠؛ ناصر حسين العبودي، «مدن القوافل المكتشفة في دولة الامارات العربية المتحدة،»، *المجلة العربية للثقافة* - تونس ٢٤، ٤٧ (٢٠٠٥): ص٦٤-٦٥.؛ والدراسات الأجنبية:

Kennet, Derek ed., *Kadhima: Kuwait in the Early Centuries of Islam* (Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters of the State of Kuwait 2014(; Alexandrine Guérin and Faisal Al-Naimi, "Preliminary pottery study: Murwab horizon in progress, ninth century AD, Qatar," *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 40 (2010): 17–34.

بالنظر إلى موقعه الاستراتيجي المهم فقط.[123] قد ينطبق هذا نسبيا على أوال التي خضعت للدول الواقعة على الساحل الشرقي للخليج، ولكن ليس على الجزء الداخلي للجزيرة العربية. لا شك في أن شرقي الجزيرة العربية شغل موقعا استراتيجيا وكان مؤهلا للعب دور مؤثر في التجارة والسياسة الإقليمية. ومع ذلك، يبقى موضوع استثمار الناس والدول المحلية في البحرين (العيونية والعقيلية) في هذا الموقع الاستراتيجي أمرا مشكوكا فيه. ويظهر شرح *ديوان ابن المقرب* أن العيونيين كانوا دائمي الانشغال بشدة بالشؤون الداخلية والمنافسات المحلية على المشيخة، وهو ما أدى إلى التخلي عن الاستثمار في المشاريع البحرية. وتعرض العيونيون لغارت بحرية مستمرة من جزيرة قيس، إذ كتب ياقوت في معجمه أن ملك قيس اعتاد على أخذ ثلثي دخل البحرين.[124] وفي نهاية المطاف خسر العيونيون موانئهم لصالح دول الساحل الشرقي وجزره. ويبدو أن الدول البحرينية لم تستفد من موقعها الاستراتيجي على الخليج، فتمكن خصومهم من احتلال موانئ البحرين واستغلالها، وهبطت مكانتها السياسية والعسكرية إلى مستويات متدنية.

كانت موانئ السواحل الشرقية للخليج أنشط من الموانئ البحرينية، فنالت حصة الأسد من التبادلات التجارية. لا ينعكس هذا في المصادر الكتابية فحسب، بل في التنقيبات الأثرية كذلك، التي كشفت عن أدلة في

(١٢٣) انظر، على سبيل المثال، حسين المصري، *العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي* (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٢)، ص٢٩٤–٣٠٥؛ عبد الله جاسم آل ثاني، *الحياة السياسية والاقتصادية في إقليم البحرين* (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢)، ص٢٣–٢٥؛ عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية*، ٧٣–٧٥؛ عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١٦٥–١٧٠؛ بدر الرشيدي، *الخليج وآسيا في العلاقات التاريخية* (الكويت: مكتبة آفاق، ٢٠١٥)، ص٣٠–٣٤.

(١٢٤) ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٤، ص٤٢٢.

موانئ الجزيرة والسواحل الشرقية تتفوق على نظيراتها البحرينية. وقد كتب وايتهاوس: «في الفترة ١٠٠٠-١٢٠٠ هيمن ميناءان، واحد تلو الآخر، على الممرات البحرية للخليج، هما سيراف وقيس».[١٢٥] ولاحظ أوبن أنه حتى مع بدء انتعاش اقتصاد الخليج في القرن الثالث عشر لم يهيمن البحارة العرب على التجارة البحرية.[١٢٦] وأوضح ديريك كينّيت من منظور أثري أن الاقتصاد البحريني عاش مرحلة تراجع بين القرن الحادي عشر ومنتصف القرن الرابع عشر، فيما ازدهر اقتصاد المنطقة الساحلية الشرقية.[١٢٧]

ساهمت عوامل وظروف عدة، داخلية وخارجية، في تهميش الإقليم سياسيا واقتصاديا. فيما يتعلق بالعوامل الداخلية، فصلت صحراء بطول ٥٠٠ كم المدينتين الأقرب عن بعضهما البعض، أي القطيف في البحرين والبصرة في العراق. وفي العصور الوسطى استغرقت الرحلة على الجمال بين المدينتين مدة ١٥ يوما.[١٢٨] وعلى امتداد صحرائها البالغ طولها ٥٠٠ كم لم يكن ثمة مدن كبيرة لتسهيل التواصل. فقد وصف الإدريسي (توفي ١١٦٦م) بأن الطريق بين البصرة والبحرين «قليلا ما تسلكه التجار».[١٢٩] وهكذا شكلت الصحراء الواقعة شمال البحرين حاجزا طبيعيا بين الإقليم والعراق وعقبة أمام التجارة البرية في فترة لم يكن فيها أي من الكيانين السياسيين في هذين

(125) David Whitehouse, 'Maritime Trade in the Gulf: The 11th and 12th Centuries,' *World Archaeology: Islamic Archaeology* 14/3 (1983): 328-334.

(126) Jean Aubin, 'Y a-t-il eu interruption du commerce par mer entre le Golfe Persique et l'Inde du XIe au XIVe Siècle?' Studia 11 (1963): 165-171.

(127) Derek Kennet, 'An Outline Archaeological History of the Northern Emirates in the Islamic Period', in *Second International Conference on the Archaeology in the UAE*. Abu Dhabi, ed. D. Potts and P. Hellyer (Abū Dhabī Authority for Culture and Heritage: 2013), 196.

(١٢٨) ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج١، ص٣٤١.

(١٢٩) محمد الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج١، ص٣٩١.

الإقليمين على استعداد لتطويرها وتخطي العقبات والتعاون مع القبائل.

ثانيا، إن طقس الإقليم القاسي والحار والطويل غالبا جعل عملية إخضاع بلاد البحرين عسكريا وضمها أمرا في غاية الصعوبة. فلم تنجح الجيوش التقليدية في فرض حصار طويل، وفشلت في الحفاظ على خطوط إمدادها ومحطاتها بسبب سهولة قطعها من قبل البدو. وخير مثال على ذلك هو فشل جيوش تركمانية عدة على الرغم من محاولاتها الدؤوبة احتلال الإقليم في سبعينيات القرن الحادي عشر الميلادي.[١٣٠]

ثالثا، نتجت البداوة عن التكيف مع الجغرافية الطبيعية التي ساهمت بشكل كبير في تشكيل أنماط معيشة معظم سكان الإقليم، ومكنتهم من البقاء على قيد الحياة. وكانت أبرز سمات البداوة التنقلات المستمرة والهجرات إلى أماكن يمكن العثور فيها على مصادر مياه مؤقتة للناس وقطعانهم. وأدت محدودية المصادر المائية إلى صراعات متكررة وحروب بين القبائل والدول الحضرية التي استقرت في مدن الإقليم القليلة. علاوة على ذلك، بالكاد كانت القوافل التجارية قادرة على تفادي غارات البدو. ومن أجل إنقاذ حياتهم وسلعهم اضطر هؤلاء المسافرون إلى دفع مبالغ كبيرة للبدو ليسمحوا لهم بدخول أراضيهم. ومع ذلك، لم تكن سلامة هذه القوافل مضمونة، فقد تتعرض لغارات قبيلة أخرى. وبالفعل، وكما بين الإدريسي، هُجر الطريق بين البصرة والقطيف ونادرا ما استخدمه التجار، ربما بسبب هذا الوضع.[١٣١]

رابعا، ربما أعاق تخلف البنية التحتية لموانئ البحرين نمو الاقتصاد في ظل العيونيين. كان ميناء العُقير القديم نشيطا حتى خمسينيات القرن الحادي

(١٣٠) انظر الفصلين الثاني والثالث.

(١٣١) محمد الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج١، ص٣٩١.

عشر الميلادي.[١٣٢] لكن في أثناء الحرب بين القرامطة والثوار في أوال ألحق القائد الأوالي العوام بن محمد أضرارا بالميناء. إذ يذكر هذا القائد في رسالته إلى الخليفة العباسي أنه ألحق الضرر بميناء العقير الذي استُخدم لربط القرامطة في الأحساء بالخليج وكان مركزا لتصدير واستيراد البضائع. ويشرح أن هدفه كان إضعاف القرامطة بحرمانهم من استيراد وتصدير السلع المهمة وإبقائهم في عزلة.[١٣٣] ويبدو أن العيونيين لم يعيدوا بناءه، بل لعلهم لم يستثمروا في المشاريع البحرية بشكل عام. وما يعكس هذا التصور هو أننا نجد أن المادة المتعلقة بميناء العقير في أواخر الإمارة العيونية في معجم ياقوت الجغرافي تخلو من معلومات جديدة حوله.[١٣٤] وكما نستشف من الإدريسي، فقد تخصص ميناء القطيف بمنتجات النخيل والتمور، فيما تخصصت أوال بصيد اللؤلؤ. ويبدو أن الصراعات الداخلية بين الأمراء العيونيين حالت دون تبنيهم استراتيجية التجارة البحرية. إن إهمالهم بناء أسطول قادر على توسيع أنشطتهم التجارية والعسكرية جعلهم فريسة لغارات القيسيين والسلغوريين البحرية.[١٣٥] وربما تُركت التجارة البحرية لتجار بحرينيين يزاولونها من دون «رعاية الدولة».

وفيما يتعلق بالعوامل الخارجية؛ أولاً، لو تحدثنا بمنهجية برودل، فربما يعود انحدار البحرين الاقتصادي طويل المدى إلى القرن السابع الميلادي،

(132) William Facey, The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia, 84.

(١٣٣) يقول أبو البهلول العوام بن محمد: «وقد تجردت لمناصبة القرامطة -خذلهم الله- ومحاربتهم في ذات الله، فعمدت إلى طرف من أطراف مملكتهم يعرف بالعقير، وهو دهليز الأحساء، ومصب الخيرات منه إليها، وكثرة الارتفاعات التي جل الاعتماد عليها، فخربته، وبالحضيض الأسفل ألحقته، وقطعت المادة منه عنهم، وضيقت فجاج ما كان يتسع لهم وعليهم، وحميت موارد ارتفاعاتها دونهم». انظر: مجهول، شرح *ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص٩٩٢.

(١٣٤) ربما استشهد بمصادر أخرى. انظر: ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٤، ص١٣٨.

(١٣٥) انظر الفصل الثالث.

أي بعد تأسيس البصرة عام ١٤ هـ/ ٦٣٥م، وتحولها إلى ميناء مزدهر. لم يستوعب هذا الميناء العراقي الجديد الكثير من المهاجرين البحرينيين الذين شاركوا في غزوات العراق وإيران (يعتقد أن خمس سكان البصرة كانوا من قبيلة عبد القيس) فحسب، بل نال حصصا كبيرة من أنشطة التجارة الخليجية كذلك.[١٣٦] بمعنى آخر، يبدو أن تسريع التجارة إلى البصرة وهجرة البحرينيين الكبرى قد أثرا على موانئ البحرين. بل أن كينّيت يعيد الانحدار الاقتصادي إلى فترة أقدم من ذلك، تحديدا العصر الساساني (بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين)، فعدد مستوطنات هذه الفترة في إقليم البحرين وحجمها وعدد المقابر ومقدار النقود المتداولة أقل من تلك العائدة إلى الفترات الأقدم، أي الهيلّينستية/ البارثية.[١٣٧]

ثانياً، من المرجح أن التجار القادمين من الأراضي العباسية، وربما من الهند والصين، تجنبوا التعامل مع الموانئ البحرينية في القرنين الثامن والتاسع لأسباب عدة. انطلقت أعمال القرصنة ضد السفن المبحرة في الخليج من قواعد في البحرين والمناطق المجاورة، فأرسل العباسيون الجيوش البحرية لمكافحتها كما يذكر خليفة بن خياط (توفي ٨٥٤م) وابن خرداذبة (توفي ٩١٢م).[١٣٨] أضف إلى ذلك أن القرامطة، الذين أوقفوا القرصنة لاحقا،

(١٣٦) صالح العلي، *التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري* (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٣)، ص٤٩-٥٠؛ محمد الملحم، *تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري*.

(137) Derek Kennet, 'The Decline of Eastern Arabia in the Sasanian Period,' *Arabic Archaeology and Epigraphy* 18 (2007): 86-122, at 86.

(١٣٨) خليفة بن خياط، *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق أكرم العمري (دمشق: دار القلم، ١٣٧٩ هـ [١٩٧٧ م])، ص٤٤٧، ٤٥٠؛ أبو القاسم بن خرداذبة، *المسالك والممالك* (لايدن: بريل، ١٨٨٩)، ص٩٠. وللمزيد من المعلومات حول القرصنة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، انظر: بدر الرشيدي، *الخليج وآسيا*، ص١٥٠-١٧٥.

بدؤوا بفرض ضريبة باهظة على السفن القادمة إلى جزيرة أوال. ويصف ابن حوقل، الذي سافر إلى الإقليم بين ٩٤٣ و ٩٦٩م، هذه الضريبة بـ *الضريبة العظيمة*.(١٣٩) كما نالت البحرين سمعة سيئة للغاية في أنظار المسلمين. وقد عدّت مصادرُ تلك الفترة القرامطةَ هراطقة وقطاع طرق اقترفوا أعمالا لا أخلاقية ووحشية بحق حجاج مكة. وكان فعلهم الأسوء صيتا هو انتزاع الحجر الأسود من الكعبة ونقله إلى القطيف.(١٤٠) وربما كان لهذا المستوى من انعدام الأمن تأثير سلبي جدا على التجار، فاضطر الكثير منهم إلى تجنب التعامل مع البحرين والحفاظ على نوع من المقاطعة، ربما بتشجيع من العباسيين والبويهيين. ودان ميناء سيراف بنجاحه لهذا الوضع.

ثالثا، نجح الفاطميون بين ١٠٧٣ و ١١٧١م في تحويل المسار الرئيس للتجارة البحرية مع آسيا من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، فأصاب الركود موانئ الخليج. لقد طرح برنارد لويس، ولا حقا بارمولي، فرضيات بخصوص هذه العملية، فاقترحا أن الوزير الفاطمي بدر الجمالي قد أدخل، مدفوعا بتحديات السلاجقة والصليبيين في الشام، سياسة جديدة لتحويل مسار التجارة البحرية من الخليج إلى البحر الأحمر من أجل تمويل جيشه وشراء المواد اللازمة لبناء السفن. وجرى اتخاذ خطوات عدة لإنجاح هذه العملية الكبرى. وكان الفاطميون يتحكمون بالفعل بشبكة من محطات التجارة البحرية على ضفتي البحر الأحمر، من ضمنها جدة، علاوة على عدن في اليمن على بحر العرب. كما كان لهم مبشرون وجالية تجارية إسماعيلية في الهند. وجذبوا التجار اليهود وتواصلوا معهم للعمل في مصر. أضف إلى ذلك أنهم كافحوا

(١٣٩) أبو القاسم بن حوقل، *صورة الأرض*، ص٣٣.

(١٤٠) انظر مجموعة النصوص التي كتبت لإدانة القرامطة في سهيل زكار، *الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق، واليمن*، ص٢٩٥-٣١٧، ٣٤٩-٣٨٤، ٣٨٧-٣٩٧.

القرصنة في البحر الأحمر وجعلوه مكانا آمنا للتجار المتوجهين إلى مصر.(١٤١) وربما أدت هذه التدابير إلى تقليص حجم التبادل بين آسيا وموانئ الخليج بشكل عام، بما فيها موانئ البحرين. وقد جادل ريتشارد بولييت مؤخرا بأن هذا التحول للأنشطة التجارية الرئيسة إلى البحر المتوسط حدث بعد تراجع الاقتصاد الإيراني بين مطلع القرن الحادي عشر ومنتصف القرن اللاحق. وهو يعزو هذا التراجع إلى تغير مناخي حاد أسماه «البرد الكبير» ضرب الأنشطة الزراعية والتجارية الإيرانية.(١٤٢) ويبدو أن هذا التدهور الاقتصادي في إيران انعكس على اقتصاد البحرين، فكلاهما اعتمد على مياه الخليج.

رابعاً، كانت الموانئ الإيرانية على الخليج أنجح تجاريا من نظيراتها البحرينية. فبعد انهيار الفاطميين عام ١١٧١م، ظهرت مملكة قيس الخليجية بقيادة بني قيصر في أواخر القرن الثاني عشر كقوة تجارية طموحة، وبدأت في استعادة طريق التجارة البحرية القديم إلى الخليج. وواجه ميناءا شرقي الجزيرة العربية الراكدان، أوال والقطيف، منافسة عالية من موانئ السواحل الشرقية، بل حتى من عمان.(١٤٣) وتتضمن مصادر تلك الفترة معلومات حول

(141) Bernard Lewis, 'The Fatimids and the Route to India,' *Revue de la Faculte des Sciences Economiques d'Istanbul*, 11 (1953): 50-54; David Bramoullé, 'The Fatimids and the Red Sea (969-1171)' in *Navigated Spaces, Connected Places: Proceedings of Red Sea Project V held at the University of Exeter*, 16–19 September 2010, ed. Dionisius A. Agius et al. (Oxford: Archaeopress, 2012), 130; David Whitehouse, 'Maritime Trade in the Gulf: The 11th and 12th Centuries,' World Archaeology: Islamic Archaeology 14/3 (1983): 328-334.

(142) Richard Bulliet, *Cotton, Climate, and Camels: A Moment in World History* (New York: Columbia University Press, 2011), 69, 93-94 138-139.

(١٤٣) للمزيد من المعلومات والتحليل حول مملكة قيس، انظر:

Ralph Kauz, 'The Maritime trade of Kish' in *Beyond the Legacy of Genghis Khan, ed. Linda Komaroff* (Leiden: Brill, 2012), 55-57.

موانئ الساحل الشرقي تفوق عددا تلك المتعلقة بنظيراتها في الساحل الغربي للخليج العربي. فقد كانت موانئ سيراف وقيس، ولاحقا هرمز/ جارون، بالإضافة إلى ميناءي صحار وقلهات العمانيين الخاضعين لمملكة هرمز، المحطات الرئيسة في شبكة التجارة البحرية في الخليج، حيث ربطت عمان وإيران والعراق بالمحيط الهندي بشكل أفضل.

وكما تقترح جانيت أبو لغد:

«أدى الغزو المغولي للعراق وإيران في النصف الثاني من القرن الثالث عشر إلى تسريع التغيرات المحلية التي كانت جارية بالفعل. لقد حُرمت بغداد، التي كانت تعيش حالة انحدار، من مكانتها كعاصمة ثرية، وخسرت البصرة، بتقلص دورها كمقصد أساسي، أهميتها كبوابة رئيسة إلى بغداد ومنها إلى البحر المتوسط. وكان الوسيطان اللذان استفادا من هذا الترتيب الجديد للسلطة هما هرمز وقيس».[١٤٤]

وهكذا تبوأت قيس وهرمز مكانة الصدارة وأنتجتا دولا مستقلة وقوية تحكمت بالتجارة وأخضعت جزيرتي أوال والقطيف. وبموجبه، صارت موانئ الخليج الشرقية أكثر نشاطا من نظيراتها الغربية، ما أدى إلى تهميش البحرين في شرقي الجزيرة العربية.[١٤٥]

نتج عن عزلة البحرين الجغرافية والسياسية والاقتصادية ثلاث تبعات. أولا، ندرة المعلومات المفصلة حول الإقليم في السجلات والكتابات التاريخية للعراق وإيران والشام ومصر. ثانيا، افتقار الإقليم إلى النشاط

---

(144) Janet Abu-Lughod, *Before European Hegemony,* 205.

(١٤٥) حول موانئ الخليج الشرقية ، انظر:

Janet Abu-Lughod, Before European Hegemony, 197-207.

العلمي ومحدودية تفاعل سكانه علميا مع المراكز التعليمية الأخرى.(١٤٦) أضف إلى ذلك أن الضعف الاقتصادي والسياسي لدول الإقليم قد ثبط الرعاية والتمويل وبالتالي عرقل البحث العلمي. وكما سنبين في الفصل السادس، هاجر عدد من طلاب العلم البحرينيين إلى مناطق أكثر تقدما، غالبا بلا رجعة.(١٤٧) أما التبعة الثالثة فكانت المعتقدات الدينية الشعبوية لدى سكان البحرين (١٠٥٠-١٤٠٠م)، حيث اختلفت عن معتقدات المدن الرئيسة في العراق وإيران ومصر.

٦ - خاتمة الفصل الأول

كان إقليم البحرين يقع في شرقي شبه الجزيرة العربية ويطل على الخليج العربي، وامتد من جنوب البصرة إلى شمال عمان. وقد فصلته عن نجد صحراء الدهناء في الغرب. وكانت مناطقه الرئيسة: الأحساء والقطيف وجزيرة أوال ووادي الصمان. أما خصائصه الجغرافية البارزة فهي: العزلة والطبيعة الصحراوية والمناخ القاسي مع أغلبية ساحقة من السكان البدو. تمركزت الزراعة في الواحات القليلة واعتمدت على المياه الجوفية. وكان الرعي وخفارة القوافل الموردين الرئيسين للبدو، فكان لهم ميزة التفوق العسكري على الحضر بسبب تحكمهم بالطرق البرية.

شهد اقتصاد البحرين تحولا تدريجيا من الانكماش الحاد خلال النصف الأول للقرن الحادي عشر إلى الانتعاش التصاعدي خلال النصف الثاني للقرن نفسه ومطلع القرن اللاحق. حدث ازدهار نسبي بين منتصف القرن

(١٤٦) لم يتوافق الموقع الجغرافي للإقليم مع مراكز الإمبراطوريات المؤثرة في الشرق الأقصى والأدنى، التي امتدت من الصين عبر شمال إيران والعراق والشام إلى مصر، وهو الطريق الذي استوعب أكثر الحضارات والإمبراطوريات قوة وإنتاجية.

(١٤٧) حول الأدب في بلاد البحرين، انظر الفصل السادس.

الثالث عشر ونهاية القرن الرابع عشر على إثر ضم موانئه بواسطة الدول الناجحة المتمركزة في الجزر والهضبة الإيرانية، مثل جزيرة قيس والأتابكية السلغورية في شيراز والمغول وولاتهم الطيبيين ومملكة هرمز. وقد ساهمت عوامل عدة في صعود اقتصاد البحرين وهبوطه. وربما كان السبب الأكثر وضوحا للتراجع العام للاقتصاد هو جغرافية الإقليم الطبيعية والبشرية وبعده النسبي. إن عزلة البحرين الجغرافية الناجمة عن الصحارى المحيطة به ومناخه القاسي والهمينة الساحقة للعنصر البدوي وضعف الأسطول البحري البحريني شكلت عوامل فصلته عن المناطق الأكثر تقدما في الشمال وأضعفت اتصالاته بها وقللت من استقبال تأثيرات الحواضر المتقدمة. وعلى الأرجح أدت العلاقة العدائية بين قرامطة البحرين (٨٩٩-١٠٧٧م) والخلافة في العراق والقرصنة والضرائب الضخمة المفروضة على السفن التي عبرت جزيرة أول إلى نوع من المقاطعة من قبل التجار عباسيّي الولاء. أضف إلى ذلك نجاح الفاطميين في تحويل طريق التجارة البحرية من الخليج إلى البحر الأحمر وما كان لهذا من تأثير سلبي كبير على الخليج. كما يبدو أن دول البحرين لم تكن مهتمة بالمشاريع البحرية، كإعادة بناء ميناء عقير المدمر أو تأسيس أساطيل عسكرية وتجارية كبيرة وفعالة. وقد حرم هذا الوضع البحرين من تحقيق تفوق بحري، ناهيك عن تحقيق حضور بحري في المنطقة. نتيجة لذلك حققت موانئ الساحل الشرقي للخليج سيطرة بديلة. ومنذ خمسينيات القرن الثاني عشر الميلادي استعادت الدول الخليجية الشرقية الطريق البحري من البحر الأحمر وأخذت تهيمن على الخليج. كانت مملكة قيس أولى هذه الدول، وجاء بعدها سلغوريو فارس التركمان، ومن ثم طيبيو فارس العرب، ولاحقا ممكلة هرمز العربية. ألحقت هذه الدول أوال والقطيف وفصلتهما عن العقيليين في الأحساء، وحولتهما إلى مركزين لتجارة المرور ضمن العديد من المراكز الأخرى في شبكة التجارة البحرية في الخليج، فنالتا على

ما يبدو الحصة الأصغر من أنشطة التجارة البحرية. اعتمد بحرينيو المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية على التجارة البرية. وأسس العقيليون علاقة سياسية مع المماليك تحولت فيما بعد إلى علاقة تجارية.

الفصل الثاني
قيام إمارة آل الزَجّاج في جزيرة أوال وإمارة آل عياش في القطيف

١ - مقدمة

يتناول هذا الفصل الحوادث التاريخية التي أفضت إلى مرحلة جديدة من الحكم المحلي في إقليم البحرين، فعبدت الطريق أمام السلالات المحلية من قبيلة عبد القيس. ندرس الثورات التي قامت على القرامطة ابتداء من ١٠٥٠م، وأدت إلى تأسيس إمارتي آل الزَجّاج في جزيرة أوال وآل عياش في القطيف، مؤجلين الحديث عن الثورة الثالثة لآل إبراهيم العيونيين في الأحساء إلى الفصلين القادمين. كما نحلل العوامل الكامنة وراء اندلاع هذه الثورات وتحولها إلى إمارات، ونسعى إلى تفسير اتصالات الثوار بالخلافة العباسية والسلاجقة.

عمّرت دولة الجنابيين القرامطة (٨٩٩-١٠٧٧م) التي أسسها أبو سعيد الحسن الجنابي نحو مائة وثمانين سنة قبل نشوء الإمارات البحرينية الثلاث. إن العباسيين هم الذين أطلقوا على القرامطة هذا الاسم الازدرائي المشتق من اسم أحد الدعاة الإسماعيليين: حمدان قرمط. بداية، باشر قادة الجماعة أنشطتهم السياسية والعسكرية في ريف القطيف، ثم انتقلوا إلى المدينة نفسها بعد السيطرة عليها. ونجحوا لاحقا في تجنيد بدو البحرين ونجد مشكلين جيشا قويا. فتح القرامطة مدينة هجر بعد حصار دام عاما، فدمروها وبنوا الأحساء على مقربة منها لتصبح عاصمتهم. وفرضوا هيمنتهم على الإقليم

بإخضاع مجموعات بحرينية أخرى أو بالتحالف معها. ثم وسعوا أراضيهم وغزوا معظم الجزيرة العربية، وجنوب العراق ومعظم الشام، وحتى مصر التي غزوها ثلاث مرات. في الغزو الثاني تمكن القرامطة من التحكم بمصر كلها، باستثناء القاهرة التي ضربوا عليها حصارا. وهناك خاضوا معركة فاشلة مع جوهر الصقلي (توفي ٩٢٢م)، وهو القائد الفاطمي الذي كان هدفه الأساسي من إنشاء القاهرة حماية الفاطميين من الغزو الجنابي.

اعتاد الجنابيون على جمع إيرادت كبيرة من مصادر عدة، كسيطرتهم على طرق التجارة والغنائم والضرائب المفروضة على الشعوب التي أخضعوها، والإتاوات التي أخذوها أحيانا من الخلافتين العباسية والفاطمية والدولة الإخشيدية والدولة الحمدانية. وقد ساعدهم غناهم على سك نقودهم الذهبية الخاصة بهم، حيث اكتشف الكثير منها في فلسطين/ الشام ومناطق أخرى دانت لهم.

بدأ اضمحلال الجنابيين على إثر موت زعيمهم القوي الحسن الأعصم بن أحمد الجنابي عام ٩٧٧م. سيطر أعضاء متنافسون من أسرة الجنابي الحاكمة على الدولة، لكنهم فشلوا في الحفاظ على نجاحها العسكري والسياسي والاقتصادي. تقلص نفوذ الجنابيين إلى مدنهم في البحرين وحُرموا من الإيرادات التي اعتادوا جمعها في السابق. حتى أنهم صاروا عرضة لغارات الخصوم من خارج أراضيهم، فتعرضوا لهزيمتين: واحدة على يد جيش البويهيين عام ٩٨٥م، وأخرى على يد قوات بدو بني ثعلب من قبيلة المنتَفِق عام ٩٨٨م، أُرسِلت أيضا بواسطة الخليفة والبويهيين في بغداد. ويروى أن قادة الجنابيين استعادوا حكم البحرين وشكلوا في أواخر عهدهم نظاما سياسيا غير مسبوق، فعوضا عن الانصياع لقائد واحد على رأس هرم السلطة اعتمدوا على مجلس السادة أو مجلس العقدانية الذي ضم ستة

حكام من أسرة الجنابي وستة وزراء عرفوا بـ*الشائرة* (جمع شائر، صاحب مشورة، ناصِح) من آل سنبر. ومع ذلك، يعكس هذا المجلس غياب سلطة مركزية وقائد قوي. في ظل هذه الظروف السياسية والاقتصادية المتدهورة سعى زعماء قبائل بحرينية ثانويون وزعماء عوائل حضرية وموظفون كبارا في المنطقة إلى أخذ السلطة من الجنابيين.(١٤٨)

كانت عبد القيس القبيلة الحضرية الأكثر انتشارا وتجذرا في مدن إقليم البحرين وواحاته الرئيسة. وكان دورها السياسي لدى الجنابيين في غاية الأهمية، إذ تقلد بعض أبنائها مهاما عسكرية وسياسية وإدارية حساسة، كضباط في الجيش ومحصلي ضرائب وضامنين للقرى والجزر. تشجعت بعض أسر عبد القيس، وخصوصا ممن تقلدوا وظائف، على الثورة في أوقات متقاربة على الدولة بعد أن أصابها الضعف على إثر معاركها المتكررة مع بدو صحراء العراق الغربية وتراجع عائداتها، علاوة على صعود السلاجقة وتحكمهم بالخلافة في بغداد.

لكن أُسَر عبد القيس هذه لم تكن موحدة في نزعاتها السياسية والعسكرية، فلم يتصرفوا كقبيلة بدوية تقليدية مؤتلفة حول شيخها أو أميرها من أجل هدف سياسي موحد، بل كان لكل أسرة برنامجها السياسي واهتماماتها

---

(١٤٨) حول مصادر تاريخ قرامطة البحرين، انظر: سهيل زكار، *الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق، واليمن*، ص١٩٢-٢٤٠، ٣٣٣-٣٣٥، ٣٥٨، ٤٦٠-٤٧٦، ٤٨٩-٥١٨، ٥٨٩-٦٠٢؛ مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص١٢٨٥. حول المراجع الحديثة، انظر: مي آل خليفة، *من سواد الكوفة إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠)؛ وكذلك:

Farhad Daftary, *The Ismaʿilis: Their History and Doctrines* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), 150, 161-162; Jere L. Bacharach, *Islamic History through Coins: An Analysis and Catalogue of Tenth-Century Ikhshidid Coinage* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2006), 83-86.

الخاصة، ما أدى في نهاية المطاف إلى وقوع صدامات بينها. فعوضا عن الثورة تحت زعامة سياسية موحدة، انقسمت القبيلة إلى ثلاث أسر متنازعة، قامت كل منها بثورتها المستقلة على الجنابيين. نُظِّمت الثورة الأولى بقيادة الزعيم السني أبي البهلول العوام بن محمد الزجّاج في أوال الذي استخدم ذرائع اقتصادية ودينية، وأفضت إلى تأسيس ما يعرف بـإمارة آل الزجّاج. وباشر يحيى آل عياش الجذمي الثورة الثانية (لكنها الثالثة بالترتيب بعد الثورة العيونية) في القطيف، فنتج عنها نشوء ما يعرف بإمارة آل عياش. ولم تعمر الإمارتان طويلا. أما الثورة الثالثة، فانطلقت من قرية العيون بالقرب من الأحساء بزعامة عبد الله بن علي العيوني الذي أسس إمارته الخاصة فيما بعد، فعمرت حوالي ١٦٠ عاما وعرفت بالإمارة العيونية، وسنأتي على دراستها في الفصلين التاليين. لكننا سنكرس هذا الفصل لمناقشة تاريخ إمارتي آل الزجّاج وآل عياش فقط.

يجادل هذا الفصل بأن الثورات التي قامت في البحرين كانت نتيجة للتدهور الاقتصادي للإقليم وافتقار دولة القرامطة إلى سلطة مركزية قوية. وكما بينا في مناقشتنا للمصادر التاريخية والأدلة الأثرية من تلك الفترة (الفصل السابق)، ثمة عوامل عدة تسببت في هجران الإقليم وإضعاف تجارته البحرية: القرصنة، والضرائب العالية المفروضة على السفن التي مرت بموانئ البحرين، وما تبع ذلك من ركود اقتصادي عام في منطقة الخليج وإيران، وسوء السمعة الذي لحق بالقرامطة نتيجة تصرفاتهم الاستفزازية، كنهب الحجاج والإغارة على مكة وانتزاع الحجر الأسود ونقله إلى القطيف. وبما أن القرامطة اعتمدوا كثيرا على الأنشطة الاقتصادية البرية، كالغنائم والضرائب، التي نضبت بدورها في نهاية المطاف، فقد خسروا مواردهم الرئيسة وحُرموا بالتالي من الحفاظ على تحكمهم بالجماعات البحرينية.

ونرى في هذا الفصل أيضا أن رسائل قادة الثورات البحرينيين إلى الخلافة والسلاجقة لم تكن مجرد طلبات للحصول على الدعم العسكري والمالي -كما توحي- فحسب، بل استبطنت على الأرجح رسائل طمأنة ودعوة ضمنية للتجار العباسيين الخائفين باستئناف التجارة في البحرين، وهدفت كذلك إلى الحصول على الشرعية السياسية. تعكس هذه الرسائل بوضوح الوضع التراتبي للبحرين بوصفه منطقة طرفية تلتمس تقارب المركز سياسيا وعسكريا ودينيا.

٢ - ثورة أوال وإمارة آل الزجّاج

يقدم هذا القسم مناقشة وتحليلا لمصادر إمارة آل الزجّاج، فنسرد أخبار ثورة العوام بن محمد على القرامطة، وتأسيس إمارته، ومحاولته الاتصال بالخليفة العباسي والتحالف معه.

ثمة ثلاثة مصادر حول تاريخ إمارة آل الزجاج. المصدر الأول معاصر للإمارة، وقد كُتب بواسطة المؤرخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابئ (١٠٢٥-١٠٨٨م) المتحدر من أسرة الصابئ التي كان لها علاقات وثيقة ببلاط الخلافة، إذ خدم بعض أفرادها الخلفاء كأطباء وأمناء سر وكتاب. عمل غرس النعمة لدى الخليفة العباسي القائم في ديوان الإنشاء، ولعله استفاد من وثائق الديوان وزملائه هناك لتأليف عمل لم تكتب له النجاة هو *ذيل تاريخ هلال* أو *عيون التواريخ* الذي يعد تكملة لكتاب التاريخ الذي وضعه والده.[١٤٩] المصدر الثاني هو التاريخ الحولي *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* للمؤرخ سبط بن الجوزي (١١٨٦-١٢٥٧م) الذي يقتبس، لحسن الحظ،

(١٤٩) محمد كمال، «غرس النعمة (محمد بن هلال الصابئ)»، *الموسوعة العربية*، إعداد محمود السيد وآخرون (دمشق: هيئة الموسوعة العربية، رئاسة الجمهورية، ١٩٩٨-٢٠٠٨)، ج١٣، ص٨٠٧.

معلومات مباشرة من غرس النعمة.[١٥٠] أما المصدر الثالث فهو شرح ديوان الشاعر علي بن المقرب العيوني (١١٧٦-١٢٣٠م) المعنون شرح *ديوان ابن المقرب*، الذي كتب بواسطة مؤلف مجهول.[١٥١] وعلى الأرجح استخدم الشارح، الذي لم يعاصر الأحداث التي سردها شخصيا، مصدرا بحرينيا مستقلا. يكمن البرهان على هذه الفرضية في سرده الموجز لجزء من قصة العوام بن محمد، حيث يوضح أنه اعتمد على *أهل العلم* الذين عاصروا فترة قيام عبد الله العيوني على [القرامطة] (في ١٠٧٧م)، ما يشير إلى أن الرواية ربما كانت شفهية.[١٥٢] والاحتمال الثاني هو أن الشارح ربما قرأ القصة عند غرس النعمة وسبط بن الجوزي فأعاد صياغتها. تقدم لنا نسخة السرد في شرح *ديوان* تفصيلا أكبر وتتضمن أسماء أماكن مختلفة إلى حد ما عن تلك الواردة في رواية غرس النعمة وسبط بن الجوزي. ومع ذلك، فإن الاختلافات الطفيفة في رواية شرح *ديوان* لا تتناقض جوهريا مع المصادر السابقة.

تتضمن أخبار الإمارة الواردة في شرح *ديوان* (تحديدا مخطوط برلين) نصا كاملا لرسالة موجهة من العوام بن محمد إلى الخليفة العباسي القائم، لكنها غير مقتبسة نصا في *مرآة الزمان* إذ اكتفى سبط بن الجوزي، الذي اقتبس مباشرة من غرس النعمة، بالقول إن العوام كتب إلى الخلافة يخبرهم عن انتصاره على القرامطة. يوجد تفسيران محتملان لهذا: أولا، ربما تم إدراج الرسالة في كتاب غرس النعمة، فاستنسخها منه المؤلف المجهول لـ شرح

(١٥٠) سبط بن الجوزي، «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»، *الجامع في أخبار القرامطة*، ٢٤٤-٢٤٦؛ وانظر الطبعة الجديدة الكاملة: سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الحسن وكامل الخراط (دمشق: الرسالة العلمية، ٢٠١٣)، ج١٩، ١٨٧-١٨٩.

(١٥١) مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص٩٤٩-٩٥٠، ٩٨٢-٩٩٦.

(١٥٢) مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، ج٢، ص٩٤٩، حيث يكتب: «ذكر أهل العلم ممن أدرك قيام عبد الله بن علي العيوني على القرامطة».

ديوان. ولكن، ربما قام سبط بن الجوزي بإسقاط هذه الرسالة عند اقتباسه من غرس النعمة لأنه لم يرغب في إضافة المزيد من المواد كي لا يصبح كتابه ضخما جدا (نشر الكتاب في ٢٢ مجلدا).[١٥٣] وقد كتب فعلا أن العوام بن محمد بعث رسالة إلى أبي المنصور بن يوسف (موظف في البلاط العباسي). التفسير الثاني المحتمل هو أن مؤلف *شرح ديوان ابن المقرب* ربما اعتمد على مصدر بحريني مفقود تضمن الرسالة التي لم تكن متوفرة لدى غرس النعمة.

تقدم هذه المصادر أخبار الثورة بتفاصيل متباينة إلى حد ما. ويبدو أنها وقعت في ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م. وقبل ذلك، تم تعيين أبي البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجّاج، المنتسب إلى قبيلة عبد القيس، جامعا للضرائب وضامنا لخراج لجزيرة أوال عند القرامطة. وقدم العوام وأخوه مبلغ ٣٠٠٠ دينار للقرامطة ليحصلا على رخصة بناء مسجد في الجزيرة. وبموجب *شرح ديوان*، كان هدفه من ذلك تنشيط اقتصاد الجزيرة بجذب تجار ومسافرين أجانب بعد أن تم هجرها لافتقارها إلى المساجد. وبمجرد الحصول على الرخصة والانتهاء من البناء بدأ أخوه أبو الوليد بذكر اسم الخليفة العباسي القائم (١٠٣١-١٠٧٥م) في الخطبة. فلقي معارضة من بعض الشيعة الإسماعيليين في الجزيرة الذين تذرعوا أن عليه ذكر اسم الخليفة الفاطمي الإسماعيلي في مصر المستنصر بالله (١٠٣٦-١٠٩٤م) عوضا عن العباسي، خاصة بعد التنحية المؤقتة للقائم عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م على يد البساسيري، القائد التركماني الذي ثار على الخليفة العباسي ببغداد وأعلن ولاءه للخليفة الفاطمي وبدأ بذكر اسم المستنصر في خطب المساجد. لكن قادة آل الزجاج لم يتوقفوا عن ذكر القائم في خطبهم، بل أنهم طلبوا من القرامطة الموافقة على ممارستهم الجديدة وأرسلوا لهم الهدايا كرشوة.

(١٥٣) سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الحسن وكامل الخراط (دمشق: الرسالة العلمية، ٢٠١٣)، ج١٩، ١٨٧-١٨٩.

وشى المحتجون الإسماعيليون بالممارسة السنية الجديدة إلى حكومة القرامطة في الأحساء، لكنهم صادقوا عليها على عكس المتوقع. وهكذا انضم مزيد من الناس في أوال إلى العوام معززين قوته. وبالفعل، فقد نجح بناء المسجد في جذب التجار إلى الجزيرة، فازدادت الأنشطة التجارية كما يذكر شرح *ديوان*. وعندما وصلت هذه الأخبار الجيدة إلى حكومة القرامطة طلبوا من ابن عُرهُم، واليهم على الجزيرة، فرض ضرائب على الناس. لكن الوالي والعوام وأتباعه رفضوا الامتثال للقرامطة، وبالتالي أعلنوا الثورة. واتخذ العوام خطوات عدة لتخليص الجزيرة من سلطة القرامطة. فشكل جيشا تعداده ٣٠ ألفا ودعمه أبناء أسرته وتجار أثرياء من الجزيرة، كابن أبي العُريان. ثم تصدى لقوات الوالي الجديد الذي أرسله القرامطة إلى أوال وهزمها.

أرسل الوزير القرمطي ابن سُنبُر، الذي كان على علم بالثورة في أوال، أحد أبنائه لجمع المال والسلاح من عُمان، فوصل الخبر إلى العوام، فنصب كمينا للابن في طريق عودته، وقتله وبعض قواته، واضعا يده على جميع الغنائم. وفيما بعد قتل العوام حليفه ابن أبي العُريان متهما إياه بالخيانة والتآمر مع وزير القرامطة ابن سُنبُر.

ثم سعى ابن سُنبُر لقمع ثورة العوام بنفسه، فأبحر على رأس أسطول بحري ضم سفنا من نوع الشذا تحمل قوات من قبيلة عامر ربيعة و ٥٠٠ حصان، لكن هدفه كان حسم الأمر بمعركة برية. في المقابل، آثر العوام القتال في البحر عوضا عن الانخراط في معركة برية مع قوات القرامطة التي تبدو أكثر تفوقا، معتقدا أن جنوده يمتلكون خبرة أكبر في البحر. وبموجبه أعد سفنه منتظرا وصول الأعداء قرب قرية ساحلية تدعى الحالة (شمال جزيرة سترة). أسفرت المعركة البحرية عن هزيمة القرامطة وفرار ابن سنبر إلى

الساحل. فوضع العوام يده على ما تبقى من السفن والأسلحة والخيول.[١٥٤] ويذكر خبر آخر موثق حصرا في شرح *ديوان* أن أسطولا ثانيا للقرامطة يضم قوات يمنية يتزعمها البحريني بشر بن مفلح العيوني أبحر إلى أوال، لكنه هزم وغرق في البحر المجاور لجزيرة صغيرة تدعى كسكوس أوال.[١٥٥]

على إثر هذه الانتصارات، ربما بعد بضعة أعوام، بعث الأمير العوام بن محمد رسالة إلى ديوان رسائل الخليفة العباسي القائم (١٠٣١-١٠٧٥م) عن طريق وسيط اسمه أبو المنصور بن يوسف، ربما كان مقربا من مجلس الخليفة أو شغل منصبا فيه. أعلن العوام في رسالته ولاءه للخليفة، فوضح أسباب انشقاقه عن القرامطة، والتمس في نهايتها الدعم العسكري والمالي. ولعل الخليفة قد تجاهل الرسالة. وبموجب غرس النعمة، وصله النبأ عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م، حين قال: «ورد الخبر».[١٥٦]

الرسالة طويلة نسبيا ومكتوبة بأسلوب بلاغي.[١٥٧] وبمعزل عن نتائجها، فإنها تعكس شخصية سياسي بارع شديد الواقعية صمم خطابا يبدو مقنعا كمحاولة لكسب ثقة الخليفة. استهل العوام، الذي ربما كان الكاتب أو أملى خطوطها العريضة على كاتب محترف، رسالته بأن وصف نفسه وقبيلته، عبد القيس، بالمنافحين عن الإسلام والرسول والخلفاء الراشدين والخلافة العباسية متحاشيا ذكر الأمويين. ثم فصّل بخصوص الفظائع التي ارتكبها القرامطة ودينهم الهرطقي بأسلوب يتناغم مع الدعاية العباسية ضدهم.

(١٥٤) سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الحسن وكامل الخراط، ج١٩، ١٨٧-١٨٨؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٨٢-٩٨٨.

(١٥٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٤٩-٩٥٠.

(١٥٦) سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الحسن وكامل الخراط، ج١٩، ص١٨٧-١٨٨؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٨٨-٩٩٦.

(١٥٧) انظر الصفحات الإنجليزية لـ*شرح ديوان*، ج٢، ص٩٨٨-٩٩٦.

فعرض تاريخا انتقائيا وسلبيا للقرامطة ينسجم أيضا مع الرواية العباسية. وقد سعى بذلك إلى إقناع الموظفين العباسيين بأنه يشاركهم وجهات النظر السلبية نفسها حول القرامطة. لكنه لم يأت على ذكر عمله كموظف ثقة وضامن عند القرامطة في أوال، وتغاضى عن ذكر الرخصة التي منحه إياها القرامطة لبناء المسجد الذي انشق فيه عنهم وأعلن تحالفه مع الخلافة العباسية. كما حاول أن يظهر الخطر الذي مثله القرامطة بأن أشار إلى أن المسلمين [السنة] الحقيقيين كانوا على وشك الاختفاء من إقليم البحرين باستثناء جزيرة أوال. وادعى أن هذه الأسباب جعلت الناس، بما فيهم أسرته، يقررون تنصيبه زعيما للثورة الناجحة على القرامطة. وكتب أنهم اتبعوا المذهب الحنفي، الذي هو المذهب الرسمي للعباسيين، وبأنهم بدؤوا بذكر اسم الخليفة القائم في الخطبة. ثم وصف الكاتب إنجازاته العسكرية ضد القرامطة في أوال، لكنه يشتكي من عدم تمكنهم من فتح الأحساء بسب شُح الأموال. ويشرح لاحقا برنامجه المستقبلي الذي يصب في خدمة العباسيين لا في البحرين فحسب، بل في عُمان كذلك. ويبين بوضوح أنهم كانوا في أمس الحاجة إلى دعم الخلافة المالي والعسكري. ويورد في نهاية الرسالة اسم شاهد العيان على شؤونه الحالية.

الرسالة مصاغة باستخدام ضمير المتكلم، لكنها لا تتضمن اسم الكاتب. ويذكر شارح *ديوان ابن المقرب* أنه أبو البهلول العوام بن محمد الزجّاج. ولا يتخلل الرسالة ذكر تاريخ تدوينها مع أن الكاتب يذكر اليوم والشهر: الثاني أو الثالث والعشرين من ذي القعدة. وتساعدنا معلومة واردة في الرسالة على استنتاج سنة الكتابة. فالكاتب يشرح لديوان الخلافة أن القرامطة ما زالوا يحكمون البحرين مدة ١٧١ عاما [هجريا]. وبيّن الجنبي، محقق شرح *ديوان*، أننا إذا احتسبنا عام ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م بداية تأسيس القرامطة، فإن الرسالة تكون قد كتبت حوالي ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٤م.

وبموجبه، فإن العوام بن محمد باشر عملية التحول السياسي والاقتصادي حوالي ١٠٥٨-٥٩م، فبلغت ذروتها بالإطاحة بالقرامطة قبل بضعة أعوام من ١٠٦٤م. لكن إمارة آل الزجاج لم تعمر طويلا، فحوالي ٤٦٠ هـ/ ١٠٧٠م تلقى العوام هزيمة على يد ابن عياش الجذمي، حاكم القطيف الجديد الثائر على القرامطة أيضا.

٣ - ثورة القطيف وإمارة آل عياش

يقدم هذا القسم تحليلا تاريخيا للثورة الثانية التي أدت إلى تأسيس إمارة آل عياش. كما يلقي ضوءا على تصدي زعيمها للحملة التركمانية التي جاءت إلى البحرين من العراق.

إن المعلومات المتعلقة بهذه الثورة والإمارة قصيرة الأجل التي نتجت عنها نادرة للغاية كذلك. يرد ذكر الثائر يحيى بن عياش في *مرآة الزمان* لسبط بن الجوزي الذي اقتبس عن غرس النعمة في الخبر المتعلق بأحداث عام ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٧م، فمنحه نسبة الخفاجي عوضا عن الجذمي، الذي هو فرع من فروع قبيلة عبد القيس.[١٥٨] وثمة تفصيل أكبر للخبر في شرح *ديوان* علي بن المقرب وملحقه. إن التاريخ الدقيق للثورة التي قامت في مدينة القطيف الساحلية غير معروف، لكنها ربما انطلقت بعد أن ضرب عبد الله العيوني حصارا على القرامطة عام ١٠٧٠م. قاد الثورة يحيى بن عياش الجذمي الذي أزال حكم القرامطة في القطيف بطريقة غامضة وأعلن نفسه أميرا، ثم غزا أوال بعد فترة قصيرة وهزم العوام بن محمد، وادعى بموجبه زعامة القطيف وأوال كليهما. خطط يحيى فيما بعد لغزو الأحساء وهزيمة القرامطة، فطلب دعما عسكريا

(١٥٨) سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الحسن وكامل الخراط، ج١٩، ص٢٣١.

من السلاجقة الذين حكموا بغداد والمشرق الإسلامي. واتصل بوسيط يدعى ابن الزرّاد يوصف بـأنه علوي وغلام كجكينا الحاجب التركماني للسلطان السلجوقي ملكشاه (١٠٧٢-١٠٩٢م). أقنع ابن الزرّاد كجكينا بإرسال دعم عسكري إلى يحيى. وتنص شروط الاتفاقية بين يحيى والضابط التركماني على قيامهم بإرسال ٢٠٠ جندي يكونون تحت إمرة يحيى، ويدفع هذا في المقابل ضريبة سنوية للسلاجقة ويذكر اسم سلطانهم في الخطبة.[١٥٩] لا يذكر شرح *ديوان* أي شيء بخصوص الخليفة، باستثناء حصته من الغنائم. وربما تعلم يحيى الدرس من الأمير العوام، فأدرك أن الخليفة لم يكن قادرا على إرسال حملة عسكرية لأن القوة الحقيقية كانت بيد السلاجقة.

لم يعط بلاط السلاجقة موافقته المبدئية على إرسال جيش دعم ليحيى. ويروى أنه على إثر مفاوضات أخرى وإلحاح من ابن الزرّاد وكجكينا بشأن التوجه إلى القطيف تم السماح بتجريد الحملة بقيادة كجكينا. ورافقت الجيش التركماني قبيلتان بدويتان من صحراء العراق، هما قيس وقِباث اللتان انتمتا لعقيل بن عامر كما يرى الجنبي وزملاؤه محققو شرح *ديوان*. وعندما سمع يحيى بوصول هذا الجيش الضخم رفض التوجه إلى كجكينا أو استقبال الجيش في مدينته، فقد كان يخشى أنهم عازمون على احتلال المدينة عوضا عن دعمه. وادعى أنه طلب إرسال ٢٠٠ جندي فقط يكونون تحت تصرفه. وبموجبه، انقلب يحيى على التركمان ونجح في إقناع البدو في التخلي عنهم والتعاون معه بأن وعدهم بتقاسم غنائم التركمان. هُزم التركمان واضطروا إلى الانسحاب إلى العراق.[١٦٠]

بعد ذلك بفترة قصيرة توفي يحيى بن عياش تاركا إمارته لابنيه: زكري

(١٥٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٩-٩٧٠.

(١٦٠) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٠-٩٧٣.

وحسن. حكم الحسن القطيف وأوال لفترة من الزمن، لكنه فشل في غزو الأحساء التي أصبحت تحت حكم الإمارة العيونية الجديدة التي أطاحت بالقرامطة. واتبع سياسية «فرق تسد» ضد أفراد الأسرة العيونية، إلا أنه لم ينجح في تشتيتهم. وقُتل لاحقا على يد أخيه زكري الذي صار الأمير الجديد للقطيف وأوال. حاول زكري أيضا توسيع أراضيه بغزو الأحساء الخاصعة لسلطة الأمير عبد الله بن علي العيوني، لكن جيشه هُزم في معركة الناظرة (بعد عام ١٠٨١م). فر ما تبقى من الجيش، بما فيه زكري نفسه، إلى أوال، فتعقبهم الأمير فضل بن عبد الله بن علي العيوني وألحق بهم هزيمة ثانية. وفي نهاية المطاف فر زكري إلى القطيف في محاولة أخيرة لإنقاذ إمارته، فتلقى الهزيمة النهائية على يد الأمير عبد الله بن علي العيوني. وهكذا انتهت إمارة آل عياش إلى الأبد، وأصبح عبد الله بن علي العيوني الأمير الوحيد لمدن البحرين الرئيسة: الأحساء وقطيف وأوال.[١٦١]

٤ - خاتمة الفصل الثاني

يبدو أن ثورات القطيف وأوال بقيادة أسر محلية كانت نتيجة عاملين: ارتبط العامل الأول بضعف السلطة المركزية للقرامطة، وهو ما أعطى موظفيهم الكبار مزيدا من القوة، وجاء العامل الثاني نتيجة تدهور الوضع الاقتصادي للإقليم.

افتقرت دولة القرامطة في مرحلتها الأخيرة إلى السلطة المركزية، ولم يعد يحكمها زعيم واحد قوي. وتفيدنا المصادر عن مجلس السادة الذي كان يُتخذ فيه القرار جماعيا. ومن الطبيعي، في ظل ظروف كهذه، أن يقوم قادة آخرون طموحون في الإقليم بأخذ زمام المبادرة ومحاولة الاستيلاء على

(١٦١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧١-٩٨١.

السلطة، حيث أن الضامن والجابي والتاجر أصبح بمقدورهم حرمان الخزينة من المبالغ التي وعدوا بها الدولة بموجب وظائفهم، مدركين أن الدولة لا تملك المال الكافي لتسيير جيش لإخضاعهم فيما لو ثاروا، وهو أمر شجعهم على الاختبار المبدئي ثم التدرج في الاستقلال ثم الثورة العامة.

لقد شرحنا في الفصل السابق الركود الاقتصادي الذي أصاب البحرين والخليج بشكل عام خلال القرن الحادي عشر الميلادي. قامت هذه الثورات في سياق تدهور اقتصادي نوجزه على النحو الآتي: شهدت الموانئ البحرينية انخفاضا طويل الأمد في الأنشطة التجارية مع تأسيس البصرة في القرن السابع الميلادي ترافق مع هجرة مجموعات بحرينية شاركت في فتوحات العراق وإيران. ويبدو أن تطور ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج قد أدى إلى تفاقم التدهور الاقتصادي في القرن العاشر الميلادي. وانتشرت القرصنة في الخليج على مقربة من السواحل الغربية للجزيرة العربية خلال القرنين التاسع والعاشر، ما يدل على ضعف التجارة. علاوة على ذلك، قام القرامطة، الذين اعتمدوا اقتصاديا على الأنشطة البرية، بفرض ضرائب باهظة على السفن التي رست في أوال. ويطلق ابن حوقل على هذه الضريبة اسم «الضريبة العظيمة». ويبدو أن معدل الضرائب الذي فرض على السفن في أوال كان الأعلى بين موانئ الخليج. ومع مطلع القرن الحادي عشر لم يعد بمقدور القرامطة جمع الضرائب من الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر. أضف إلى ذلك علاقاتهم العدائية مع الدول الإقليمية نتيجة السمعة السيئة التي لحقت بهم في العالم الإسلامي. تحفل مصادر تلك الفترة بقصص عن القرامطة مصحوبة بانتقادات وإدانات قاسية، كتربصهم بالحجاج وقتلهم، وانتزاعهم الحجر الأسود، وعقيدتهم الهرطقية، وهذا يدل على العداء أو الشعور بعدم الأمان لدى الخلفاء والعلماء والتجار تجاه القرامطة. ولعل الضرائب الباهظة التي فرضوها قد شجعت التجار على استخدام الموانئ الإيرانية وهجر مراكز

التجارة البحرينية. وينعكس هذا الهجر في شكاوى أمير أوال العوام بن محمد حول الركود الاقتصادي في جزيرته وعدم اهتمام التجار بالتوقف فيها ومزاولة التجارة. وبعد أن حقق العوام بعض النجاحات في اجتذاب التجار وتحسين السوق في أوال على إثر بناء المسجد والاعتراف بالخليفة العباسي، تابع خطواته العملية، ولا سيما عندما هزم القرامطة واستولى على السلطة في أوال. وربما كان للرسالة التي ناقشناها أعلاه، علاوة على طلب الدعم المالي والعسكري الصريح، أغراضا ضمنية أخرى. فهي تشير إلى أن ممارسة التجارة أصبحت آمنة في أوال التي لم تعد تتبع القرامطة سيئي السمعة. وكان هذا بمثابة دعوة للخلافة العباسية والنخبة المرتبطة بها، بما في ذلك التجار، لاستئناف علاقة تجارية كاملة مع الدولة الجديدة الموالية للعباسيين. وبالفعل، يشير التقرير المفصل نسبيا لمؤرخ البلاط العباسي غرس النعمة حول إمارة العوام إلى أن الأواليين بذلوا جهودا لتقديم صورة جديدة لجزيرتهم.

وفيما نعرف القليل عن خلفية ثورة الأمير يحيى بن عياش وظروفها، فمن الواضح أنه قام بمحاكاة الأمير العوام في أوال بأن اتصل ببغداد (القوة المركزية). لكن يحيى كان أكثر براغماتية ووعيا من العوام. أولا، آثر الاتصال بالسلاجقة أصحاب السلطة الفعلية على الاتصال بالخليفة الضعيف. ثانيا، أبرم اتفاقية مشروطة مع الضابط التركماني للإطاحة بالقرامطة في الأحساء، فحدد توزيع الغنائم وعدد القوات التي يتوجب إرسالها والطقوس السياسية التي ستعقب الغزو والضرائب التي ينبغي عليه دفعها. ثالثا، عندما أدرك أن الجيش التركماني وقائده لم يلتزموا ببنود الاتفاقية المترتبة عليهم، بل كانوا عازمين على إخضاعه لسلطتهم، قرر قتالهم فهزمهم وطردهم من البحرين. في الواقع، يشير تردد السلطان السلجوقي بشأن تدخل فعلي في البحرين وطول المفاوضات بين يحيى والسلاجقة عبر الوسطاء إلى عدم اهتمام السلاجقة بالبحرين الهامشية والفقيرة.

الفصل الثالث
صعود الإمارة العيونية: المرحلة التأسيسية
(٤٧٠ ـ ٥٣٥ هـ/١٠٧٧ـ١١٤٠م)

١ – مقدمة

كانت الإمارة العيونية (٤٧٠–٦٣٣ هـ/ ١٠٧٧–١٢٣٦م) ثالث إمارات البحرين في مرحلة ما بعد القرامطة. وقد برهنت منذ بداياتها أنها أطول عمرا من إمارتي آل الزجاج وآل عياش اللتين نوقشتا في الفصل السابق. شكلت هذه الإمارة الحضرية حكومتها على غرار حكومات «الدول» الإسلامية لذلك العصر من ناحية تأسيس الهيئات الإدارية وتوظيف المهنيين لتولي شؤونها، كأصناف الدوادين المختلفة، والمحاكم، والخزينة، والولاة، ومستثمري الأراضي الزراعية، وجامعي الضرائب، والقضاء، والجيش، والشرطة. كما شيد حكامها المساجد وضربوا النقود التي لم تُستخدم للتبادل التجاري فحسب، بل كتعابير دينية وسياسية كذلك. ويبدو أن ذلك كان استمرارا وتطويرا للتقاليد التي أسسها الجنابيون «القرامطة» من قبلهم.

لكن تاريخ هذه الإمارة شهد إهمالا بحثيا ناجما عن عوائق عدة، أولها محدودية المصادر البحرينية الأولية، بالإضافة إلى قلة اهتمام مؤرخي ذلك الزمان من المناطق المحيطة بها، فلم يكلفوا أنفسهم عناء تدوين معلومات حول العيونيين أو البحرين، ما يوحي بأن الإقليم لم يكن ضمن أولويات أولئك المؤرخين ورعاتهم. والأمر ذاته ينطبق على عصرنا الحالي، فعلى الرغم من محاولة بعض المؤرخين العرب، ولا سيما من دول الخليج، تسليط

الضوء على الإقليم في العصور الوسطى من خلال إنتاج بعض الأعمال، فإن اهتمام الباحثين الغربيين به ما زال ضئيلا لا يتعدى التناول السطحي في بعض الموسوعات الصغيرة. وبموجبه نرى أنه قد حان الوقت لبدء النقاش حول العيونيين، أو إحيائه على الأقل، والاستفاضة في تناول الموضوع.

يتناول هذا الفصل والذي يليه ثلاثة مواضيع رئيسة: أولا، نقدم سردا استبنائيا وتحليليا لتاريخ الإقليم في ظل العيونيين منذ نجاح ثورتهم على القرامطة عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م حتى سقوطهم في الأحساء على يد قبيلة بني عقيل عام ٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠م، وفي أوال على يد أتابكة فارس السلغوريين عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م. سوف نشرح التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت هذه الإمارة الجديدة، والعلاقة بين أمرائها والفروع الأخرى للأسرة الحاكمة، وكذلك العلاقة بين العيونيين وقبيلة العقيليين التي شكلت الخصم السياسي الرئيس للأمراء.

يتمحور الموضوع الثاني حول العلاقات الخارجية للإمارة، حيث نناقش ونفند حجج المؤرخين المعاصرين المتعلقة بعدد من المسائل التي تولدت مبدئيا عن فهمهم للإقليم بوصفه ساحة صراع بين العباسيين والسلاجقة السنة من جهة والفاطميين الشيعة من جهة أخرى. نعيد النظر هنا في مسألة وجود علاقة في الفترة التأسيسية للإمارة بين الأمير عبد الله بن علي العيوني والخليفة الفاطمي في القاهرة، فنقترح أن الوثيقة التي بنى عليها المؤرخون المعاصرون وجهة نظرهم حول علاقة سياسية ودينية مفترضة بين الفاطميين وعبد الله بن علي العيوني إنما هي إشكالية على الأرجح، لأنها سابقة على الحادثة الفعلية الموصوفة فيها بما لا يقل عن ستة أشهر. كما نحاول في هذا الفصل إعادة تفسير العلاقة بين الإمارة والسلاجقة، فنعيد النظر في الفرضية التقليدية التي تزعم اهتمام السلاجقة بالإقليم، ونرى أن السلطان السلجوقي

لم يُبدِ أي التزام تجاه البحرين أو تورط في شؤونه على الرغم من اتصال العيونيين بالسلاجقة ووصول حملة عسكرية تركمانية تعاونت معهم. لقد أساء المؤرخون المعاصرون فهم الحملات العسكرية التركمانية التي جاءت إلى البحرين، فاعتقدوا أنها أُرسلت بموجب تعليمات من السلطان السلجوقي. وعلى الأرجح، لم يكن الإقليم مغريا للسلطان، لكنه كان كذلك بالنسبة للقادة التركمان الساعين وراء مصالحهم السياسية والاقتصادية الخاصة، فحاول بعضهم تأسيس دولته المستقلة في منطقة بعيدة نسبيا عن العراق وإيران. وقد شاع هذا النمط من المبادرات التركمانية في تشكيل دول مستقلة بعد معركة ملاذكرد عام ١٠٧١م، فتركزت دولهم في الأناضول والشام. ونرى، خلافا لما يعتقده المؤرخون المعاصرون، أن سيطرة سلاطين السلاجقة على القوات التركمانية المساعدة لهم لم تكن مركزية للغاية، وعملياتهم السياسية والعسكرية لم تكن مدفوعة كليا بالحماس الديني السني.

يتعلق الموضوع الثالث بالمؤسسات السياسية والعسكرية للإمارة، فنستفيض في نقاش الهيئات الإدارية التي أسسها أو تبناها العيونيون، ونستقصي أساليب عملها، ونحاول فهم طريقة تشكيل الجيش. كما نتناول آلية توزيع السُلطة، والسياسة الزراعية للإمارة.

يبدو أن الإمارة ضمت ثلاث قوى رئيسة: الأسرة العيونية الحاكمة، والبدو، ولا سيما قبيلة العقيليين، والتجار وملاك الأراضي الذين كانوا مؤثرين في المشهد السياسي ويظهر دورهم الحاسم في الفترات الحرجة. ومن أجل الحفاظ على مراكزهم، اضطر الأمراء، خصوصا الأقوياء منهم، إلى محاولة فرض سيطرتهم على البدو والتجار. ونرى في هذا السياق أن الأمراء الأوائل الأقوياء قد نجحوا في المرحلة التأسيسية للإمارة في السيطرة على اللاعبين السياسيين الآخرين، لكن خلفاءهم اللاحقين، خاصة في الأحساء والقطيف،

تنازلوا عن هذا التفوق ليصلوا إلى نهايتهم لاحقا عندما فقدوا السيطرة على البدو الذين تلقوا دعم التجار.

تيمنا بالمديرس، اعتمد المؤرخون المعاصرون تقسيما رباعي المراحل لتاريخ الإمارة العيونية، سنتبنى جزأه الأكبر في بحثنا هذا: (١) المرحلة التأسيسية؛ (٢) مرحلة الانقسام السياسي؛ (٣) مرحلة إعادة التوحيد؛ (٤) مرحلة الاضمحلال والسقوط. يتناول هذا الفصل المرحلة التأسيسية التي بدأت مع عبد الله بن علي العيوني وانتهت مع حفيده محمد بن الفضل (١٠٧٧-١١٣٠/ ٤٠)، فيما يركز الفصل التالي على بقية المراحل.

٢ - خلفية الأسرة العيونية ونسب المؤسس عبد الله بن علي العيوني

انتمت الأسرة العيونية إلى قبيلة عبد القيس، وجاءت في الأصل من واحة العيون الواقعة على بعد ٢٥ كم شمالي الأحساء، حيث عملوا ملاكا زراعيين في فترة القرامطة. وتذكر بعض أبيات ابن المقرب أن إبراهيم، جد الأسرة، لم يكن بحريني الأصل. وبموجب الباحث عبد الخالق الجنبي وزملائه، كانت بعض الفروع القبلية لعبد القيس قد استقرت في عمان، ولعل إبراهيم كان واحدا منهم قبل هجرته إلى البحرين.[١٦٢]

ويبدو أن العيونيين (أو آل إبراهيم كما كان يتعارف عليهم) لعبوا دورا بارز الأهمية في دولة القرامطة (٨٩٩-١٠٧٧م) قبل أن يأسسوا إمارتهم الخاصة

(١٦٢) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٠٧، ١١٥٠، حاشية ١٥٩٦؛ البكري، *معجم ما استعجم*، ج١، ص٨٠-٨٢. وانظر كذلك:

Ahmad Soud al-Hasan. ‘The Tribe of ‘Abd Al-Qays in Pre-Islamic and Early Islamic Times to the End of the Umayyad Period’ (PhD Diss., The University of Manchester, 1990).

في الأحساء، إذ شغل بعضهم مناصب عسكرية وإدارية ومالية، كجامعي ضرائب وولاة وقادة عسكريين، خاصة في البحرية. ومن الأمثلة على ذلك القائد العسكري بشر بن مفلح العيوني الذي حارب الثائر أبا البهلول العوام الزجّاج عام ١٠٥٨ م.[١٦٣]

وبعد أن دب الضعف في نظام القرامطة نتيجة الأزمات المتعاقبة من تراجع عسكري وسياسي وانكماش اقتصادي ومعارك متكررة مع بدو بني المنتفق، بالإضافة إلى صعود السلاجقة وهيمنتهم على الخلافة في بغداد،[١٦٤] تزعمت الأسرة العيونية مجموعات أخرى حضرية وبدوية وحاصرت الأحساء بالتزامن مع ثورتي آل الزجاج في أوال وآل عياش في القطيف.[١٦٥]

ومن بين هذه الإمارات البحرينية الثلاث المناهضة للقرامطة برهنت العيونية أنها الأنجح والأطول أجلا، إذ عمرت حوالي ١٦٠ عاما. وقاد مؤسسها عبد الله بن علي العيوني، بالتعاون مع أسرته الكبيرة والمتماسكة، تحالفا من القبائل البحرينية الصغرى والمؤيدين التركمان من العراق، فتمكنوا من إسقاط القرامطة في حصنهم الأخير في الأحساء ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م بعد حصار دام ستة أعوام.[١٦٦]

ولا بد لنا بداية من تحديد نسب المؤسس، إذ يساعدنا هذا على فهم صلة القرابة التي جمعته بالشاعر علي بن المقرب صاحب الديوان الذي يعد

(١٦٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٥٠.

(١٦٤) لقد أحسن القادة البحرينيون كذلك استخدام دعاية السلاجقة التي صوروا فيها أنفسهم أهل سنة ورعين، فوظفوها قاعدة لطلب الدعم العسكري ضد القرامطة.

(١٦٥) انظر الفصل الثاني الذي يناقش انتكاس القرامطة اقتصاديا وثورتي العوام في أوال وابن عباس في القطيف.

(١٦٦) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٦١، ٩٦٧.

المصدر الرئيس لتاريخ العيونيين. توضح لنا هذه العلاقة النَسَبية مدى أحقية الشاعر في المطالبة بالعرش، الأمر الذي ربما انعكس بدوره على طريقة تقديمه لتاريخ العيونيين ووصفه لأمرائهم.

نحن على يقين من الاسم الأول للمؤسس واسمي أبيه وأسرته، ومن انتمائه القبلي المباشر والواسع، بالإضافة إلى نسبته (تشتق عادة من مكان الولادة أو الإقامة أو اسم القبيلة). واسمه على النحو الآتي: عبد الله بن علي من آل إبراهيم من عائذة بن مرة بن عامر بن الحارث[١٦٧] العبدي (نسبة إلى قبيلة عبد القيس) العيوني (نسبة إلى قرية العيون الصغيرة التي كانت تقع إلى الشمال من الأحساء، شمالي الهفوف حاليا). لكن اسمي جده وأبي جده محل جدل بين المؤرخين، فقد استنتج معظمهم من *شرح ديوان ابن المقرب* أن اسم جده هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد، وبموجبه يكون الشاعر سليل المؤسس أيضا.

وفي المقابل، يرى الجنبي ومن معه من محققي *شرح ديوان* أن الشاعر لم يكن سليل المؤسس، معتمدين في ذلك على أبيات شعرية صريحة، واقترحوا أن المؤسس وجده حملا الاسمين الأول والثاني نفسيهما، وبالتالي يكون الاسم الكامل: عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي (الجد) بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم. ويفيدنا في هذه المسألة هذان البيتان وشرحهما:

لأَنَّ عليا جــدَّهُ عمّــيَ الـذي يَطـول به بيتــي علـى من يُطـاول

وضَبَّار جَدّي عَمُّه وكلاهمـا خليصان والعَـمُّ المُهَـذّب ناجـل

«قوله: "لأن عليا جده عمي"، و "وضبار جدي عمه" لأن علي بن عبد الله

(١٦٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٨١ ج٢، ٨١٢.

والد الأمير عبد الله بن علي هو وضبار أخوان، وهما ابنا عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد». (١٦٨) بموجبه يكون الشاعر سليل جد المؤسس الذي حمل اسم عبد الله بن علي أيضا. (١٦٩)

خط زمني بالحوادث الرئيسة التي شهدتها الإمارة العيونية

١٠٧٧م	سقوط القرامطة وتأسيس الإمارة العيونية في الأحساء بعد معركة الرحلَيْن.
١٠٧٧/ ٧٨م	تشتيت فلول القرامطة وحلفائهم من بني عامر ربيعة في المعركة بين نهري مُحَلِّم وسُلَيسل.
١٠٧٨م	انقلاب العيونيين على بقايا جيش الأرتقيين التركمان وطردهم.
١٠٧٩م	غزو خمارتكين التُتُشي الفاشل للأحساء (نسبة إلى تُتُش بن ألب أرسلان، سلطان دمشق ومؤسس سلاجقة الشام).
١٠٨١م	غزوة القاروتي الفاشلة.
١٠٨٧م	غزو ركن الدولة الأرتقي الفاشل بعد حصار دام عاما وهزيمته في معركة باب الحديد.
ثمانينيات القرن ١١	الحرب بين عبد الله العيوني وزكري آل عياش. ومعارك ناظرة وأوال والقطيف التي أسفرت جميعا عن انتصار العيونيين وإخضاع إقليم البحرين برمته.
١١٢٤/ ٢٥م	توسيع مسجد الخميس في أوال وبناء المئذنة الأولى في عهد أبي سنان محمد بن الفضل.
١١٤٠–١١٩٠م	مرحلة الانقسام السياسي للعيونيين في مدن البحرين الثلاث بعد اغتيال الأمير أبي سنان.

(١٦٨) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٦٣٧، وانظر كذلك الحاشية ١٧٩٨ في الصفحة نفسها.

(١٦٩) انظر شجرة نسب العيونيين في الملحق.

١١٥٤م	غزو الملك القيسي باكزرا جزيرة أوال ونهبها وبقاؤه فيها لبعض الوقت قبل المغادرة. وبعد بضعة أعوام، قام بغارات أخرى على الجزيرة.
١١٧٠م	نجاح الأمير علي بن الحسن بن عبد الله وأخيه الزير في استعادة أوال من الملك القيسي باكزرا في معركة وتمكنهما من أسر أخيه بَمسار.
١٢٠٠-١٢٢٠م	فترة تعافي الإمارة وإعادة توحيدها بزعامة شُكر بن منصور وخليفته محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي الذي طور الجيش وتحالف سياسيا مع الخليفة العباسي الناصر وقدم له خدمات عسكرية تخص حماية طرق الحج.
١٢٢٠-١٢٣٦م	مرحلة اضمحلال الإمارة.
حوالي ١٢٢٨م	خسارة الأمير العيوني في الأحساء، أبي القاسم مسعود بن محمد بن أبي منصور، حكمه إلى الأبد لصالح الأمير العقيلي عصفور بن راشد.
١٢٢٩م	احتلال الملك الهرمزي أبي المظفر جزيرة قيس وإرساله موظفا تابعا له لجمع الضرائب من أوال العيونية الخاضعة لحكم الأمير منصور بن علي.
١٢٢٩م	تصدي الأمير محمد بن محمد العيوني لغارتين بحريتين شنهما السلغوريون على القطيف.
١٢٣١م تقريبا	استعادة الأمير محمد بن محمد أوال من السلغوريين.
١٢٣٣م	خسارة الأمير محمد بن محمد حكم القطيف لصالح العقيليين.
١٢٣٥م	زيارة الأمير محمد بن محمد العيوني للخليفة العباسي المستنصر في بغداد ربما بهدف عرض التحالف ووضع إمارته تحت الحكم العباسي لحمايتها من السلغوريين التركمان في فارس.
١٢٣٦م	سقوط الحكم العيوني في أوال على يد السلغوريين الذين قتلوا الأمير محمد.

الشكل (٩): خط زمني للحوادث الرئيسية التي شهدتها الإمارة العيونية.

قائمة بالأمراء العيونيين في إقليم البحرين[(١٧٠)•]

مرحلة التأسيس والقوة والوحدة ١٠٧٧-١١٤٠م

* عبد الله بن علي العيوني (حكم ٦٠ عاما هجريا، ١٠٧٧-١١٣٥/ ٣٦)

* الفضل بن عبد الله بن علي (حكم ٧ أعوام هجرية في حياة والده)

* أبو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله (حكم مدة ١٨ عاما هجريا. واسمه منقوش على حجري بناء منارة مسجد الخميس عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م)

مرحلة الانقسام السياسي (دويلات المدن العيونية) حوالي ١١٤٠-١٢٠٠م

في الأحساء	في القطيف وأوال
* أبو منصور علي بن عبد الله (؟)	* أبو علي الحسن بن عبد الله بن علي (حكم ١١ عاما، وضُربت النقود باسمه بين ١١٤٩-١١٥٤م)
	* غرير بن الفضل (حكم القطيف فقط لفترة مجهولة)
* أبو ماجد محمد بن منصور بن علي بن عبد الله (؟)	* عزيز بن مقلد بن عبد الله بن علي (حكم القطيف مدة ٧ أعوام)
	* هجرس بن محمد بن عبد الله (حكم عاما واحدا)
	* شكر بن الحسن بن عبد الله بن علي (حكم ١٨ عاما)
	* علي بن الحسن بن عبد الله بن علي (؟)
	* الزير بن الحسن بن عبد الله بن علي (حكم أكثر من عامين)
	* محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل (حكم أقل من عام، وهي فترة حكمه للمرة الأولى)
	* النقيب العلوي في القطيف (حاكم مؤقت لـ ٤٠ يوما)
	* المسيب من آل عبد الله [العيوني] (حكم شهرين)
	* حسن بن شكر بن [الحسن] بن عبد الله بن علي (حكم أكثر من ٣ أعوام)

(١٧٠) •إن تواريخ عهود الأمراء غير متوفرة في مصادرنا. ومع ذلك، يقدم ملحق *شرح ديوان* قائمة بأسماء الأمراء ويزودنا بفترات حكم بعضهم فقط. ويبدو أن معلومات مؤلف الكتاب حول أوال والقطيف كانت تفوق معلوماته حول الأحساء. انظر: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٥-١٢٩٦. وقد حاول الجنبي وزملاؤه تصويب بعض الأسماء والتواريخ والعثور على تفاصيل أكثر حول هؤلاء الأمراء في *شرح ديوان*. كما حاول المديرس أن يستنتج تواريخ عهود الأمراء بحساب السنوات المتوفرة ابتداء من عام ١٠٧٦م، لكن هذه الطريقة لم تأت بنتائج دقيقة، ذلك إن القائمة لا تزودنا بفترات الأمراء كلهم، ولا يمكن ضمان دقة ما في هذه القائمة.

<table>
<tr><th colspan="2">مرحلة التعافي وإعادة التوحيد حوالي ١٢٠٠-١٢٢٠م</th></tr>
<tr><td colspan="2">❋ شكر بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي في القطيف وأوال (حكم ٧ أعوام)
❋ محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل (فترة حكمه للمرة الثانية، حكم ١٨ عاما هجريا، وعاصر الخليفة العباسي الناصر ١١٨٠-١٢٢٥م)</td></tr>
<tr><th colspan="2">مرحلة الاضمحلال والسقوط ١٢٢٠-١٢٣٦م</th></tr>
<tr><td>❋ محمد بن ماجد بن محمد بن عبد الله
❋ أبو منصور علي بن ماجد (؟)
❋ علي بن الحسن بن عبد الله بن علي (؟)
❋ مقدم بن عزيز بن الحسن (؟)
❋ أبو القاسم مسعود بن محمد بن أبي منصور علي (حوالي ١٢٢٩م)</td><td>❋ غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن عبد الله (حكم عاما واحدا)
❋ فضل بن محمد بن أحمد (أكثر من ١٠ أعوام)
❋ مُقَلَّد/ مُقدَّم بن ماجد بن محمد (؟)
❋ فضل بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل (٣ أعوام)
❋ جعفر بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل (؟)
❋ محمد بن مسعود بن أحمد بن الفضل (عامين ونصف)
❋ منصور بن علي بن ماجد بن محمد بن علي (٣ أعوام ونصف، حوالي ١٢٢٩م)
❋ محمد بن محمد بن ماجد بن محمد (حوالي ٣ أعوام في القطيف و٥ أعوام في أوال، وتلقى الهزيمة التي أنهت الدولة العيونية عام ١٢٣٦)</td></tr>
</table>

الشكل (١٠): قائمة بالأمراء العيونيين في إقليم البحرين.

٣ - فتح الأحساء: القرامطة تحت حصار تحالف عسكري بقيادة العيوني

في حوالي عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م، بدأت الأسرة العيونية بقيادة مالك الأراضي الثري عبد الله بن علي آل إبراهيم وبالتعاون مع عدد من قبائل الإقليم الصغرى المهمشة بفرض حصار على الأحساء عاصمة القرامطة الذين تحالفوا مع قبيلة عامر ربيعة المحلية وبعض القبائل الأزدية، مثل عتيك وحُدّان، اللتين أُشرِكَتا في حكومة القرامطة. ويروي شارح *ديوان ابن المقرب* أن عدد من بقي من رجال أسرة الجنابي ثمانون.(١٧١) وقد استمر الحصار لمدة ستة أعوام، اضطر خلالها العيوني إلى بناء قاعدة عسكرية صغيرة بجانب سور الأحساء ليشرف من خلالها على عملية الحصار.

يتضمن شرح *ديوان ابن المقرب* نسختين مختلفتين للقصة المتعلقة بالأطراف التي وقفت إلى جانب العيونيين في قتالهم القرامطة: واحدة في القصيدة وأخرى في الشرح. من جهة، يحاول الشارح أن يصور عبد الله بن علي كأحد أشجع المحاربين في التاريخ العربي، إذ تمكن مع ٤٠٠ جندي فقط من هزيمة القرامطة وقبيلة عامر ربيعة وبعض القبائل اليمنية مجتمعين.(١٧٢) وقد تم تبني هذه النسخة للقصة من قبل بعض المؤرخين الحاليين. ويرى المديرس أن عبد الله كان مترددا في التعاون مع القبائل التي ربما رفضت زعامته وأنها كانت متحالفة مع القرامطة بالفعل.(١٧٣) وقد اختار الملا قبول هذه النسخة للأحداث أيضا، مقترحا أن العيوني لم يكن قائدا مشهورا بين قبائل البحرين لأنه لم يحقق أي نجاح عسكري بعد.(١٧٤)

(١٧١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٤٩، ١١٠٧-١١٠٨، ١٢٤٧.

(١٧٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٥١-٩٥٢.

(١٧٣) عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص٨٥.

(١٧٤) عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية*، ص١٤٨.

وفي المقابل، تصرح أبيات إحدى قصائد علي بن المقرب أن أسرة العيوني وبعض القبائل الجزيرة العربية، بما فيها قبائل أزدية، وافقت على عبد الله بن علي العيوني ليكون زعيما لها ضد القرامطة ليشكلوا جبهة واسعة.[١٧٥] وهذه المعلومة أكثر إقناعا مما جاء في النسخة السابقة الذكر القائمة على مبالغة واضحة هدفها إعطاء عبد الله بن علي وحده دور البطولة والتقليل من شأن مساهمة القبائل الأخرى. وتتطابق نسخة ابن المقرب للقصة مع الوقائع المتعلقة بصعوبة الحصار وطول مدته (٦ أعوام) وبعدد القرامطة وحلفائهم، خلافا للرواية التي تزعم أن ٤٠٠ جندي فقط كان بمقدورهم تحقيق الحصار والفتح.

لا تحدد القصيدة أو الشرح أسباب التحالف القبلي بقيادة عبد الله بن علي العيوني. وإذا أخذنا هذه الثورة بوصفها واحدة من سلسلة الثورات التي قامت في إقليم البحرين، فلعلنا نتسائل لم تطلبت إذاً نمطا من التحالف لم تشهده ثورتا القطيف وأوال؟

ولنا أن نفترض أن فتح الأحساء كان أكثر تعقيدا من بقية مدن البحرين لأسباب عدة. أولا، اتخذ من هذه المدينة مقرا للسلطة المركزية لحكم القرامطة وإقامتهم، فتفوقت نسبيا على القطيف وأوال من ناحية القوة والثروة. ثانيا، كانت الأحساء محاطة بالصحراء، حيث تحكمت القبائل بجميع الطرق التي ربطتها بالعالم الخارجي. ثالثا، وبشكل عام، كان موقف المجتمع القبلي العربي وتقاليده وممارساته أميل إلى العصيان ضد السلطة الضعيفة، ولا سيما إذا عانت هذه السلطة من عجز كبير ونقص في الموارد المالية. وفي حالة القرامطة، فقد خسروا بالفعل جزيرة أوال والقطيف وما ترتب على ذلك

(١٧٥) تعد هذه القصيدة، التي تعرف بالميمية، أهم قصائد المديح لعلي بن المقرب العيوني، وقد ألقاها في بغداد عام ١٢١٥ م. ويمجد فيها أسرته ويسرد قصة الإقليم، بما في ذلك سقوط القرامطة وثورتي العوام وابن عباس والجيوش التركمانية. انظر: مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٤٣-٩٤٥، وانظر القصيدة وشرحها في ج٢، ص٩٢٠-١٠٤٠.

من عائدات الضرائب واللؤلؤ وإيرادات التجارة البحرية وإن كانت قليلة. وبموجبه، التفّت مجموعة من القبائل التي ربما أهملها القرامطة حول زعيم محلي حضري وغني اعتقدوا أنه قادر على تنظيمهم وقيادتهم للتغلب على القرامطة وأخذ مكان القبائل التي اعتمد عليها القرامطة في حماية القوافل وطرق التجارة، كقبيلة عامر ربيعة.(١٧٦)

٤ - أرتق بك وجماعته التركمانية وطبيعة حملاتهم العسكرية إلى البحرين

لقد أضعف حصار الأعوام الستة القرامطة بشكل ملحوظ، لكنه فشل في اجتثاثهم أو إجبارهم على الاستسلام، ربما بسبب اكتفائهم الذاتي داخل الأحساء التي تتوافر فيها مصادر المياه العذبة والإنتاج الزراعي والحيواني، إلى أن تلقى العيوني وتحالفه القبلي دعما عسكريا إضافيا من قائد تركماني يدعى أُرتُق بك، وصل من العراق مع جيش من ٧ آلاف جندي، على رأس حملة تركمانية ثانية بعد حملة كجكينا الفاشلة التي سبق أن جاءت إلى آل عياش في القطيف.(١٧٧)

وثمة نسختان أيضا لقصة الحملة الأُرتُقية إلى البحرين، الأولى يقدمها غرس النعمة كما هي مقتبسة في *مرآة الزمان* لسبط بن الجوزي، والثانية واردة في شرح *ديوان ابن المقرب*. تختلف النسختان في طول السرد والتفاصيل. لا يتضمن السرد المختصر لغرس النعمة تفاصيل حول دوافع الجيش التركماني في السير إلى القطيف أو الأحساء أو حول وجود أية مراسلات أو ترتيبات سابقة بين التركمان وعبد الله بن علي العيوني. وبموجب هذا المصدر، يعرف علي بن

(١٧٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٥٨، ٩٦٨.

(١٧٧) ناقشنا هذه الحملة في الفصل الثاني.

عبد الله بـ «الغنوي»، ربما نتيجة خطأ ارتكبه ناسخ المخطوط. وهو موصوف أيضا، من باب الخطأ، بأنه سليل أبي البهلول أو ابنه، أي الثائر في أوال وحاكمها فيما بعد.[١٧٨] وتتفق تتمة القصة مع تلك الواردة في شرح *ديوان ابن المقرب*.

وتفيدنا النسخة المفصلة للسرد في شرح *ديوان ابن المقرب*، وهو مصدر لاحق لعمل سبط بن الجوزي، بأن العيوني أرسل في العام السادس للحصار (٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م) مبعوثيه لنقل رسالة إلى السلطان السلجوقي جلال الدولة ملكشاه (توفي ١٠٩٢م) ووزيره نظام الملك (توفي ١٠٩٢م) بهدف إنجاز صفقة سياسية. وقد سعى آنذاك إلى الحصول على دعم عسكري من السلاجقة لمساعدته على اجتثاث القرامطة وحلفائهم من الأحساء، على أن يقوم بدوره بذكر اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في خطبة صلاة الجمعة في الأحساء. ونتيجة لذلك، وصلت حملة عسكرية بقيادة أُرتُق إلى البحرين. ويكتب الشارح: «وبعث السلطان إليه من الجند سبعة آلاف فارس من العجم، وسار بهم أكسك سلار الملقب أرتق بك...».[١٧٩]

يقرأ معظم المؤرخين المعاصرين للعيونيين الاقتباس أعلاه بشكل حرفي، ويرون أن جيوش العراق التي جاءت لدعم العيونيين هي قوات سلجوقية، أي تابعة للسلطة المركزية للسلطنة.[١٨٠] ولعلهم ساروا على خطى الشارح الذي

---

(١٧٨) سبط بن الجوزي، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، في *الجامع في أخبار القرامطة*، ص٢٤٧.

(١٧٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٠-٩٦٧.

(180) M. J. de Goeje, ‘La fin de l’empire des Carmathes du Bahrain,’ 14; G. Rentz and W.E. Mulligan, ‘al-Baḥrayn’ *EI*²;

عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص٨٦-٩٧؛ محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية* (٤٦٩-٩٦٣ هـ/ ١٠٧٦-١٥٥٥م) (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦)، ص٩١-١٠٣؛ وكتب كلود كيهِن أن «أرتق أخضع القرامطة لحكم ملكشاه»، انظر:

Claude Cahen, ‘Artukids’, *EI*².

كتب عن الحادثة بعد مضي ٢٠٠ عام من وقوعها، فوصف ما فهمه من رد فعل على طلب العيونيين المساعدة من بغداد. في المقابل، يرى ماديلونغ، ومؤخرا بيكوك، أن هذه الجيوش لم تكن قوات سلجوقية، بل تركمانية.(١٨١)

ولا أميل شخصيا إلى قراءة ما جاء في *شرح ديوان* حرفيا، إنما أقدم تفسيرا بديلا: سار أرتق بك وتركمانه إلى البحرين بمبادرة خاصة على الأرجح، لا تلبية لأوامر السلاجقة الذين ربما لم يعتبروا الإقليم بالأهمية الجغرا-سياسية نفسها للعراق وإيران. لقد فضل السلاطين السلاجقة ترك هذا الصنف من المناطق الطرفية للقادة التركمان/الأوغوز من جيوشهم التابعة ليغزوها ويأسسوا فيها حكما ذاتيا. وعُرف بعض حكام هذه المناطق الطرفية لاحقا باسم الأتابكة.(١٨٢) ويبدو أن إقليم البحرين كان محل اهتمام كبير لعدد من الأسر/القبائل والقادة التركمان الذين أيدوا سلاطين السلاجقة وعملوا على خدمتهم، مثل كجكينا والأسرة الأُرتقية وخُمارتكين وقاروت بك.

ونفترض، بموجب قراءة متأنية لتفاصيل الحملات المسرودة في *شرح ديوان*، أن القادة التركمان الأربعة كانوا أعضاء وثيقي الصلة من الأسرة نفسها: أرتق بك وأبوه أكسب أو أكسك، وأخوه البُغوش بن أكسب، وركن الدولة الذي يقترح الجنبي أنه حفيد أرتق: ركن الدولة داوود بن سُقمان بن أرتق.(١٨٣) وبموجب كيهن، انتمى أرتق إلى قبيلة دوغر التركية المتفرعة عن الأوغوز. وقد خدم السلطان ملكشاه (١٠٧٢-١٠٩٢م)، فساعده وقبيلته في غزو مناطق عدة، ثم ما لبث أن انفض عنه بعد خلاف كبير والتحق بأخي

(181) W. Madelung, 'Ḳarmaṭī', EI². Andrew Peacock, *The Great Seljuk Empire* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2015), 61.

(182) Claude Cahen, 'Atabak', *EI*².

(١٨٣) مجهول، *شرج ديوان*، ج٢، ص٩٧٨، حاشية ٩٧٠؛ وانظر كذلك شجرة نسب الأسرة الأرتقية في الملحق.

السلطان، تُتُش في الشام عام ١٠٧٩م.[١٨٤] أما ابنه سقمان بن أُرتُق، فأسس دولة في ديار بكر عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م، دامت سلالتها مدة ستة قرون.[١٨٥]

بالإضافة إلى الأدلة التفصيلية، ثمة خمسة أسباب تدعم التفسير القائل بعدم توجه الحملات العسكرية الأرتقية إلى البحرين نزولا عند أوامر سلاطين السلاجقة، بل ربما بوصفها مشروعا سياسيا واقتصاديا للأسرة التركمانية.

كانت هذه المحاولة السياسية والعسكرية مشابهة لمشاريع عدة لقادة تركمان (أوغوز) آخرين سمح لهم السلطان السلجوقي ألب أرسلان (١٠٦٣–١٠٧٢م) بتأسيس إماراتهم[١٨٦] أو أتابكياتهم الخاصة في الأناضول ومناطق أخرى بعد انتصاره على البيزنطيين في ملاذكرد عام ١٠٧١م.[١٨٧] ولم تكن هذه الكيانات مستقلة تماما، بل تمتعت بصنف من الحكم الذاتي.

---

(184) Claude Cahen, 'The Turkish Invasion: The Selchukids' in *A History of the Crusades*, ed. K. M. Setton (Madison: University of Wisconsin Press, 1969), i, 158.

(١٨٥) حول الدراسات المتعلقة بالأسرة الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام، انظر: عماد الدين خليل، *الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام (٤٦٥–٨١٢ هـ/ ١٠٧٢–١٤٠٩م): أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠)؛ وانظر كذلك:

Claude Cahen, 'Artukids', EI^2; Carole Hillenbrand, *A Muslim Principality in Crusader Times: The Early Artuqid State* (Istanbul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1990).

(١٨٦) ربما كان إقسيس أو أتساز بن أبق أول قائد أسس إمارته الخاصة في دمشق عام ١٠٧٦م بعد أن هزم الفاطميين في الشام. وقد قام بحصار القاهرة بعد ذلك، لكنه هُزم في نهاية المطاف وعاد إلى الشام، حيث تعقبه الجيش الفاطمي وحاصره في دمشق، فاضطر إلى طلب النجدة من تتش أخي ملكشاه، فوصل تتش وقتله وأعلن نفسه أميرا. انظر: عز الدين بن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تحقيق محمد الدقاق (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ج٨، ص٤١٠، ٤١٢، ٤١٨.

(187) Songul Mecit, *The Rum Seljūqs: Evolution of a Dynasty* (London: Routledge, 2014), xiv, 28.

أولا، موّل أرتق حملته بنهب المدن والبلدات التي مر بها جيشه في طريقه إلى البحرين، متجاهلا خصوعها للسلاجقة، فقد نهب البصرة كما يذكر مصدرانا، شرح *ديوان ابن المقرب*(١٨٨) و *مرآة الزمان*.(١٨٩) ولا دليل لدينا على حصول الأرتقيين على الدعم المالي والعسكري من السلطات المركزية السلجوقية، ما يوحي بعدم مباشرتهم حملة «نظامية» أو تلقيهم تمويلا من السلطة المركزية للسلاجقة التي اعتمدت على جيش الغلمان في غزواتها.(١٩٠)

ثانيا، إذا استثنينا التقرير الموجز والأقدم في *مرآة الزمان* لسبط بن الجوزي حول سير أرتق إلى البحرين، الذي يخلو من أية إشارة إلى صلة بالسلاطين السلاجقة، فإن المصادر التاريخية الأخرى المكرسة للسلاجقة لا تأتي على ذكر هذه الحملات كما فعلت مع العديد من الفتوحات السلجوقية.(١٩١) وهذا

---

(١٨٨) يقول شارح الديوان: «ونزل في طريقه البصرةَ، فخسف فيها أصحابُه، ونهبوا ورعوا ما مروا به من زروعها، وغلقت الأسواق فيها والدروب، وسدت أبواب الدور، وأقاموا ثلاثة أيام لا يخرجون يسقون الماء، فخرج إليه منهم من خاطبه على فعله وسأله الرجوع إلى ما هو الأليق به، فقال: ما يمكن المسير إلى الأحيتء وتلك الأعمال إلا أن تعطوني على ما عندي ألف جمل وخمسمائة راوية وخمسمائة منّا دقيقا، ومثلها شعيرا، ومثلها تمرا، وعشرة آلاف دينار أفرقها بين أصحابي...» انظر مجهول، شرح *ديوان*، ج. ٢، ص ٩٦٢.

(١٨٩) سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، ج ١٩، ص٣٢١.

(١٩٠) بخصوص الجنود الغلمان، انظر:

A.C.S. Peacock, *Early Seljūq History: A New Interpretation* (London: Routledge, 2010), 94-98.

(١٩١) انظر المصادر الأولية الرئيسة حول السلاجقة: ظهير الدين نيشابوري، *سلجوقنامه*، تحقيق آيش مورتون (ورمنستر: بنياد يادگار إي. جي. دابل يو، ٢٠٠٤)؛ الفتح البُنداري، *كتاب تاريخ دولة آل سلجوق* (باب الخلق [القاهرة]: شركة طبع الكتب العربية، ١٩٠٠)؛ وعز الدين ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*:

Ibn al-Athīr, *The Annals of the Saljuq Turks: Selections from al-Kāmil fiʾl-Tārīkh of ʿIzz al-Dīn ibn al-Athīr*, trans. D.S. Richards (London: Routledge Curzon, 2002).

دليل على أن الحملات الأرتقية لم تكن مرتبطة بسلاطين السلاجقة الذين كانوا موضوعا لأخبار المؤرخين. ويوجد الكثير من المعلومات حول تعامل الأرتقيين مع السلاجقة، تتعلق، على سبيل المثال، بالمناصب التي شغلوها والمنح التي تلقوها،(١٩٢) لكن لا شيء تقريبا حول عملياتهم في البحرين.

ثالثا، كان أرتق خلال فترة توغل جيشه في البحرين حاكما لحلوان والجبل (بقرب ديالا في العراق). ويذكر ابن خلكان أنه أخضع هاتين المدينتين بالقوة ولم تعطيا له (كـ قطيعة، أي هبة، يفترض أنها من السلاجقة).(١٩٣) وعليه أقترح أن الأرتقيين سعوا إلى تأسيس سلالة حاكمة خاصة بهم في منطقة بعيدة نسبيا عن مدن السلاجقة الكبرى، فاختاروا إقليم البحرين. والدليل الظرفي على هذه الفرضية هو أن الأسرة نجحت، على إثر فشلها في البحرين، في تأسيس دولة مستقلة في ديار بكر بزعامة سقمان بن أرتق عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م، حيث دامت سلالتهم مدة ستة قرون.(١٩٤)

رابعا، إن تصوير السلاطين السلاجقة قادرين على ممارسة سيطرة كاملة على قواتهم التركمانية وفرض سلطة مركزية صارمة عليها لأمرٌ إشكالي وغير واقعي كما تبين الدراسات الأحدث. تشير تحليلات أوميد صافي وأندرو بيكوك إلى أن القبائل التركمانية وسلاطين السلاجقة لم يتصرفوا كطرف واحد وينشدوا المصالح ذاتها دائما. وقد عبَّر بيكوك أنه: «لا يمكننا الحديث عن التركمان المرتبطين بالأسرة السلجوقية بوصفهم وحدة متماسكة

(١٩٢) عز الدين بن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج٨، ص٤٣٣.

(١٩٣) أحمد بن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)، ج١، ص١٩١.

(١٩٤) انظر: عماد الدين خليل، *الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام*؛ وكذلك:
Claude Cahen, ‘Artukids’, *EI2*.

تعمل بموجب اتفاق واحد، إما انسجاما مع رغبات السلاجقة أو ضدها»، ويضيف «كان للجماعات التي اندمجت لتشكل ما يمكننا تسميتها القبائل السلجوقية مصالحُها الذاتية الخاصة أولا وقبل كل شيء».[١٩٥] وكما برهن أوميد صافي، فقد اضطر سلاطين السلاجقة إلى خوض صراع مع زملائهم التركمان الحريصين على نهب مدن خراسان وافتقروا إلى السيطرة الكاملة على أفعالهم.[١٩٦]

خامسا، كان ولاء أرتق لملكشاه مضطربا. وقد تجلت طموحاته السياسية المستقلة عندما خطط مع أمير الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي لهجر السلاجقة وإبرام صفقة مع الفاطميين على إثر خلاف مع ابن جهير وزير ملكشاه بخصوص غنائم ديار بكر وأسراها عام ١٠٨٤م. وبموجب المعلومات الفريدة التي يزودنا بها سبط بن الجوزي حول أرتق وشرف الدولة، حاول الأول إقناع تُتُش بالانضمام إليهما، لكن المفاوضات مع الفاطميين توقفت بمقتل شرف الدولة في معركة ضد قتلمش عام ١٠٨٥م. ومع ذلك، واصل أرتق نهب أراضي ملكشاه الذي نشد الصلح معه بأن قدم له المال والهدايا، فرفض. توقف أرتق عن النهب فيما بعد، لكنه أعلن رفضه الانضمام إلى ملكشاه لعدم ثقته به.[١٩٧] وتتضح الطبيعة المتمردة لشخصية أرتق عندما نتعقب مغامراته العسكرية في البحرين.

وتطرح الدراسات المعاصرة، كأعمال المديرس والملا وخليل، مسألة إشكالية أخرى، إذ يرى هؤلاء المؤرخون أن الحملة أُعِدَّت بأوامر من السلطان

(195) A.C.S. Peacock, *Early Seljūq History: A New Interpretation*, 60.

(196) Omid Safi, *The Politics of Knowledge in Premodern Iran: Negotiating Ideology and Religious Inquiry* (Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 2006), 26-33.

(١٩٧) عماد الدين خليل، *الإمارات الأرتقية*، ص٥٧-٦٥.

السلجوقي ملكشاه بدافع نصرة الإسلام السني في مواجهة الإسماعيلية في إقليم البحرين الذي شكل ساحة صراع بين المذاهب المتناحرة.(١٩٨)

إلا أن مسألة وَرَع السلاجقة وصورتهم كمنافحين عن الإسلام ما زالت محل خلاف بين الباحثين، ولا سيما الأحدث بينهم، وهما: أوميد صافي وأندرو بيكوك اللذان شككا في أن دوافع السلاجقة الدينية طغت على دوافعهم السياسية البحتة. لم ينو الأول التشكيك في ورع السلاجقة على المستوى الشخصي، بل حاول إلقاء الضوء على وظيفة الكتاب اللاحقين لسيرهم الذاتية وبرامجهم. وهو يرى أن السلاجقة لم يكتفوا بنشر القوات العسكرية بهدف الفتوحات والحكم فقط، إنما عملوا أيضا على رعاية العلماء وتأسيس المراكز الدينية التي أضفت الشرعية على وجودهم في المقابل. وهذا ما جعل مؤرخي السلاجقة اللاحقين يَسِمون السلاطين بالورع، فقد كانوا بحاجة إلى تقديم نموذج عن «الحكام المثاليين» لحكامهم آنذاك العاجزين عن ضبط بلدانهم وتوفير السلام والأمن في المجال الديني والاجتماعي والسياسي.(١٩٩) ويرفض بيكوك أيضا الصورة النمطية للسلاجقة والتركمان كسنة ورعين، ويعتقد أنهم كانوا عمليين استخدموا سياسات دينية مختلفة بما يخدم مصالحهم الخاصة. كما قدم أمثلة كثيرة تساعد على إعادة النظر في الرؤية التقليدية.(٢٠٠) ومع أن ديبورا تور تدافع عن الرؤية التقليدية التي تصور سلاطين السلاجقة سنة ورعين على المستوى الشخصي قد تمكنوا من كسر الهيمنة الشيعية في غرب إيران والعراق، لكنها تقر بإساءتهم الفعلية للخلفاء

(١٩٨) محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص١١٤-١١٥، حاشية ٤؛ عبدالرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص٧٨؛ عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية*، ص١٤٨.

(199) Omid Safi, *The Politics of Knowledge in Premodern Iran*, 7-8, 19.

(200) A.C.S. Peacock, *Early Seljūq History*, 99-129, 166-167. Andrew Peacock, *The Great Seljuk Empire*, 250-285.

العباسيين وقلة حماستهم في التصدي للإسماعيلية في نهاية القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر بالمقارنة مع تصديهم لخصومهم الشخصيين من التركمان.(٢٠١)

ويبدو أن الحملات التركمانية تجاوزت دوافع السلاجقة السياسية والدينية. فثمة في الواقع أربعة أطراف اشتركت فيها، ربما كان لكل منها برنامجه الخاص. الطرف الأول هم العيونيون الذين طلبوا دعما عسكريا. الطرف الثاني كان الزعيم التركماني أرتق الطامح إلى الحصول على الأرض والغنائم. الطرف الثالث هم السلاجقة الذين سعوا غالبا إلى التخلص من القادة التركمان الطموحين خشية منافستهم المحتملة في سياسات إيران والعراق أو لمجرد عجزهم عن السيطرة عليهم.(٢٠٢) أضف إلى ذلك أن السلاجقة لم يكونوا مهتمين بالبحرين، وخطر القرامطة كان قد تلاشى قبل الفتح السلجوقي للعراق عام ١٠٥٥ م. أما الطرف الرابع والأخير فهو الخليفة العباسي المقتدي (حكم بين ١٠٧٥-١٠٩٤م) الذي ربما حاول بناء علاقة مباشرة ومستقلة مع التركمان من أجل تحقيق توازن مع سلاطين السلاجقة. يرى أوميد صافي في التفاعل بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة نموذجا للتفاوض والصراع على السلطة في آن.(٢٠٣) ويسلط إريك هينّي الضوء على القوة الاجتماعية السياسية المتنامية للعباسيين الأواخر واستقلالهم الذاتي،

(201) D.G. Tor, "'Sovereign and Pious': The Religious Life of the Great Seljūq Sultans" in *The Seljūqs: Politics, Society, and Culture*, ed. Christian Lange and Songul Mecit (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2012), 39-62, esp.54-55.

(٢٠٢) نُقل أرتق عام ١٠٧٩ م إلى الشام للعمل مع تتش. انظر:
Claude Cahen, 'The Turkish Invasion: The Selchukids' in *A History of the Crusades*, ed. K. M. Setton (Madison: University of Wisconsin Press, 1969), i, 158.

(203) Omid Safi, *The Politics of Knowledge in Premodern Iran*, 35-42.

بما في ذلك الخليفة المقتدي.(٢٠٤) ويفيدنا *شرح ديوان* بأن أرتق ذهب إلى مجلس الخليفة [المقتدي] وأبلغ عن إنجازاته الأولية وانتصاراته على القرامطة، فسر الخليفة للأمر وأغدق عليه الهبات وأثنى على جهاده ضد القرامطة الذين وصفهم بالكفار.(٢٠٥)

٥ - التحالف العسكري بين العيونيين والأرتقيين ضد القرامطة

كتب سبط بن الجوزي مقتبسا عن غرس النعمة أن جيشا بقيادة أرتق بك التركماني وأبيه أكسك(٢٠٦) سار في ربيع الآخر عام ٤٦٩ هـ (نوفمبر ١٠٧٦م) من قاعدته في حُلوان إلى البصرة، حيث نهب الجند المدينة وأسواقها. وقد مكثوا هناك حتى رجب (فبراير ١٠٧٧)، ثم تابعوا مسيرهم إلى القطيف للانتقام من يحيى بن عياش الذي هزم سابقا الحاجب التركماني كجكينا وجيشه.(٢٠٧) لكن يحيى فر من القطيف إلى أوال لتجنب مواجهة جيش التركمان الضخم الذي لم يكن مهتما بالقطيف أو أوال على ما يبدو. سار الجيش إلى الأحساء ناهبا القرى والمزارع المحيطة بها قبل أن يلتحق بالعيونيين في الحصار.

حارب الطرفان القرامطةَ وحلفاءهم من القبائل اليمنية وقبيلة عامر ربيعة. وأسفرت المعركة عن انسحاب قبيلة عامر ربيعة من الأحساء، ولكن من غير الواضح إن كانت هذه القبيلة داخل السور أم خارجها، ولعلهم كانوا داخل السور الخارجي فيما كان الأهالي داخل السور الداخلي.(٢٠٨) وقد نستشف

(204) Eric J. Hanne, *Putting the Caliph in His Place: Power, Authority, and the Late ʿAbbāsid Caliphate* (New Jersey: Rosemont Publishing & Printing Corp., 2007), 103-108.

(٢٠٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٦٤-٩٦٦.

(٢٠٦) يعرف قائد الجيش باسم أكسك سلار ولقب أرتق بك. انظر: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٦١.

(٢٠٧) انظر الفصل الثاني.

(٢٠٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٦٠-٩٦٧.

من المصادر أن القرامطة فقدوا السيطرة على ضواحي الأحساء في أثناء الحصار وانسحبوا إلى حصن يدعى حاليا «قصر قريمط»، حيث تحصنوا مع حلفائهم ليُحاصَروا مجددا داخل السور الداخلي. حقق التحالف التركماني- العيوني أهدافا عسكرية مهمة، وهي الحصول على دعم عسكري خارجي، وتفكيك حلف القرامطة بإبعاد عنصر مهم كعامر ربيعة، والتوغل في المدينة عبر الدخول إلى السور الأول، فكما قلنا سابقا امتلكت الأحساء سورين أو سورا مزدوجا بينهما مساحة فيها بساتين. بدأ صيف الحصار الحار بنقص الإمدادات الغذائية، ولا سيما بعد قيام جيش التركمان بنهب القرى المحيطة وتدمير المزارع المنتجة للغلال. إلا أن المهمة لم تنجز بالكامل، فبقايا القرامطة كانت تحتل الحصن داخل السور الأول. أنجز أرتق اتفاقا منفردا معهم تعهدوا بموجبه بدفع فدية كبيرة لقاء رفع الحصار والتراجع لمدة شهر بحيث يسمح لهم بجمع المال، وأعطوا التركمان ١٣ رجلا كرهائن. وبعد أن أوفى التركمان بالتزاماتهم من الصفقة وغادروا محيط المدينة، خدعهم القرامطة بأن استردوا الطعام والأموال من أماكن التخزين المخفية خارج السور الأول ونقلوا الإمدادات إلى حصنهم. كما رفضوا دفع أي من الأموال الموعودة متوقعين عجز التركمان عن مواصلة الصمود في وجه الطقس القاسي بما لديهم من طعام قليل واضطرارهم إلى رفع الحصار آجلا أم عاجلا.

وما إن أدرك التركمان تعرضهم للخديعة ردوا بالانتقام، فقتلوا بعض رهائن القرامطة. قرر أرتق أن جيشه سيضطر إلى الانسحاب إلى العراق وأنه سيترك أخاه البُغوش مع ٢٠٠ جندي للبقاء مع عبد الله العيوني في الحصار إلى حين عودته. في هذه الأثناء أعاد القرامطة جمع حلفائهم، فاتحدوا مع قبيلة عامر ربيعة وقاتلوا عبد الله العيوني وجيش التركمان الصغير مجددا. تلقى القرامطة وقبيلة عامر ربيعة هزيمة على يد العيونيين وحلفائهم في معركة تدعى الرحلَيْن

عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م. فدخل عبد الله بن علي الحصن بقلب الأحساء وأعلن مباشرة الخطبة للخليفة العباسي.[٢٠٩] وبذلك يعلن مذهب الدولة السني، إذ لا صلاة جمعة وخطبة في المذهب الشيعي الإثني عشري في ذلك الزمن.

٦ – مسألة العلاقة بين الخليفة الفاطمي وعبد الله بن علي العيوني

قام ماجد وماديلونغ وخليل والمديرس بربط عبد الله بن علي العيوني بدعوة الشيعة الإسماعيليين والخليفة الفاطمي المستنصر. وقد بنوا هذه الفرضية على رسالة وجهها الخليفة إلى تابعه في اليمن أحمد بن المكرَّم الصُليحي (انظر الشكل رقم ٩).[٢١٠] يذكر المستنصر في هذه الرسالة المؤرخة في ربيع الآخر ٤٦٩ هـ/ نوفمبر ١٠٧٦م اسم عبد الله بن علي ومكان إقامته في الأحساء، فينعته بـ «العلوي» أو ربما يسميه كذلك، ويمدحه لقيامه بقتال الخوارج وإلحاق الهزيمة بهم (ربما يقصد القرامطة)، ونشْر دعوة المستنصر وإنجاز مهام كبرى في الإقليم. وبموجب الرسالة يعين الخليفةُ عبدَ الله بن علي نائبا لأحمد بن المكرَّم ورئيسا للدعوة في إقليم البحرين، كما يشير أيضا إلى مراسلات سابقة معه غير متوفرة لدينا. ونفهم من الرسالة أن العيوني كان قد أرسل تقريرا إلى المستنصر عن انتصاره.[٢١١]

---

(٢٠٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٦٠–٩٦٧؛ سبط بن الجوزي، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، في *الجامع في أخبار القرامطة*، ص٢٤٧.

(210) W. Madelung, ‘Ḳarmaṭī’, *EI²*;

عبد المنعم ماجد، «سياسات الفاطميين في الخليج العربي، مستمدة من السجلات المستنصرية، وثائق فاطمية معاصرة»، في *البحوث المقدمة لمؤتمر شرق الجزيرة العربية* (الدوحة، ١٩٧٦)، ص٤٠٨؛ محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ٣٢٣–٣٢٥؛ عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١٨٠؛ وللمعلومات حول الدولة الصليحية، انظر: حسين ف. الهمداني وحسن الجهيني، *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ* (صنعاء: منشورات المدينة، ١٩٨٦).

(٢١١) عبد المنعم ماجد، *السجلات المستنصرية* (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٤)، ص١٧٩ (الرسالة رقم ٥٤).

وقد قبِل خليل بأن عبد الله بن علي كان داعية إسماعيليا في البحرين وواحدا من دعاتهم الكثر المنتشرين في العالم الإسلامي آنذاك.[٢١٢] وفي المقابل، قدم المديرس تفسيرا مختلفا على الرغم من تسليمه بأصالة الرسالة وما يتخللها من معلومات. إذ يقترح أن عبد الله بن علي لم ينتسب حقا إلى الدعوة الإسماعيلية، بل كان زعيما سياسيا وعسكريا سنيا طموحا سعى من أجل تحقيق أهدافه إلى الحصول على دعم مصادر مختلفة، بما في ذلك الفاطميين في مصر، فاستغل الانقسام الفاطمي–القرمطي بأن طرح نفسه بديلا وداعية إسماعيليا وَرِعا.[٢١٣]

لكنني أشكك في حدوث علاقة كهذه مع الفاطميين لأربعة أسباب: أولا، لا نعثر في شرح *ديوان ابن المقرب* على أية إشارة أو إحالة إلى علاقة بين العيونيين والإسماعيليين في مصر أو اليمن أو مجرد تنويه إلى إيديولوجية إسماعيلية. ثانيا، لقد ذكر عبد الله بن علي اسم الخليفة العباسي في الخطبة لا الخليفة الفاطمي الذي يُزعَم أنه تراسل معه. ثالثا، يقول المؤرخ المصري ابن تغري بردي (توفي ١٤٧٠م) في كتابه *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* حول أخبار العام ٤٧٠ هـ، الذي يتوافق مع العام ٤٣ لحكم المستنصر الفاطمي: «فيها ورد كتاب أرتق بك على الخليفة المقتدي العباسي بأخذه بلاد القرامطة».[٢١٤] فإذا سلمنا بأصالة هذا الرسالة، فلماذا لم يوثق المؤرخ اسم العيوني؟ أليس ممثلا للسياسة الفاطمية في البحرين كما يُزعم؟ رابعا، وهو الأهم، إن أصالة الرسالة محط شك.

لقد تحصل المؤرخ حسين فيض الله الهمداني من شيخ إسماعيلي من بهرة الهند (ربما في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين) على مخطوط لمجموعة

(٢١٢) محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص٣٣٥.

(٢١٣) عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١٨١.

(٢١٤) أبو المحاسن ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ج٥، ص١٠٦.

من الرسائل والسجلات الفاطمية يُعتقد أن معظمها تم إصداره وكتابته بواسطة الخليفة المستنصر بالله، وهي محفوظة في أرشيف دعاة اليمن والهند. تلقى الهمداني المجموعة على هيئة مخطوط، وهي تبدو حديثة النسخ، وتخلو من تاريخ النسخ واسم الناسخ. وقد أعد الهمداني تقريرا مختصرا حول محتوياتها وأهميتها بالنسبة إلى تاريخ المستنصر في أواخر فترة الخلافة الفاطمية والمملكة الصليحية قصيرة الأمد في اليمن. لم يركز الهمداني في تقريره على مناقشة مدى أصالة ومصداقية هذه الرسائل باستثناء إشارته إلى استخدام عدد منها مصدرا للسيرة الذاتية التي كتبها الداعية الإسماعيلي المؤيد بالدين الشيرازي (توفي ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م) وللمجلد السابع من *عيون الأخبار للداعية* إدريس عماد الدين (توفي ١٤٦٨م) الذي اقتبس رسائل عدة من هذه المجموعة.[٢١٥] ولم يناقش احتمالية أن العكس هو الذي حصل. ويقترح الهمداني أيضا أن هذه الرسائل ربما وصلت إلى الهند على مرحلتين: الأولى عندما تم نقل مجموعة كبيرة من التراث الكتابي الفاطمي من مصر إلى اليمن بواسطة لَمَك بن مالك (توفي ١١٤٢م) الذي عمل قاضيا وداعية عند الملك الصليحي وسبق له أن خدم في بلاط المستنصر لسنوات عدة قبل عودته إلى اليمن. أما المرحلة الثانية فأعقبت سقوط المملكة الصليحية عندما انفصلت الدعوة عن السياسة ونُقل التراث الإسماعيلي إلى الهند بواسطة تنظيم إسماعيلي سري الدعوة.[٢١٦]

---

(٢١٥) انظر: المؤيد في الدين، *سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة*، تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٩)؛ وكذلك:

Ayman Fuʾād Sayyid, Paul E. Walker and Alex Pomerantz, *The Fatimids and their Successors: The History of an Islamic Community: Idris ʿImad al-Din's ʿUyun al-Akhbar* (London: I.B. Tauris, 2002).

(216) Ḥusain F. al-Hamdānī, 'The Letters of Al-Mustanṣir bi'llāh', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 7 (1934): 307-324.

المخطوط محفوظ حاليا في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، لندن، تحت الرقم ٢٧١٥٥. وأرقام صحائف الرسالة هي ١٤٥-١٤٨ (رقم لكل صحيفتين).

الشكل (١١): أجزاء من رسالة المستنصر إلى الملك الصليحي. اسم عبد الله بن علي وتاريخ الرسالة (ربيع الآخر ٤٦٩/ نوفمبر ١٠٧٦) واضحان.

وقد حقق عبد المنعم ماجد النص الكامل لهذه المجموعة من الرسائل ونشره عام ١٩٥٤. وإذ ينفي نسبتها إلى المستنصر، إلا أنه يؤكد انتماءها إلى الأرشيف الفاطمي على الأقل. وهو يعتمد في هذا على مجموعة من المعطيات، كتشابه أسلوب كتابتها وصياغتها مع وثائق فاطمية أخرى، وانسجام صفات الخليفة وأقاربه وألقابهم مع تلك المستخدمة في الرسائل الفاطمية والأدلة الأثرية، وتطابق الوقائع التاريخية الواردة فيها مع ما تقدمه لنا مصادر أخرى معروفة.[٢١٧] ولكن هذه أمور يمكن محاكاتها.

(٢١٧) عبد المنعم ماجد، *السجلات المستنصرية*، ص١١-١٩.

ومع ذلك، يبدو أن أصالة رسالة المستنصر إلى عبد الله العيوني مسألة إشكالية بالنظر إلى عدم توافق تاريخها مع تاريخ انتصار العيونيين. فتاريخ هذه الرسالة التي تذكر اسم عبد الله العيوني وتثني على انتصاره على الخوارج (يحتمل أنهم القرامطة) هو ربيع الآخر ٤٦٩ هـ/ نوفمبر ١٠٧٦م، أي قبل ثلاثة أشهر من التاريخ المذكور عند غرس النعمة وسبط بن الجوزي وشرح *ديوان*، حيث نقرأ أن جيش التركمان ترك البصرة باتجاه القطيف في رجب ٤٩٦ هـ/ فبراير ١٠٧٦ م ليسير إلى الأحساء بعد فترة من الوقت ثم ينضم إلى العيونيين في حصارهم للقرامطة. وقد أحرز العيونيون انتصارهم في صيف ١٠٧٧ م.[٢١٨]

بموجبه، نتساءل كيف تسنى للمستنصر أن يحتفل بالانتصار قبل وقوعه بستة أشهر على الأقل؟ علاوة على ذلك، يتناقض هذا مع حقيقة كون الرسالة جواب المستنصر على مراسلات سابقة أبلغه فيها العيوني عن انتصاره، ما يوحي بحتمية وقوع الفتح قبل ربيع الآخر ٤٦٩هـ/ نوفمبر ١٠٧٦م. وبالمحصلة، فإنه ليس بوسعنا الاعتماد على مخطوط حديث مصدره غير مؤكد وتجاهل التواريخ الواردة في المصادر الأولية: *مرآة الزمان* لسبط بن الجوزي (توفي ١٢٥٨م) الذي اقتبس عن غرس النعمة (١٠٨٨م) وشرح *ديوان ابن المقرب* العيوني (١٢٣٠م) الذي اعتمد أيضا على مصدر سابق. وبالتالي فلا يرجح وجود علاقة بين عبد الله بن علي العيوني والدعوة الإسماعيلية والخليفة المستنصر الفاطمي.

(٢١٨) ابن الجوزي، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، في *الجامع في أخبار القرامطة*، ص٢٤٧؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٢.

٧ - المرحلة التأسيسية للإمارة في ظل عبد الله بن علي العيوني

بعد فتح الأحساء وتأسيس إمارته، واجه عبد الله بن علي عوائق سياسية عدة، وخاض صدامات عسكرية مع خصومه المحليين في البحرين والقوى الإقليمية على حدّ سواء. وقد استغرق الأمر منه مدة عشرة أعوام تقريبا للتغلب على جميع أعدائه. ضم الخصوم المحليون: بقايا القرامطة، والقبائل المحلية كعامر ربيعة، وبعض سكان الأحساء الموالين للقرامطة، وإمارة ابن عياش المنافسة في القطيف وأوال. أما القوى الإقليمية الأوسع فضمت قادة التركمان في العراق، كالأسرة الأرتقية الحليف السابق للعيونيين (أرتق وأكسك والبغوش وركن الدولة)، وخمارتگين التُتُشي، وقائد يدعى القاروتي. لا تزودنا المصادر المتاحة بتاريخ كل مواجهة أو معركة، لذا نحن مضطرون إلى استخدام التواريخ المذكورة لاستنتاج التواريخ المجهولة أو ترتيب الأحداث على الأقل.

دخل العيوني قصر الأحساء في صيف ١٠٧٧م، محققا بذلك سيطرة واضحة على المدينة. لقد عفا عن بقايا الأسرة الجنابية القرمطية واليمنيين، وسمح لهم بالإقامة في الأحساء. إلا أن القرامطة لم يستسلموا كليا، فأعادوا الاتصال بقبيلة عامر ربيعة وناشدوها قتال العيوني. وقبل مهاجمتها العيوني، طالبته عامر ربيعة بدفع ما اعتادت تلقيه من أموال من الحكام السابقين (أي القرامطة) للسماح بمرور القوافل وحمايتها. لكنه رفض وخاض المعركة الأخيرة عام ٤٧٠ هـ/ نهاية عام ١٠٧٧م، أو بداية عام ١٠٧٨م، ضد القبيلة وبقايا القرامطة في مكان يقع بين نهري مُحَلّم وسُليسل. ألحق العيونيون والتركمان الهزيمة بعامر ربيعة وقتلوا رجالا كثرا منها وأخذوا غنائمهم التي تألفت من ٤ آلاف جمل مع رعاتهم وبضعة خيول تقاسمها العيونيون مع الجنود والتركمان. أطلق العيوني سراح نساء أعدائه المهزومين وأطفالهم ومنع التركمان من أخذهم سبايا كما جاء في شرح *ديوان ابن المقرب*.[٢١٩]

(٢١٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٨-٩٦٩.

٧-١ - الصراع بين العيوني والأرتقيين

بعد انتصارهم على القرامطة وعامر ربيعة عام ١٠٧٧/٧٨م انقلب العيونيون على حلفائهم التركمان الأرتقيين. وبدأت ملامح هذا الانقلاب في وقت سابق عندما لم يسمح العيوني للبغوش والتركمان بمرافقته في دخول القصر، وهذا تعبير رمزي عن مكانته كسلطة عليا في الأحساء. ولعله شعر بأن التركمان كانوا ينوون التصرف كأسياد للأحساء. سجن العيوني البغوشَ ثم قتله.(٢٢٠) ولا تأتي مصادرنا على ذكر تاريخ هذه الحادثة أو تفاصيل ما حل ببقية الجيش. ونرجح وقوعها بعد معركة محلم وسليسل (١٠٧٧/ ٧٨م) مباشرة، وقبل الحملة اللاحقة لخمارتگين التُتُشي عام ١٠٧٩م.

ومن الضرورة بمكان فهم سبب تعاون التركماني أرتق والعيوني ضد القرامطة. من الواضح أن العلاقة بين الطرفين كانت محض نفعية، فكل منهما حاول استخدام الآخر من أجل أهدافه الخاصة. وما إن تم القضاء على عدوهما المشترك بدأ الصراع. ويبدو أن التركمان عَدُّوا أنفسهم الفاتحين والحكام الجدد للأحساء. وقد كتب شارح *ديوان ابن المقرب* أن البغوش حاول أن يفرض نفسه سيدا على العيوني، فاضطر هذا إلى قتله.(٢٢١)

ويذكر مؤلف شرح *ديوان* أن أرتق بك ذهب إلى مجلس الخليفة [المقتدي، حكم بين ١٠٧٥-١٠٩٤م]، على ما يبدو قبل مقتل أخيه في الأحساء عام ١٠٧٧/ ٧٨م، وأبلغ عن الإنجازات الأولية للحملة، فأغدق عليه الخليفة.(٢٢٢) لم يشر أرتق بك إلى العيوني أبدا، ولم يثن الخليفة على

(٢٢٠) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٨.

(٢٢١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٨.

(٢٢٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٣.

العيوني أو يكافأه ويقلده أي منصب، بل أنه لم يذكر اسمه. وهكذا تم تجاهل العيوني بالكامل. ويؤكد مصدر آخر هذا الخبر، إذ يذكر ابن تغري بردي في الخبر الذي مر ذكره سابقا: «ورد كتابُ أرتق بك على الخليفة المقتدي العباسي بأخذه بلاد القرامطة».(٢٢٣)

ومن الواضح أن أرتق قدم نفسه بطلا وحيدا متجاهلا ذكر العيوني، وهذا يفضح نواياه ويفسر غياب حليفه من سجلات تلك الفترة. وما يثير الاهتمام أيضا هو أن أرتق بك قابل الخليفة أو اتصل به مباشرة عوضا عن الاتصال بالسلطان السلجوقي الذي يفترض أنه يعمل لديه. وهذا يوحي بأن السلطان السلجوقي وإدارته لم يكن لهم علاقة بالحملة العسكرية وبأن هذه الأسرة التركمانية سعت إلى نيل الاستقلال بطريقة ما عن السلاجقة من خلال اتباع أهدافها الخاصة والحصول على الشرعية السياسية من الخليفة العباسي مباشرة. ومرت معنا أيضا محاولات أرتق الاتصال بالخليفة الفاطمي دون إحراز نتيجة.

ولسوء الحظ ليس لدينا معلومات حول مدى استمرار العيوني في ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة بعد مقتل البغوش أخي أرتق. لكن من المرجح أنه توقف عن ذلك وبدأ يحكم بشكل مستقل. ولعله أدرك خطورة الارتباط بالعراق.

٧-٢- المزيد من الحملات التركمانية إلى البحرين

بالإضافة إلى حملتي كجكينا وأرتق بك، شهدت البحرين ثلاثا أخرى بواسطة خمارتگين والقاروتي وركن الدولة. وقد أحبطت الإمارة العيونية كل محاولات الغزو التركماني هذه.

---

(٢٢٣) أبو المحاسن ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج٥، ص١٠٦.

وفيما يتعلق بحملة خمارتگين، التي هي الثالثة بين الحملات التركمانية، يزودنا مؤلف *شرح ديوان ابن المقرب* بجملة مختصرة ومبهمة، إذ يذكر أن الجيش الضخم أُرسل بواسطة خمارتگين، (دون أن ينسبه)، عن طريق البصرة ووصل إلى الأحساء.[٢٢٤] وليس لدينا معلومات إضافية حول ما حدث وأسباب فشل الجيش في مهمته. لكن يبدو أن الحملة لم تكن مؤثرة، فأحداثها لم تنل الشهرة الكافية ليتم توثيق تفاصيلها في زمن المؤلف.

ونعلم من مصادر أخرى تفاصيل عن شخصية أرجحُ كونها المعنية في شرح *ديوان*، أقصد خمارتگين التُتُشي (توفي ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م). لقد كان هذا عبدا لتاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان (توفي ١٠٩٥م)، وعمل فيما بعد لصالح السلطان السلجوقي محمود بن ملكشاه، حيث نال نفوذا بارزا واكتسب الكثير من المال والممتلكات. وعُيِّن أيضا ضامنا للبصرة عام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م، وهو منصب يخول صاحبه حكم منطقة ما والأخذ من خراجها ومدخولها نظير التعهد بإرسال مبلغ سنوي من المال إلى السلطان. وقد تعهد خمارتگين بإرسال ١٠٠ ألف دينار و١٠٠ حصان سنويا.[٢٢٥]

يمكننا، بالاعتماد على هذه المعلومات، أن نفترض سياق إرسال الجيش من البصرة. فخمارتگين أراد على الأرجح الوفاء بالتزاماته المالية بوصفه ضامنا أو زيادة ميزانيته بغزو إقليم قريب من مدينته.[٢٢٦]

جاءت محاولة الغزو التركماني الرابعة عام ١٠٨١م. ويذكر شرح *ديوان* أن جيشا بقيادة القاروتي، الموصوف بأنه أمير وقاضي قضاة سابق في بلد

(٢٢٤) يقول المؤلف: «وكان قد سبقه إليها ملك آخر في عسكر عظيم سائرا إليها على طريق البصرة من جهة خمارتكين»، مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٤.

(٢٢٥) ابن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* (بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ [١٩٣٩م])، ج٨، ص٣٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٢، ص١٥.

(٢٢٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٤.

قاروت بك، وصل قرب الأحساء برفقة بعض الأمراء التركمان المجهولين (ربما المقصود ضباط عسكريون). ويبدو أن القاروتي تقلد مجموعة غير متجانسة من المناصب، لكن ليس لدينا معلومات إضافية حول هويته. ويضيف المصدر بأن هذا القاضي/ الأمير نُقل إلى العمل في الديوان بعد مغادرة أكسك سلّار (والد أرتق) العراق إلى الشام. وهذا دليل ظرفي على أن هذا القاضي المحارب باشر مسيره إلى البحرين من العراق.

ومع وصول الجيش قرر العيوني عدم القتال، فاستقبلهم ورحب بهم، لكنه لم يسمح لهم بدخول القصر. وبحسب المصدر، كانت خطته تقوم على إقناع التركمان بوجود إقليم غني قريب من دائرة نفوذه يدعى عمان، حيث بمقدورهم العثور على الكثير من الذهب والفضة وأشكال أخرى من الثروة. وفي الوقت نفسه، اتصل العيوني بقبيلة بدوية تدعى بني الخارجية (يجب عدم الخلط مع طائفة الخوارج) كانت تقطن الصحراء الواقعة بين عمان والبحرين (ربما الربع الخالي وبينونة)، وطلب منها مرافقة التركمان على طول الطريق إلى عمان ثم تركهم في وسط الصحراء يموتون جوعا. وللأسف، فإن مؤلف مصدرنا مشغول بالخدعة الذكية التي مارسها العيوني أكثر من انشغاله بتحديد هوية الغزاة وسياق الغزو.(٢٢٧)

ويقترح الجنبي أن ما يقصده الشارح بـ *بلاد قاروت بك* هو إقليم كرمان في جنوب إيران الذي كان يحكمه قاوورد (توفي ٤٦٦ هـ/ ١٠٧٤م) أخو ألب أرسلان وعم ملكشاه.(٢٢٨) لكن لا يوجد إشارة إلى غزو كهذا في كتاب *تاريخ أفضل* للكرماني (توفي مطلع القرن ٧ هـ/ ١٣م) الذي دوَّن تاريخ سلاجقة كرمان. ويصعب أيضا تصديق خبر عدم معرفة رئيس القضاة الذي كان في

(٢٢٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٧٣-٩٧٧.

(٢٢٨) ذهب أرتق لخدمة تتش بن ألب أرسلان وتلقى مدينة القدس إقطاعا عام ١٠٧٩. انظر: عماد الدين خليل، *الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام*، ص٥٩، ٦٥؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٧٤، حاشية ٩٦٢.

خدمة قاروت بك في كرمان بعمان، فأجزاء من الإقليم كانت خاضعة لحكم قاوورد وأحفاده.(٢٢٩) وإذا افترضنا مصداقية القصة وأنها ليست مجرد أسطورة، فإن هذه الحملة التركمانية هي الرابعة وقبل الأخيرة ضمن سلسلة محاولات عسكرية تركمانية لاحتلال البحرين بعد كجكينا وأرتق وخمارتگين، وقد أعقبها بعد فترة قصيرة حملة ركن الدولة من الأسرة الأرتقية.

جاءت الحملة التركمانية الخامسة بقيادة ركن الدولة. وقد أثار انقلاب العيوني على التركمان واغتياله البغوش حفيظة الأرتقيين. وجاء ردهم متأخرا حين أرسلوا حملة عسكرية إلى الأحساء عام ١٠٨٧م للانتقام وإخضاع الإقليم. ضم الجيش ألفي جندي بقيادة ركن الدولة الذي لا تتضح هويته في *شرح ديوان*. ويقترح الجنبي أنه داوود بن سُقمان بن أرتق التركماني، أي حفيد أرتق. حاصر الجيشُ، الذي تلقى دعما من بعض سكان الأحساء الذين ربما كانوا موالين للقرامطة، حصنَ العيوني وأسرته مدة عام.

وحينما فشل الحصار في إجبار العيوني على الاستسلام، عرض عليه ركن الدولة فك الحصار ومغادرة المدينة لقاء أن يسلم العيونيُ ابنه الأكبر تعويضا عن مقتل البغوش، عم أبيه. ويفيدنا بيت شعري مع شرحه بأن الابن سلم نفسه شخصيا للتركمان من دون علم أبيه أو إذنه حفاظا على الإمارة. غادر الجيش المدينة واقتيد علي بن عبد الله بن علي العيوني إلى كرمان حيث سجن هناك. لكنه تمكن من الهرب بعد فترة وعاد إلى الأحساء.(٢٣٠) وكانت هذه الحملة آخر محاولات الأرتقيين احتلال البحرين.

(٢٢٩) انظر: أفضل الدين كِرماني، *تاريخ أفضل يا بدائع الزمان في وقائع كرمان*، تحقيق مهدي بياني (طهران: انتشارات دانشگاه طهران، ١٣٢٦ هـ[١٩٤٨ م])، ص٨-١٠.

(٢٣٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٧٨، حاشية ٩٧٠، ٩٩٦-٩٩٨، ١٠٣٨-١٠٣٩.

٧-٣- تصويبات بخصوص تحديد المؤرخين المعاصرين هوية القادة التركمان

يصعب أحيانا قراءة مصدرنا شرح *ديوان*، لا لأن مؤلفه المجهول وضعه بلغة عربية رفيعة، بل العكس، فهو يكتب أحيانا بلغة أقرب إلى اللهجة المحكية، وبالتالي يشوبها الغموض. ومن غير المألوف أن نجد نصا وُضِع ليكون شرحا لديوان شعري تتخلله مصطلحات على هذه الدرجة من الغموض تطرح أمام القارئ صعوبات في تمييز الإحالات والضمائر.[(٢٣١)] وقد تسبب هذا في مشكلة للمؤرخين الساعين إلى استبناء سرد متسلسل زمنيا لتاريخ العيونيين، ولا سيما في المرحلة التأسيسية. سنحاول في الفقرات الآتية تصويبب أجزاء من سرد المؤرخين المعاصرين بخصوص تفاصيل خاطئة حول أعداد حملات التركمان وهويات قادتهم: ركن الدولة وخمارتگين والقاروتي.

يخلط خليل بين ثلاثة قادة تركمان حملوا اسم خمارتگين معتقدا أنهم شخص واحد، كما لا يمتلك معلومات حول الشخص الرابع الذي يقترح الجنبي أنه المحاصر الحقيقي للأحساء: ركن الدولة داوود بن سُقمان (حفيد أرتق بك).[(٢٣٢)] يحدد خليل القائد ركن الدولة بوصفه خمارتگين الطُغرائي. والأشخاص الثلاثة الذين خلط هوياتهم هم: (١) ركن الدولة خمارتگين الطُغرائي المتوفي عام ٤٥٤ هـ/ ١٠٦٢م، أي قبل قيام الإمارة العيونية، وكان قائدا عسكريا مهما عمل لصالح طغرل بك وقتل البساسيري؛[(٢٣٣)] (٢) ركن الدولة قتلغ تگين (وليس خمارتگين كما يذكر خليل) الذي حكم إقليم فارس

(٢٣١) من الأمثلة على الجمل الغامضة والمبهمة: «وكان قد سبقه إليها عسكر عظيم سائرا إليها على طريق البصرة من جهة خمارتكين»، انظر: مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٤.

(٢٣٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٧٨، حاشية ٩٧٠.

(٢٣٣) عز الدين بن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج٨، ص٣٥٨.

لصالح السلطان ملكشاه عام ٤٦٦ هـ/ ١٠٧٤ م؛[٢٣٤] (٣) خمارتگين التُتُشي المتوفي عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م، وهو قائد عسكري وحاكم خدم السلطان محمود بن ملكشاه كضامن للبصرة عام ٤٧٢ هـ/ ١٠٧٩، وأعتقد أنه الشخص المقصود في *شرح ديوان*.[٢٣٥] وقد استنتج خليل خطأً أن الحملة جاءت من فارس لأن ملكشاه منح حكم فارس للقائد قتلغ تكين وليس خمارتگين بموجب المصدر الذي اعتمد عليه: *أخبار الدولة السلجوقية*.[٢٣٦] وهو يخلط بالتالي بين الحملات الثلاث وقادتهم معتقدا أنهم الشخص ذاته.[٢٣٧] وإذا سلمنا بانطلاق الحملة من فارس، فثمة احتمالان: إما كانت غزوا بحريا للساحل الغربي للخليج ثم مسيرا إلى مدينة الأحساء أو غزوا بريا سلك طريقا طويلا جدا من فارس عبر العراق ليصل إلى الأحساء في النهاية، والاثنان غير منطقيين.

ويجانب المديرس الصواب أيضا في تحديد هوية ركن الدولة على الرغم من اختلاف فرضيته عما قدمه خليل، إذ يمنحه لقب ركن الدين علما أن مصدرنا، *شرح ديوان*، يسميه ركن الدولة. ويقترح أن هذا الشخص هو ركن الدين بن ملكشاه حاكم كرمان ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م -٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤م. أضف إلى ذلك أنه يطابق بين حملتي ركن الدولة والقاروتي مع أنهما مختلفتان في الواقع.[٢٣٨]

---

(٢٣٤) صدر الدين الحسيني، *أخبار الدولة السلجوقية*، تحقيق محمد إقبال (لاهور: جامعة البنجاب، ١٩٣٣)، ص٥٨.

(٢٣٥) عبد الرحمن بن الجوزي، *المنتظم*، ج٨، ص٣٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٢، ص١٥.

(٢٣٦) صدر الدين الحسيني، *أخبار الدولة السلجوقية*، ص٥٨.

(٢٣٧) محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص١٣٢-١٤٠.

(٢٣٨) عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص٩٥-٩٦.

٧-٤- إخضاع إقليم البحرين كله لسلطة عبد الله بن علي العيوني

كانت القطيف وأوال المدينتين الرئيستين اللتين لما تخضعا لحكم العيوني بعد، فقد كانت هاتان المدينتان الزراعيتان والميناءان تحت حكم زكري بن يحيى بن عياش المتطلع إلى توسيع أراضيه بضم الأحساء وكبح الطموحات السياسية لخصمه عبد الله بن علي العيوني. استخدم زكري وسائل سياسية وعسكرية عدة لتحقيق أهدافه، فحاول رشوة عدد من الأمراء العيونيين لكسب ولائهم وكسر التضامن بين الأسرة العيونية، لكنه لم ينجح.[٢٣٩]

ولا يزودنا مصدرنا، *شرح ديوان*، بتواريخ هذه الأحداث وما أسفرت عنه من صدامات عسكرية. وربما بدأ الصراع في ثمانينيات القرن الحادي عشر الميلادي خلال الفترة المبكرة للإمارة. التقى الأميران مرات عدة في معارك صغرى لم تسفر عن نتائج تُذكر. وكانت معركة ناظرة بداية سلسلة من المعارك المتتالية ضد زكري. بدأت هذه المعركة حينما سار زكري بجيشه لاحتلال الأحساء، لكنه تعرض للهزيمة وفر مع فلول الجيش إلى أوال، حيث تعقبهم الفضل بن عبد الله بن علي وألحق بهم هزيمة ثانية. وفي نهاية المطاف فر زكري إلى العقير كمحاولة أخيرة لإنقاذ إمارته، فحشد قوات البدو هناك وهاجم القطيف التي خسرها لصالح العيونيين، لكنه تلقى الهزيمة الثالثة والأخيرة على يد عبد الله بن علي. وبموجبه أصبح العيوني الحاكم الوحيد لمدن البحرين الرئيسة: الأحساء والقطيف وجزيرة أوال.[٢٤٠]

(٢٣٩) لمزيد من التفاصيل حول إمارة ابن عياش في القطيف وأوال، انظر الفصل الثاني.

(٢٤٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٧٩-٩٨١.

٨ - قبائل البحرين وظهور العقيليين

قبل مناقشة ظهور العقيليين كلاعبين سياسيين وعسكريين في البحرين لا بد لنا أن نتطرق بإيجاز لمسألة مهمة تتعلق بالخريطة السكانية للإقليم. بالإضافة إلى قبيلة عبد القيس، ضم البحرين بين منتصف القرن الرابع والتاسع الميلادي/ الثالث الهجري قبيلتي بكر بن وائل وتميم، علاوة على بضع قبائل أصغر، كتغلب والأزد وقضاعة وبني ضبة وهوازن وغيرهم.[٢٤١] ولكن في فترة الإمارة العيونية منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت قبيلتا بكر بن وائل وتميم شبه غائبتين عن المشهد السياسي والعسكري، فلا ذكر مكثف لوجودهما في بلاد البحرين في شرح *ديوان*، وهو ما يوحي بحدوث هجرة كبرى من الإقليم، إما غربا باتجاه نجد ووسط الجزيرة العربية أو شمالا باتجاه العراق والشام. وربما اندمجتا بقبائل أخرى قوية فتبنتا أسماءها القبلية، وهو ليس بالأمر الغريب على المجتمعات البدوية والقبلية. ومن الصعوبة بمكان تعقب تاريخ هذه الهجرة أو الاندماج بقبائل أخرى، لكننا لا نستبعد وقوعها في فترة القرامطة بالتزامن مع وصول قبيلة عامر ربيعة إلى البحرين أو ظهورها فيه، حيث أخرجت قبيلتي بكر وتميم من هناك وسيطرت على مراعيهما منذ القرن العاشر الميلادي. لقد أثارت قبيلة عامر ربيعة، حليفة القرامطة، الجدل بشأن نسبها، فالبعض يرى أنها من عامر بن صعصعة الهوازنية، فيما يرى حمد الجاسر أنها فرع من عبد القيس (عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس).[٢٤٢]

(٢٤١) انظر: فيصل الوزان، *تاريخ أرض الكويت في العصور الإسلامية*، ص٤١-٤٣.

(٢٤٢) حول هذه المسألة انظر مقدمة حمد الجاسر لكتاب أبي عبدالرحمن عقيل الظاهري، *أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء* (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٣)، ص٣-٣٠.

وربما اندثرت قبيلة عامر ربيعة أو اضطرت إلى مغادرة الإقليم بعد هزيمتها في معركة المحلِّم وسليسل عام ١٠٧٧-٧٨م، وبعد مقاتلة الفضل بن عبد الله لهم في الصحاري. وبعد ذلك بفترة قصيرة وصل فرع آخر للقبيلة يدعى بني عُقَيل بزعامة غُفَيلة بن شبانة.(٢٤٣) وكان الجنبي أول من اقترح هذا الرأي، إذ ميز هو وزملاؤه الفرع القبلي لعامر ربيعة عن فرع بني عُقَيل.(٢٤٤) وعلى الرغم من انتماء الفرعين إلى قبيلة عامر بن صعصعة، القبيلة الأم، إلا أنهما انحدرا من حفيدين مختلفين لعامر بن صعصعة: عامر (من تحالفت ذريته مع القرامطة وتلقت الهزيمة عام ١٠٧٧-٧٨م)، وكعب والد عقيل (من أصبحت ذريته اللاعبين السياسيين الجدد في البحرين، وعرفوا باسم العقيليين أو بني عقيل). ووفقا لمؤلف *شرح ديوان*، فإن نسب قبيلة عامر ربيعة المنفية هو: عوف بن عامر بن ربيعة بن بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَسْفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.(٢٤٥) وهذه المعلومات متناقضة مع ما جاء في كتاب ابن فضل الله العمري الذي نقل عن الحمداني نفيه انتساب عامر ربيعة لعامر بن صعصعة. ولذلك نجد الخلاف قائما بين مؤرخي ونسابة زمننا هذا. ولعل الأرجح هو المصدر البحريني شرح *ديوان ابن المقرب*، فمؤلفه أعلم من المؤرخ المصري بالقبائل البحرينية.

ولا معلومات لدينا حول مكان وجود فرع عقيل قبل ظهوره على الساحة السياسية والعسكرية لإقليم البحرين. وثمة احتمالات أربعة: (١) عاشوا في البحرين لكنهم لم يكونوا نشطين، فطغت عليهم قبائل أقوى؛ (٢) هاجروا من وسط الجزيرة العربية، أي الموطن الأصلي لعامر بن صعصعة؛ (٣) ربما،

(٢٤٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠١١-١٠١٦.

(٢٤٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠١٣، حاشية ١١٢٠.

(٢٤٥) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٥٨.

وهو الاحتمال الأضعف، جاؤوا من شمال العراق بعد سقوط الدولة العقيلية (٩٩٠-١٠٩٥م)، ذلك أن مؤسس هذه الدولة محمد بن المسيب[٢٤٦] وزعيم عقيليي البحرين يلتقيان نَسَبيا عند الجد العاشر لمحمد بن المسيب: عقيل بن كعب، ما يوحي بأنهما لم يكونا وثيقي القرابة.[٢٤٧] (٤) وربما جاء عقيليو البحرين من جنوب العراق، حيث عاشت فروع أخرى لعقيل من بني عامر، كعِبادة وخفاجة والمنتفق وقيس وقباث. فقد كانت هذه القبائل الأقرب نسبيا لعقيليي البحرين الذين يطلق عليهم مؤلف *شرح ديوان* أحيانا اسم «القديمات» نسبة إلى قديمة بن نباتة العقيلي، جد غفيلة.[٢٤٨] وسيناقش الفصل الخامس العقيليين ودولتهم في البحرين (١٢٣٠-١٤٠٠م) بتفصيل أكبر.

باشر العقيليون غزواتهم الأولية وأعمال النهب في نهاية عهد عبد الله بن علي العيوني عندما ضعفت سلطته. وقادوا مجموعة من القبائل الأصغر عرفوا باسم الأحلاف، منهم قباث ونائلة.[٢٤٩] وقد استغلوا الضعف السياسي الذي أصاب الإمارة بعد وفاة أبرز فرسانها الأقوياء، فنهبوا مزارع الأحساء مدة ستة أعوام. ولم يكن بمقدور جيش الإمارة توفير الحماية للمزارعين والملاك الذين وافقوا على دفع ثلث إنتاجهم إلى البدو لقاء إيقاف هجماتهم.[٢٥٠]

(٢٤٦) الاسم الكامل لمحمد بن المسيب هو: محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا بن عبد الرحمن بن بريد بن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنساب أبناء الزمان* (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)، ج٥، ص٢٦٠.

(٢٤٧) اسم غفيلة هو: غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. انظر: أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦-١٠٧.

(٢٤٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٦٣-١١٦٤.

(٢٤٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠١٢.

(٢٥٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٣٠-١٠٣٢.

٩ – حكم الفضل بن عبد الله بن علي العيوني في حياة أبيه

كان للفضل بن عبد الله بن علي مساهمة كبرى في تعزيز قوة الإمارة، فقد عينه أبوه حاكما على القطيف وأوال وأوكل إليه مهمة تطهير الإقليم برمته من قبيلة عامر ربيعة. ولتحقيق هذا الهدف حظّر على هؤلاء البدو مزاولة الرعي في المنطقة الواقعة بين ثاج (١٨٠ كم شمالي الأحساء) والرمْل (موصوفة بأنها تقع على الطريق إلى عمان باتجاه الجنوب، ربما قصد وادي الصُمّان). ويعلمنا مصدرنا بأن الفضل نادرا ما أقام في المدينة، إذ أمضى معظم وقته في الصحاري. وتبنى نمط الحياة هذا من أجل قتال البدو وحماية مدن البحرين من غاراتهم. واستمر حكمه مدة ١٤ عاما. واتخذ القطيف دارا للملك مدة سبعة أعوام قبل أن ينتقل إلى أوال. وقُتل فيما بعد على يد خادمه في تاروت التابعة للقطيف.(٢٥١) ولا يزودنا مصدرنا بأية تفاصيل حول تواريخ هذه الحوادث. لكننا لا نستبعد وقوعها في الفترة الأخيرة من حياة أبيه.

ولا يتضح كذلك تاريخ وفاة عبد الله أول الأمراء العيونيين الذي دام حكمه فترة طويلة بشكل استثنائي.(٢٥٢) ويذكر ملحق شرح *ديوان*، الذي هو بمثابة ملخص وقائمة بحكام الإمارة العيونية، أنه حكم ٦٠ عاما، أي من انتصاره على القرامطة (عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م) إلى وفاته التي يفترض وقوعها حوالي ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥-٣٦ م.(٢٥٣)

(٢٥١) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١١٠-١١٢، ج٢، ص١٠٠٠، ١١٠٨-١١٠٩.

(٢٥٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٣٠.

(٢٥٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

١٠ - عهد أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي

عيَّن عبدُ الله بن علي حفيدَه أبا سنان بن الفضل بن عبد الله بن علي أميراً بعد مقتل ابنه الفضل.(٢٥٤) ولا نعرف أسباب قيامه بذلك في ظل وجود عدد من أبنائه على قيد الحياة. فهل كان ينوي تأسيس نظام حكم وراثي ينتقل العرش بموجبه من الأب إلى الابن؟ أم أن هناك سبب عملي يتعلق بعدم كفاءة أبنائه للحكم؟ أيا كان السبب، يبدو أن ابنيه، الحسن وعلي، لم يكونا راضيين عن تعيين حفيده وريثا له وتجاهل ما رأوه حقهما. ولعل هذا القرار كان يهدف إلى تأسيس نظام حكم مستقبلي من الأب إلى الابن خلافا للتقليد الأكثر شيوعا، والذي يقوم على انتقال العرش من الأخ إلى أخيه، وهذا ما جعلهما يظنان أنهما حُرِما وذريتهما من فرصة الحق في الحكم.(٢٥٥) إن هذه المسألة أدت إلى سلسلة من الأزمات لمستقبل الأسرة العيونية الحاكمة كما سنبين أدناه.

نقل أبو سنان العاصمة إلى القطيف وهمش عَمّيه بعدم تقليدهما أي منصب إداري، ربما خشية استخدامهما السلطة ضده. وفي الوقت نفسه، عيَّنَ ابن أحدهما، وهو أبا المقدم شكر بن علي بن عبد الله بن علي العيوني، حاكما على الأحساء، غالبا لكسب ولائه وبث الفرقة بين خصومه المحتملين. ولسوء الحظ، ليس لدينا أية معلومات بخصوص هذه التواريخ. ويقترح المديرس أن أبا سنان نقل العاصمة إلى القطيف لسببين: أولا، إن القطيف هي المدينة التي سبق لأبيه أن حكمها، وربما عاش هو شخصيا فيها معظم فترة حياته؛ ثانيا، لقد رغب في أن يكون بعيدا عن عميه غير الراضيين، بل ربما غير المواليين.(٢٥٦)

(٢٥٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

(٢٥٥) عبد الرحمن الملا، *تاريخ الإمارة العيونية*، ص١٦٩-١٧٠.

(٢٥٦) عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١٠٨.

دارت معارك عدة في فترة حكم أبي سنان، ولا سيما ضد العقيليين في المقام الأول. كانت الأولى بينها معركة القطيف، حيث واجه تحالفا من البدو بقيادة شيخ العقيليين غُفيلة بن شبانة، وألحق به الهزيمة. وتفيدنا المعطيات المتعلقة بهذه المعركة أن أبا سنان حذر غفيلة من رعي قطعانه في مزارع القطيف، فلم يكترث هذا وذهب مع قبيلته إلى القطيف، حيث حاربوا أبا سنان الذي كاد أن يقتل، لكنه نجا، فيما انسحب جيش البدو.[٢٥٧] أما المعركة الثانية فدارت بين حاكم المدينة أبي المقدم شكر بن علي والعقيليين بقيادة حمّاد النائلي والسُبيع بن غُفيلة بن شبانة في المنطقة المحيطة بالأحساء. وعرفت باسم معركة الخائس. وقعت هذه المعركة بعد شهر من غارات البدو على الأحساء. وعلى الرغم من الصعوبات الجمة التي واجهت أبا المقدم، إلا أنه هزم البدو في نهاية المطاف وقتل قادتهم.[٢٥٨]

ويروي ملحق *شرح ديوان* أن الأمير أبا سنان قُتل على يد عَمّيه الحسن وعلي، لكنه لا يمدنا بمزيد من المعلومات حول السبب والزمان، إذ يقول فقط إن أبا سنان حكم القطيف وأوال مدة ١٨ عاما، ما يوحي بأن وفاته كانت عام ١١٥٢م.[٢٥٩] ولا نعثر على أية إحالة إلى قصة وفاته في الشعر وشرحه.

يرى المؤرخون الحاليون أن أبا سنان قُتل في خضم معركة الأحساء التي شهدت انقلاب ابن عمه المقدم ضده.[٢٦٠] وهم يبنون فرضيتهم هذه على وجود قَبْرَي أبي سنان وأخيه جعفر في الأحساء على حد قول شرح

---

(٢٥٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٦٦١، ج٢، ص١٠١١-١٠١٢.

(٢٥٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠١٢-١٠١٥.

(٢٥٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

(٢٦٠) عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١١٠-١١١؛ محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص١٦٧-١٦٨.

ديوان.[٢٦١] فيزعمون، من دون أن يفرقوا بين تفسيراتهم وما يقوله المصدر حقا، أن العَمّين الحسن وعلي تحالفا هما والمقدم بن علي مع العقيليين وزعيمهم غفيلة، فشنوا حربا ضد أبي سنان أسفرت عن موته. وعلى أي حال، فمع موت أبي سنان، تنتهي المرحلة التاريخية الأولى للإمارة العيونية والتي اتسمت بالقوة، لتدخل مرحلة جديدة تسودها الفرقة والتناحر.

ويبدو أن الاقتصاد تحسّن في فترة حكم أبي سنان، حيث يمكننا ملاحظة علامات هذا في توسيع مسجد الخميس في أوال وبناء مئذنة له، واجتذاب بلاطه للشعراء العراقيين. ويظهر اسم أبي سنان في كتابي *ذيل تاريخ بغداد* لابن النجار (١٢٤٥م) و*خريدة القصر* للإصفهاني، فنقرأ أن اثنين من شعراء العراق زارا البحرين لامتداح الملك أبي سنان، هما علي بن محمد بن علي التميمي العنبري (١١٢٨م) وحسام الدولة محمد بن المغيث الحنفي.[٢٦٢] وسنناقش هذا الأمر بالتفصيل في الفصل السادس.

ويوجد نقشان يذكر فيهما الأمير محمد بن الفضل (أبي سنان) في إحدى مئذنتي مسجد الخميس الواقع في بلاد القديم من أوال. حيث نقش اسم الأمير بكنيتين مختلفتين. وتذكر إحداهما أيضا اسم الموظف الذي أمر ببناء المسجد وعبارة تعكس الخلفية المذهبية للباني (الشيعية الاثني عشرية)، وهو نقش يحتاج إلى مزيد من الدراسات للتأكد من مصداقيته.

النقش الأول موجود على لوح من الحجر الكلسي يقع على مدخل المئذنة الغربية (الشكل ١٠). وقد وجد بلغريف صعوبة في قراءته كاملا مع

(٢٦١) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٦٦١، ج٢، ص١٠٠٢-١٠٠٣، ١٠١٢.

(٢٦٢) ابن النجار البغدادي، *ذيل تاريخ بغداد*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١٩، ص٧-٩؛ عماد الدين الإصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣)، ج٢، قسم ٤، ص٧٠٨.

أنه تمكن من قراءة عدد من الكلمات والعبارات، كالنسخة الشيعية للشهادة وأسماء الأئمة الاثني عشر للشيعة، بما في ذلك اسم أو لقب الحُجة.[٢٦٣] ويصعب حقا قراءة هذا النقش. وكان الآثاري لودفيك كالوس من البعثة الأثرية الفرنسية أول من نشر نصه الكامل بمساعدة فريق من الآثاريين العرب ربما.[٢٦٤] وبموجب قراءتهم، يقول النقش الآتي:[٢٦٥]

(١) بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول [الله]

(٢) علي ولي الله هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر مما أمر ببنائه

(٣) معالي بن الحسن بن علي بن حماد العبد المطيع الفقير إلى الله سبح اللـ[ـه]

(٤) ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر ومو[سى]

(٥) وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة المنتظر صلوات الله عليهم ابتـ[غاء] لـ XXX

(٦) XXX الله (؟) و (؟) راجيا ثوابه في أيام الملك الفاضل أبو عبد الله محمد بن الفضل أعزه الله سنة ثمان عشر وخمس مائة

(٧) XXX وصلى الله (؟) XXX

---

(263) James Belgrave, *Welcome to Bahrain*, 86.

(٢٦٤) حسين محمد حسين، *مسجد الخميس*، ص٣٩.

(٢٦٥) قدم كالوس نسختين مختلفتين للنص في اثنين من أعماله، تتباينان من حيث تسلسل الأسطر، ربما نتيجة خطأ ما. وهو يضع السطر الخامس قبل الرابع في هذا العمل:

Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 18-19

لكنه يضعه حسب التسلسل الصحيح في هذا العمل:

Ludvik Kalus, 'La *mosquée al-Khamis à Bahrain*: II.,', 54.

ووفقا للنقش، فقد شُيّد المسجد، أو ربما المئذنة، بواسطة معالي بن الحسن بن علي بن حماد الذي لا نملك معلومات حول شخصيته. ويستغرب كالوس من عدم استخدامه لقبا.(٢٦٦) فيما يقترح حسين أنه كان زعيما دينيا اضطلع هو وأبناؤه بالشؤون الدينية.(٢٦٧) ولا بد أن معالي تمتع بسلطة ما، فالنص يذكر أنه الآمر بالبناء، وليس الملك أو الأمير العيوني.

ونقرأ أيضا أسماء الأئمة الاثني عشر وفق ترتيب تسلسلي تقريبا، بالإضافة إلى اسم النبي محمد (ص) وابنته فاطمة. إن كتابة النقش بهذه الطريقة توحي بأن الهدف من تصميمه كان استحضار الهوية الاثني عشرية لبُناة المسجد أمام الجمهور المحلي. وثمة مناقشة للجانب الديني في الفصل السابع. ويظهر السطر السادس أنه قد بني في عهد الملك «أبي عبد الله» محمد بن الفضل عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤-١١٢٥م. لكن شعر ابن المقرب وشرحه وكتاب *خريدة القصر* للإصفهاني والنقش الثاني (أدناه) تخلو من هذه الكنية، بل تسميه أبا سنان. يذكر أن الدولة الصفوية عام ١٦٠٢م قد احتلت البحرين وعملت كثيرا لتدعيم وترسيخ المذهب الاثني عشري في الجزيرة عبر عدة طرق. كما وأخرجت الاثنا عشرية نفسها من تحفظها من العمل السياسي. ويذكر أيضا أن من وسائل الصفويين في نشر الاثني عشرية في القرنين السادس عشر والسابع عشر استخدام الشعارات المذهبية وأسماء الأئمة في النقوش والنقود والتمائم وغيرها.(٢٦٨) وهذا ما سنناقشه بالتفصيل في الفصل الثامن.

(266) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 19.

(٢٦٧) حسين محمد حسين، *مسجد الخميس*، ص٣٨.

(٢٦٨) حول مقارنة بين النقوش التي تتضمن أسماء الأئمة، انظر: *لطف الله هنرفر، گنجينه آثار تاريخى اصفهان: آثار باستاني وألواح كتيبه هاي تاريخي دار أستانا اصفهان* (إصفهان: كتابفروشي ثقفي، ١٩٧١ [١٣٥٠ هـ]؛ وكذلك:

Stephen Blake, Half the World: The Social Architecture of Safavid Isfahan 1590-1722 (Costa Mesa: Mazda Publishers, 1999).



الشكل (١٢): النقش العيوني لمعالي بن الحسن بن علي بن حماد ١١٢٤/ ٢٥ (الصورة للمؤلف)

ويقع النقش الثاني إلى جوار النقش السابق لمعالي بن الحسن بن علي بن حماد (الشكل ١١). وهو أقصر منه وخال من التاريخ، ويبدو لي أنه أقدم بالنظر إلى أسلوب الكتابة. وقد نسخه كالوس على النحو الآتي:[٢٦٩]

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) XXX [عمرت؟] هذه المنارة في أيام الملك العا

(٣) دل زين الدنيا والدين القائم في رضا رب العالمين

(٤) أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله

وقد نتساءل عن سبب ظهور اسم محمد بن الفضل في نقشين متجاورين.

(269) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 19-20.

أضف إلى ذلك، إن تبني الملك محمد بن الفضل لقبَ «القائم» لنفسه، مع الإقرار بالأئمة الاثني عشر في النقش السابق، لأمر غريب؛ إما يعكس فهما سطحيا للعقيدة الاثني عشرية التي تمنح هذا اللقب فقط للمهدي المنتظر،(٢٧٠) أو يوحي بأن من كتب النقش المحتوي على أسماء الأئمة لم يستطع قراءة هذا النقش، ولم يكن يعرف الكنية الصحيحة لمحمد بن الفضل، فأخطأ بها وكتب «أبو عبد الله». وعلى أي حال، فإن هذه المسألة بحاجة لمزيد من الدراسة لكشف وجود تزوير في هذا النقش الإمامي من عدمه.



الشكل (١٣): نقش الأمير العيوني محمد بن الفضل ١١٣٠/ ٤٠ (الصورة للمؤلف)

(٢٧٠) حول الدين والأنشطة العلمية في بلاد البحرين، انظر الفصلين السابع والثامن.

١١ - نظام الإدارة والدواوين والإقطاعات والجيش في الإمارة العيونية

إن المعلومات التي يقدمها شرح *ديوان* حول نظام الإمارة الإداري والاقتصادي وسياقه نادرة ومبعثرة. وهذا مفهوم طبعا في ضوء الهدف الرئيس للشاعر والشارح في أثناء الكتابة عن الإمارة العيونية، ولا سيما القصيدة الميمية، ألا وهو: إظهار أمجاد الأمراء وأخلاقهم الرفيعة وشجاعتهم وذكائهم وكرمهم وإنجازاتهم العسكرية. لكننا سنحاول استخدام هذه المعلومات النادرة والمتفرقة، إلى جانب الأبحاث الحديثة، للإجابة على هذا السؤال.

حكم الأمير عبد الله بن علي العيوني البحرين من الأحساء، وعين عددا من أبنائه وأقاربه حكاما وجامعي ضرائب في ضواحي الأحساء والقطيف وأوال وبلدات الإقليم الحضرية وواحاته. وقد استخدم سياسة توزيع المناصب الإدارية على أفراد أسرته لضمان ترابطها وولائها له. فعيّن الفضلَ بن عبد الله، أحد أبنائه الثمانية الذي لعب دورا عسكريا جوهريا في توطيد الإمارة وتوسيع نطاق حكمها، حاكما على القطيف وأوال، ليصبح الرجل الثاني من حيث الأهمية في الإمارة.(٢٧١) كما عهد إلى ابنه الآخر، الحسن، وبعض أقاربه، كأمير بن ذوّاد وسلطان بن علي بن ذوّاد بن النعمان، بحكم شمالي الأحساء.(٢٧٢) ونصب قريبه أبا يوسف علي بن يوسف بن ضبّار بن عبد الله بن علي حاكما على الرَحْل. وانتقلت هذه المناصب بالوراثة إلى أبناء هؤلاء الحكام ومن ثم أحفادهم من بعد.(٢٧٣) وأسست الإمارة خزينة مالية ومستودعات لتخزين الحبوب. كما اتخذ الأمراء وزراء ومستشارين،(٢٧٤)

(٢٧١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

(٢٧٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٣٢.

(٢٧٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٨، وثمة قائمة بحكام الرَحْل في ص١٠٣٣.

(٢٧٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٥-١٠٠٧.

وتبنوا عَلَما خاصا واستخدموا الطبول في مواكب الجيش واحتفالاته.[٢٧٥] ولا نعلم إن ضرب عبد الله بن علي العيوني النقود، لكننا واثقون من قيام ابنه الحسن بذلك، كما سنبين في الفصل اللاحق.

وقد أقام الأمير دولته على غرار دول عصره المتطورة، فاستخدم نظام الدواوين لتسجيل أسماء الجنود وملاك العقارات وهبات الأراضي. والدواوين التي أسسها الأمراء العيونيون، أو ربما ورثوها عن القرامطة قبلهم، هي: ديوان الإمارة (ربما اختص بالشؤون الدبلوماسية والمراسم)، وديوان الإقطاع، وديوان الجند، وديوان الخزائن. وأدار قريب الأمير، أبو شكر الحسن بن عزيز بن ضبّار بن عبد الله بن علي، هذه السجلات، ليخلفه ابناه بعد وفاته: المبارك والمقرب.[٢٧٦] والثاني هو والد الشاعر علي. ولعل هذا يفسر أسباب تثقيفه وبراعته في الشعر. فربما دربه الأب كي يتولى مهامه في ديوان الإمارة من بعده، الأمر الذي تطلب مهارات لغوية خاصة.

أقطع الأمراء الأراضي للشخصيات المهمة من نخبة المجتمع البحريني لضمان ولائهم ودعمهم المالي والعسكري.[٢٧٧] عرفت هذه الشخصيات باسم «الفرسان».[٢٧٨] واستخدم الأمراء أصنافا عدة من منح الأراضي، فنقرأ أنهم اعتادوا على منح القطائع كضمان، أي أعطوا الأشخاص البارزين قطعا من الأراضي الزراعية لقاء تقديمهم مبلغا من المال سنويا. وربما عاد هذا الصنف من الإقطاعات إلى «الدولة» بعد وفاة

(٢٧٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٨٩.

(٢٧٦) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٠٨-١٠٠٩.

(٢٧٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٠٩-١٠١٠.

(٢٧٨) مجهول، شرح ديوان، ج٢، ص١٠٢٩، ١٠٣٢-١٠٣٤، فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين».

الضامن. وثمة أراض أخرى قُدمت كهبات قابلة للتوريث، وهي مسألة سبق مناقشتها في الفصل الأول.(٢٧٩)

وكما سنبين أدناه، مُنح العقيليون في أواخر عصر الإمارة أراض رحبة لقاء وقوفهم إلى جانب الأمراء في مواجهة خصومهم من الأسرة الحاكمة. وقد أحدث امتلاك العقيليين لهذه الأراضي تحولا لصالحهم في السلطة. ولم يقتصر الأمر على حيازتهم للأراضي وتمتعهم بالإيرادات السنوية فحسب، بل تحكموا أيضا بالمزارعين الذين عملوا لصالحهم، فأثّروا على عنصر مهم من عناصر الجيش العيوني، أي الجنود الفلاحين والعبيد.

من الصعوبة بمكان تحديد طبيعة النظام العسكري الذي تبناه العيونيون. وربما كان تنظيم القوات العسكرية القرمطية (٨٩٩-١٠٧٧م) النموذج الأقرب لنظامهم، فكلاهما عمل في البحرين والجزيرة العربية، وضمّ السكان أنفسهم، أي القبائل العربية والسكان المحليين. وقد حكم القرامطة الإقليم ذاته مدة ١٧٨ عاما. والمعلومات حولهم نادرة كما سبق القول. لكن السمة الأكثر وضوحا لنظام القرامطة العسكري هي اعتماده على التحالف مع القبائل وتجنيدها في الحروب الهجومية، وعلى الفلاحين والعبيد في الحروب الدفاعية. وكانت قبيلة عامر ربيعة القوية العنصر الأبرز في جيشهم، خاصة في المرحلة الأخيرة. ومن القبائل الأخرى المهمة: بنو ضبة وأسد والحريش وكلاب وعنزة وطيء وكلب وهوازن.(٢٨٠)

---

(٢٧٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٦-١٠٠٧؛ فهد الحسين، «النشاط الزراعي في إقليم البحرين».

(٢٨٠) ثابت بن سنان، «تاريخ أخبار القرامطة» في *الجامع في أخبار القرامطة*، ص١٩٣؛ أحمد النويري، «نهاية الأرب في فنون الأدب» في *الجامع في أخبار القرامطة*، ص٤٦٢؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٦٨؛ ناصر خسرو، *سفرنامه*، ص١٠٩.

وثمة القليل من الأدلة المبعثرة التي تزودنا بمعلومات حول الجيش العيوني. وربما تغير تنظيمه قليلاً بمرور الوقت وتبعا لظروف الحروب. وكثيرا ما يتخلل القصص والتقارير المكرسة للحروب على مدار *شرح ديوان* مفردات تتعلق بمعاني تعبئة القوات، مثل: «حشد، وجمع، وانضم»، ما يوحي بأن عددا كبيرا من الجنود لم يكونوا من المحترفين، بل من المؤقتين أو الأغرار الذين تم تجنيدهم في أوقات الحروب الدفاعية والهجومية. وكان هؤلاء غالبا من العبيد والمزارعين وصيادي اللؤلؤ وغيرهم من العمال.

يشير وجود ديوان خاص بالجند إلى امتلاك الإمارة جيشا من الجنود النظاميين الذين تلقوا الرواتب، لكننا لا نعلم إن كان الراتب شهريا أم سنويا. وربما تشكل جنود الإمارة النظاميون وقوات أمنها الذين اعتاشوا على رواتب ديوان الجند، تحديدا الجيش والشرطة، من الغلمان والحاشية على سبيل المثال، فقد عمل هؤلاء على حماية الأمير وأماكن إقامته ورافقوه أيضا في الحروب الهجومية.[٢٨١] ولعل حراس بوابات المدن كانوا ضمن الجنود مدفوعي الرواتب. بالإضافة إلى ذلك، ربما ضمت نواة جيش الإمارة عددا صغيرا من الجنود الذين قاموا بقيادة وتنظيم القوات الرديفة من القبائل الحليفة، والجنود الفلاحين المرسلين من ملاك الأراضي، والسكان المحليين. ونقرأ في *شرح ديوان* أن «عسكر» القطيف شارك في معركة ضد القيسيين في جزيرة سِترة بالقرب من أوال.[٢٨٢]

وكما أوضحنا أعلاه، مُنحت الأراضي لعدد من أعضاء الأسرة العيونية وشخصيات من نخبة المجتمع والفرسان لضمان ولائهم بربط مصالحهم بمصالح الأمراء من جهة، ولزيادة دخل الخزينة من جهة أخرى. ولنا أن

---

(٢٨١) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٢١.

(٢٨٢) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٢٢.

نفترض أن أحد شروط حيازة هذا الصنف من الأراضي كان تزويد الأمراء في أوقات الحروب بعدد من الفلاحين والعبيد كجنود مؤقتين وقيادتهم. وقد تم حشد هذه القوات المؤقتة لحماية المدن من غارات التركمان والقيسيين والبدو.(٢٨٣) وبما أن الجنود العبيد كانوا جزءا من جيش القرامطة كما يذكر ناصر خسرو،(٢٨٤) فإننا نرجح استمرار هذه الممارسة في فترة الإمارة العيونية.

واعتادت القبائل البدوية في البحرين والعراق على الانضمام إلى جيش العيونيين كقوات رديفة في فترات قوة الإمارة. وكما سنبين أدناه، شكل الأمراء الأقوياء، كمحمد بن أحمد العيوني، تحالفا ضخما من قبائل عامر وعائذ وخفاجة وعِبادة والأعلم والمنتفِق لحماية طريق قوافل الحجاج لصالح الخليفة العباسي الناصر لدين الله (حكم ١١٨٠-١٢٢٥م).(٢٨٥) ويبدو أن هذه القبائل تلقت أجرها على هيئة غنائم من الأعداء المهزومين، إذ يذكر مؤلف *شرح ديوان* أن الأمير وزع الغنائم فيما بينها.(٢٨٦) لكن لا معلومات لدينا حول تسجيل جميع هذه القبائل أو بعضها في ديوان الجند وتلقيها رواتب شهرية أو سنوية. ولا نستبعد تسجيلها في هذا الديوان مع تزايد تأثير العقيليين في المراحل الأخيرة، حيث عرفوا باسم «خفر البحرين» لحراستهم القوافل.(٢٨٧)

خدم الحراس في أماكن عدة. وأسس العيونيون سجونا لم يزجوا فيها المجرمين فحسب، بل خصومهم السياسيين كذلك. وقد سُجن الشاعر علي بن

---

(٢٨٣) يذكر مؤلف *شرح ديوان* في تعليقه على إحدى المعارك: «حتى تخرج النجدة من البلد»، انظر: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٣٦-١٠٣٧.

(٢٨٤) ناصر خسرو، *سفرنامه*، ص١١٠.

(٢٨٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٠٢، ج٢، ص١٠٢١.

(٢٨٦) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٢١.

(٢٨٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٣٨.

المقرب وصودرت أملاكه لمعارضته بعض الأمراء العيونيين وخلافه معهم حول سياسة الحكم وعلاقاتهم الوثيقة والمتساهلة مع البدو.[٢٨٨] وكان لهذه السجون حراسها الخاصون.[٢٨٩] وبما أن اقتصاد البحرين اعتمد على الزراعة والتجارة، فمن غير المستبعد وجود شرطة للأسواق، إلا أن مصدرنا لا يزودنا بمعلومات حولهم.

وما زال الغموض يلف أيضا مسألة القضاة والنظام القضائي في الإمارة العيونية. إذ نعرف اسمي قاضيين فقط: الأول هو علي بن أبي الهوارس الذي كان على قيد الحياة عام ١١٥٩م، وخدم في الوقت نفسه الأمير عزيز بن المقلد في القطيف،[٢٩٠] والثاني هو محمد بن إبراهيم المستوري الذي شغل منصب قاضي القطيف أو أوال كما يظن الجنبي.[٢٩١]

١٢ - خاتمة الفصل الثالث

بدأت الإمارة العيونية التي دامت حوالي ١٦٠ عاما بثورة قائد محلي حضري يدعى عبد الله بن علي العيوني من قبيلة عبد القيس. كان مالك أراض ثريا من واحة العيون شمالي الأحساء. نجح هذا القائد في إسقاط القرامطة في معقلهم الأخير في الأحساء عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م بمساعدة كل من أفراد أسرته وتحالف ضم قبائل البحرين الصغرى والزعيم التركماني أرتق بك. لكن ما لبث أن وقع خلاف على المصالح بين العيونيين الساعين إلى تأسيس دولتهم المستقلة والتركمان الطامحين إلى السيطرة على الإقليم وبناء دولتهم الخاصة. قَتَلَ عبد الله العيوني القائد التركماني البغوش أخا أرتق وطرد جيشه من الأحساء.

(٢٨٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٣٨-١١٥٤، ١١٩٤-١٢٤٣.

(٢٨٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٣.

(٢٩٠) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء العراق*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠) ص٨٥٤.

(٢٩١) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٥١١-٥١٥.

أعقب ذلك مجموعة حملات فاشلة بزعامة قادة تركمان، كركن الدولة سقمان حفيد أرتق بك وخمارتكين والقاروتي. اتسمت الإمارة بالقوة في مرحلتها التأسيسية بسبب الروابط الأسرية المتينة التي وحّدت أعضاءها. ونجح المؤسس بمساعدة أبنائه، ولا سيما الفضل، في السيطرة على الإقليم وقام بتوزيع السلطة على أعضاء الأسرة العيونية بأن قلدهم مناصب إدارية وأقطعهم الأراضي. وسعت الاستراتيجية الأخرى إلى حرمان البدو من عامر ربيعة من المبلغ السنوي الذي اعتادوا تلقيه من القرامطة لقاء ولائهم وحمايتهم طرق التجارة، بل وحتى منعهم من الرعي في صحاري البحرين. لكن قبيلة أخرى وصلت إلى الإقليم بعد فترة قصيرة، هي قبيلة بني عقيل بن عامر، ربما من صحاري وسط الجزيرة العربية أو جنوب العراق، لتشكل منافسا خطيرا للعيونيين.

ولا نتفق مع أطروحة المؤرخين المعاصرين حول وجود علاقة بين المؤسس عبد الله بن علي العيوني والخلافة الفاطمية، فنرى أن الدليل الذي يعتمدون عليه إشكالي. كما نجادل، خلافا لما يزعمه هؤلاء المؤرخون، بأن لا العباسيين ولا السلاجقة كانوا مهتمين بضم إقليم البحرين ولا الفاطميين كذلك، وبأنه لم يشكل ساحة حرب مذهبية بين السلاجقة السنة والفاطميين الشيعة كما تم تصويره. ونرجح أن التركمان الخارجين عن السيطرة عملوا على تحقيق مصالحهم الخاصة وحاولوا إقامة إماراتهم المستقلة في مناطق طرفية كانت البحرين منها. واتبعوا بهذا نموذجا قد تم إرساؤه بعد معركة ملاذكرد في الأناضول بشكل خاص عام ١٠٧١م.

أنشأت الإمارة، أو ربما استمرت في استخدام، نظام إدارة مدني متطور ضمَّ مجموعة من الدواوين المعنية بتسجيل الجنود وإقطاعات الأراضي والخزينة والشؤون الدبلوماسية والاحتفالية. وكان للإمارة وزراؤها أيضا

على غرار الدول المتقدمة في ذلك العصر، وإن كان بشكل مصغر. وقد انتهت هذه الفترة بمقتل الأمير أبي سنان، الذي انتعش الاقتصاد في عهده، وبدت مظاهر عمرانية وأدبية تشهد على ذلك.

الفصل الرابع
اضمحلال الإمارة العيونية وسقوطها
(١١٤٠-١٢٣٦م)

١ - مقدمة

يتناول هذا الفصل انحدار الإمارة العيونية وسقوطها. نبدأ بفترة الانقسام السياسي للإمارة بين الأحساء والقطيف على إثر مقتل الأمير أبي سنان في وقت ما من ثلاثينيات أو أربعينيات القرن الثاني عشر. ونغطي كذلك فترة التعافي وإعادة التوحيد القصيرة (١٢٠٠-١٢٢٠م)، فيما نختتم بفترة ضعف الإمارة وسقوطها في يد الأتابكة السلغوريين في أوال، والعقيليين في الأحساء ثم القطيف.

نجادل في هذا الفصل بأن الصراعات والانقسامات الحادة ضمن الأسرة الحاكمة قد أضعفت الإمارة بشكل كبير، فتمكن العقيليون والقوة الخارجية المتمثلة بملوك جزيرة قيس ومن ثم الأتابك أبو بكر السلغوري من احتلال بعض أراضي البحرين وجزره، وفرض ضرائب باهظة على العيونيين، الأمر الذي أدى إلى الاستيلاء على السلطة في نهاية المطاف.

٢ - مرحلة الانقسام السياسي بين الأحساء والقطيف وأوال (١١٣٠/ ١١٤٠-١٢٠٠م)

مهد مقتل الأمير أبي سنان لفترة جديدة في الإمارة العيونية. وعلى الرغم من بقاء البحرين خاضعا للحكم العيوني، فقد انقسمت الإمارة إلى اثنتين، وأحيانا ثلاث، أصغر على غرار دويلات المدن. اتسمت هذه المرحلة بالصراع والانقسام الحاد بين الأمراء العيونيين الذين انشغلوا بالمؤامرات

والاقتتال واغتيال بعضهم البعض. وأخذ تأثير الزعماء القبليين للعقيليين بالتزايد، فاستغلوا الانقسامات والمنافسات ليدعموا بعض الأمراء ضد آخرين. شهدت هذه الفترة أيضا ظهور منافس إقليمي جديد هو جزيرة قَيْس الواقعة عند مدخل الخليج العربي، التي ما لبثت أن تحولت إلى مركز تجارة بحرية في غاية الأهمية. بدأ حاكمها باكزرا أو باكرزاز بشن حملات متكررة على جزيرة أوال وسيطر عليها أحيانا. كما استغل انقسامات الأمراء العيونيين وتنافسهم ليتدخل في سياسة البحرين واقتصاده بالتحالف مع بعض الأمراء على حساب آخرين.

وللأسف، يشوب الغموض المتزايد عرض شرح *ديوان ابن المقرب* للسرد التاريخي من هذه الفترة إلى زوال الإمارة، كما أنه غير منسجم في أماكن عدة بخصوص الأسماء والتواريخ وترتيب الأحدث. ولهذا السبب اختلف المورخون المعاصرون حول ترتيب الأحداث وتفسيرها.

خضعت الأحساء لحكم أبي منصور علي بن عبد الله بن علي العيوني، العم الأكبر لأبي سنان.[٢٩٢] وخضعت جزيرة أوال والقطيف لحكم عمه الأصغر أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي العيوني.[٢٩٣] وبعد مقتل الحسن، الذي ترك خلفه أولادا صغارا، استولى الأمير العزيز بن المقلد بن عبد الله بن علي العيوني، ابن عم أبي سنان، على القطيف.[٢٩٤] وهكذا حكم ثلاثة أمراء ثلاث مدن منفصلة سياسيا.

(٢٩٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٥-١٠٠٦.

(٢٩٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٦-١٠٠٧.

(٢٩٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

٢-١- الأحساء تحت حكم فرع علي بن عبد الله بن علي

يروى أن عليا أصبح حاكم الأحساء بعد قيامه وأخوه الحسن بقتل ابن أخيهما أبي سنان.[٢٩٥] والحادثة الأهم في فترة حكم علي هي المعركة ضد ابن أخيه عزيز بن مقلد بن عبد الله بن علي أو عزيز بن الفضل حاكم القطيف الذي استولى على السلطة بعد وفاة الحسن أمير أوال والقطيف. عرفت هذه المعركة باسم السليمات (منطقة قريبة من الأحساء). وقد هُزم جيش الأحساء على يد عزيز، لكن جيشه لم يدخل المدينة أو يحتلها. ومن جانب آخر، يفسر الشاعر وشارح ديوانه كيف تجلى كرم أبي منصور الشديد حين خسر الناس محاصيلهم نتيجة الحرب وآفة زراعية وقعت في ذلك العام، فقد «فتح الخزينة» وأعفى شعبه من الضرائب.[٢٩٦]

ووقع انقسام أعمق في الأسرة الحاكمة، إذ قُتل الأمير أبو منصور علي بن عبد الله على يد ثلاثة من أبنائه: منصور والمسيب وأحمد، ففر أبناؤه الآخرون من الأحساء إلى البدو العقيليين في البادية حيث استضافهم أبناء الشيخ شبانة بن غفيلة. وأخذ الأبناء الفارون بثأرهم بأن قتلوا أخاهم الأمير المنصور بمساعدة هذه القبيلة وصاروا أمراء الأحساء.[٢٩٧]

ومنذ ذلك الوقت وحتى إعادة توحيد الإقليم مع مطلع القرن الثالث عشر بقيت الأحساء تحت حكم أمراء من فرع علي بالدرجة الأولى. وقد ازداد التأثير السياسي لقبيلة العقيليين على إثر تدخلهم في الصراع بين أمراء الأحساء، فوجدوا بذلك طريقهم إلى اختراق بيت الإمارة.

---

(٢٩٥) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٢.

(٢٩٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٥-١٠٠٦.

(٢٩٧) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١١٨٦-١١٨٧.

وهنا تبدأ المصادر بتزويدنا بمعلومات حول القطيف وأوال أكثر من الأحساء. وهذا إما لأنها صارت أقل أهمية أو، وهو الأرجح، لأن الشاعر الذي كان من أبنائها قد أغفل متعمدا ذكر قصائد وأبيات تتضمن معلومات حول الأحداث السابقة فيها لأسباب شخصية تتعلق بعلاقاته المضطربة مع معاصريه من أمرائها ومشاعره نحوهم، وهم الذين سجنوه وصادروا ممتلكاته.[٢٩٨]

٢-٢- جزيرة أوال والقطيف تحت حكم فرع الحسن بن عبد الله بن علي

سيطر الحسن بن عبد الله بن علي العيوني (توفي ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م) على القطيف وجزيرة أوال. ودام حكمه أحد عشر عاما.[٢٩٩] ويبدو أنه لم يواجه تحديات خطيرة. واجتذب بعضَ الأُسَرِ من المناطق المحيطة للهجرة إلى القطيف. من الأمثلة على ذلك خبر هجرة آل الدياسمة من قبيلة عبد القيس التي غادرت الأحساء في ظل حكم أخيه علي، ووصلوا إلى القطيف حيث استقبلهم الحسن بترحاب حار ومنحهم ممتلكات وعبيداً ومبالغ كبيرة من المال.[٣٠٠]

ولا تحدد مصادرنا الكتابية فترة حكم الحسن في أوال والقطيف بدقة، باستثناء إشارة في ملحق *شرح ديوان* إلى سنوات الحكم الإحدى عشر التي أعقبت مقتل أبي سنان.[٣٠١] ومع ذلك، تلقي الأدلة الأثرية ضوءا على هذه المسألة. فالنقود العائدة إلى فترة الحسن بن عبد الله، التي درسها نايف

(٢٩٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٢.

(٢٩٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

(٣٠٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٠٧-١٠٠٨.

(٣٠١) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

الشرعان، تقدم معلومات حول اسم الأمير وأماكن الضرب وتواريخه والشعار السياسي الديني.

ضُربت نقود الحسن بن عبد الله بن علي بين الأعوام ٥٤٤-٥٤٩ هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م، وهي تظهر أنه اتخذ لقب «أمير الدنيا والدين» (انظر الشكل ١٢). ويرد في عدد منها ذكر مكاني الضرب: أوال، وأرض الخط أو الخط (وهما اسمان آخران للقطيف). ويتخلل معظمها شعار «علي ولي الله»، وهو رمز شيعي واضح وجلي. ولربما ضُربت هذه النقود المسكوكة من النحاس والرصاص لتأكيد حكمه وشرعنته بعد قتل ابن أخيه. ويرى الشرعان أن الحسن أراد بإسقاطه اسمي الخليفتين العباسي والفاطمي التأكيد على استقلال إمارته التام عن الخلافتين كليهما.[٣٠٢]





الشكل (١٤): عينات من النقود العيونية (نايف الشرعان، *نقود الدولة العيونية*، ٢٥٢-٢٥٤)

(٣٠٢) نايف الشرعان، *نقود الدولة العيونية*، ص٩١-١٤٤، ١٥٨، ٢٢٤. وحول مناقشة الدين في البحرين، انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

٢-٣- الصراع على حكم القطيف وغارات مملكة قيس

أصبح الوضع السياسي في القطيف أكثر تعقيدا وأقل استقرارا بعد موت أميرها الحسن. وتعاقب على الحكم عدد من الأمراء المنتسبين إلى فروع أخرى من الأسرة لفترات قصيرة. ويقدم مصدرنا، *شرح ديوان*، بعض المعلومات حول الأمراء الذين خلفوا الحسن. فكان أولهم عزيز بن مقلد بن عبد الله بن علي العيوني، ابن عم أبي سنان.[٣٠٣] ويبين ملحق *شرح ديوان* أن القيسيين أغاروا على أوال عام ١١٥٤م خلال عهد عزيز.[٣٠٤] وقد نُقش هذا التاريخ على آخر النقود التي ضربت في عهد الحسن، وهذا دليل على أن هذا العام كان الأخير للحسن في السلطة والأول لعزيز بن المقلد.

ويؤكد مصدر آخر هو *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر* لعماد الدين الإصفهاني اسم العزيز بن مقلد مضيفا أنه اتخذ لقب «قِوام الدين» وكان في السلطة عام ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩م.[٣٠٥] ومع ذلك، يفيدنا *شرح ديوان* بأن حاكما اسمه عزيز بن الفضل بن عبد الله كان يوصف بـ «الملك»، وقد زاره شاعر يدعى الثعلبي وامتدحه بقصيدة.[٣٠٦] ومن الصعوبة بمكان تحديد أيهما حكم قبل الآخر، إن لم يكونا الشخص نفسه. ولكن الأمير عزيز بن مقلد قُتل على يد ابن عمه هجرس بن محمد بن عبد الله الذي لم يدم حكمه طويلا، إذ بقي في السلطة عاما واحدا فقط.[٣٠٧]

(٣٠٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧.

(٣٠٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٧-١٢٨٨.

(٣٠٥) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء العراق*، ص٨٥٣.

(٣٠٦) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٠٣. إن رداءة الخط قد تؤدي إلى قراءة خاطئة لكلمتي «فضل» و «مقلد» بالنظر إلى احتوائهما على حروف متشابهة من ناحية الرسم (نقصد الحروف: و ر/ م ص).

(٣٠٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٨.

وثمة تهديد خارجي جديد تمثل بجزيرة صغيرة في الخليج العربي تدعى قَيْس، ويسميها الفرس «كيش»، بدأت بالإغارة على أوال. وقد اشتهرت مملكة قيس بنشاطها التجاري البحري المكثف في الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي. وحاولت احتلال الموانئ ذات الأهمية الاستراتيجية وفرض سيطرتها عليها لإدارة شبكة تجارة بحرية، فكان ميناء أوال أحد الضحايا.[٣٠٨] وبموجب ملحق *شرح ديوان* احتل ملك قيس المدعو باكزرا أو باكرزاز بن أسعد بن قيصر جزيرة أوال ونهبها عام ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م، وبقي هناك فترة من الوقت قبل مغادرتها.[٣٠٩] ويضيف *شرح ديوان* أن أبا مقدم شكر بن الحسن بن عبد الله بن علي،[٣١٠] الذي تبوء العرش بعد وفاة هجرس بن محمد بن عبد الله، أرسل أخاه الزير بن الحسن لقتال المعتدين في جزيرة سِترة الملاصقة لجزيرة أوال، فهزم القيسيين وأسر بمسار أخا ملكهم ليطلق سراحه فيما بعد،[٣١١] ربما كنتيجة لمفاوضات أو صفقة سياسية.

ومع ذلك استمر باكزرا القيسي بشن سلسلة من الغارات. وهكذا تنقل حكم أوال بين العيونيين والقيسيين تبعا للمنتصر في المعارك. ووفقا لتفسير المديرس، أَلِف القيسيون العيونيين بما فيه الكافية فتحالفوا أحيانا مع أمراء

(308) See D.T. Potts, ‘Kish Island,’ *Encyclopaedia Iranica*; Ralph Kauz, ‘The Maritime trade of Kish’ in *Beyond the Legacy of Genghis Khan*, ed. Linda Komaroff (Leiden: Brill, 2012), 51-67.

(٣٠٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٨.

(٣١٠) لا ينبغي الخلط بين هذا الشخص وابن عمه الذي يحمل الاسم والكنية نفسيهما: أبو مقدم شكر بن عبد الله بن علي.

(٣١١) يقول الشاعر:

ويوم سترة منا كان صاحبه — لاقت به سامة والحاسك الرقما

ألفين غادر منهم مع ثمانيميء — صرعى فكم من بعدها مرضع يُتِّما

انظر الشرح في: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٢٢-١٠٢٣.

ضد آخرين مستغلين انقساماتهم وتنافسهم. ومن الأمثلة على ذلك قصة شكر بن منصور وأخيه عبد الله اللذين تحالفا مع القيسيين وواجها أمير أوال في معركة ابن الحيّاش.[٣١٢] وإذ يصعب علي شخصيا تحديد طريقة تفسير المديرس للقصة وصولا إلى اقتراح وجود هذا التحالف، إلا أنني أراه معقولا وقابلا للتكهن في ضوء المصالح المتبادلة بين الأمراء والقيسيين.

ويبدو أن الأمراء العيونيين فشلوا في بناء قوة بحرية قادرة على العمل في الخليج في ظل ما عانوه من هجمات متكررة من دول الساحل الإيراني، كمملكة قيس وأتابكة فارس لاحقا. ولم يظهر العيونيون مجرد اهتمام في دخول المنافسة بين الدول الإيرانية التي تزاحمت للهيمنة على التجارة البحرية في الخليج. وربما يعود هذا إلى سببين: الأزمات الداخلية والصراعات بين الأمراء والعقيليين، وتوجههم الاستراتيجي نحو سياسة واقتصاد مرتكزين على الزراعة.

٣ – مرحلة التعافي وإعادة التوحيد السياسي في عهدي شكر بن منصور ومحمد بن أحمد (حوالي ١٢٠٠–١٢٢٠م)

شهدت فترة حوالي الأربعين عاما من الانقسام السياسي نهايتها بصعود الأمير شكر بن منصور بن علي الذي تمكن بمساعدة أخيه عبد الله من ضم المدن الثلاث الرئيسة تحت حكمه، مدشنا ما اصطلح المؤرخون المعاصرون للعيونيين على تسميتها «مرحلة التعافي وإعادة التوحيد». كان شكر أمير الأحساء التي خضعت طويلا لحكم فرع علي. وقد استطاع احتلال القطيف وأوال الخاضعتين لحكم الحسن بن شكر بن الحسن المتحدر من

(٣١٢) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٨٩–١٢٩٠؛ عبد الرحمن المديرس، *الدولة العيونية في البحرين*، ص١٢٥.

فرع الحسن. حكم الأمير شكر الإقليم برمته لسبعة أعوام ممهدا الطريق لأمير آخر بارز، من فرع الفضل، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل (حوالي ١٢١٢-١٢٢٠م) حفيد أبي سنان الذي كان ينتمي إلى القطيف.[٣١٣]

أثبت الأمير محمد بن أحمد كفاءته بما لديه من أدوات سياسية تفوّق بها على معاصريه من الأمراء. واستمد قوته من مصدرين: الأول هو قبيلة العقيليين التي كان زعماؤها أخواله ولاحقا أصهاره؛ والثاني هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله (حكم ١١٨٠-١٢٢٥م) الذي طور معه تحالفا سياسيا وعسكريا.

٣-١- التحالف بين الأمير محمد بن أحمد والعقيليين

يتضمن شعر علي بن المقرب معلومات غنية نسبيا حول الأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل وسياساته وإنجازاته، فالشاعر قابله في مناسبات عدة وألقى قصائده الأولى في حضرته،[٣١٤] خصوصا في فترة حكمه الثانية التي بدأت عام ١٢١٢م.

حكم الأمير محمد مرتين، الأولى عام ١٢٠٢-١٢٠٣م، ليتنحى بعد فترة قصيرة لأسباب مجهولة.[٣١٥] ثم مضى إلى الصحراء وأقام مع أخواله زعماء العقيليين.[٣١٦] وأمه هي طُريفة بنت شبانة بن غُفيلة أخت شيخ العقيليين.[٣١٧]

وكانت هذه العلاقة مفيدة للأمير، إذ وحدته مع العقيليين الذين شكلوا

(٣١٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٣٤، ١٢٨٩-١٢٩٠.

(٣١٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٩١.

(٣١٥) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٨٩.

(٣١٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٦٨١.

(٣١٧) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١١٦٣.

مصدر متاعب للأمراء السابقين. فعوضا عن تحديهم إياه، صار بمقدوره الآن قيادتهم. وقد استخدم أيضا زواجا سياسيا لتوطيد علاقته معهم، فتزوج ابنة خاله الحسين بن المفدى بن سنان بن غفيلة.(٣١٨) كما أنجز اتفاقيات سياسية مع فروع أخرى للعقيليين.(٣١٩) ويبدو أن الأمير محمد أقصى أقاربه العيونيين تحسبا لضلوعهم في الخيانة. وبات الاعتماد على دعم الأسرة العيونية كوسيلة للحفاظ على السلطة سياسة غير صالحة بعد سلسلة الاغتيالات التي طالت الأمراء العيونيين السابقين.

ونجح الأمير، بمساعدة العقيليين، في استعادة القطيف وأوال من شكر بن منصور وأخيه عبد الله اللذين فرا إلى الأحساء.(٣٢٠) وقد ألحق الهزيمة بشكر فيما بعد ليصبح الأمير الوحيد للإقليم كله. ولعل نقل عاصمته من القطيف إلى الأحساء عائد إلى أنها العاصمة الأولى للإمارة، ومكان المعارضين الرئيسيين، علاوة على أنها كانت أقرب إلى مراعي العقيليين في وادي الصمان. وفي هذه المدينة استقبل البعثات الدبلوماسية وباشر حملاته العسكرية منها.(٣٢١)

٣-٢- التحالف بين الأمير محمد والخليفة العباسي الناصر لدين الله

ربما كان التحالف مع البدو غير كاف للأمير الطموح، لذا سعى إلى الحصول على مصدر آخر للسلطة وشكل جديد ومختلف من الشرعية. وقد توافقت طموحاته مع المتطلبات الاستراتيجية للخليفة العباسي الناصر

---

(٣١٨) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٧٢٩-٧٣٠.

(٣١٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٦٨٥، ١١٦٣.

(٣٢٠) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩٠.

(٣٢١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠١٨.

لدين الله. يفسر إريك هينّي استراتيجية الناصر على النحو الآتي «بدأ الخلفاء، منذ عهد القادر، بإعادة تعزيز مكانتهم داخل بغداد فدافعوا عن دورهم من خلال شرعنة قوى إقليمية أخرى»، ويضيف «مع عهد الناصر لدين الله (١١٨٠–١٢٢٨م) كان العباسيون قوة واضحة في المنطقة».[٣٢٢] وتأتي أهمية هذا الاستقراء لحال العباسيين من أنه يوضح نقطة تحول في مكانتهم السياسية بعد فترة طويلة من طغيان العناصر التركمانية والديلمية والسلجوقية عليهم.

عهد الخليفة العباسي إلى الأمير العيوني بحماية طريق الحج من بدو العراق. ويروى أن قبائل عدة نزحت من الشام تتألف من طي، وزبيد، والخَلْط، وربيعة الشام، واجتمعت إليهم غزية، وهؤلاء بقيادة سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك بن السميط، وهم أمراء آل الجراح من بني ربيعة من طي، ودهمش بن سند بن غزية، واستقرت في صحراء العراق الغربية. وقامت بمضايقة قبائل بني عقيل هناك: عامر، وعائذ، وخفاجة، ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة، وهم الذين كانوا يتولون حماية قوافل الحج. وقامت القبائل الشامية أيضا بنهب القوافل وابتزازها بمزيد من المبالغ المالية. وعندما وصلت الأخبار إلى الخليفة أرسل مبعوثا إلى الأحساء يطلب من الأمير محمد محاربة البدو وحماية طريق الحج. وقد وجد الأمير في هذا فرصة ذهبية لربط نفسه بالخليفة العباسي، فأعد جيشه وأسس تحالفا واسعا مع القبائل البحرينية والعراقية، كعائذ والأعلم وخفاجة وعِبادة والمنتفق. وصل الجيش إلى صحراء العراق وهزم القبائل متعقبا فلول قواتها حتى ضريح علي في النجف وضريح الحسين في الغاضرية في كربلاء، حيث التجؤوا. ودخل دهمش بن سند بن أجود زعيم قبيلة غزية المهزومة إلى ضريح علي، لكن ألقي القبض

(322) Eric J. Hanne, *Putting the Caliph in His Place: Power, Authority, and the Late ʿAbbāsid Caliphate* (New Jersey: Rosemont Publishing & Printing Corp., 2007), 21, 25.

عليه وأُرسل إلى الخليفة العباسي. وبموجب وصف ابن المقرب أصبح الأمير محمد مؤثرا للغاية في صحاري العراق والشام ونجد وعمان.(٣٢٣)

ويصف الشاعر في أبيات عدة رضى الخليفة عما أنجزه الأمير، فيقول إنه سمّاه «زعيم الأعارب».(٣٢٤) ويضيف الشارح أن الخليفة منح الأمير عطايا سنوية تضم ثيابا مصرية وفارسية فاخرة وإمدادات غذائية، كالشعير والقمح والأرز وتمور البصرة.(٣٢٥)

وهنا تكمن إحدى مزايا كتاب *شرح ديوان ابن المقرب*، فهو يوثق حركة نزوح وهجرة القبائل الكبرى في البوادي العربية، التي تجيب بدورها عن كثير من الأسئلة المطروحة حول تاريخ هجرات قبائل معينة، ويسجل الخريطة السكانية للجزيرة العربية. وتتجلى أهميته أيضا في ما يقدمه من معلومات حول الأسماء الأقدم للقبائل الحالية.

٣-٣- انهيار تحالف الأمير محمد بن أحمد مع الكثير من فروع العقيليين ومصرعه

شهدت الفترة الأخيرة من عهد الأمير محمد بن أحمد ضعف التحالف الذي وطده مع الكثير من فروع العقيليين. وربما شعر هؤلاء بالتهميش والانحدار إلى موقع ثانوي في الإمارة بعد كل ما بلغه الأمير من مجد

(٣٢٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠١٧-١٠٢٠. يقول الشاعر:

منا الذي ضُربت حُمْرُ القِباب له ... بالمشهَدَيْن وأعطى الأمنَ وانتقما

(٣٢٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٠٢. يقول الشاعر:

ومال أميرُ المؤمنين بودِّهِ ... إليه وسمّاه زعيمَ الأعاربِ

(٣٢٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٢٠-١٠٢١. يقول الشاعر:

منا الذي كل عامٍ بالعراق له ... رَسمٌ سَنيٌّ إلى أن ضُمّن الرّجما

ونفوذ. ويبين ملحق شرح *ديوان* أنه اتخذ وزيرا اسمه الحاج علي بن فارس الكازروني.[٣٢٦] وتشير هذه النسبة إلى كزرون، وهي بلدة فارسية قريبة من شيراز.[٣٢٧] وربما كان تعيين هذا الوزير، الذي يرجح أنه فارسي الأصل أو التعليم، سببا مهما وراء خيبة أمل العقيليين. وهكذا بدأت علاقات البدو بالأمير بالتغير.[٣٢٨] ويبدو أن بعض فروع العقيليين أخذت تتذمر وتحضر لفعل سياسي، وربما كان هؤلاء ممن لم يرتبطوا شخصيا بالأمير أو يتمتعوا بعلاقات اجتماعية مباشرة معه، وممن لم ينالوا امتيازات اقتصادية وسياسية في الإمارة أسوة ببني عمومتهم الذين صاهروا الأمير.

حاكت هذه الفروع المتذمرة لقبيلة العقيليين مؤامرة للاستيلاء على السلطة في الإمارة بزعامة راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة وأمير من الأسرة الحاكمة نفسها اسمه غرير بن الحسن بن شكر بن علي. نص الاتفاق بينهما على أن يقوم راشد بقتل الأمير محمد بن أحمد ليتولى غرير مكانه بسدة الإمارة. ولقاء ذلك ينال راشد ممتلكات القطيف العائدة للإمارة، بالإضافة إلى مزارع في أوال وخيول وأسلحة وعدد من سفن صيد اللؤلؤ والسفر. كما تنال أسرته وفرع من قبيلته ومن تعاون معه مبلغا ماليا سنويا وثيابا فاخرة من الإمارة. وهكذا أنجز الاتفاق وقُتل الأمير محمد ودفن في القطيف في حوالي عام ١٢٢٠ م.[٣٢٩]

على إثر ذلك صار راشد بن عميرة الزعيم الأقوى في الإقليم، ولم يقتصر الأمر على حيازته ممتلكات واسعة وتحكمه شبه الكامل باقتصاد البحرين،

---

(٣٢٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩٠.

(٣٢٧) انظر: ياقوت، معجم *البلدان*، ج٤، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٣٢٨) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٣٧٧، ١٠٩٥.

(٣٢٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٦٠٣، ج٢، ص٨٠٦، ٩١٦، ١٢٢٦-١٢٢٧.

بل تحكم أيضا بالأمير غرير بن الحسن.[٣٣٠] وسينجح ابنه عصفور لاحقا في تأسيس ما يعرف بالإمارة العصفورية أو العقيلية.[٣٣١]

٤ - مرحلة الاضمحلال والسقوط

خسرت الإمارة بمقتل الأمير محمد تأثيرها السياسي والعسكري في الإقليم وانزلقت إلى الاضطراب. فانقسمت مجددا إلى إمارتين، واحدة في الأحساء وأخرى في القطيف وأوال. وخلال ثلاثين عاما تقريبا انتقل منصب الأمير إلى ما يزيد على عشرة أمراء مختلفين ممن تمتعوا بنفوذ وسلطة أقل. فكانوا مجرد دمى في أيادي العقيليين الأقوياء، ولا سيما فرع راشد بن عميرة وابنه عصفور، الذين عرفوا أحيانا باسم العماير، وفي الدراسات الحديثة باسم «العصفوريين».

دعم الخليفة العباسي ابن الأمير محمد: الفضل بن محمد كي يسترد عرش أبيه. واستأنف القيسيون غاراتهم على أوال والقطيف ليزداد تأثيرهم في الإقليم. لكن ملكهم خسر مملكته لصالح الأتابك أبي بكر السلغوري الذي احتل جزيرة قيس. وفيما بعد وضع أبو بكر حدا للإمارة العيونية في أوال عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م، فيما خضعت مدينة الأحساء الداخلية لحكم العقيليين كما سنرى بالتفصيل في الأقسام القادمة.

---

(٣٣٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٨٠٦.

(٣٣١) انظر الفصل الخامس.

٤-١- الخلافة العباسية ودعمها للأمير الفضل بن محمد

سافر الفضل بن محمد وخاله الحسين بن المفدى بن سنان، الذي كان من الفرع الموالي من العقيليين، إلى بغداد للحصول على دعم الخليفة العباسي الناصر لاستعادة عرش الإمارة، ولا سيما أن والده كان حليف الناصر. ويروى أنه طلب من الخليفة معدات هدم الأسوار، كالمجانيق والنفط، مع جنود قادرين على استخدامها. كان رد الخليفة إيجابيا، فأرسل الأسلحة والجنود مع الفضل. نجحت المهمة وصار الفضل أمير القطيف وأوال وانتقم من غرير الذي حكم عاما واحدا.[٣٣٢]

لكن العلاقة بين الخلافة والبحرين توقفت بعد ذلك كما يبدو. فلم يعد بمقدور الخليفة الاعتماد على أمراء ضعفاء تعوزهم السلطة الحقيقية في حماية طرق التجارة والحج في صحاري العراق والجزيرة العربية. أضف إلى ذلك أن الأمير الفضل منح خاله العقيلي الحسين بن المفدى وأسرته الكثير من الممتلكات والمبالغ المالية لقاء ولائهم، وكان ذلك في الواقع على حساب سلطته الفعلية على الإمارة، وعلى حساب الممتلكات الخاصة لأصحاب الأراضي أحيانا.[٣٣٣]

٤-٢- سيطرة القيسيين على اقتصاد البحرين

أُجبِر الأمير الفضل على توقيع اتفاقية مذلة مع حاكم قيس غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشيد، دفع بموجبها ضريبة سنوية ضخمة وتخلى عن سيادة الإمارة على العديد من الجزر الصغيرة لصالح القيسيين.

---

(٣٣٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٢٧-١٢٢٨، ٩١٦.

(٣٣٣) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٢٧-١٢٢٨.

ويذكر ملحق شرح *ديوان* بنود هذه الاتفاقية بالتفصيل. فهي تنص على خضوع الجزر البحرينية الثلاث، أُكُل والجارم والطيور، لحكم القيسيين. والأمر ذاته ينطبق على قرى آدم والمدبغة والحورة والسماهيج وعسكر السمك في أوال. ويتوجب على الإمارة دفع مبلغ سنوي مقداره ٥٠٠ دينار إلى حاكم قيس الذي يتلقى، علاوة على ذلك، نصف الضرائب المفروضة على العديد من الأنشطة التجارية، بما فيها صيد اللؤلؤ والزراعة (الخراج والعشور)، وينال الكثير من مزارع القطيف وتاروت. وقد سرت هذه الاتفاقية حتى بعد اغتيال الفضل الذي حكم لعشرة أعوام.[٣٣٤] ويؤكد ياقوت الحموي ذلك بذكره حصول ملك قيس على ثلثي دخل البحرين.[٣٣٥] وهكذا خضعت الإمارة فعليا للقيسيين والعقيليين، بانتظار السقوط السياسي النهائي.

سقطت الأسرة المالكة لجزيرة قيس، أي أسرة بني قيصر، على يد ملك هرمز سيف الدين أبي نضر التابع لأتابك فارس سعد بن زنگي السلغوري (توفي ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م).[٣٣٦] وكانت مملكة هرمز منافسةً لمملكة قيس في التجارة البحرية.[٣٣٧] ويروي ملحق شرح *ديوان* أن سيف الدين أبا نضر (أو أبا نصر وفقا لوصّاف) أرسل موظفا يدعى شهاب الدين جسرو (أو ربما خسرو) لجمع المبلغ الذي اعتاد القيسيون تلقيه من أوال.

(٣٣٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩١-١٢٩٣.

(٣٣٥) ياقوت، معجم *البدان*، ج٤، ص٤٢٢.

(٣٣٦) انظر: رشيد الدين همداني، *جامع التواريخ: تاريخ سلغوريان فارس*، تحقيق محمد روشن (طهران: مركز پژوهشى ميراث مكتوب، ٢٠١٠)؛ حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، تحقيق عبد الحسين نوايي (طهران: مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٨٧ هـ [١٩٨٨])، ص٥٠٥-٥٠٦.

(٣٣٧) الدراسة الأشمل لتاريخ مملكة هرمز هي كتاب واقع في جزئين لأحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية* (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ١٩٩٩)، ص١٢٠.

٤-٣- سقوط الإمارة العيونية في الأحساء في يد العقيليين حوالي عام ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م

عاد حكم الأحساء إلى فرع علي بن عبد الله، فحكم عدد من الأمراء، بما فيهم محمد بن ماجد بن محمد بن علي الذي بقي في السلطة عشرة أعوام قبل أن يلقى مصرعه على يد عمه مسعود بن محمد الذي أخذ العرش ليخلفه ابنه الفضل الذي صادر الكثير من الممتلكات العائدة لأسرته ومنحها للعقيليين. ومن الأمراء البارزين أيضا علي بن ماجد ومُقدَّم بن عزيز بن الحسن الذي فرض ضرائب باهظة على السكان. وكان هناك أمراء أقل أهمية حكموا لفترات قصيرة جدا، كعلي بن الحسن بن عبد الله. أما آخر الأمراء العيونيين في الأحساء فربما كان أبو القاسم مسعود بن محمد بن أبي منصور علي.[٣٣٨] وقد قابل الشاعر علي بن المقرب جميع هؤلاء الأمراء تقريبا. لكن أمير الأحساء محمد بن ماجد صادر ممتلكاته وسجنه في سرداب. وعندما أُطلق سراحه لاحقا، انتقل إلى القطيف، حيث مدح الأمراء بقصائد عدة أملا في إقناعهم بإعادة ممتلكاته كلها أو بعضا منها، إلا أنه لم يتلق أي شيء أبدا.[٣٣٩] وربما يعود هذا إلى انتقال الكثير من ممتلكات الأسرة العيونية آنذاك إلى العقيليين بوسائل مختلفة، كالتهديد بالعنف والابتزاز والإجراءات القانونية.[٣٤٠]

وكان الحكام الفعليون للأحساء هم عصفور بن راشد بن عميرة وزعماء قبيلة بني عقيل. وبناء على قصة واردة في *شرح ديوان*، قدم المؤرخان آل عبد القادر والحُمَيدان تفسيرا معقولا مفاده انتشار إحباط عام في أوساط نخبة الأحساء (غالبا من التجار وملاك الأراضي) من أميرها أبي القاسم مسعود بن محمد بن أبي منصور علي، آخر الأمراء العيونيين في الأحساء على الأرجح.

(٣٣٨) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٢، ١٦-١٧، ٣٣٧-٣٣٨، ج٢، ص١١٩٣-١١٩٤.

(٣٣٩) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٦-١٧، ٩٢، حاشية ٢١٣.

(٣٤٠) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١١٣٨-١١٤٠.

فلم يكن بمقدوره حمايتهم ومصالحهم. وقد دفعهم هذا إلى إنهاء ولائهم له ومنحه لعصفور بن راشد العقيلي في المقابل.[٣٤١] ولا يعلمنا مصدرنا حول تعرض هذا الأمير لهزيمة عسكرية أو عملية اغتيال، لكنه يصف المؤامرة التي حيكت بين أعضاء النخبة المجهولي الأسماء والعقيليين ضد الأمير وأسرته. ابتكر المتآمرون خدعة قانونية أدت إلى انتقال حيازة معظم ممتلكات الأسرة العيونية إلى العقيليين، فوضعوا بهذا حدا لتأثير هذه الأسرة. ويذكر المؤلف المجهول لكتاب *شرح ديوان* هذه القصة التي رواها الشارح على خلفية سبب أو مناسبة قول ابن المقرب لإحدى قصائده، وهي تستحق الاقتباس بالكامل:

«وقال يفتخر فيها ويذكر طرفا من أيامهم، ويتوجع من أفعال جرت على أهل بيته، وهي على يد الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي. وذلك أن أبا القاسم كان قد قدّم رجالا من أهل البلد من غير نسبه، وألقى إليهم بالمقاليد في جميع أموره وأمور بلده ورعيته ظنا منه أنهم ناصحون له ولأهل بيته، وكان رجلا سليم القلب، بعيد الحس، عازب الفكر، عظيم الركون إلى أولئك النفر، فكانوا يعملون على هلاك دولته وخراب داره، وقلع آثار أهل بيته، وهو يظنهم بخلاف ذلك. وكان لا يسمع لأحد قولا غير قولهم، ولا يفعل إلا ما يأمرون به.

ثم إن هؤلاء النفر حادثوا مشايخ العرب الذين هم خفر أهل البحرين فأمروهم بحرب البلد وكفلوا لهم جميع ما يطلبونه من بساتين الأحساء. وغرض أصحاب أبي القاسم هلاك أملاك بني إبراهيم الذين هم رهط الأمير أبي القاسم وإعطاؤها للعرب بحيث لا يفهم الأمير أبو القاسم ذلك.

(٣٤١) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٣٦-١٠٣٨، ١١٣٨-١١٥٤، ١١٩٤-١٢٤٣؛ وانظر كذلك: محمد آل عبد القادر، *تحفة المستفيد*، ج١، ص١١٢-١١٨؛ عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٣٨-٣٩. وكلاهما يسمي هذا الأمير الفضل بن محمد مع أن المصدر يدعوه أبا القاسم مسعود بن محمد.

فحاربوا يومئذ البلد حربا أمسكوا وحجزوا فيه ثمار البلد كلها، وحالوا بين أهلها وبين جميع ذلك. فعند ذلك تحدث أولئك النفر عند الأمير أبي القاسم، وقالوا: اعلم أن البلد لا تحتمل هذا الحرب، والرأي صلح العرب. فقال: الأمر لكم. فراسلوا العرب في الصلح وقرروه على ذهب معلوم الوزن، مبلغا يعجز أهل البلد عن تسليمه، لعلمهم أن أهل البلد لا يقدرون على مبلغ ذلك الذهب في ذلك الوقت، وأمروا العرب أن تطلب من الأمير أبي القاسم على ذلك أملاكا يرهنها عندهم من بساتين الأحساء، فطلبوا ذلك منه. فاستشار أولئك القوم، فأشاروا عليه بذلك طلبا لإتمام غرضهم في ذلك، وبلوغ ما حاولوا في استئصال أملاك أهل بيته بحيث لا يعلم. فقبل منهم بحيث لا لهم حجة. وأجاب إلى ذلك.

فاقتسمت العرب ذلك الذهب. فصار لكل منهم منه جزء على قدر أقدارهم، فصار كل من له منهم شيء يطلب عليه رهنا أكان الشيء قليلا أو كثيرا، ولا يطلب الرهن إلا بحضرة أولئك القوم أو بعضهم. فصاروا إذا أراد أبو القاسم أن يكتب لأحدهم الرهن الذي يريده يسألهم أي الأملاك يكتبه بيده؟ فيقول البدوي: المُلك الذي خفارته لفلان أو لبني فلان، ولا يُسمّي له صاحب من الحضر، وذلك للمواطأة التي بين أولئك الرهط وبين العرب، لئلا يعرف الأمير أبو القاسم صاحب المُلك من هو. فلم يتركوا لآل إبراهيم الذين هم أهل بيت المملكة ملكا يعرف باسم ولا يحدد إلا كتبوه بأيدي البدو.

وكان صاحب القصيدة غائبا بالقطيف، فبلغه ذلك، فرجع من القطيف إلى الأحساء وعاتب الأمير أبا القاسم على ذلك، فأنكره وحلف أنه ما فعله، فقال له: ما أنت إلا فعلته إلا أنك غير متعمد، فقال: والله ما كتبت بيدي قليلا ولا كثيرا إلا ما يأمرني به فلان وفلان – وسمى بأسمائهم – وهؤلاء ما يفعلون هذا فيّ ولا في أهل بيتي. فقال له: ما هم إلا فعلوه، ثم تركه ومضى، وتمثل بقول بعضهم:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فحين بلغ أجل الذهب ما تركوه يقوم في افتكاك تلك الأموال، وقالوا: غصب رجل وعشرين رجلا أهون من غصب أهل الأحساء كلها، وكان ذلك سبب هلاك أهل الأحساء وذهاب أملاك أهلها وجرأة العرب عليها، وشرح ذلك يطول.»[٣٤٢]

ولا يوجد ما يؤكد إن كانت هذه المؤامرة هي النهاية المباشرة لسلطة العيونيين في الأحساء أو مجرد خسارتهم لثرواتهم. ومع ذلك، ثمة ارتباط وثيق بين الثروة والسلطة السياسية، إذ لا بد للأمير من دمجهما كي يتمكن من الحكم. إن خسارة اقتصادية بهذا الحجم ستجعل الحفاظ على السلطة السياسية أمرا شبه مستحيل في هذا المجتمع القبلي.

ولا يحدد المصدر هوية أعضاء النخبة هؤلاء، باستثناء شخص واحد في الأحساء هو الشيخ أبو علي إبراهيم بن جروان من قبيلة عبد القيس. فيتهمه الشارح بالتآمر ضد أمير عيوني وتعيين آخر يدعى مُقدَّم بن عزيز الذي ربما كان الحاكم العيوني قبل الأخير ومجرد ألعوبة في يد العقيليين. وكان إبراهيم صديق الشاعر ابن المقرب الذي ألقى بضعة قصائد على شرفه، لكنه ما لبث أن لامه وهجاه في قصائد أخرى على إثر خيانته للأسرة العيونية.[٣٤٣] يرى المؤرخان آل عبد القادر والحميدان، بالاعتماد على إحدى قصائد ابن المقرب، أن إبراهيم كان زعيم النخبة أو الوزراء الذين تآمروا على الأمير الأخير، مع أن المصدر لا ينص على ذلك صراحة.[٣٤٤] وربما كانوا من التجار وملاك الأراضي.

(٣٤٢) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١١٣٨–١١٤٠.

(٣٤٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٣١٣–٣٥٠، ج٢، ص٦٩٩–٧١١، ١١٩٣–١٢٤٣.

(٣٤٤) محمد آل عبد القادر، *تحفة المستفيد*، ج١، ص١١٢، ١١٤–١١٨؛ عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٣٩.

يمكننا تحديد تاريخ سقوط الإمارة العيونية في الأحساء بالاعتماد على المعلومة الوحيدة الواردة لدى المؤرخ العثماني مُنَجِّم باشي الذي توفي بعد خمسة قرون من الحدث (عام ١٧٠٢م). فهو يذكر أن القائد العقيلي عصفوراً قد حافظ على علاقة صداقة مع جمشيد ملك بني قيصر ما قبل الأخير، حيث دأب على زيارة مجلسه.[٣٤٥] كما يصف عصفوراً بالأمير أيضا. مات جشميد عام ١٢٢٩م، فخلفه المظفر كما يخبرنا ملحق شرح *ديوان*.[٣٤٦] ولا أعرف شخصيا المصدر الذي استقى منه مُنَجِّم باشي هذه المعلومة. وإذا سلمنا بصحتها، فهذا يعني أن عصفوراً صار رسميا أمير الأحساء في أو قبل عام ١٢٢٩م.

٤-٤- سقوط الإمارة العيونية في القطيف في يد العقيليين (حوالي ١٢٣٣م) وأوال في يد السلغوريين (١٢٣٦م)

إن المعلومات المتعلقة بنهاية الإمارة موجودة في مصدرين رئيسين: ملحق شرح *ديوان* و*تاريخ وصّاف الحضرة* لوصّاف الشيرازي. وهما يقدمان تفاصيل يشوبها اختلاف طفيف حول قصة سقوط الإمارة. فيختلفان، على سبيل المثال، حول اسم الأمير الأخير ومصيره الحقيقي وتاريخ السقوط.

ظهر أمير عيوني جديد اسمه محمد بن محمد (أو محمد بن أبي ماجد وفقا لنسخة وصّاف)، قتل ابن أخيه منصور بن علي بن ماجد وحكم القطيف واستعاد أوال. وبقي في السلطة لخمسة أعوام في المجمل، لكنه حكم

(٣٤٥) يستشهد عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٣٩ بمُنجّم باشي، *جامع الدول*، مخطوط المكتبة السليمانية في اسطنبول رقم ٤١٨، مجموعة أسد أفندي، رقم ٢١٠١، ٦٤٧.

(٣٤٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩٤. وكما بينا أعلاه، إن جمشيد هو من فرض المعاهدة المذلة على الفضل بن محمد، فحصل بموجبها على معظم عائدات إقليم البحرين وأخضع جزره لسيادته.

القطيف ثلاثة أعوام وخمسة أشهر فقط وفقا لملحق *شرح ديوان*.[٣٤٧] وخسر هذا الأمير القطيف في ظروف غامضة، غالبا لصالح العقيليين كما يذكر وصّاف.[٣٤٨] وكان قد نجح قبل ذلك في صد غارتين سلغوريتين في القطيف وأوال. ويرد ذكر هذا الأمير كما نبه الجنبي في كتاب شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد (توفي ١٢٥٨م) الذي كان كاتبا في ديوان الخلافة. فهو يروي خبر وصول أمير البحرين محمد بن محمد إلى بلاط الخلافة في بغداد عام ٦٣٢ هـ [١٢٣٥/ ٣٦ م] في أثناء عمله كاتبا في ديوان الخليفة العباسي المستنصر (حكم ١٢٢٦-١٢٤٢م). ووفقا للرواية، سلك الأمير الطريق البري، فاكتظت بغداد بمن معه من العرب. كما وصل ملك هرمز إلى بغداد بالسفينة عبر نهر دجلة. وألقى ابن أبي الحديد قصيدة احتفالية بمناسبة هذه الحادثة.[٣٤٩] ويبدو أن المستنصر استقبل أمراء وملوكا عدة في مجلسه، لكننا لا نعرف ما الذي دار بينهم بالضبط.

ويزودنا وصّاف بمعلومة وحيدة مفادها أن أوال كانت خاضعة لسلطة الخليفة العباسي المستعصم بالله عندما غزاها أتابك فارس أبو بكر بن سعد السلغوري عام ١٢٣٦م. لكن هذه المعلومات تبدو خاطئة لأن المستعصم بالله تربع على عرش الخلافة بعد هذا بستة أعوام، أي عام ١٢٤٢م، ولعله يقصد والده المستنصر (حكم ١٢٢٦-١٢٤٢م).

ربما حاول الأمير محمد بن محمد إطالة عمر إمارته الآيلة إلى السقوط

---

(٣٤٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٩٥.

(٣٤٨) عبد الله شيرازي، *تحرير تاريخ وصاف الحضرة* (طهران: بنياد فرهنگ إيران، ١٣٦٤ هـ [١٩٤٥])، ص١٠٤-١٠٥.

(٣٤٩) عز الدين بن أبي الحديد، شرح *نهج البلاغة*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧)، ج١٦، ص١٠٩.

بالتماس حماية العباسيين والتمتع بالشرعية وشيء من الحصانة. وقد اتبع في الواقع أسلوباً سياسياً سبق أن استخدمه الأمراء السالفون: عبد الله بن علي العيوني ومحمد بن أحمد والفضل بن محمد، الذين نشدوا تعاونا سياسيا وعسكريا مع العباسيين في فترات الأزمات الخطيرة.

أمر أتابك فارس أبو بكر (حكم ١٢٣٠-١٢٦٠م) تابعه سيف الدين أبا نضر، ملك هرمز، باحتلال جزيرة قيس وإرسال عائداتها وعائدات أوال إليه. ومع أن هذا نفذ الغزو وقتل آخر ملوك القيصريين في قيس، إلا أنه رفض دفع العائدات لأبي بكر. وبموجبه احتل الأتابك جزيرة قيس عام ١٢٣٠م، وقتله.[٣٥٠] ويذكر وصّاف أن أبا بكر غزا أوال في الثالث من ذي الحجة لعام ٦٣٣ هـ [أغسطس ١٢٣٦م] وطرد آخر الأمراء العيونيين. لكن *شرح ديوان* يقدم تاريخين مختلفين لهذا الغزو: الأول عام ٦٣٣ هـ[١٢٣٦م] والثاني عام ٦٣٦ هـ[١٢٣٨ م] مضيفا أن مصير الأمير كان القتل لا الطرد.[٣٥١] ويذكر وصّاف أن أوال كانت خاضعة لسلطة الخليفة العباسي المستعصم بالله (حكم ١٢٤٢-١٢٥٨م)، ولعله أراد بذلك المستنصر من باب الخطأ (حكم ١٢٢٦-١٢٤٢م). كما يضيف أن القطيف كانت خاضعة بالفعل لسلطة البدو (ربما يقصد العقيليين).[٣٥٢]

وبموجب ملحوظة ثاقبة للجنبي، فلا الشاعر ابن المقرب يذكر السلغوريين في أي من قصائده ولا مؤلف *شرح ديوان* المجهول، على الرغم من جميع غاراتهم واحتلالهم، في حين تعرض القيسيون والعقيليون للنقد في القصائد. ويعزو الجنبي هذا التجاهل المتعمد إلى احتمال خوفه من السلغوريين حكام

(٣٥٠) عبد الله شيرازي، تحرير *تاريخ وصاف الحضرة*، ص١٠٤-١٠٥.

(٣٥١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩٥.

(٣٥٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٢٩٤-١٢٩٥؛ عبد الله شيرازي، تحرير *تاريخ وصاف الحضرة*، ص١٠٥.

أوال والقطيف في فترة إتمام ديوانه.[٣٥٣] ومعلوماتنا حول هؤلاء مستمدة فقط من ملحق *شرح ديوان*، ما يوحي بأن هذا العمل كان قد كتب في ظل حكمهم، ولا سيما حين نقرأ دعاء المؤلف للأتابك أبي بكر «أطال الله حكم السلطان المظفر».[٣٥٤] وهذا يعني أن الملحق هو مصدر سلغوري.

٥ - خاتمة الفصل الرابع

كمنت بذور التشظي السياسي لمستقبل الإمارة في مرسوم الوراثة لعبد الله بن علي العيوني الذي نص على انتقال العرش إلى حفيده أبي سنان محمد بن الفضل عوضا عن أبنائه. ويبدو أن ابنَيْ المؤسس الآخرين، علي والحسن، لم يتقبلا قرار أبيهما، فاستغلا وفاته وعملا طويلا على التخلص من ابن أخيهما الأمير أبي سنان. وهكذا بعد مقتل أبي سنان بدأت مرحلة من الاضطراب والانقسام (١١٤٠-١٢٠٠م) عاشت الإمارة خلالها صراعا داخليا بين فرع الفضل وفرع علي وفرع الحسن، لا بل داخل كل فرع من هذه الأفرع. اضطر هذا الوضع الأمراء اللاحقين إلى التحالف مع القوة القبلية للعقيليين، وأحيانا القيسيين، لترسيخ سلطتهم في وجه خصومهم من الأسرة الحاكمة، فمهدوا بذلك الطريق نحو زوال الإمارة. وقد ازداد تأثير العقيليين على الأمراء والإمارة تدريجيا. بدأ الأمراء بإعطائهم كميات ضخمة من المال وإقطاعهم أراض رحبة لقاء دعمهم وولائهم. وبلغ علو شأن العقيليين مستوى جعلهم يغتالون أمراء وينصّبون أخرين.

استعادت الإمارة سلطتها المركزية وتأثيرها العسكري على شبه الجزيرة العربية وجنوب العراق في فترة التعافي وإعادة التوحيد القصيرة (حوالي

(٣٥٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٧٢٧، حاشية ١٦٨.

(٣٥٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٩٥.

١٢٠٠-١٢٢٠م) في ظل الأمير شكر بن منصور من فرع علي، وخليفته الأمير محمد بن أحمد من فرع الفضل. استغل الأمير محمد علاقة الخؤولة التي ربطته بالعقيليين ورسخها بالزواج من ابنة زعيمهم. وتمكن بفضل جميع هذه الامتيازات من السيطرة على المدن الثلاث الرئيسة للبحرين ليوسع سلطته وتأثيره لاحقا في داخل الصحاري. كما أسس علاقة قوية مع الخليفة الناصر، فقدم للخلافة خدمة مهمة تمثلت بحماية طرق الحج في صحاري العراق ونجد. لكن هذا لم يكن مؤثرا بما فيه الكفاية لوقف انحدار الإمارة ووضع حد للتنافس السياسي بين العقيليين والأمراء.

دب خلاف سياسي بين العقيليين أنفسهم، ربما نتيجة تهميش فرع منهم لم ينل الحظوة داخل الإمارة. تزعم راشد بن عميرة بن سنان الفرع المتمرد وقتل الأمير محمد بن أحمد العيوني لينصب آخر مكانه اسمه غرير بن الحسن العيوني ويحصل على مبالغ ضخمة من المال والكثير من الممتلكات العائدة ملكيتها للإمارة. وقد أعقب ذلك فترة ضعف أدت إلى سقوط الإمارة. وتعمقت الأزمة عندما قُتل غرير على يد الفضل ابن الأمير محمد الذي تلقى دعما من القوات العباسية وتبوأ العرش، لكنه تنازل عن السيادة على الكثير من الجزر والقرى لصالح حاكم مملكة قيس، علاوة على ما يزيد على نصف دخل البحرين. وفي الوقت نفسه أصبح راشد بن عميرة ثم ابنه عصفور حاكمي الأحساء. خسرت الإمارة القطيف أيضا، لكن أوال نجت لفترة أطول تحت حكم محمد بن محمد آخر الأمراء العيونيين الذي هُزم ولقي مصرعه على يد جيش أتابك فارس أبي بكر بن سعد السلغوري عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م.

لقد حدثت الاتصالات الطارئة بن منطقة البحرين الطرفية والخلافة في العراق في أوقات الأزمات ضمن مسعى العباسيين إعادة تأكيد حضورهم بتأسيس علاقات مع دول إقليمية مستقلة. احتاج الخليفة العباسي الناصر

إلى دولة قوية قادرة على الإشراف على طريق القوافل في الصحاري، فيما نشد بعض الأمراء العيونيين اعتراف الخلافة الذي قد يخدم سياساتهم المحلية ويحميهم من غارات القيسيين والسلغوريين البحرية. لكن التأثير العباسي كان ضعيفا وعاجزا عن تغيير نمط التشظي الداخلي الذي أدى، مصحوبا بالغارت المتكررة، إلى الإطاحة بالإمارة. إن العوامل الجوهرية لسقوط الإمارة هي: الانقسام الداخلي الحاد ضمن الأسرة الحاكمة، وإهمال المشاريع الاستراتيجية البحرية، وضعف القوات العسكرية، والافتقار إلى المركزية السياسية وعدم وضوح مسألة الشرعية السياسية، وتهلهل السيادة الاقتصادية، والأهم من ذلك كله، هيمنة البدو العقيليين السياسية والعسكرية على الأحساء والقطيف.

الفصل الخامس
بلاد البحرين تحت حكم إمارة العقيليين ودول الساحل الشرقي (١٢٣٠-١٤٠٠م)

١ - مقدمة

يتناول هذا الفصل تاريخ إقليم البحرين في الفترة بين ١٢٣٠ و ١٤٠٠م تقريبا. تقاسمت الإقليمَ سلطتان آنذاك، واحدة محلية وأخرى خارجية. تمثلت السلطة المحلية بقبيلة العقيليين (١٢٣٠-١٤٠٠م) التي وضعت حدا للإمارة العيونية وفرضت هيمنتها على المناطق الداخلية للبحرين: الأحساء وصحاري الإقليم وواحاته، بالإضافة إلى وسط الجزيرة العربية. أنشأ العقيليون تحالفا مع المماليك كان له أثر سياسي واقتصادي عظيم على إمارتهم. أما السلطة الخارجية التي أخضعت جزيرة أوال ومدينة القطيف فمثلتها دول عدة اتخذت من منطقة الساحل الشرقي للخليج العربي مركزا لها. وقد خضعت هاتان المدينتان البحرينيتان تباعا، وأحيانا أخرى بالتناوب، لحكم السلالة السلغورية المتمثلة بأتابكة فارس (١٢٣٦-١٢٧٠م)، ثم المغول (١٢٧٠-١٢٨٠م)، ثم ملك هرمز محمود القلهاتي (حوالي ١٢٨٠-١٢٩٠م)، ثم السلالة الطيبية (١٢٩٠-١٣٣٣م)، ومن بعدها مملكة هرمز مجددا (حوالي ١٣٣٥-١٤٧٠م). وبما أن معظم هذه الدول قامت على التجارة البحرية، فقد دخلت في مواجهات اقتصادية وسياسية وبحرية للسيطرة على تجارة

الخليج.(٣٥٥) وتعود أهمية التحكم بمينائي أوال والقطيف البحرينيين إلى ثلاثة أسباب رئيسة: أولا، موقعهما الاستراتيجي على الخليج؛ ثانيا، وصولهما إلى مصائد اللؤلؤ؛ ثالثا، إمكانية استخدامهما لحرمان الدول المحلية من التحول إلى قوى منافسة. وكما وضحنا في الفصل الأول، ساهمت هذه الدول الإيرانية جغرافيا، لكن المتعددة عرقيا، تحديدا الأقدم بينها، في إثراء الخليج من خلال تحويل الأنشطة التجارية من البحر الأحمر إليه.

ومع أننا نستخدم صفة «الإيرانية» أحيانا لتوصيف الدول التي حكمت أوال والقطيف من بلاد فارس وجزيرتي قيس وهرمز والسلالة الطيبية، إلا أن أيا منها لم تكن فارسية بالمعنى العرقي. لقد كان حكام هذه الدول من التركمان (السلغوريون) والمغول (سوغنجاق) والعرب (قيصريو قيس والسلالة الطيبية وممكلة هرمز).

شهد التاريخ الإسلامي ظهور المغول الذين اجتاحوا المشرق الإسلامي وخلعوا آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ليضعوا حدا للخلافة الإسلامية في العراق عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م، ويقيموا الدولة الإيلخانية المغولية التي تمركزت في غرب إيران (١٢٥٦-١٣٣٥م). تزامن هذا أيضا مع ظهور المماليك البحرية في مصر (١٢٥٠-١٣٨٢م) ومن ثم خلفائهم البرجية (١٣٨٢-١٥١٧م). نصّب المماليك البحرية الذين أنهوا حكم الأيوبيين (١١٧٤-١٢٥٠م) أنفسهم حماة سياسيين وعسكريين وثقافيين للإسلام في مواجهة المغول، فدخلوا معهم في حرب طويلة الأمد (١٢٦٠-١٣٢٣م)، وهذا سهل تبلور السلطنة المملوكية

(٣٥٥) يوجد أوجه شبه بين وضع هذه الدول ووضع الدول التجارية الإيطالية: البندقية (فينيسيا) وجنوا وراغوزا وبيزا وأمالفي التي دخلت في مواجهات سياسية واقتصادية وعسكرية على تجارة البحر المتوسط منذ القرن العاشر الميلادي. حول هذا الموضوع، انظر على سبيل المثال:

Lauro Martines, *Power and Imagination: City-States in Renaissance Italy* (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1988).

وشرعنتها.[٣٥٦] لعبت هذه الوقائع دورا محوريا في تشكيل مسار الحوادث في إقليم البحرين وأثّرت على كيانه السياسي المتمثل بالإمارة العقيلية. وعلى النقيض من الإمارة العيونية التي آثرت العزلة، انخرطت الإمارة العقيلية جديا مع القوى الإقليمية للشرق الأدنى، ربما بسبب البنية البدوية للعقيليين وسيطرتهم على طرق التجارة البرية التي ربطت الإمبراطوريات المجاورة، في حين كانت الإمارة العيونية دولة زراعية الطابع، منكفئة على ذاتها.

ثمة وفرة نسبية في الدراسات المتعلقة بدول الساحل الشرقي التي حكمت عدداً من موانئ الخليج في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وقد كتبت الأعمال الأبرز بواسطة أوبن،[٣٥٧] وأحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري،[٣٥٨] وبياشنتيني،[٣٥٩] وسبولر،[٣٦٠] وڤيليم فلور.[٣٦١] أما أوال والقطيف في ظل هذه الدول فجرى تناولهما بشكل سطحي فقط.

يوجد معلومات قليلة حول العقيليين في البحرين في تلك الفترة التي لم يناقشها الباحثون الغربيون بالتفصيل، فاقتصرت كتاباتهم على مُدخلات

(356) Reuven Amitai-Preiss, *Mongols and Mamlūks: The Mamlūk-Ilkhānid War, 1260-1281* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 1-2, 18.

(357) Jean Aubin, ‘Les Princes d’Ormuz du XIIIe au XVe Siècle,’ *Journal Asiatique* 240 (1953):77-138.

(٣٥٨) أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية* (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ١٩٩٩).

(359) Valeria Fiorani Piacentini, ‘The Mercantile Empire of the Ṭībīs: Economic Predominance, Political Power, Military subordination’, *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, 34, Papers from the thirty-seventh meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 17-19 July 2003 (2004): 251-260.

(360) B. Spuler, ‘Atabakan-e Fars’, *Encyclopaedia Iranica*, online.

(361) Willem Floor, ‘Hormuz ii. Islamic Period’ in *Encyclopaedia Iranica,* online.

قصيرة في الموسوعات.[٣٦٢] ولم يحظ هذا التاريخ باهتمام كبير لدى الباحثين العرب، فالدراسة الأخيرة بواسطة خليل (٢٠٠٦) تفتقر إلى الحجج الجوهرية.[٣٦٣] وكان عبد اللطيف الحميدان أول من دشن هذا الميدان بدراسته السباقة والعلمية المفصلة للإمارة العصفورية/ العقيلية باللغة العربية: «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، حيث أعاد كتابة تاريخ البحرين في تلك الفترة بالاعتماد على عدد كبير من المعلومات المبعثرة في المصادر الأولية. لقد وضع تاريخ الإقليم في سياق الحرب المملوكية الإيلخانية (١٢٦٠-١٣٢٣م) وبيّن دور الإمارة العقيلية فيها،[٣٦٤] كما ركز على حكم دول الساحل الشرقي لبعض موانئ البحرين.

لم يستخدم الحميدان اسم «العقيلية» لتوصيف السلالة البدوية التي حكمت البحرين، إنما سماها «العصفورية». ولعله سار على خطى المؤرخين المعاصرين الذين سبقوه، مثل آل عبد القادر (١٩٦٠) ورينتز ومولیغان (١٩٦٠) الذين اشتقوا الاسم من «بنو عصفور» عند ابن خلدون الذي نقل في مؤلفه التاريخي *العِبَر* عن مصدر يوحي بأن بني عصفور كانوا حكام البحرين عام ١٢٥٣م. ولا شك في أن عصفور بن راشد كان مؤسس الإمارة العقيلية، لكن زعامة القبيلة انتقلت لاحقا إلى فروع أخرى للعقيليين لا تنحدر من عصفور كما يرد في مصادر أولية أخرى منها ابن خلدون نفسه الذي استخدم أيضا مصطلح بني عقيل، وهذا ما نجده أيضا بشكل مكثف في شرح *ديوان*

(362) Rentz and Mulligan, ‘al-Baḥrayn’, *EI*^{2}; G.R. Smith, ‘ʿUṣfūrids’, *EI*^{2}; Ḥasan al-Naboodah, ‘Bahrain’ in *Medieval Islamic Civilization: An Encyclopedia*, ed. Josef Meri (New York: Taylor and Francis, 2006), vol.1, 95.

(٣٦٣) محمد محمود خليل، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية*، ص٣٥٥-٤٣٢.

(٣٦٤) نشر المقال في ثلاث مجلات، سأستخدم الأحدث بينها. عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، *الوثيقة* ٣،٢ (١٩٨٣): ص٢٦-٧٤. وقد نشر أول مرة في *مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة* ١٥ (١٩٧٩): ص٦٩-١٤٠، ثم في مجلة العرب ١٥ ١/ ٢ (١٩٨٠): ص٦٥-١١٥.

ابن المقرب العيوني. وأرى أن تسمية «الإمارة العقيلية» أدق من «الإمارة العصفورية»، وقد استخدمناها في الفصول السابقة، وسنواصل استخدامها على مدار هذا الكتاب.

لتغطية النقص في المصادر الأولية والوصول إلى فهم أعمق للإمارة العقيلية سنطبق في هذه الدراسة مقاربات عدة. سنستخدم أمثلة موازية من الإمارات البدوية التي قامت في شمال الشام والعراق في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد، فقد تساعدنا هذه الأمثلة على فهم الدولة العقيلية في البحرين ودروها بين الإمبراطوريات المجاورة. كما سنستعين بنظريات الأنثروبولوجيا الاجتماعية لفهم بعض أوجه المجتمع العقيلي القَبَلي. على سبيل المثال، تبدو النظريات التي طورها لانكاستر وغيلنر حول الزعامة والنظام التراتبي في المجتمعات القبلية ونظرية «الدولة البدو-حضرية» لروتون مفيدة هنا ومناسبة تماما للتقارير التاريخية الموجزة عن العقيليين. في الواقع، إن استخدامنا لمقاربات كهذه قد يضفي على الكثير من نتائج هذا الفصل طابعا افتراضيا. أضف إلى ذلك أننا سنقدم معلومات أكثر حول القضايا الخارجية للبحرين بسبب غياب المصادر المحلية واعتمادنا على المصادر الخارجية.

يجادل هذا الفصل بأن الأحداث الإقليمية في الشرق الأدنى كان لها تأثير كبير على إقليم البحرين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ولا سيما الحرب المملوكية المغولية (١٢٦٠-١٣٢٣م) والحرب بين دول الخليج الشرقية على التجارة البحرية. فمن جهة، أدت هاتان الظاهرتان إلى اندماج أوال والقطيف في شبكة التجارة البحرية وخضوعهما سياسيا لدول الساحل الشرقي المتعاقبة والمتنافسة. ومن جهة أخرى، صاغت الحرب المملوكية المغولية الدور السياسي-الاجتماعي والاقتصادي لبدو البحرين ووسط الجزيرة العربية، خاصة العقيليين الذين استُخدموا خلال هذه الحرب في

حملات عسكرية ضد مصالح المغول. تحول العقيليون بعد توقف الحرب من مجرد رعاة قبليين ومحاربين إلى تجار قوافل محترفين. وقد كان هذا التحول نتيجة الانتعاش الاقتصادي الحديث للخليج، بما في ذلك أوال والقطيف، وذلك بالتزامن مع الاستراتيجية التجارية للمماليك وحاجتهم إلى بعض السلع من الجزيرة العربية والشرق. طور العقيليون شبكة تجارة برية واسعة ومارسوا تجارة النقل الدولية التي ربما كانت مشابهة لتجارة الجرهيين والأنباط القدماء وقريش. وأعادوا تأسيس نشاط تجاري بري واسع النطاق مهد الطريق فيما بعد أمام تجار الجزيرة العربية الذين اضطلعوا بالمهمة حتى اكتشاف النفط وتصديره في أربعينيات القرن العشرين، واشتهروا باسم «تجار العُقيلات».

حظيت أوال والقطيف في المصادر الفارسية باهتمام أقل بكثير من موانئ قيس وهرمز وقلهات. والأمر ذاته قد ينطبق على حضور إقليم البحرين وسكانه في المصادر المملوكية العربية، فهم أقل ورودا من قبائل الشام. وهذا يعكس هامشية البحرين وموقعه كمنطقة طرفية.

الشكل(١٥)

جدول زمني بالأتابكة السلغوريين الذين حكموا أوال والقطيف (١٢٣٦ – حوالي ١٢٨٢م)[٣٦٥]

١٢٣١–١٢٦٠م	قتلغ خان أبو بكر بن سعد بن زنگي بن مودود. احتل أوال عام ١٢٣٦ م والقطيف عام ١٢٤٤م.[٣٦٦]
١٢٦٠م	سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنگي بن مودود. مرض ومات بعد والده باثني عشر يوما.
١٢٦٠–١٢٦٢م	محمود بن سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنگي بن مودود. كان طفلا، وأمه هي تركان خاتون أخت أتابكة يَزْد. حكمت بالوصاية عامين وسبعة أشهر حتى وفاة ابنها.
١٢٦٣م	محمود شاه بن سلغور شاه بن سعد بن زنگي بن مودود. حكم بعد ابن عمه ثمانية أشهر إلى أن هُزم وسجن على يد تركان خاتون.
١٢٦٣م	سلجوق شاه بن سلغور شاه بن سعد بن زنگي بن مودود. قتل تركان خاتون وحكم فارس خمسة أشهر، ثم سجنه الإيلخانيون المغول لاحقا.
١٢٦٣–حوالي ١٢٨٢م	أبيش خاتون بنت سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنگي بن مودود. ابنة تركان خاتون وآخر الحكام السلغوريين. حكمت بشكل مستقل عاما واحدا ثم تزوجت مينغو تيمور، وأصبحا تابعي هولاكو في فارس طيلة عشرين عاما. وقد عاشت أبيش في أذربيجان في هذه الفترة، فيما كانت الإدارة الإيلخانية الحاكم الفعلي لفارس ولواحقها. وبعد مصرع زوجها في معركة ضد المماليك عام ١٢٨١م، خضعت فارس وما تحتها من موانئ رسميا للإيلخانيين.

(٣٦٥) تزودنا ثلاثة مصادر أولية بثلاثة تواريخ مختلفة لسنوات الحكم، فيذكر بيضاوي أن أبا بكر حكم ٣٥ عاما، أي ٦٦٣ هـ/ ١٢٥٦ م، ويقول قزويني إن وفاة أبي بكر كانت في جمادى الأولى ٦٥٨ هـ [١٢٦٩م]، فيما يجعلها وصّاف عام ٦٥٩ هـ/١٢٦١م عندما كان في السبعين من العمر. وسأختار عام ١٢٦٠م لأن مستوفي قزويني يذكر اسم الشهر، وهذا يدل على حصوله على معلومات دقيقة بهذا الخصوص، كما أنه يحدد تواريخ وفاة الأتابكة اللاحقين. انظر: حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، ص٥٠٦–٥٠٧؛ ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١٢٣؛ عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٦.

٢ - حكم دول الساحل الشرقي لأوال والقطيف حوالي ١٢٣٠-١٤٠٠م

٢-١- حكم السلغوريين لأوال (١٢٣٦-١٢٨٢م) والقطيف (١٢٤٤-١٢٨٢م)

تأسست الأتابكية السلغورية في فارس عام ١١٤٨م، لكنها برزت كقوة إقليمية عمادها التجارة البحرية عام ١٢٢٩م بعد أن دحرت السلالة القيصرية في جزيرة قيس. وقد حافظت على هذا الوضع وحصنته بواسطة قوتها البحرية. والسلالة السلغورية تركمانية الأصل، تنتسب إلى قبيلة سالور أو سلغور التي كانت جزءا من قبيلة أوغوز الكبرى. ومؤسس هذه السلالة هو سنقر بن مودود الذي استغل الاضطراب السياسي في فارس على إثر الحروب الداخلية بين التركمان قبل أن يؤسس أتابكيته عام ١١٤٨م. وعاصمته شيراز في فارس. وفي عهد أخيه زنگي (حكم ١١٦١-١١٧٥/ ٧٨م) حظيت الأتابكية باعتراف السلطان السلجوقي أرسلان شاه بن طغرل (حكم ١١٦٠-١١٧٦م). حافظت السلالة على تبعية ثابتة لأباطرة الحكم من سلاجقة وخوارزميين ومغول حتى عام ١٢٨٢م. وفي بعض الفترات تمتع السلغوريون بالاستقلال الذاتي والازدهار، ولا سيما في عهد سعد بن زنگي (١١٩٨-١٢٣١م) الذي أعلن الولاء لشاهات خوارزم وعززه بواسطة الزواج. وباشر ابنه أبو بكر بن سعد مشروعا بحريا يهدف إلى غزو الجزر والموانئ الرئيسة للساحلين الشرقي والغربي، بما في ذلك أوال والقطيف، حيث ذكر اسمه في خطب صلوات الجمعة هناك. وشكلت هذه الموانئ شبكة للتجارة والنقل.[٣٦٦] رعى أبو بكر

(٣٦٦) حول المصادر الأولية المتعلقة بالسلغوريين، انظر: ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١١٩-١٢٧؛ عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص٨٦-١٠٥؛ حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، ص٥٠١-٥٠٤. وحول المراجع الحديثة التي تناولت الأتابكة السلغوريين، انظر:

C.E. Bosworth, ‘Salghurids’, EI2; C.E. Bosworth, *The Cambridge History of Iran* (Cambridge: Cambridge University Press, 1968), vol.5, 172-3; Bertold Spuler, *Die Mongolen in Iran: Politik, Verwaltung und Kultur der Ilchanzeit* 1220-1350 (Berlin: Akademie-Verlag, 1955), 117-121.

العديد من علماء الشافعية والصوفيين والشعراء، أهمهم الشاعر البارز سعدي شيرازي (توفي ١٢٩٤م). كما بنى الكثير من المساجد والمدارس ورمم مقامات الأولياء، كمقام الشيخ كبير أبي عبد الله الكفيف الشيرازي (توفي ٩٨٢م). وعندما أسس هولاكو الدولة الإيلخانية أعلن أبو بكر الولاء له، فنال لقب قتلغ خان. وقد سيطر السلغوريون على التجارة البحرية في الخليج خلال معظم الفترة بين ١٢٣١ و ١٢٨٢م.(٣٦٧)

قبيل إخضاعه أوال العيونية، أمر أبو بكر تابعه سيف الدين أبا نصر أو نضر، حاكم هرمز، باحتلال جزيرة قيس ودفع ثلث عائدات ضرائبها له. نجح سيف الدين في مهمته، لكنه رفض الوفاء باتفاقه مع الأتابك، فأطاح به وقتله عام ١٢٣٠ م. ويقول وصّاف أن أبا بكر غزا أوال في الثالث من ذي الحجة ٦٣٣ هـ [أغسطس ١٢٣٦م] فهزم آخر أمير عيوني وطرده.(٣٦٨)

ثم شن أبو بكر حملة بحرية في ربيع عام ١٢٤٤م لإخضاع القطيف ومينائها تاروت، فنجح في احتلالها وقتل الأمير العقيلي أبا عاصم بن سرحان بن محمد بن عامر [عميرة] بن سنان، أحد أقارب عصفور على ما يبدو. رد العقيليون بشن غارات عدة على القطيف، وسببوا المشاكل للسلغوريين، فاضطر هؤلاء إلى دفع الإتاوة لهم ليوقفوا هجومهم. ويذكر المؤرخ وصاف أنه «في موسم الحصاد دفع الأتابك للبدو بالتمور بالإضافة إلى اثني عشر ألف دينار مصري [ربما أيوبي]».(٣٦٩)

---

(٣٦٧) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٠-١٠٥؛ حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، ص٥٠٦؛ وكذلك:
Ralph Kauz, 'The Maritime trade of Kish', 55-57.

(٣٦٨) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٤-١٠٥؛ ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١٢٣؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٩٥. وانظر كذلك الفصل السابق.

(٣٦٩) من المستغرب أن يلجأ حاكم دولة قامت على النشاط التجاري، كالسلغورية، إلى استخدام العملة المصرية (ربما الفاطمية أو الأيوبية) عوضا عن عملته المحلية الفارسية، أو الهندية على الأقل.

ويؤكد نيكولاس لوفيك وجود الأنشطة التجارية الاعتيادية بين أوال وإيران بالاعتماد على اللقى الأثرية للسلغوريين في أوال. وقد عثرت البعثة الأثرية الدنماركية إلى جزيرة البحرين (أوال) التي عملت بين ١٩٥٣ و١٩٦٥ على اثنين من النقود العائدة إلى الأتابكة السلغوريين على سطح الأرض. ووفقا للوفيك، يعود النقد الأول المصنوع من الرصاص إلى أحد الأتابكة. وهو يعتقد أنه ضُرب في جزيرة أوال بين ١٢٣٦ و١٢٥٣م مع أن مكان الضرب غير مذكور عليه. ولا يدعم فرضيته هذه بدليل. أما النقد الثاني فمصنوع من النحاس وعائد إلى آخر الأتابكة السلغوريين: أبيش بنت سعد التابعة لأبقا خان [ابن هولاكو] (١٢٦٣-١٢٨٢م).[٣٧٠]

ويبقى سؤالان في انتظار الإجابة، الأول يتعلق بمسألة احتلال السلغوريين لمدينة الأحساء، والثاني بخبر انسحابهم من القطيف وتسليمها للعقيليين كما يذكر وصّاف. وفيما يتعلق بالأحساء، لا يرد ذكر احتلالها بواسطة السلغوريين عند وصّاف أو المؤرخ الأقدم ناصر الدين البيضاوي في كتابه *نظام التواريخ* (١٢٧٥م).[٣٧١] لكن المؤرخين اللاحقين، مثل حمد الله مستوفي قزويني (١٣٣٠م) وأحمد غفّاري (توفي ١٥٦٥م) ومُنجِّم باشي (توفي ١٧٠٢م) يدرجون الأحساء ضمن المدن التي احتلها السلغوريون.[٣٧٢] ولعل الرأي الأول أنسب بالنظر إلى قرب المصادر من الأحساء وقدرة مؤلفيها على

---

(370) Nicholas Lowick, ‘Trade Patterns on the Persian Gulf’, 319-333.

هذه النقود محفوظة في متحف فورهيستورك في آرهوس في الدنمارك.

(٣٧١) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦؛ ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١٢٣.

(٣٧٢) حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، ص٥٠٦؛ عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٤٤ حيث يقتبس عن أحمد غفاري، *تاريخ جهان أرا* (طهران، ١٩٦٤)، ص١٢٦-١٢٧؛ و منجم باشي، *جامع الدول* (مخطوط)، ص٦٤٦-٦٤٧.

بلوغ المعلومات لارتباطهم بالدوائر الحاكمة. وكما لاحظنا، يزودنا وصّاف بتفاصيل أكثر حول حملة أبي بكر، كأسماء القادة العقيليين والمبالغ التي دفعها أبو بكر، ما يوحي بأنه كان قادرا على الحصول على معلومات لم تكن متوفرة لقزويني. أضف إلى ذلك أن الأحساء كانت مدينة برية محاطة بالصحاري، ومن المستبعد دخول السلغوريين إلى هذه المنطقة وإلحاق الهزيمة بالبدو في عقر دارهم. ويبدو أن المدينة كانت خاضعة فعلا لحكم بني عصفور عام ١٢٥٣ م وفقا لرواية سعيد المغربي (توفي ١٢٧٥م).[٣٧٣] وبموجبه نستبعد قيام أبي بكر باحتلالها. واسم الأحساء مذكور بشكل غير دقيق عند قزويني وغفّاري ومُنجِّم باشي الذين يقدمون معلومات أقل تفصيلا من وصّاف.

وفيما يخص الانسحاب من القطيف، ثمة تضارب في المصادر. يذكر وصاف أنه في «عام ٦٥٤ [هـ] [١٢٥٦م] أعطى [الأتابك] الحكم هناك [القطيف] لعصفور بن راشد بن عمير[ة] ومانع بن راشد بن عمير[ة]».[٣٧٤] وترد المعلومة ذاتها عند المؤرخين اللاحقين، كأحمد غفّاري (توفي ١٥٦٥م) ومُنجِّم باشي (توفي ١٧٠٢م).[٣٧٥] لكن لا ذكر للانسحاب في *نظام التواريخ* (١٢٧٥م) للمؤرخ الأقدم ناصر الدين بيضاوي أو في *تاريخ گزيده* (١٣٣٠م) للمؤرخ حمد الله مستوفي قزويني (١٢٨١-١٣٤٩م) معاصر وصّاف. ويقول

---

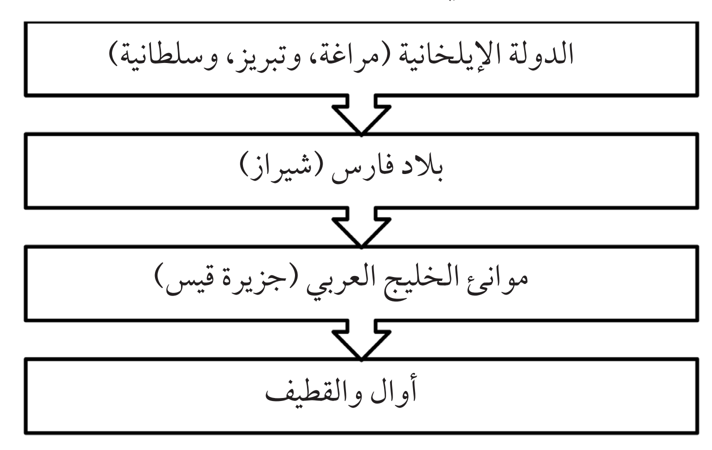
(٣٧٣) يرد هذا الخبر في: أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠)، ص١٠٦-١٠٧، ٣٦٦؛ أحمد القلقشندي، *قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان*، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٢)، ص١٢٠.

(٣٧٤) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦.

(٣٧٥) انظر: عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٤٤ حيث يقتبس عن أحمد غفاري، *تاريخ جهان أرا* (طهران، ١٩٦٤)، ص١٢٦-١٢٧؛ و منجم باشي، *جامع الدول* (مخطوط)، ص٦٤٦-٦٤٧.

قزويني إن أبا بكر حكم فارس وقيس والبحرين [أوال] والقطيف والأحساء ثلاثين عاما [حتى وفاته عام ١٢٦٠م].(٣٧٦) ولا نستبعد أن أبا بكر رد القطيف للعقيليين، لكن أتابكة السلغوريين الأواخر أو الدول اللاحقة أعادوا احتلال المدينة الساحلية. وكما سنبين أدناه، تظهر المصادر اللاحقة أن القطيف خضعت للأتابكة الأواخر والمغول والطيبيين والهرمزيين.

التراتبية السياسية والإدارية في دولة المغول الإيلخانيين ١٢٥٦-١٣٣٥م



الشكل (١٦): التراتبية السياسية والإدارية في دولة المغول الإيلخانيين ١٢٥٦-١٣٣٥م

٢-٢- أوال والقطيف تحت حكم المغول: سوغونجاق والسلالة الطيبية (١٢٧٢-١٣٣٥م)

خضعت فارس وأراضيها، بما في ذلك جزر الخليج، لحكم الضباط المغول الإيلخانيين بعد وفاة مينغو تيمور زوج أبيش خاتون آخر أتابكة السلالة السلغورية (حوالي ١٢٨٢م). وحتى قبل ذلك الوقت كان المغول الحكام الفعليين لفارس. حكم العديد من الضباط فارس في خضم الاضطرابات

(٣٧٦) حمد الله مستوفي قزويني، *تاريخ گزيده*، ص٥٠٦.

السياسية والحروب بين قادة المغول، مثل أنكيانو وبُلغان وتونياق ومحمد بك وسوغونجاق نوئين. وقد سبق للأخير، الذي ربما كان الأهم بينهم، أن عمل ضابطا على رأس وحدة عسكرية واشترك مع هولاكو في حصار بغداد واجتياحها عام ١٢٥٧-٥٨ م.[٣٧٧] وفي عام ١٢٧٢ م قام أبقا خان بن هولاكو (حكم ١٢٦٥-١٢٨٢م)، ثاني الإيلخانيين، بتعيين سوغونجاق حاكما على بغداد وفارس مع توابعها، بما في ذلك أوال. وشملت مسؤولياته كحاكم: جباية الضرائب وحفظ الأمن وقيادة المعارك ضد الدول المعادية والثوار. وبقي في السلطة حتى وفاة سيده أرغون خان بن أبقا خان عام ١٢٩١م.[٣٧٨] ويروى أن سوغونجاق كان مسيحيا.[٣٧٩]

ويذكر وصّاف أن سوغونجاق أرسل مبعوثين إلى البحرين (أوال) وخورشيف [في عمان؟] عام ١٢٧٣م لإعداد سفن وحشد جيش من المغول والمسلمين لمواجهة الملك محمود القلهاتي [١٢٤٧-١٢٨٦م] مؤسس مملكة هرمز الذي احتل قيس. هُزم محمود وطرد من الجزيرة.[٣٨٠] ويبين هذا التقرير الموجز أن فارس حكمت الجزيرة عام ١٢٧٣م، أي قبل نهاية السلالة السلغورية، وهو دليل على أن المغول كانوا الحكام الفعليين لأوال على الرغم من تبعيتها الرسمية للأتابكة أبيش خاتون. ويفيدنا هذا التقرير أيضا بأن أوال كانت موطنا لبنائي السفن وأنها استوعبت قوات مغولية.

---

(٣٧٧) عبد الرزاق بن الفوطي، *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*، تحقيق مصطفى جواد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٣)، ص٢٧١-٢٧٢؛ عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٧.

(٣٧٨) ناصر الدين بيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١٣٢-١٣٣؛ عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص٦٧، ١١٣-١١٤، ١١٨-١٢٠.

(٣٧٩) شمس الدين الذهبي، معجم *الشيوخ*، تحقيق روحية السيوفي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ص٣٨٧.

(٣٨٠) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١١٤.

يزودنا المؤرخان شبانكاري (حوالي ١٣٤٣م) ونطنزي (١٤١٣م) بمعلومات خاصة عن أوال والقطيف تختلف عن معلومات وصّاف سابقة الذكر، فيقولان إن القلهاتي لم يحتل جزيرة قيس فحسب، بل البحرين (أوال) والقطيف، وهو أمر مشكوك فيه.[(٣٨١)] لم يقبل أوبن بهذه المعلومات لنطنزي وشبانكاري، وحجته هي أنه كان سيصعب على القلهاتي إعادة فتح هذه الجزر بعد هزيمته على يد المغول [عام ١٢٧٣ م].[(٣٨٢)]

(٣٨١) معين الدين نطنزي، منتخب *التواريخ* معيني، ص١٢؛ وقد قام محقق هذا الكتاب، جان أوبن، بتحقيق أجزاء من كتاب محمد شبانكاري *مجمع الأنساب*:

Jean Aubin, 'Extraits Du Majmaʿu-ʾl-Ansāb Concernant Ormuz,' *Journal Asiatique* 241 (1953): 129-136.

(382) Jean Aubin, 'Les Princes D'Ormuz Du XIII AU XV Siecle', *Journal Asiatique* 241 (1953): 81.

جدول زمني بحكام الأسرة الطيبية الذين حكموا أوال والقطيف (١٢٩١- حوالي ١٣٣٥م)

١٢٩١-١٢٩٥م	جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي أو ابن السَواملي (توفي ١٣٠٧م). عينه الإيلخان المغولي غَيْختو (حكم ١٢٩١-١٢٩٥م) حاكما على فارس. عهد إبراهيم إلى ابنه فخر الدين بحكم جزر الخليج عام ١٢٩٥م. استدعي إبراهيم عام ١٢٩٨م إلى مجلس الإيلخان للاستجواب بخصوص فساد مزعوم حول العائدات. فتم إبعاده عن فارس، لكنه احتفظ بقيس وربما جزر الخليج. وقد أعيدت إدارة فارس إليه عام ١٣٠٥م. ودفع للعقيليين في القطيف المبلغ السنوي نفسه الذي دأب السلغوريون على دفعه. وجعل القطيف، مربى ومربطا لخيوله، وقاعدة لتجارته بهذه الحيوانات.
١٢٩٥-١٣٠٠م	فخر الدين أحمد بن إبراهيم الطيبي. دخل في معركة مع أياز ملك هرمز. وترك منصبه الإداري عندما طلب منه الإيلخان محمود غازان تجهيز بعثة دبلوماسية إلى خاقان تيمور في الصين عام ١٣٠٠ م. ومكث هناك عامين ومات في البحر في طريق عودته من البعثة.
١٣٠٠-؟	جمال الدين نعيم. لعل الحدث الأهم في عهده هو بيعه جزيرة جارون عام ١٣٠٠ م لأياز ملك هرمز (توفي ١٣١٢م) لتصبح فيما بعد هرمز الجديدة، عاصمة مملكة هرمز.
١٣١٣-١٣٢٥م	عز الدين عبد العزيز. شن حربا على ملك هرمز عز الدين كِردانشاه (١٣١٢-١٣١٨م) واجتاح هرمز، فوافق كردانشاه المهزوم على دفع إتاوة سنوية له. ودام الحكم أربعة أعوام. وأعدمه دِمْشِق خواجة بن أمير جوبان. وفي عهده أقيم نقش في البحرين (عام ١٣٢٤م) يخلد بناء مئذنة ثانية في مسجد الخميس بجزيرة أوال.
١٣٢٥-١٣٤٢م	شمس الدين محمود بن فخر الدين أحمد. عين أخاه نائبا له، وقُتل الاثنان على يد ملك هرمز تهمَتَن الثاني بن كِردانشاه (حكم ١٣٢٠-١٣٤٦م).ربما خسر أوال والقطيف لصالح ملك هرمز تَهمَتَن الثاني عام ١٣٣٥م.
١٣٤٢-١٣٤٥م	نظام الدين أحمد.

الشكل (١٧): جدول زمني بالطيبيين الذين حكموا أوال والقطيف (١٢٩١- حوالي ١٣٣٥م)

برز الطيبيّون، وهم سلالة تجار وحكامٌ تابعون للدولة الإيلخانية، حين عينهم الإيلخانيون ابتداء بغَيْختو (حكم ١٢٩١-١٢٩٥م). وكان مؤسس السلالة جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي أو ابن السَواملي من العراق، وهو موصوف بأنه رئيس التجار. ومن بين البضائع التي تاجر بها الخيول واللؤلؤ وربما العطور كما تظهر نسبته: طِيب.

عهد الإيلخان الخامس غَيْختو، الذي اعتمد على العرب والفرس عوضا عن المغول في حكم أو ضمان الولايات، إلى جمال الدين إبراهيم بحكم بغداد وفارس، بما في ذلك جزر الخليج لمدة أربعة أعوام. خلف هذا الإيلخان أرغون خان الذي عين سوغونجاق. كما منح غَيْختو جمال الدين إبراهيم الطيبي لقب «ملك الإسلام». وفي المقابل، دفع الطيبي مبلغا سنويا قدره ألف تومان (ليرة ذهبية) كضمان أو التزام. وكانت جزيرة قيس القاعدة الرئيسة لشبكة الطيبي التجارية التي وصلت إلى الهند والصين. وساعده في حكم أراضيه وإدارتها أخوه عبد الرحمن الذي كان مقيما في الهند، وأبناؤه سراج الدين عمر وعز الدين عبد العزيز وفخر الدين أحمد وشمس الدين محمد. كان فخر الدين أحمد مسؤولا عن موانئ الخليج التي ربما كانت أوال إحداها. وقد حل مكانه موظف آخر يدعى جمال الدين نعيم عام ١٣٠٠م الذي أقدم على بيع جزيرة جارون لأياز ملك هرمز (توفي ١٣١٢م)، فجعلها هذا هرمز الجديدة عوضا عن المدينة البرية المطلة على مضيق هرمز. وخلف أحمد ابناه عز الدين عبد العزيز وشمس الدين محمد على التعاقب.[٣٨٣]

---

(٣٨٣) صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠)، ج٦، ص٨٩؛ عبد الرزاق بن الفوطي، *الحوادث الجامعة*، ص٤١٨، ٤٢٤؛ أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٢٦-١٢٧؛ وكذلك:

Valeria Fiorani Piacentini, 'The Mercantile Empire of the Ṭībīs: Economic Predominance, Political Power, Military subordination', 251-260.

اتصل جمال الدين إبراهيم بالعقيليين في البحرين. ووافق، بموجب وصّاف، على دفع المبلغ نفسه الذي اعتاد السلغوريون دفعه لزعماء البحرين المحليين.[٣٨٤] وذلك لقاء حماية تجارته والعدد الهائل من خيوله التي كانت تربى في المدينة البحرينية. ويبدو أن القطيف كانت مهمة للطيبي بسب ملائمة مينائها ومحصولها من التمور التي تستخدم علفا للخيول. وكما سنبين أدناه، استفاد العقيليون من هذه التجارة.

اكتشفت البعثة الدنماركية أيضا قطعة نقدية يعتقد أنها ضربت عام ١٢٩٢م. وقد درس لوفيك هذه القطعة الذي تتضمن سطرين، الأول *بادِشاه عالَم* (ملك العالم) والثاني *آل أبو سعيد*.[٣٨٥] وربما لقب ***بادشاه عالم*** مواز للقب *ملك الإسلام*.

جدد الإيلخان السابع محمود غازان (١٢٩٥-١٣٠٤م) منصب جمال الدين إبراهيم السياسي والإداري عام ١٢٩٦م، وأضاف البصرة وواسط إلى أراضيه. وهكذا كسب ميناء آخرا ربطه برا بالعراق الداخلي. لكن إبراهيم انخرط خلال هذه الفترة في معارك عدة مع مملكة هرمز، منافسه السياسي والاقتصادي، للسيطرة على موانئ الخليج.

أوقفت الدولة الإيلخانية رعايتها السياسية والعسكرية لأفراد السلالة الطيبية الذين بدؤوا بالاقتتال على إرث والدهم الذي توفي في شيراز عام ١٣٠٧ م. ألحقت مملكة هرمز الهزيمة بالطيبيين عام ١٣٣٥م، وهو العام نفسه لانهيار الإيلخانية المغولية.[٣٨٦]

---

(٣٨٤) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٨٦.

(385) Nicholas Lowick, 'Trade Patterns on the Persian Gulf', 319-333.

(٣٨٦) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٨٦؛ أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٢٦.

لم تجذب أوضاع أوال الداخلية اهتمام المؤرخين خلال فترة حكم الطيبيين. لكن ثمة نقش أثري في مسجد الخميس الواقع في بلاد القديم العاصمة القديمة لأوال. وهو موجود في غرفة خادم المسجد عند قاعدة المئذنة الثانية. والتاريخ الذي يظهر عليه هو ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣-٢٤م. ووفقا لكالوس، سُطِّر النقش في وسط حجر ذي سطح مقوس أبعاده ٦١ سم (٥٦ سم في الجزء المكسور في أعلى اليسار) X ٢٠ سم X ١١ سم (٦ سم إلى اليسار و٨ سم إلى اليمين). ويوجد ثلاثة أسطر يفصلها شريط. يبلغ عرض السطر المكتوب بخط النسخ ٥ , ٥ سم، ويشبه الشكل الدائري للتاء المربوطة حرف أوميغا اليوناني. وقد قدم كالوس وزملاؤه قراءة غير كاملة للنص:[٣٨٧]

(١) امر بعمارة هاذه المنارة المباركة السيد المعظم المخدوم (؟)

(٢) محي الجهاد (؟) XXX

(٣) XXX سنة اربع وعشرين وسبعمائة [١٣٢٤م]

وربما كتب هذا النقش في أيام الحاكم الطيبي عز الدين عبد العزيز بن إبراهيم (حكم ١٣١٣-١٣٢٥م)، إذ شن حربا على كردانشاه ملك هرمز (١٣١٣-١٣١٧م) لاعتدائه على السفن القادمة من الهند ومنعها من الرسو في موانئ الطيبيين. وأسفرت هذه الحرب عن خضوع ملك هرمز وقبوله دفع إتاوة سنوية لعبد العزيز الطيبي.[٣٨٨] ولا أزعم أن هذا النقش يخلد انتصار عبد العزيز أو أنه عائد إليه حتما، إنما أحاول فقط تقديم سياقه التاريخي، وهو جانب لم يناقشه الآثاريون. لا يمكن قراءة اسم الحاكم في النقش. وربما كان هذا الحاكم الغامض موظفا رفيع المستوى لقدرته على تنظيم الجيش وقيادته وشن حرب

(٣٨٧) خلط كالوس وزملاؤه عند قراءتهم للنقش بين الرقمين عشرة وعشرين. انظر:
Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 27.

(٣٨٨) أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٣٦-١٣٨.

دينية أو جهاد، وهو مصطلح يدل على الحروب ضد غير المسلمين. وفي هذه الفترة كان معظم المغول غير مسلمين أو مجرد مسلمين بالاسم، مع أن أول زعيم مغولي مؤثر اعتنق الإسلام ربما هو محمود غازان عام ١٢٩٥م، أي قبل ثلاثين عاما من تاريخ هذا النقش.[٣٨٩] فهل يوحي نقشنا بأن حاكما مسلما أعلن الجهاد ضد المغول عندما احتلوا البحرين قبل الطيبيين، تحديدا سوغونجاق الذي كان مسيحيا؟ هل كان ذلك الحاكم المجهول شيعيا أم سنيا؟ فإن كان سنيا، فمن المثير للاهتمام أن نتأمل التعايش بين نقشه والنقش المجاور له الذي يتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر للشيعية الاثني عشرية وهذا على افتراض أصالته.[٣٩٠] أما إذا كان شيعيا، فسيكون من المثير أيضا حضور مفهوم الجهاد في تلك الفترة من تاريخ المعتقد، مع أنه لم يُطبق في أماكن أخرى بسبب غيبة الإمام الثاني عشر. وللأسف يصعب قراءة النقش وفقا لكالوس، كما لا يوجد لدينا أي دليل آخر، أثري أو نصي، للإجابة على هذه الأسئلة المحيرة.

ويوجد نقش آخر في مسجد بقرية بربار في أوال مؤرخ في ١٣٢٩م، أي خلال فترة الطيبيين. وهو شاهد أساس بناء مسجد يذكر اسم الحاكم وألقابه: الوزير المولى الصاحب المعظم الأكرم المكرم ملك الوزراء في العالمين شمس الدنيا والدين محمد بن أحمد بن سعيد بن معالي. وربما كان هذا الحاكم هو الوالي الطيبي على أوال وجزر الخليج التابع لشمس الدين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن السَواملي الذي حكم بين ١٣٢٥ و ١٣٤٢م.

---

(٣٨٩) سبقه إلى اعتناق الإسلام الإيلخان أحمد تكودار (١٢٨٢-١٢٨٤م). ويوجد قائمة طويلة بالدراسات المتعلقة باعتناق المغول للإسلام. انظر، على سبيل المثال:

Reuven Amitai-Preiss, ‘Ghazan, Islam and Mongol tradition: A View from the Mamlūk Sultanate,’ *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 59/1 (1996): 1-10; Judith Pfeiffer, ‘Reflections on a ‘Double Rapprochement’: Conversion to Islam among the Mongol Elite During the Early Ilkhanate,’ in *Beyond the Legacy of Genghis Khan*, ed. Linda Komaroff (Leiden: Brill, 2012), 369-389.

(٣٩٠) انظر الفصل الثالث: القسم المتعلق بعهد أبي سنان محمد بن الفضل.

وربما تكون الصيغة «سعيد بن معالي» نعتا يدل على صاحب السعادة (سعيد) والسمو (معالي من «العلو») وليس اسما. وفي كل الأحوال، فإن قراءة كالوس للنقش على النحو الآتي:(٣٩١)

(١) امر بعمارة المسجد الشريف المولى الصاحب المعظم الاكرم المكرم ملك الوزراء في العالمين

(٢) شمس الدنيا والدين محمد بن أحمد بن سعيد بن معالي ادام الله معاليه مقربا بذال [كذا] إلى الله تعالى وكملت ولد اخرها (؟)

(٣) شعبان المبارك من شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة و (؟) الحمد لله وحده وصلى الله على محمد النبي XXX (= وسلم؟)



الشكل (١٨): نقش مسجد باربار.

(391) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 68-69, pl. LI.

جدول زمني بملوك هرمز الذين حكموا أوال والقطيف (حوالي ١٣٣٥-١٤٠٠م)

١٣٣٥-١٣٤٦م	تهمَتَن الثاني بن كِردانشاه (حكم ١٣٢٠-١٣٤٦م). فتح أوال والقطيف بعد وفاة الإيلخان خدابنده أبي سعيد (١٣١٦-١٣٣٥م)، لكن التاريخ الدقيق غير معروف بعد.
١٣٤٠-١٣٤٦م	أخذ شادي وشَنْبا ابنا كيقباد جزيرة أوال من تهمَتَن الثاني، لكنهما اقتتلا، فغادر شَنْبا أوال إلى مدينة فال قرب شيراز.
١٣٤٦-١٣٧٧م	توران شاه بن تهمَتَن الثاني. هزم شادي، لكنه أبقى ابنه فولان بن شادي واليا. وفي عهده أقيم نقش شاهد أساس مسجد بناه عام ١٣٧٤م، يتخلله ذكر سنة حكمه واسم واليه: الصاحب الخواجة جمال الدين علي بن منصور بن محمود كرد زيد. كما بنى مسجدا في القطيف، عثر على نقش تأسيسه هناك.
١٣٧٤م	شَنبا بن كيقباد. وصل على رأس جيشه إلى أوال وقتل ابن أخيه فولان مع مؤيديه. ويروى أنه نشر الرعب في أوال بأن غزا القرى وقتل الكثير من الناس. فثار سكانها ضده وقتلوه. وقادة الثورة هم: مير عَجَب، وأحمد بن راشد، ومحمد البهلون/ البهلوان. وقد حكموا الجزيرة لفترة وجيزة إلى أن جاء توران شاه وأخمد الفوضى السياسية.
١٣٧٤م؟	استعاد توران شاه بن تهمَتَن حكمه في أوال وقتل مير عَجَب. كما زار القطيف حيث استُقبِل بحفاوة من قبل ماجد الذي ربما كان زعيم العقيليين.
١٣٧٧-١٣٨٨م	بَهمَن شاه بن توران شاه.
١٣٨٨-١٤٠٠م	محمد صالح بن بَهمَن شاه. صار تابعا لتيمورلنك عام ١٣٩٢م.

الشكل (١٩): جدول زمني بملوك هرمز الذين حكموا أوال والقطيف (حوالي ١٣٣٥-١٤٠٠م)

٢-٣- أوال والقطيف تحت حكم مملكة هرمز (حوالي ١٣٣٥-١٤٠٠م)

كان حكم الهرمزيين لأوال والقطيف أطول من حكم السغوريين والمغول والطيبيين لهما. وقد بدأ حوالي ١٣٣٥م حين انتزعوا السلطة من الطيبيين. لكننا سنركز في هذا القسم على حكمهم لأوال والقطيف حتى عام ١٤٠٠م تقريبا، وهو النطاق الزمني لهذا الكتاب. على الرغم من ازدهار مملكة هرمز، إلا أنها اتسمت بصراعات داخلية عميقة بين أعضاء الأسرة الحاكمة. ويبدو أن أوال صارت ملاذا أو منفى للمطالبين بالعرش من المعارضين، فيما عُهد بحكم القطيف إلى قادة محليين في كثير من الأحيان.

كانت مدينة هرمز تقع في برِّ كرمان وتطل على المضيق الفاصل بين خليج عمان والخليج العربي. وكانت الميناء الرئيس لكرمان وسيستان وخراسان. وشهد العام ١٢٤٧م تأسيس سلالة جديدة في هرمز بزعامة ركن الدين محمود بن أحمد الكوسي القلهاتي القادم من مدينة قلهات جنوب شرق مسقط في عمان. ومع أن مملكة محمود تمتعت بقدر كبير من الاستقلال الذاتي، لكنه كان تابعا رسميا لسلطان كرمان ركن الدين بَلَق حاجب، ومُلزما بدفع الخراج له. انتهج القلهاتي سلوكا متمردا أحيانا، فرفض دفع الضريبة السنوية وأغلق المضيق بأن اعتدى على السفن الآتية من الهند إلى كرمان. وقد قام بذلك لردع سلطان كرمان عن فرض ضرائب باهظة أو إضافية. وفي جميع الأحوال، كانت التجارة البحرية النشاط الأكثر أهمية لمملكة هرمز. اصطدم محمود القلهاتي مع المغول، لكنه تعرض للهزيمة.[٣٩٢] وتوفي عام ١٢٧٧-٧٨م. وكان ابنه نور الدين أول خليفة له، واستمر حكمه حتى عام ١٢٩١م، على

---

(٣٩٢) أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٢٠؛ وكذلك:
Henry Yule, ed., *The Book of Ser Marco Polo, The Venetian, Concerning the Kingdoms and Marvels of the East* (London: John Murray, 1857), vol.2, 448; L. Lockhart, 'Hurmuz', EI2.

الرغم من الكثير من الصراعات الداخية مع أخوته حول وراثة العرش. وقد وسمت الحروب بين المطالبين بالعرش ملامح معظم هذه الفترة حتى مجيء البرتغاليين عام ١٥٠٧م.

هجر الملك أياز وشعبه هرمز عام ١٣٠٠م، وانتقلوا إلى جزيرة تدعى جارون أو جيرون عند المضيق الواقع بين الخليجين العربي والعماني، فبنوا هناك مدينة جديدة وميناء. وأعادوا تسميتها هرمز (المدينة القديمة هي هرمز المهجورة على اليابسة).[٣٩٣] ويذكر ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٦٩م) أنه على إثر وفاة السلطان [الإيلخاني] أبي سعيد [خدابنده عام ١٣٣٥م آخر إيلخان مغولي] قام الملك قطب الدين تهمَتَن (حكم ١٣٢٠-١٣٤٦م) أو بهمَن بن كردانشاه، وفقا لنطنزي، بغزو قيس وهرمز وقلهات والقطيف والبحرين [أوال].[٣٩٤] وما زال التاريخ الدقيق لهذه الأحداث مجهولا. ومن الموانئ الأخرى التي خضعت لسيطرته قريات وشَبا وكلبا وخورفكّان وصحار على ساحل عمان.[٣٩٥]

أعطى تهمَتَن الثاني حكم أوال المشترك لشادي وشَنبا ابني أخيه كيقباد. لكن تضارب المصالح بين هذين الأميرين أدى إلى انتقال شادي من أوال إلى مدينة فال قرب شيراز. وبعد موت تهمَتَن الثاني ألحق ابنه توران شاه بن تهمتن

---

(393) Pedro Teixiera, *The travels of Pedro Teixiera: With his 'Kings of Hormuz' and Extracts from his 'Kings of Persia'*, trans. William Sinclair, ed. Donald Ferguson (London: Hakluyt Society, before 1923), 160-162;

وانظر كذلك: أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٢٠-١٢٦.

(٣٩٤) ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* (المطبعة الخيرية، ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤م)، ج١، ص١٧٢؛ معين الدين نطنزي، *منتخب التواريخ معيني*، ص١٦-١٧؛ وكذلك:
Pedro Teixiera, The Travels of Pedro Teixiera, 173-174, 181.

(٣٩٥) ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ج١، ص٢٠٤.

(حكم ١٣٤٦-١٣٧٧م) الهزيمة بشادي في أوال، إلا أنه ترك ابنه فولان بن شادي يحكمها لصالحه. بعد ذلك وصل شَنبا بن كيقباد على رأس جيشه إلى أوال وقتل ابن أخيه فولان مع مؤيديه. ويروى أن شَنبا نشر الرعب في أوال بأن غزا القرى وقتل الكثير من الناس. ثار سكان أوال عليه، فاقتحموا قصره وقتلوه. وتزعم الثورة مير عَجَب وأحمد بن راشد ومحمد البهلون/ البهلوان الذين حكموا الجزيرة لفترة وجزيرة إلى أن وصل الملك توران شاه وأخمد الفوضى السياسية، وقَتل حينذاك الزعيم مير عَجَب الذي طلب منه حكم الجزيرة لصالحه. كما زار توران شاه القطيف، ربما لتوطيد حكمه والاحتفاظ بها ضمن مملكته. وهناك استقبله بحفاوة ماجد بن «إزفاف [؟]» الذي ربما كان قائدا عقيليا، لم يحسن المؤرخ الفارسي والمترجم البرتغالي تدوين اسمه. والتواريخ الدقيقة لهذه الأحداث غير موثقة في مصادرنا. لكننا نعلم أن توران شاه توفي عام ١٣٧٧م.[٣٩٦]

ويوجد نقشان أثريان متعلقان بالحكم الهرمزي في أوال والقطيف. يقع الأول في جزيرة أوال، وقد درسه كالوس وكتب تقريرا تحليليا حول بعض محتوياته. والنقش هو شاهد أساس تجديد أو توسعة جديدة لمسجد الخميس أو مسجد المصلى إلى الغرب منه، حيث وثق الباني الوقف الديني الذي تبرع به. وتاريخ النقش هو ٧٦٦ هـ/ ١٣٧٤م (انظر الشكل ١٧). ووفقا لكالوس، عُثر عليه في قرية المصلى إلى الغرب من مسجد الخميس، ومع ذلك فهو يرى أنه ربما كان في مسجد الخميس في الأصل. أطلِق على هذا النقش اسم «الوقفيّة»، وهو محفوظ حاليا في متحف البحرين الوطني. ونصه الآتي:[٣٩٧]

---

(396) Pedro Teixiera, *The Travels of Pedro Teixiera*, 183-188.

(397) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 28-30.

(١) بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المسجد المبارك الصاحب المعظم خواجه جمال الدين علي بن المرحوم منصور بن محمود كرد تعظيمه قربة إلى الله تعالى ووقف على مصالحه جميع السرمر والملك المعروف بفوليان من البلد القديم مع نصف الملك المعروف بحمكان من حويص عالي على أن يلوث (؟) ويبق ستمائة منا ثنا لمأن كل من يحضر لقراءة

(٢) القرآن كل يوم ....رمضان ومائة وخمسون منا ثنا لمأن كل من يحضر للصلاة يوم الجمعة كل جمعة خمسة آن وستمائة منا ثنا لقيمه مائة منا ثنا لقيمة ثمن سراجه بهما وباقي

(٣) لمصالحه من فروش و رم وغيرهما تقبل الله حسابه وأعلى درجاته في سابع عشرين صفر سنة ست وسبعين وسبعمائة هجرية



الشكل (٢٠): نقش الوقفية. موجود في متحف البحرين الوطني

يكشف هذا النص عن معلومات مهمة حول حاكم البحرين ولقبه، والعملة ومواد التبادل، والأمور الدينية، وحتى اللهجة المحلية. فلقب «الصاحب» يعني حرفيا المالك أو السيد ويشير بمصطلحات الإدارة إلى وزير أو وال يمثل السيد الأعلى، وأحيانا المستشار. وإذا اقترن هذا اللقب بكلمة ديوان، فربما يشير إلى وزير المالية. وقد شاع استخدامه في الدول الفارسية، بما في ذلك العصر الإيلخاني. ومن الشخصيات البارزة التي حملت هذا اللقب: الوزير البويهي إسماعيل بن عباد المعروف باسم الصاحب بن عباد (توفي ٩٩٥م)، والوالي الإيلخاني الصاحب عطا ملك جويني في بغداد (توفي ١٢٧٦م)، وأخوه صاحب الديوان شمس الدين جويني (توفي ١٢٨٥م). وخواجة/ خاجة لقب تشريفي أيضا أُطلق على من تمتع بمعرفة دينية، ولا سيما بالتصوف. وهو مستخدم كذلك في المناطق الناطقة بالفارسية. ونرى أن الصاحب المعظّم خواجه جمال الدين علي بن المرحوم منصور بن محمود كرد ربما كان الوالي الهرمزي على أوال خلال عهد الملك توران شاه بن تهمَتَن (١٣٤٦-١٣٧٧م).

أما كلمة سرمر فتعني صنفا من النخيل، وقد استخدمت، وفقا لبلغريف، للدلالة على «خط من الأشجار بمحاذاة قناة مائية».(٣٩٨) وربما كانت كلمة *فوليان* اسم منطقة أو حي في داخل العاصمة: البلاد القديم. ولعل اسم «حويص عالي» يشير إلى منطقة كانت تقع ضمنها الحديقة أو العقارات المعروفة باسم حمكان. وإذ تبدو هذه القراءة معقولة، إلا أنني متحيِّر في مدلول عبارة *المُلك المعروف بفوليان*، إذ تذكر المصادر الكتابية أن توران شاه بن تهمتن، الذي عين ابن أخيه فولان بن شادي واليا على أوال، قُتل خلال ذلك العام على يد عمه الآخر شنبا بن كيقباد. وإذا قرأنا الكلمات بشكل منفصل خارج السياق،

(398) James Belgrave, *Welcome to Bahrain*, 86.

فربما تعني الملك (الحاكم) المعروف باسم فوليان. وإذا قرأناها سياقيا، فهي تدل على العقارات المعروفة باسم فوليان، وهو الاحتمال الأرجح.

وإذا كانت قراءة الفعل *يَلوث* صحيحة، فإن له دلالات عدة في الفصحى. لكن يبدو أنه مستخدم هنا باللهجة المحلية للدلالة على شيء واحد يصعب تفسيره. ومن معاني هذا الفعل الكثيرة في العربية: التشويه، الضعف، الادخار، الحفاظ أو المنع، لف شيء حول آخر، مثل لف العمامة على الرأس، وضفر الأشجار. ومن بين هذه المعاني ربما يكون «الادخار» أو «الحفاظ» الأنسب سياقيا، فهما مرادفان للفعل التالي يبقى. ولعل المعنى العام للجملة هو ضرورة الحفاظ على جميع أشجار النخيل والعقارات واستخدامها للأفعال الواردة في التتمة. أما إذا كانت القراءة الصحيحة للفعل *يلوث* هي *يلوذ*، فقد تناسب السياق أكثر. وربما انقلبت الثاء ذالا في لهجة سكان أوال آنذاك. وهكذا يكون المعنى أن التمور/ المال من النخيل والعقارات ستستخدم لأغراض عدة، من ضمنها دعم اللاجئين والمشردين والمسافرين الذين يأوون إلى المسجد.

وتشير كلمة *مَنّ* أو *مَنَّ* (في النقش منا) إلى وحدة قياس وزن كانت مستخدمة في الهند وفارس والعراق والجزيرة العربية. دخلت هذه الوحدة التقليدية إلى المعجم الإنجليزي من خلال كلمة «maund».[٣٩٩] ويصعب تحديد الوزن الدقيق لهذه الوحدة في البحرين في تلك الفترة لأنها اختلفت عبر الأمكنة والأزمنة وتتراوح بين ١١ كيلوغرام و٧٢ كيلوغرام ونصف. ولا أعرف شخصيا كلمة *ثُنا*. وقد ترجمها كالوس «تمور». وربما اقترح الآثاريون البحرينيون العاملون معه هذه الترجمة لأنهم معتادون على هذا الصنف

(399) Henry Bradley, ed., ‘maund’, in *A New English Dictionary on Historical Principles*, vol.6, part.2, 250;

وكذلك: سلطان القاسمي، «المن وحدة قياس الوزن»، الموقع الخاص لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي.

المحلي من التمور، وأرجح أنها «ثمنا»، لكنهم لم يترجموا كلمة مَنّ.(٤٠٠) وإذا كانت ترجمة الكلمتين صحيحة، يكون معنى الجملة كاملة (على سبيل الاقتراح): تُخصص ٦٠٠ منَّ من التمور لمرتادي المسجد الذي يحضرون يوميا ليقرؤوا القرآن في شهر رمضان، وتخصص ١٥٠ منّ من التمور لمن يؤدون صلاة الجمعة.

وإذا صح هذا التفسير، فإنما يدل على أن العديد من الناس قد هجروا المسجد وأن الوالي حاول اجتذابهم إلى صلاة الجمعة والاستماع إلى الخطبة من خلال تقديم التمور. وربما كان هذا النقش بمسجد قرية المصلى وليس مسجد الخميس كما يرى كالوس، وبالتالي فهناك تنافس بين رعاة المسجدين. ولا يسعنا إلا التكهن بخصوص الهدف الدنيوي الحقيقي لهذا الوقف الديني، ولا سيما إذا أخذنا بالحسبان أنه بني بواسطة الوالي. وكما بينا أعلاه، كانت مملكة هرمز تعاني من الانقسامات السياسية الداخلية والصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش. أضف إلى ذلك أن المذهب السني كان العقيدة الدينية الرسمية للدولة كما يذكر ابن بطوطة الذي يصف أيضا سكان القطيف المجاورة بالرافضية الغلاة.(٤٠١) فهل هجر الناس المسجد بسبب هيمنة الأئمة السنة عليه؟ وهل كان هذا الهجر علامة أو تعبيرا عن معارضة السكان السياسية للحكام الهرمزيين؟ وهل استخدمت هذه الدولة السنية المسجد والخُطَب لتقريب الناس من مذهبها الرسمي وكسب ولائهم السياسي للملك؟ يصعب الإجابة على هذه الأسئلة في ظل غياب المعلومات من المصادر الكتابية.

ترجم كالوس كلمة *آن* أو *آنّ* بمعنى أوقات.(٤٠٢) وبموجبه يكون معنى

---

(400) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 29.

(٤٠١) ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ج١، ص٢١٠.

(402) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 28-30.

الجملة «١٥٠ منّ من التمور لمن يحضر صلاة الجمعة خمس مرات». لكنني أعتقد أن الكلمة تدل على عملة لا الوقت. فربما تكون كلمة *آنّ* اسم وحدة صغيرة من العملة الهندية المعروفة باسم *آنة*. وقد استخدمت هذه التسمية في النظام النقدي الهندي السابق، حيث كانت الآنة تعادل ١٦/١ روبية. ويروى أن أصل هذه العملة يعود إلى الدول التركمانية الإسلامية. ولعل نقشنا الباكر برهان على استخدامها.

الدليل الأثري الثاني هو شاهد أساس بناء مسجد عثر عليه في مقبرة الحباكة في القطيف. ويظهر عليه اسم الملك الهرمزي تهمَتَن الثاني وواليه. ويقول النقش وفقا لقراءة محمود الهاجري:

(١) أمر بعمارة هذه المسجد المبارك المولى الأعظم العالم

(٢) سلطان البر والبحر قطب الدنيا والدين تهمتن بن كردانشاه خلد ملكه

(٣) ...العظم د...مور المكرم كمال الدولة والدين عبد الرحيم بن إسماعيل دام معظما

وبموجب اقتراح محمود الهاجري، يبدو أن المكرم كمال الدولة والدين عبد الرحيم بن إسماعيل كان الوالي الهرمزي على القطيف الذي أشرف على بناء المسجد. وأبعاد الحجر الكلسي للنقش كما وصفه الهاجري: ٩٠ سم X ٣٤ سم X ٢٢ سم. وهو مكتوب بخط النسخ العربي وغير مؤرخ. وقد لاحظ الهاجري خطأ قواعديا في اسم الإشارة «هذه» لأنه يشير إلى المسجد الذي هو اسم مذكر. وعليه افترض أن الشخص الذي سطره لم يكن عربيا.[٤٠٣]

---

(٤٠٣) محمود الهاجري، «شاهد أساس بناء مسجد بالقطيف: القطيف في القرن الثامن هجري»، *مجلة الواحة* ١٨ (٢٠١١). تاريخ الوصول ٢٠/ ١/ ٢٠١٥:
http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=844



الشكل (٢١): صورة لنقش حجر تأسيس مسجد القطيف الهرمزي (المصدر: الهاجري، «شاهد أساس بناء مسجد بالقطيف»، مجلة الواحة ١٨ (٢٠١١)

وباختصار، خضعت أوال والقطيف على التعاقب لسلالات وإدارات من دول الساحل الشرقي بعيدا عن أيدي العقيليين خلال معظم القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. أدت هاتان المدينتان دور محطتين تجاريتين في شبكة التجارة البحرية في الخليج. ووضعهما الداخلي ما زال غامضا، وليس لدينا سوى بيانات أولية بالأحداث. لكن يبدو أن الاقتصاد تحسن لأن ارتباط أوال والقطيف بتجارة الخليج صار أفضل. أسس الطيبيون تجارة خيول ناجحة واختاروا القطيف مكانا لتربيتها ربما ضمن أماكن أخرى أيضا. علاوة على ذلك، شهدت أوال والقطيف حركة تشييد أبنية دينية كما نستدل من بناء مسجد في القطيف ومذئنة ثانية في مسجد الخميس وتأسيس الأوقاف الدينية، ولعل ذلك تزامن مع تشييد أبنية أخرى ذات أغراض سكنية وتخزينية. لكن لا ينبغي علينا المبالغة في حجم التغيير، إذ يبدو أن أوال والقطيف بقيتا منطقتين شبه طرفيتين نسبيا. وثمة ثلاث ملاحظات رئيسة تقودنا إلى هذا الاستنتاج. أولا، هما بالكاد مذكورتان في المصادر الكتابية. ثانيا، عندما تذكر أوال، فإنها تُصوَّر ملاذا للمطالبين بالعرش. ثالثا، عند وجود مثل هذه التقارير، تظهر أوال مكانا يفتقر إلى السلطة المركزية. وفي بعض الأحيان حكم الزعماء المحليون الجزيرة مؤقتا حتى مجيء الملك ووضعه حدا للفوضى السياسية. في الواقع، كانت أوال والقطيف جغرافيا على هامش الأراضي التابعة لمملكة هرمز.

٣ - الإمارة العقيلية: خلفية تاريخية ونَسَبية موجزة

لقد ناقشنا نسب قبيلة بني عقيل وأصولها في الفصل الثالث. أضف إلى ذلك أن المعلومات المتوفرة حول العقيليين معنية بقادتهم فقط. ويبدو أن القبيلة كان لها أكثر من زعيم في مناطق مختلفة في الوقت نفسه. ومن الصعب معرفة التراتبية الدقيقة للفروع العقيلية المختلفة. لكن غالبية هؤلاء القادة تحدروا من سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عمر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل. وعرفوا باسم العقيليين وأحيانا القديمات أو العماير.[٤٠٤]

والقبيلة الأم كانت عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من فرع هوازن من قيس عيلان، وقد ضمت القبيلة الأم عددا كبيرا من العشائر الفرعية المنتشرة في معظم أرجاء المناطق الإسلامية في العصور الوسطى، بما في ذلك العراق والشام والجزيرة العربية ومصر السفلى والعليا وشمال أفريقيا والأندلس. حتى أنهم وصلوا إلى القوقاز واعتنقوا المسيحية هناك. وقد ضمت القبيلة الأم، على سبيل المثال، أجزاء من عشائر المنتفق في جنوب العراق وخفاجة في غربه وعقيل وعِبادة في شماله، وبني كلاب وبني نمير في الشام، وبني هلال في مصر وشمال أفريقيا. ونجحت الفروع القبلية الأوسع في تأسيس دول في الكوفة والموصل والجزيرة الفراتية، وإمارات في الشام في القرنين العاشر والحادي عشر، بالإضافة إلى الإمارة العقيلية في البحرين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وهو الموضوع الأهم لدراستنا هذه.[٤٠٥] اشتهرت القبيلة بالعديد من القادة والشعراء اللامعين،

---

(٤٠٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٩٠.

(٤٠٥) تنتمي الإمارة الجبرية إلى عقيل أيضاً (حوالي ١٤١٧ - ١٥٢٥م).

مثل مقلد، وقريش وابنه مسلم، وقائد التغريبة الهلالية أبي زيد الهلالي في مصر وشمال أفريقيا. ولدينا من القرن السابع الشاعرة ليلى الأخيلية العبادية والشاعر قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم.[٤٠٦]

٣-١- العصفوريون أو العقيليون: سلالة بفروع أسرية عدة

أطلق المؤرخون المعاصرون اسم «الإمارة العصفورية» على الدولة التي حكمت البحرين من ثلاثينيات القرن الثالث عشر حتى قبيل نهاية القرن الرابع عشر. وربما كان سميث ورينتز ومولیغان أول من استخدم هذا المصطلح في مدخلاتهم المعنونة «البحرين» و «العصفوريون» في *الموسوعة الإسلامية*، الطبعة الثانية (١٩٥٤-٢٠٠٥)، ليأتي بعدهم عبد اللطيف الحميدان في بحثه *إمارة العصفوريين* (١٩٧٩).[٤٠٧] ومنذ ذلك الوقت، دأب كل مؤرخ وكاتب تناول الإمارة بإيجاز أو تفصيل على تسميتها «العصفورية».

يقترح هذا البحث استخدام اسم «الإمارة العقيلية» بدلا من «الإمارة العصفورية» لأن هذا الاسم إشكالي ومضلل. فهو يوحي بأن جميع الأمراء تحدروا من عصفور، وهو غير صحيح على الأرجح. ولا شك في أن فرع عصفور تزعم القبيلة في المرحلة التأسيسية في منتصف القرن الثالث عشر.

---

(٤٠٦) أحمد القلقشندي، *قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان*، ص١١٥-١٣٢؛ خالد النزر، *آل عصفور: أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين عاما* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)؛ وكذلك:

H. Kindermann, ''Ukayl', *EI*[2].

(407) Rentz and Mulligan, 'al-Baḥrayn', *EI*[2]; G.R. Smith, ''Uṣfūrids', *EI*[2];

عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في شرق الجزيرة العربية»، *الوثيقة* ٢،٣ (١٩٨٢)، ص٢٦-٧٧.

لكن لا يوجد ما يؤكد اقتراح الحميدان بقاء الزعامة محصورة ضمن أحفاد عصفور حوالي ١٥٠ عاما.[٤٠٨]

تبين قراءة متأنية للمصادر أن زعامة القبيلة في البحرين كانت تنتقل إلى فروع أخرى على التوالي. فنقرأ أن خمسة زعماء لفروع مختلفة قادوا عقيليي البحرين في أوقات مختلفة: كان الأول بالتأكيد عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان وأبناؤه؛ والثاني مانع بن علي بن ماجد بن عميرة بن سنان؛ والثالث أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عميرة بن سنان؛[٤٠٩] والرابع محمد بن أحمد بن المفدى بن سنان؛[٤١٠] والخامس صدقة بن إبراهيم أبو دلف[٤١١] الذي نجهل اسمه الكامل. ومن الواضح أن هؤلاء القادة مثلوا أكثر من فرع والتقوا نَسَبيا عند جدهم المشترك الأقرب: سنان. ولا دليل في المصادر الأولية على افتراض الحميدان والجنبي أن الزعيم مانع الذي زار المماليك، كما سنبين أدناه، كان ابن عصفور.[٤١٢] خلافا لهذا، يبدو أن مانع كان ابن علي.[٤١٣] وبما أن جميع هؤلاء الأمراء انتسبوا لبني عقيل وعرفوا باسم بني عقيل عند المؤرخين القدماء،[٤١٤] فمن الأدق أن نطلق عليهم اسم العقيليين.

---

(٤٠٨) عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٢٦، ٦١-٦٢. حين يرد الاسم الأول والثاني لأحد العقيليين في المصادر المملوكية أو الفارسية، فإن الحميدان يربطه باسم عصفور من باب التخمين لا اعتمادا على الأدلة.

(٤٠٩) ترد هذه الأسماء الثلاثة في: عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦.

(٤١٠) أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦-١٠٧.

(٤١١) ابن ناظر الجيش، *كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف*، تحقيق رودولف فيسلي (القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، ١٩٨٧)، ص٨٢-٨٣.

(٤١٢) عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٥٠؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج٣، ص٥٥٥.

(٤١٣) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦.

(٤١٤) أبو الفدا، *المختصر في أخبار البشر* (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية)، ج٤، ص٨١.

٣-٢- انتقال السلطة إلى العقيليين (حوالي ١٢٢٩م) ومناقشة لبنيتهم السياسية وقيادتهم

لقد ناقشنا سقوط الإمارة العيونية وانتقال السلطة إلى العقيليين في الفصل الرابع. لكن كي يتسنى لنا البدء بسرد تحليلي للعقيليين بوصفهم أمراء البحرين الداخلي ووسط الجزيرة العربية ينبغي علينا على الأقل التذكير بطريقة خلافتهم للعيونيين مع إضافة بعض التفاصيل ذات الصلة. باختصار، اتسمت الفترة الأخيرة للإمارة العيونية بتدهور سلطة أمرائها سياسيا واقتصاديا على حد سواء. تزامن هذا مع ازدياد تأثير شيوخ العقيليين سياسيا واقتصاديا، ولا سيما راشد بن عميرة بن سنان والد عصفور. وبحلول ثلاثينيات القرن الثالث عشر تم إقصاء الأمراء العيونيين وتحكم العقيليون بمدينتي الأحساء والقطيف. وعلى الأرجح سهلت نخبة المجتمع، أي المستشارون الذين كانوا غالبا من التجار وملاك الأراضي، انتقال السلطة إلى العقيليين. ويرى الحميدان أن ما دفع بأعضاء النخبة إلى فعل ذلك هو انعدام ثقتهم بالأمراء العيونيين الضعفاء والعاجزين عن حمايتهم بالإضافة إلى خوفهم من غارات العقيليين على ممتلكاتهم. وقد عقدوا صفقة مع العقيليين ضمنت لهم انتقال السلطة مقابل سلامة ممتلكاتهم.[٤١٥]

إن البنية الإدارية والسياسية للدولة العقيلية غير واضحة. فلا نعرف إن استمرت هذه الدولة الجديدة في استخدام الدواوين العيونية، بما في ذلك البلاط ونواة الجيش النظامي وشرطة الأسواق والأجهزة القضائية كما بينا أعلاه. ويبدو أنها لم تبلغ المستوى نفسه للنظام الملكي والحكم المدني الذي

---

(٤١٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٣١٣-٣٥٠، ج٢، ص٦٩٩-٧١١، ١١٣٨-١١٤٠، ١١٩٣-١٢٤٣؛ محمد آل عبد القادر، *تحفة المستفيد*، ج١، ص١١٢، ١١٤-١١٨؛ عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٣٩.

طوره العيونيون ومارسوه. وعلى الرغم من تمتع القادة العقيليين بالرفاهية الحضرية، كامتلاك القصور والحاشية، لكنهم ربما تصرفوا كشيوخ قبليين تقليديين. وسنوضح هذه الفكرة عند إلقائنا الضوء على ممارساتهم البدوية التقليدية، كنهب قوافل أعداء حلفائهم، ولاحقا زياراتهم المتكررة لسلاطين المماليك بوصفهم حلفاء سياسيين وعسكريين وأحيانا قادة قوافل، وكذلك طريقة تقديمهم في المصادر الفارسية والمملوكية.

إن أكثر ما يمكننا معرفته عن توزيع السلطة في المرحلة الباكرة للدولة العقيلية يتعلق بالأحساء العاصمة السابقة للعيونيين، فقد بقيت تحت السيطرة المباشرة لعصفور وأبنائه من بعده لبضعة أعوام.(٤١٦) أما القطيف فحكمها ابن عمه أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عامر [عميرة] بن سنان. ووفقا لوصّاف، قُتل هذا الشيخ خلال الغزو السلغوري للقطيف عام ١٢٤٤ م. وكان قريب آخر اسمه مانع بن علي بن ماجد بن عميرة يحكم واحة أو قرية حول القطيف.(٤١٧) والعلاقة التراتبية بين الشيوخ ما زالت مجهولة. وبالنظر إلى تكرر ذكر اسم عصفور في المصادر، نفترض أنه كان الأمير الأقوى للقبيلة كلها. وربما كان أبو عاصم بن سرحان ومانع بن علي أميرين على فروعهما الخاصة وممثلين لعصفور في القطيف وواحات أخرى، مثل ملح ومَتالِع والأنطاع والقرعاء وإلهابة والجَودة.(٤١٨) وربما بقي أمراء آخرون لفروع مختلفة في الصحراء فأداروا منطقة خصصها لهم عصفور. وقد تنطبق هذه الفرضية على الفترة الباكرة للإمارة فقط، فما يتوفر من معلومات حولها يفوق تلك المتعلقة بالفترات اللاحقة.

---

(٤١٦) أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦.

(٤١٧) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦.

(٤١٨) أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦-١٠٧.

للوصول إلى فهم أفضل للدولة العقيلية في البحرين، فمن الأنسب النظر في أمثلة موازية من الدول أو الإمارات البدوية التي كان لها نمط الحياة نفسه في فترة قريبة نسبيا. ولعل الدولة العقيلية كانت مشابهة، من ناحية التأسيس والبنية السياسية، لتلك الدول البدوية في شمال العراق والشام (الجزيرة الفراتية) أو قريبة منها، كالدولة العقيلية في الموصل والجزيرة (٩٩٠-١٠٩٦م)، والدولة المرداسية في حلب (١٠٢٤-١٠٨٠م)، والدولة النميرية في حران.[٤١٩] لقد درس شتيفان هايدمن هذه الدول واستنتج أن نظرية «الدولة البدو-حضرية»[٤٢٠] (Dimorphic State) التي طورها مايكل روتون ونحت لها هذا المصطلح، هي الأكثر ملاءمة لتوصيف نمط كيانها السياسي، لأنها تجمع بين ظاهرتين متناقضتين، هما الحضارة والبداوة. ترى هذه النظرية أن الحاكم البدوي لهذا الصنف من الدول يحاول تقديم نفسه قائدا حضريا في المدينة فيما يبقي على قوته العسكرية في الصحراء. ومع أن روتون لم يضمّن الإمارة العقيلية في البحرين في هذه الفئة بسبب تركيزه على إمارات الهلال الخصيب، فإن الشروط والأوصاف التي اقترحها لـ «الدولة البدو-حضرية» قابلة للتطبيق أيضا على العقيليين في البحرين. يقول روتون إن «الطابع المميز للبنية المزدوجة هو وجود مشيخة مستقلة متمركزة في بلدة واقعة ضمن منطقة قبلية» ويضيف: «من هذه القاعدة تمارس سلالة محلية مزيجا متباينا

(419) Stefan Heidemann, *Die Renaissance der Städte in Nordsyrien und Nordmesopotamien: Städtische Entwicklung und Wirtschaftliche Bedingungen in ar-Raqqa und Ḥarrān von der Zeit der Beduinischen Vorherrschaft bis zu den Seldchukuken* (Leiden: Brill, 2002); Hugh Kennedy, 'The ʿUqailids of Mosul: The Origins and Structure of a Nomad Dynasty', in *Union Europeenne d'Arabisants et d'Islamisants* (ed.), *Actas del XII Congreso de la U.E.A.I.* Madrid (1986): 391-402; reprinted in Hugh Kennedy, *The Byzantine and Early Islamic Near East* (Aldershot: Ashgate Publishing limited, 2006), 391-402.

(٤٢٠) قدم أستاذ اللغة الإنجليزية محمد بن ناصر من جامعة الكويت والمتخصص بالترجمة والمعاجم مشكورا اقتراح ترجمة مصطلح Dimorphic state إلى مصطلح «الدولة البدو-حضرية».

من الحكم والتأثير على البدو الرحل والحضر المستقرين في الريف. ويضم سكان المشيخة عناصر قبلية وغير قبلية على حد سواء».(٤٢١)

ولاحظ بوسوورث أيضا بعض أساليب الحكم الحضرية التي زاولها الحكام العقيليون البدو في الموصل. وتفسيره هو أن «ثمة مؤشرات على أن عقيليي [الموصل] كانوا أحيانا أكثر من مجرد زعماء بدو شرسين وأنهم أدخلوا تقنيات إدارية معينة إلى بلادهم. وهكذا يروى أن مسلم بن قريش عين *صاحب أخبار* (رجل مخابرات)، في كل قرية تابعة له».(٤٢٢)

ويختلف رأي هيو كينيدي حول دولة عقيليي الموصل على وجه التحديد عن وجهة نظر بوسوورث وهايدمن، فهو يصفها بـ «الدولة البدوية» ويرى أنه على الرغم من سيطرة أمراء الموصل العقيليين على الحواضر، كالموصل ونصيبين والأنبار واتخاذهم القصور، إلا أنهم لم يقيموا في هذه الحواضر، بل ظلوا في مضاربهم البدوية في الحلة. ومن هناك، قاموا بين حين وآخر بزيارة الحواضر لمقابلة الوكلاء الذين عملوا على جمع الضرائب والعائدات لهم.(٤٢٣)

في الواقع، ليس من السهل علينا أن نحدد بدقة فيما إذا تبنى عقيليو البحرين نمط «الدولة البدوية» أو «الدولة البدو–حضرية» بسبب نقص المصادر

(421) M. B. Rowton, ‘Urban Autonomy in a Nomadic Environment’ *Journal of Near Eastern Studies*, 32 1/2 (1973): 202; Stefan Heidemann, ‘Arab Nomads and the Seljuq Military’ in *Shifts and Drifts in Nomad-Sedentary Relations*, ed. Stefan Leder and Bernhard Streck (Wiesbaden: Dr. Ludwig Reichert Verlag, 2005), 290.

(422) C.E. Bosworth, ‘Ukaylids’, *EI*[2].

(423) Hugh Kennedy, ‘The ʿUqailids of Mosul’, 397-398, 401.

ويضيف كينيدي أن هذه الدولة تتناقض مع مفهوم ابن خلدون لتطور الدولة العربية وتحولها من البداوة إلى التحضر، فقد حافظت على نمطها البدوي حتى سقوطها ولم تعتمد على الجنود النظاميين.

المتعلقة بشؤونهم الداخلية. لكننا نرجح تبنيهم نمط «الدولة البدو-حضرية» لأن قادتهم الأوائل انخرطوا بشدة في الإمارة العيونية واقتصادها ومجتمعها، ما قد يوحي بإقامتهم في المدن لفترة طويلة. وتبين المصادر المملوكية التي تطرقت للعقيليين أنهم اتخذوا القصور والحاشية والمزارع.[٤٢٤] ويمكننا أن نستنتج من المصدر العيوني *شرح ديوان* أن القائد العقيلي قد حافظ على درجة معينة من أسلوب الحياة المستقرة وتعامل مع مختلف الطبقات المستقرة في المدن من تجار وفلاحين وأرباب لؤلؤ وسواهم. وقد بينا سابقا كيف أن الكثير من الملكيات الزراعية انتقلت قانونيا إلى أيادي هؤلاء القادة العقيليين. كما أسسوا شراكات مع التجار البحريين في موانئ الخليج، كالقطيف وأوال، وامتلكوا سفنا وصيادي لؤلؤ من العبيد بموجب *شرح ديوان*. ويبدو أن العقيليين الأوائل آثروا الاضطلاع بشؤون أعمالهم شخصيا على الاكتفاء بفرض الضرائب على ملاك الأراضي والسفن التجارية وأرباب اللؤلؤ، وهو أمر تطلب منهم الاستقرار.[٤٢٥] أيضا، لقد أسفر غزو السلغوريين للقطيف عن مقتل شخص يسميه وصّاف «قائد العرب». ولعله يقصد قائدا منحته إقامته في المدينة شهرة كافية عند المؤرخين الإيرانيين. ويروى أن القائد العقيلي ماجد استقبل الملك توران شاه وورحب به حين زار القطيف خلال الفترة الهرمزية.[٤٢٦] وربما تخبرنا هذه التقارير بأن القادة العقيليين كانوا أكثر من مجرد قادة بدو بما في الكلمة من معنى. وعليه نرجح أن دولة العقيليين في البحرين تناسب نمط «الدولة البدو-حضرية» التي يكون زعيمها قريبا من التحضر فيما يبقي جيشه القبلي في البادية.

---

(٤٢٤) أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٢٧؛ ابن ناظر الجيش، كتاب تثقيف *التعريف*، ص١١٤.

(٤٢٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٢٢٨.

(426) Pedro Teixiera, *The Travels of Pedro Teixiera*, 183-188.

أقام معظم أبناء القبيلة، الذين شكلوا القوة العسكرية للعقيليين، في الصحراء حيث رعوا قطعان الإبل والأغنام وحموا القوافل وأغاروا على مدن وقبائل أخرى لأسباب معينة. ولا بد أنهم تواصلوا مع السكان الحضر. وتقترح فرضية العلاقات الحضرية-البدوية في الشرق الأدنى أن البدو والحضر ربطتهم علاقة جدلية، تكاملية وتبادلية في آن. لم يستطع البدو تحمل تكاليف المعيشة المستقلة، لذا اعتمدوا على سكان المدن الذين قدموا لهم منتجات حيوية، كالألبسة والأسلحة والأدوات المعدنية والمنتجات الزراعية وغيرها. وفي المقابل، زود البدو السكان الحضر باللحوم ومشتقات الحليب وصوف الحيوانات وشعرها وجلودها وروثها والأعشاب وغيرها.[٤٢٧] في ضوء هذا يمكننا مقاربة العلاقة بين غالبية بدو صحراء البحرين والسكان الحضر في المدن. وكما سنبين أدناه، انخرط العقيليون، مِن زعماءٍ وبدوٍ صحراويين، لاحقا في الشؤون السياسية والعسكرية والتجارية للقوى العظمى خارج قواعدهم في البحرين ووسط الجزيرة العربية.

تقوم القيادة في المجتمع العربي البدوي بشكل أساسي على ميزتين: الثروة والشخصية الكاريزمية. وفي سياق تأسيس القيادة وترسيخها تُستخدم ثروة القائد لأغراض مختلفة، كإظهار الكرم، وتمويل غارات القبيلة من خلال شراء الخيول والجمال والأسلحة، وإغداق العطايا وإقطاعات الأراضي على قادة فروع أخرى، ودفع تكاليف الزواج السياسي للقائد أو أبنائه، وأداء خدمات أخرى تخص مصلحة القبيلة بأكملها. وعلى سبيل المثال، في فترة الإمارة العيونية ساهم عدد الإقطاعات الواسعة التي منحها الأمراء العيونيين إلى والد عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان في تحوله إلى ذلك النموذج من القادة القبليين الذين تلتف القبيلة بأكملها حولهم. ولا نستبعد أن عصفور استخدم

(427) Robert Hoyland, *Arabs and Arabia: From the Bronze Age to the Coming of Islam* (London: Routledge, 2001), 98.

ثروته لتوطيد سلطته السياسية وزعامته على بقية قادة العقيليين وفروعهم من خلال توزيع الملكيات عليهم.

ووفقا لعالمي الأنثروبولوجيا الاجتماعية وليم لانكستر وزوجته فيديليتي لانكستر، كان لا بد للقائد البدوي أن يتمتع بمزايا عدة. إذ احتاج إلى السمعة الطيبة التي تستند إلى القيم الأخلاقية البدوية وإلى مهارات تفاوضية استثنائية، ولا سيما مع الغرباء، وكذلك القدرة على إنجاز الصفقات والعقود بالنيابة عن القبيلة ومن أجل مصالحها. وتطلب الأمر أيضا مقدرة على إطلاق المشاريع السياسية والاقتصادية، ولعب دور الوسيط، والتحكيم، وتسوية الخلافات بين أبناء القبيلة بحصافة، وتقديم النصيحة والمشورة السديدة.[٤٢٨] ويضيف هيو كينيدي أن تأمين المراعي كان على رأس أولويات القائد القبلي.[٤٢٩] وبموجبه، فإن قدرة القائد على الغزو وتوزيع هذه الأراضي هي ما يؤهله تسلم القيادة.

إن انتقال السلطة السياسية في الإمارة العقيلية مسألة غامضة أيضا. وكما أسلفنا، ربما لم يحتفظ أبناء عصفور بقيادتهم العليا للقبيلة بأكملها طيلة فترة حكمها. ومن حيث المبدأ لا يتبع البدو نظام قيادة وراثي من الأب إلى الابن دائما، فمبجرد أن يموت الشيخ يخلفه آخر يتحلى بمزايا وصفات شخصية

(428) William Lancaster and Fidelity Lancaster, ‘Concepts of Leadership in Bedouin society’ in *The Byzantine and Early Islamic Near East, VI: Elites Old and New in the Byzantine and Early Islamic Near East: (Papers of the Sixth Workshop on Late Studies in Late Antiquity and Early Islam)*: 1/6 (2004): 34-43.

(429) Hugh Kennedy, ‘The ‘Uqailids of Mosul’, 399; Hugh Kennedy, ‘The City and the Nomad’, in *The New Cambridge History of Islam*، V. 4: Islamic Cultures and Societies to the End of the Eighteenth Century, ed. Robert Irwin (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 287.

معادلة أو تضاهيها. ولا يشترط أن يكون خليفة الأمير ابنه أو أخاه، فقد يتولى العم أو ابن العم أيضا. وهذا ينطبق على قيادة القبيلة بأكملها أو أحد فروعها على حد سواء. وقد يفسر هذا التقليد سبب ظهور أسماء مختلفة لقادة عقيليين من فروع مختلفة في أوقات مختلفة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. ويشرح الأنثروبولوجي إرنست غيلنر الوضع في أشباه الدول القبلية للشرق الأدنى قائلا: «عند وفاة الزعيم، يعتمد اختيار خليفته على توازن القوى والمكانة لا على مجرد تطبيق بسيط لعرف ما»، كما أن «الخلافة قد تنتقل إلى الابن أو الأخ أو ابن الأخ أو العم».[٤٣٠]

٣-٣- العقيليون في البحرين قبل الحرب المملوكية الإيلخانية: ١٢٣٠-١٢٦٠م

بحلول خمسينيات القرن الثالث عشر مد العقيليون تأثيرهم السياسي إلى وسط الجزيرة العربية بعد أن ألحقوا الهزيمة بقبيلة كلاب التي كانت تسيطر على اليمامة. أما القبائل الأخرى في تلك المنطقة فيبدو أنها استسلمت للعقيليين أو ربما تحالفت معهم أو اتحدت بهم. والتقرير العربي الأقدم حول العقيليين بعد سقوط العيونيين يقدمه لنا الرحالة ابن سعيد المغربي (توفي ١٢٧٥م)، إذ يكتب «سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وستمائة [١٢٥٣م] حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا: الملك فيها لبني عامر بن عقيل [ولعله يقصد العكس عقيل بن عامر]. وبنو عصفور منهم هم أصحاب الأحساء، وهي دار ملكهم. وبنو تغلب الذين كانوا ينادونهم في الزمن الأول من جملة رعاتهم». وكتب ابن سعيد المغربي أيضا «وملكوا أيضاً أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملكهم في نحو الخمسين

(430) Ernest Gellner, 'Tribalism and the State in the Middle East,' in *Tribes and State Formation in the Middle East*, ed. Philip Khoury and Joseph Kostiner (Berkeley: University of California Press, 1990), 111.

من المائة السابعة، ملكها منهم عُصفور وبنوه».[٤٣١] ووفقاً لابن سعيد في كتابه *الجغرافيا*: «وفيما بينها وبين اليمامة مجالات بني عامر لم يبق معهم لأحد عز في بلاد اليمامة والبحرين. ومنهم الآن ملوك الصقعين».[٤٣٢] وربما تكون كلمة الصقعين خطأ كتابي ارتكبه الناسخون أو محقق الكتاب، ولعلها في الأصل ملوك العصفوريين أو العقيليين، ففي تقاريره السابقة الواردة في كتب أخرى يسمي ابن سعيد المغربي الحكام «عصفور وبنيه».

لكلمتي مُلك و مَلِك في العربية معاني فضفاضة. وخلافا لألقاب الحكام الحاليين واضحة المعاني، لم يقم المؤرخون والحوليون من العصور الوسطى دائما بتحديد هذه الكلمات والألقاب بدقة، فلم يميزوا أحيانا بين الملك والأمير والسلطان والحاكم والوالي ونظيراتها من المفردات، ربما باستثناء الخليفة. وتحيل كلمة ملك عندهم إلى درجات عالية من المناصب السياسية الرفيعة. وقد لاحظنا أعلاه كيف أن إبراهيم الطيبي حمل لقب ملك الإسلام مع أنه كان موظفا وواليا تابعا للإيلخانيين. أضف إلى ذلك أن شرح *ديوان* يستخدم ألقاب كثيرة ومختلفة للأمراء العيونيين، مثل ملك وأمير وسلطان. لذا من الأفضل عدم المغالاة في تقدير معنى هذه الكلمة عند ابن سعيد، فقد تعني ببساطة القادة. وبالفعل، تظهر هذه التقارير أن العصفوريين كانوا القادة المهيمنين وممثلي قبيلة بني عقيل بأكملها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ويبدو أن القادة العقيليين بشكل عام تمتعوا بالازدهار الاقتصادي في تلك الفترة بسبب سيطرتهم الكاملة على العقارات الزراعية وملكيتهم لها،

(٤٣١) يرد الاقتباس في: أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦-١٠٧؛ أحمد القلقشندي، *قلائد الجمان*، ص١٢٠.

(٤٣٢) ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق إسماعيل العربي (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٠)، ص١١٨، ١٣١.

بالإضافة إلى الإتاوات السنوية التي تلقوها من السلغوريين والطيبيين. ويصف ابن فضل الله العمري بلاد العقيليين بأنها «بلاد زرع وضرع».(٤٣٣) وربما كبح احتلال السلغوريين للقطيف مصالح العقيليين وأنشطتهم البحرية. لكن هذا لا يعني أن تجارة الخليج لم يكن لها تأثير إيجابي على العقيليين، فقد وصلت تجارتهم بالخيول إلى الهند.(٤٣٤)

٣-٤- دور العقيليين في الحرب المملوكية الإيلخانية (١٢٦٠-١٣٢٣م)

في فترة قريبة نسبيا من ظهور العقيليين كقوة قبلية عليا في البحرين ووسط الجزيرة العربية قامت سلطنة جديدة في مصر عام ١٢٥٠م أطاحت بالأيوبيين. عرفت هذه السلطنة باسم المماليك البحرية أو المماليك القفجاق، وحكمت حتى ١٣٨٢م. وجاء بعدهم المماليك البرجية الذين حكموا حتى ١٥١٧م.(٤٣٥)

بالتزامن مع هذا اجتاح المغول معظم آسيا وأوراسيا وتوجوا انتصاراتهم في عهد هولاكو باحتلال بغداد عاصمة الخلافة العباسية وقتل المستعصم بالله آخر الخلفاء عام ١٢٥٨ م.(٤٣٦) تحركت القوات المغولية باتجاه الغرب

---

(٤٣٣) ابن فضل الله العمري، *التعريف بالمصطلح الشريف*، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ص١١٤.

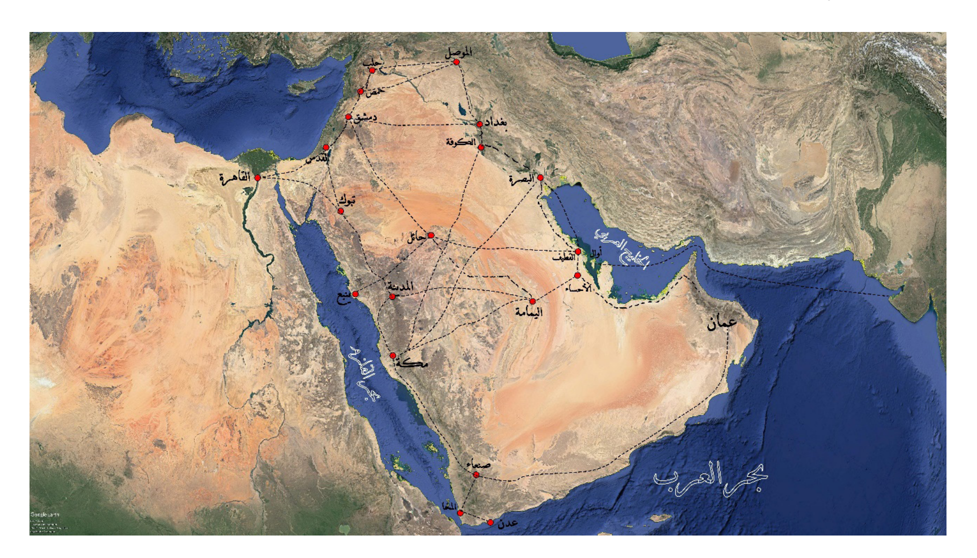
(٤٣٤) ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج٣، ص٥٥.

(٤٣٥) بخصوص الدراسات العامة المتعلقة بالمماليك، انظر:

Robert Irwin, *The Middle East in the Middle Ages: The Early Mamlūk Sultanate, 1250-1382* (Carbondale: Southern Illinois University Press, 1986); P.M. Holt, *The Age of the Crusaders: The Near East from the Eleventh Century to 1517* (London: Longman, 1986); David Ayalon, *Studies on the Mamlūks of Egypt*, 1250-1517 (London: Variorum, 1977).

(436) David Morgan, *The Mongols* (Oxford: Blackwell, 1986).

وحاولت غزو الشام ومصر، فواجهوا هناك جيش المماليك بقيادة سيف الدين قطز (حكم ١٢٥٩-١٢٦٠م). دارت معركة حاسمة في عين جالوت بفلسطين أسفرت عن انتصار المماليك وكبح تقدم المغول نحو الغرب. ولم تتوقف الحرب بينهما، بل أخذت أشكالا أخرى في الواقع. ويصف أميتاي بريس تلك الحرب، بلغة حديثة، بأنها «حرب باردة» قامت خلالها القوتان العظميان بدعم «الغارت على طرفي الحدود والمناورات الدبلوماسية والجاسوسية وأصناف أخرى من المكائد والدعاية والتحريض الإيديولوجي والحرب النفسية وتوظيف الدول التابعة ومحاولة بناء تحالف واسع النطاق ضد العدو».(٤٣٧)



الشكل (٢٢): خريطة أولية لطرق القوافل الرئيسة للجزيرة العربية.

كانت قبائل الشام وغربي العراق وجنوبه والبحرين ووسط الجزيرة العربية ذات أهمية بالغة في «الحرب الباردة» بين المماليك والمغول لأسباب عدة. فقد تحكمت هذه القبائل بطرق المواصلات في المنطقة المثلثة الواقعة

(437) Reuven Amitai-Preiss, *Mongols and Mamlūks: The Mamlūk-Ilkhānid War, 1260-1281* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 1.

بين العراق والشام والحجاز، وكان بمقدورها لعب دور فعال في تسريب المعلومات وتسليمها لأغراض استخباراتية. وكان باستطاعتها أن تؤدي دور محاربين بالوكالة بحيث يتم توجيهها لاختلاق مشاكل لأي من الجانبين عن طريق نهب المدن والموارد والقوافل. وكان بالإمكان أيضا تجنيد هذه القبائل لمهاجمة قبائل أخرى متحالفة مع العدو.[٤٣٨] وكانت قبائل البحرين ووسط الجزيرة العربية قادرة على مهاجمة قوافل الحج العراقية والإيرانية التي سلكت الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة، على غرار ما اعتاد القرامطة فعله في القرن العاشر لإرغام العباسيين على التفاوض والتنازل. وهذا كان فعالا للغاية في تحدي شرعية أي حاكم توجّب عليه أن يضمن لشعبه المسلم طريق حج آمن إلى الأماكن المقدسة لأداء واجباتهم الدينية. وآنذاك، لم يكن المغول قد دخلوا في الإسلام بعد، لكن ولاتهم وأتباعهم المسلمين نظموا رحلات الحج.

تمثلت الوظائف التقليدية لبدو الشرق الأدنى، ولا سيما في الشام والعراق، بأدائهم دور كيانات عازلة بين الإمبراطوريات أو وكلاء لها أحيانا. فخدموا مصالح حلفائهم، واعتادوا اختيار الطرف الذي سيقفون إلى جانبه انطلاقا من مصالحهم الخاصة. وفي أوقات عدة غيروا ولاءاتهم بين الإمبراطوريات أو اتبعوا أسلوبا ذرائعيا بأن عملوا مع طرفي الصراع. ويمكننا أن نسوق أمثلة كثيرة على هذا. فالغساسنة في الشام والمناذرة في العراق كانوا وكلاء الروم والساسانيين في أواخر العصور القديمة. وقد أظهرت دراسة فيشر المؤخرة أن الغساسنة والمناذرة كليهما ساهم في الحملات العسكرية تحت إمرة الروم والساسانيين. وهو يبين أن الروم ربطوا الغساسنة بجهاز «الدولة» ومنحوا قادتهم لقب «فيلارك». ويذكر أن هذه الزبائنية السياسية أعطت الروم قوة عسكرية إضافية ومدخلا إلى الغساسنة والقبائل الأخرى تحت قيادتهم.[٤٣٩]

(438) Reuven Amitai-Preiss, *Mongols and Mamlūks*, 64-71.

(439) Greg Fisher, *Between Empires: Arabs, Romans, and Sasanians in Late Antiquity* (Oxford: Oxford University Press, 2011), 116-127, at.125, 194-195.

وقد تكرر الدور نفسه ومورس في الفترات اللاحقة. فإمارة الحمدانيين في الشام والجزيرة الفراتية (٨٩٠-١٠٠٤م)، وإمارة العقيليين في الموصل والجزيرة الفراتية (٩٩٠-١٠٩٦م)، وإمارة المرداسيين في حلب (١٠٢٤-١٠٨٠م) كانت بمثابة وكلاء للعباسيين والبويهيين والسلاجقة في العراق من جهة والفاطميين في مصر من جهة ثانية، وأدت دور كيانات عازلة بينهما. لقد احتربت الإمبراطوريتان من خلال هذه الإمارات البدوية المحتفظة بمزية القتال والتوغل في الصحراء.(٤٤٠)

وشهد العصر الأيوبي في القرن الثالث عشر صداما بين القادمين الجدد إلى الشام من الجزيرة العربية بزعامة آل فضل، إحدى فروع طيء، والإمارات العربية سابقة الذكر. وكما برهن هايدمن، اندمجت هذه القبائل لاحقا بالدولة الأيوبية التي أضفت عليها الشرعية ضمن بنيتها التراتبية ومنحتها الإقطاعات. وضع الملك العادل أبو بكر (توفي ١٢١٨م) منصب إمارة العرب (أي البدو). ومع أن لقب أمير العرب كان موجودا في الشام خلال العصر الفاطمي، إلا أنه اتخذ طابعا رسميا في العصر الأيوبي تجاوز كونه مجرد لقب ومنصب مستقل كما هو الحال في السابق.(٤٤١)

---

(440) Stefan Heidemann, *Die Renaissance der Städte in Nordsyrien und Nordmesopotamien*, 289-295, 447-448.

Stefan Heidemann, ‘Arab Nomads and the Seljūq Military’, 298-299; M. A. Hiyari, ‘The Origins and Development of the Amīrate of the Arabs during the Seventh/Thirteenth and Eighth/Fourteenth Centuries,’ *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 38/3 (1975): 509-524.

(441) Stefan Heidemann, ‘Arab Nomads and the Seljūq Military’, 298-299; M. A. Hiyari, ‘The Origins and Development of the Amīrate of the Arabs during the Seventh/Thirteenth and Eighth/Fourteenth Centuries,’ *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 38/3 (1975): 509-524.

بالإضافة إلى ذلك، أدت قبائل الشام أيضا الدور ذاته للوكلاء والكيانات العازلة في العصر المملوكي المبكر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. فقد ألحق السلطان الظاهر بيبرس (حكم ١٢٦٠-١٢٧٧م) قبيلتي آل فضل وآل مِرا وفرع خفاجة في غربي العراق وأبقى على اللقب الأيوبي التقليدي «أمير العرب»، ورعى هذه القبائل لتعزيز موقعه السياسي والعسكري في الحرب ضد المغول. ووفقا لأميتاي بريس، نجح بيبرس وسلاطين المماليك الأوائل في دمج معظم بدو الشام في نظام الحكم ليبلغ الأمر ذروته في الفترة الثالثة من حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١٣٠٩-١٣٤٠م). وقد بين أميتاي بريس أن زعماء البدو مُنحوا ألقابا رسمية وهدايا قيمة، والأهم من ذلك، إقطاعات الأراضي.[٤٤٢] لكنه لم يكتب عن عقيليي البحرين ووسط الجزيرة العربية ودورهم في الحرب. وسنتناول هذا الموضوع في الفقرات الآتية.

بعد انتصار المماليك في معركة عين جالوت (١٢٦٠م) استقبل السلطان الظاهر بيبرس (حكم ١٢٦٠-١٢٧٧م) وفودا عدة من مناطق مختلفة في الشرق الأدنى، تخللها زعماء قبائل ربما أرادوا تقديم التهنئة.[٤٤٣] ولا نعلم إن جاء هؤلاء القادة القبليين تلبية لدعوة أو بدافع مبادرة شخصية. وفي جميع الأحوال، كان عرب البحرين بين هذه القبائل. ويقتبس القلقشندي عن ابن الزماخ الحمداني قوله إن: «آل عامر هؤلاء وفدوا على السلطانية بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس، صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن القعدي [المفدى] بن سنان بن عضلة [غفيلة] بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، وعوملوا بأتم الإكرام، وأفيض عليهم سابغ الإنعام، ولحظوا بعين الاعتناء».[٤٤٤] ولا نعرف بالضبط منصب هذا القائد العقيلي وفيما إذا كان

(442) Reuven Amitai-Preiss, *Mongols and Mamlūks*, 64-71.

(٤٤٣) عز الدين بن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، تحقيق أحمد حطيط (فيسبادن: فرانز شتاينر فيرلاغ، ١٩٨٣)، ج٣١، ص٣٢٩-٣٣٨.

(٤٤٤) أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب*، ص١٠٦-١٠٧.

قائدا للقبيلة بأكملها أو لأحد فروعها أو نائبا للأمير العقيلي الأعلى. وما نعرفه فقط هو أنه كان ابن خال أحد أبرز الأمراء العيونيين: محمد بن أحمد العيوني (توفي حوالي ١٢٢٠م)، حيث كان المفدى جده لأمه، والحسين بن المفدى وأحمد بن المفدى المذكور خالاه.(٤٤٥)

وما زلنا نجهل غرض هذه الزيارة ومواضيع المحادثات والمفاوضات والاتفاقيات والعهود التي ربما تخللتها. ويمكننا أن نسوق تفسيرين محتملين للأمر، الأول هو أن بيبرس وجه دعوة للعقيليين من أجل إقامة علاقة تحالف مشابهة لتلك التي أقامها مع آل فضل وآل مِرا في الشام وقبيلتي عِبادة والمنتفق في جنوبي العراق وغربه. وربما أراد بيبرس بناء تحالفات واسعة النطاق مع القبائل التي تحد العراق من الغرب والجنوب. أما العقيليون، فلعلهم نشدوا إقامة علاقة دبلوماسية مع المماليك، غالبا للتعريف بأنفسهم وتقديم القبيلة حليفا محتملا ضد المغول في العراق، على غرار نظرائهم من قبائل العراق والشام.

يُعرف القادة والأمراء القبليون عموما بتقربهم من القوى الإمبراطورية عن طيب خاطر وقيامهم بعرض خدماتهم اللوجستية والعسكرية عليها، خاصة الدول مرهوبة الجانب والسخية وغير الراغبة في فرض سلطانها على «أراضي» البدو. وفي هذه الحالات، يتحرك قادة البدو بدافع السعي وراء الثروة والمكانة ونيل الاعتراف، بما يخولهم تعزيز مناصبهم الخاصة وتوطيدها ضمن مجتمعاتهم.(٤٤٦)

---

(٤٤٥) انظر الفصل الرابع.

(446) Richard Tapper, ‘Anthropologists, Historians, and Tribespeople on Tribe and State Formation in the Middle East’, 64-70; Greg Fisher, *Between Empires: Arabs, Romans, and Sasanians in Late Antiquity*, 125.

٣-٥- تذبذب العقيليين أو انقسامهم بين المماليك والإيلخانيين

يظهر العقيليون في العديد من التقارير الموجزة في المصادر المملوكية بوصفهم حلفاء للقوتين كليهما: المماليك والمغول. وثمة تفسيران محتملان لهذا: إما أنهم تذبذبوا بين القوتين، وهو أمر مألوف في السياسات القبلية، أو انقسموا إلى مجموعتين، واحدة أيدت المماليك وأخرى أيدت المغول.

ولا نعلم إن نجح بيربس في استمالة العقيليين إلى طرفه أو لا. ولعله قد فعل ذلك، لكن بعد وفاته، تحديداً في عهد سيف الدين قلاوون (حكم ١٢٧٩-١٢٩٠م) ربما نقل العقيليون، أو مجموعة منهم، تحالفهم إلى المغول بسبب عدم اهتمام قلاوون بالعقيليين. ونقرأ في كتاب *تشريف الأيام* أن قبيلتي آل فضل وآل مِرا التابعتين للمماليك أغارتا عام ١٢٨٥م على أراضي المغول في العراق ثم هاجمتا عرب البحرين وقتلتا قائدهم علي بن ماجد مع أسرته وأخذتا الكثير من الأسرى والغنائم.[٤٤٧]

شارك العقيليون أيضا في الجيش المغولي المُشْتَرَك الذي أرسله أوليغايتو خدابنده (حكم ١٣٠٤-١٣١٦م) لنصرة شريف مكة حميضة بن أبي نُمى عام ١٣١٦م، الذي نقل ولاءه إلى المغول بعد أن استبدله المماليك بأخيه رميثة. وَعَدَ حميضةُ الإيلخان خدابنده بأنه سيوقف الخطبة للمماليك ويجعلها للمغول فيما إذا أعيد إلى منصبه. وعندما اجتاز الجيش الذي ضم عرب البحرين وبعض المغول بقيادة الدرفندي مدينة البصرة ودخل إلى بلاد البحرين وصل خبر وفاة خدابنده، فأوقف تقدمه وهجره جنود كثيرون. بعد ذلك وصلت قبيلة آل فضل المؤيدة للمماليك إلى جوار البصرة وهزمت بقية الجيش.[٤٤٨]

---

(٤٤٧) محيي الدين بن عبد الظاهر، *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور*، تحقيق مراد كامل ومحمد النجار (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١)، ص١١١.

(٤٤٨) أبو الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، ج٤، ص٨١.

أحيا المماليك تحالفهم مع العقيليين في عهد ابن قلاوون، السلطان الناصر محمد بعد عام ١٣١٦ م (الفترة الأولى لحكمه كانت ١٢٩٣-١٢٩٤م، والثانية ١٢٩٩-١٣٠٩م، والثالثة ١٣٠٩-١٣٤٠م). وكتب المؤرخ أبو الفدا الذي عمل في خدمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون: «وفي أواخر هذه السنة أعني سنة ثماني عشرة وسبعمائة [١٣١٩م] حالفت عقيلُ، عربُ الأحساء والقطيف، [السلطانَ المملوكي] على مهنا بن عيسى وطردوا أخاه فضلا عن البصرة، فجمع مهنا العرب وقصد عقيل والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طيبة بعد أن أخذت عقيل أباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور».[٤٤٩]

من الواضح أن البدو الشاميين من آل فضل قد غيروا تحالفهم لسبب ما، فقام المماليك بتحريض العقيليين على مهاجمتهم هذه المرة. وما إن أخذ آل فضل البصرة، هجروا سلطة المماليك، فاضطر هؤلاء إلى الاعتماد على خدمات العقيليين. وبموجب خبر آخر، حارب آل فضل إلى جانب مغول العراق فيما حارب العقيليون إلى جانب المماليك، لكن هذا كان بعد سقوط الدولة الإيلخانية عام ١٣٣٥م. ويذكر الحسيني (توفي عام ١٣٦٤م) أنه في عام ١٣٥٤ م حاول عرب البحرين احتلال البصرة التي كانت خاضعة للدولة الجلائرية (١٣٣٦-١٤٣٢م) ما بعد الإيلخانية، لكنهم هزموا على يد الحسن الكبير الجلائري الذي استعان بعرب الشام من آل فضل.[٤٥٠] ولا نعلم فيما إذا كانت محاولة الاحتلال هذه بإيعاز من المماليك.

عام ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م هاجم العقيليون قافلة حج عراقية أرسلها سلطان

---

(٤٤٩) أبو الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، ج٤، ص٨٤.

(٤٥٠) الذهبي والحسيني، من *ذيول العبر* (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠)، ص٣٢. ولا يستخدم هذا المصدر تسمية العقيليين بل عرب البحرين.

المغول أبو سعيد باهادور خان (١٣١٦-١٣٣٥م) إلى مكة، وذلك في أثناء عبورها صحاري البحرين. وعندما أخبر قادةُ القافلة العقيليين عن حصولهم على رخصة السلطان المملوكي الناصر، أوقفوا الهجوم ووفروا لهم الحماية المجانية.(٤٥١)

أغدق المماليك على العقيليين لقاء هذه الخدمات كلها، فمنحوا قادتهم ثلاث مراتب تتناسب وأهميتهم ومستوى تمثيلهم الدبلوماسي. ويورد ابن ناظر الجيش (توفي ١٣٨٤م)، الذي كان موظفا إداريا في الجيش المملوكي وربما عمل في ديوان الإنشاء، أسماء القادة العقيليين الذين كان معظمهم من أبناء مانع. فيسجلها على النحو الآتي، في المرتبة الأولى صدقة بن إبراهيم المعروف بابن أبي دلف الذي كان الأمير، ومحمد بن مانع، وحسين بن مانع، وعلي بن منصور. في المرتبة الثانية يأتي: بدران بن مانع، وراشد بن مانع، وكلبي بن ماجد بن بدران، ومانع بن علي، ومانع بن بدران، ورومي بن أبي دلف، ورزين بن قاسم، ويوسف بن قاسم، وسعيد بن معدي، وعيسى بن عرفة، وظالم بن مجاشع وإسماعيل بن صواري وحامد بن يزيد. ويتلوهم في المرتبة الثالثة: عظيم بن حسن بن مانع، وزيد بن مانع، ومعمر بن مانع، وموسى بن أبي الحسن، وسعد بن مغامس، وهلال بن يحيى، ومحمد بن خليفة.(٤٥٢)

تكمن مشكلة هذا التقرير في عدم قيام ابن ناظر الجيش بكتابة الاسم كاملا، لذا لست متأكدا من شخصية مانع. فهل كان ابن علي بن ماجد كما

---

(٤٥١) أحمد المقريزي، *السلوك في معرفة الدول والملوك*، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: د.ن، ١٩٤١)، ج١، ص٢١٤-٢١٥.

(٤٥٢) ابن ناظر الجيش، *كتاب تثقيف التعريف*، ص٨٢-٨٢؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٥)، ج٧، ص٣٧١.

يذكر وصّاف؟[٤٥٣] أم ابن عصفور بن راشد كما يقترح الحميدان والجنبي من دون تقديم دليل؟[٤٥٤] ومن الواضح أن هذين المؤرخين وضعا هذا التقرير في السلة نفسها للتقارير الأخرى التي تتكلم عن البحرين بوصفه خاضعا لعصفور وأبنائه وبموجبه افترضا أن مانع هو ابن عصفور. ويصعب علي شخصيا تحديد هويته بدقة، مع أنني لا أستبعد رأي وصّاف في أنه مانع بن علي بن ماجد. وتكمن الصعوبة الأخرى في عدم معرفتنا اسم السلطان المملوكي الذي وضعت هذه القائمة في عهده. ولعل المقصود الناصر بن محمد بن قلاوون بالنظر إلى علاقته الوطيدة بالعقيليين.

إنه من المستبعد أن تكون رعاية المماليك لعقيليي البحرين بنفس مستوى رعايتهم لقبيلتي آل فضل وآل مرا الشاميتين. فلا تذكر المصادر مَنْحَ المماليك لقبَ أمير العرب للعقيليين أسوة بالقبائل الشامية. ولا ذكر أيضا لإقطاعات تلقاها العقيليون. فهاتان الوسيلتان، أي اللقب والإقطاعات، كانتا ضروريتين لأية إمبراطورية تريد دمج القبائل في «الدولة». وعلينا أن نتذكر أيضا أن الشام خضعت رسميا للماليك، فيما لم تكن البحرين ووسط الجزيرة العربية ضمن أراضيهم. وبموجبه يحق لنا الاستنتاج أن القبيلة البحرينية لم تكن مندمجة في نظام الحكم المملوكي، بل كانت مجرد حليف صاغ علاقته بما يخدم المصالح المشتركة للجانبين.

والأسباب المحتملة وراء عدم رغبة المماليك إقطاع بدو البحرين أراض في السلطنة هو أنهم لم يريدوا تحريك القبائل البحرينية إلى الشام ومصر. فلو فعلوا ذلك لخسروا أفضلية الموقع الجغرافي، حيث خدم العقيليون

(٤٥٣) عبد الله شيرازي، *تاريخ وصّاف*، ص١٠٥-١٠٦.

(٤٥٤) عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٦٤؛ شرح *ديوان*، ج٣، ص٥٥٥ في مخططه لشجرة نسب العصفوريين. انظر: ملحق (٥) بهذا الكتاب، ص٣٩٩.

استراتيجيتهم ضد القوافل العراقية. أضف إلى ذلك أن تحريك القبائل من البحرين إلى الشام كان سيؤدي إلى صراعات حتمية بين القبائل الشامية من جهة والقادمين الجدد من البحرين من جهة ثانية، ما قد ينعكس سلبا على مصالح المماليك وأمنهم.

٣-٦- العقيليون وتجارة القوافل

جغرافيا، كان العقيليون قريبين من موانئ الخليج المزدهرة نسبيا آنذاك، والتي كانت تديرها دول الساحل الشرقي. استفاد العقيليون من النمو الاقتصادي وانخرطوا في التجارة من خلال نقل البضائع برا بالدرجة الأولى وبحرا أحيانا. أما العامل الرئيسي الآخر وراء نجاحهم في تجارتهم فكان علاقتهم المثمرة مع المماليك، ولا سيما في عهد الناصر محمد بن قلاوون الطويل (١٣٠٩-١٣٤٠م). ويمكننا تأريخ الانخراط الجدي للعقيليين في التجارة في عام ١٣٢٣ م بعد توقف الحرب المغولية المملوكية.

وترى جانيت أبو لغد أن «الخليج والبحر الأحمر كانا يتنافسان».[٤٥٥] ومن المرجح أن المغول وأتباعهم في الخليج أغلقوا الممرات البحرية ومنعوا السفن القادمة من الشرق من الوصول إلى موانئ المماليك في البحر الأحمر.[٤٥٦] وبموجبه، ربما سعى المماليك، حفاظا على إمدادات البضائع من الشرق، إلى تأمين الوصول إلى الخليج عن طريق العقيليين في شرقي الجزيرة بالنظر إلى ما يشكله هؤلاء من خط إضافي أو بديل للسلع.

ووفقا لابن فضل الله العمري (توفي ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، وَفَدَ العقيليون

(455) Janet Abu-Lughod, *Before European Hegemony*, 206.

(٤٥٦) ثمة تاريخ طويل لاستراتيجية تحويل طريق التجارة البحرية بوساطة الإمبراطوريات التي سيطرت على البحر الأحمر والخليج، فقد طبقتها إمبراطوريات عدة، كالبيزنطية والساسانية، ليتبناها لاحقا الفاطميون والسلاجقة. وقد ناقشنا الحالة الفاطمية في الفصل الأول.

إلى القاهرة بوصفهم تجارا محترفين. فسافروا سنويا إليها محملين ببضائع البحرين والهند وفارس والعراق من ثياب فاخرة ولآلئ ومواد أخرى. كما جلبوا الخيول العربية للسلطان الذي كان مولعاً بها، ولها أهمية للإسطبل المملوكي والجيش، وعادوا من القاهرة محملين بالبضائع أيضا، كالسكر والأقمشة والجمال والماعز والأغنام.[٤٥٧]

ويذكر المقريزي أن عرب البحرين وصلوا عام ١٣١٢م مع أربعين حصاناً اشتراها السلطان وأغذق عليهم بسخاء. ويضيف أنهم عادوا ثانية إلى مصر في العام التالي، ١٣١٣م، مع ١٣٠ حصاناً باعوها ونالوا المكافآت أيضا.[٤٥٨]

سجل العمري في كتابه *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* معلومات عن العلاقة التجارية بين البحرين والهند، فقال: «وأما الخيل فكثيرة، وهي نوعان: عِراب، وبراذين، وأكثرها مما لا يُحمد فعله. ولهذا يُجلب إلى الهند من جميع ما جاورها، من بلاد الترك. وتقاد إليها العِراب من البحرين، وبلاد اليمن، والعراق. على أن في دواخل الهند خيلا عِرابا كريمة الأحساب، يتغالى في أثمانها، ولكنها قليلة، ومتى طال مكث الخيل بها انحلت.» وقال أيضا: «وحدثني علي بن منصور العقيلي:[٤٥٩] من أمراء البحرين، وهم ممن يجلبون الخيل إلى هذا السلطان [في دهلي بالهند]، أن لأهل هذه البلاد علامة في الفرس يعرفونها بينهم، متى ما رأوها في فرس، اشتروه بما عسى يبلغ ثمنه». وقال إن هذا السلطان الهندي «يفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العراب المسومة».[٤٦٠]

---

(٤٥٧) ابن فضل الله العمري، *التعريف بالمصطلح الشريف*، ص١١٤.

(٤٥٨) أحمد المقريزي، *السلوك في معرفة الدول والملوك*، ج٢، القسم ١، ص٢٢٩، ٣٣٦.

(٤٥٩) ذكر اسمه أيضا في قائمة ابن ناظر الجيش عن أمراء بني عقيل الذين كانوا يتصلون بالسلطان المملوكي، انظر ما سبق.

(٤٦٠) ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج ٢، ص٤٨، ٥٧.

وربما كان نشاط العقيليين في التجارة البرية طويلة المدى مشابها إلى حد ما لنشاط الأنباط والجرهيين والقرشيين. فالأنباط أسسوا مملكة بدوية في البتراء في شمال الجزيرة العربية، فيما اتخذ الجرهيون جُرها عاصمة لهم في شرقي الجزيرة، أما القرشيون فاتخذوا من مكة قبيل الإسلام مركزا رئيسا. وقد طورت هذه الجماعات شبكة تجارة برية واسعة ربطت الهند وإيران والعراق والشام ومصر والحبشة بالجزيرة العربية. واحتكرت تجارة البهارات والعطور والسلع الفاخرة، وشكلت مَصْدر سلع رئيسي للعديد من المدن الداخلية في الشرق الأدنى.[٤٦١]

أحيا العقيليون هذا الدور القديم بعد طول انقطاع منذ الفتوحات العربية الإسلامية. وحافظوا على أنشطتهم في التجارة والنقل وطوروها، فغطت الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر حتى منتصف القرن العشرين. ويقترح حمد الجاسر أن العقيليين كانوا أصل تجار القوافل ذائعي الصيت الذين عرفوا باسم التجار العُقيلات. وصارت هذه المنظمة التجارية في وقت لاحق مفتوحة نسبيا أمام تجار قبائل وأسر ومناطق أخرى.[٤٦٢] ويرفض عبد العزيز إبراهيم هذا الاقتراح ويرى أن العقيلات كانوا تنظيما عثمانيا وأن الاسم مشتق من كلمة عقال، أي غطاء الرأس الذي ارتداه التجار كعلامة خاصة لتجار

(461) G. W. Bowersock, *Roman Arabia* (Cambridge: Harvard University Press, 1983); Nelson Glueck, *Deities and Dolphins: The Story of the Nabataeans* (New York: Straus and Giroux, 1965), 529-530; Jean Starcky, 'The Nabataeans: A Historical Sketch' *The Biblical Archaeologist* 18/4 (1955): 81-82, 84-106.

(462) H. Kindermann, '‘Uḳayl.' *EI*[2]; J.L. Burckhardt, *Notes on the Bedouins and Wahabys* (London: H. Colburn and R. Bentley, 1831), 28-9; Nöldeke, 'A review of W. Robertson Smith book Kinship and Marriage in Early Arabia', Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 40 (1886): 183, n.4.

نجد وجنودها العرب.(٤٦٣) ويبدو رأي الجاسر أصوب. كما أن «العُقيلات» اشتقاق لا لبس فيه من اسم قبيلة العقيليين، ولا سيما بوجود اللاحقة «ات» في نهاية الاسم «عقيل» التي تستخدم عادة في اللهجات كأداة للجمع عند الإشارة إلى أبناء قبيلة ما. وثمة أمثلة كثيرة على هذا في كتاب *البدو* لماكس فون أوبنهايم، كالحُويطات والعُقيدات والنُفيعات والنُصيرات والجُبارات والأحيوات وغيرها.(٤٦٤)

٣-٧- الانحدار السياسي للإمارة العقيلية

وفقا لتقرير ابن فضل الله العمري الموجز، خسر العقيليون قيادتهم السياسية المركزية كقبيلة وإمارة وانقسموا إلى العديد من المجموعات الفرعية.(٤٦٥) ولا نعلم متى حدث هذا بالضبط، لكنه كان حتما قبل وفاة العمري عام ١٣٤٨م.

ولا يسعنا إلا تقديم فرضيات حول أسباب انقسامهم وتفككهم السياسي. لعل الفرضية الأولى التي يمكن أن نقدمها هي أن توقف الحرب المملوكية الإيلخانية وما تبعها من سقوط الإيلخانيين عام ١٣٣٥ كانا وراء الانقسام السياسي للإمارة العقيلية ومن ثم انحدارها كما سأشرح. ومن الأمثلة

(٤٦٣) حمد الجاسر، «تعليق لمجلة العرب»، *الوثيقة* ٣، ٢ (١٩٨٢): ص٧٥؛ عبد العزيز إبراهيم، *نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقات نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠ م-١٩٥٠م)* (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤)، ص٢٥-٣٢.

(٤٦٤) انظر القائمة بأسماء القبائل في:

Max von Oppenheim, *Die Beduinen*, Unter Mitbearbeitung von Erich Bräunlich und Werner Caskel. Bd. I: Die Beduinenstämme in Mesopotamien und Syrien (Leipzig, 1939), 215; Bd. II: Die Beduinenstämme in Palästin, Transjordanien, Sinai, Hedjaz (Leipzig, 1944), 47, 49, 81, 149, 154.

(٤٦٥) ابن فضل الله العمري، *التعريف بالمصطلح الشريف*، ص١١٤.

التاريخية المشابهة الغساسنة والمناذرة الذين كانوا وكلاء الروم والساسانيين في الهلال الخصيب قبل الإسلام. ففي محاولته فهم أسباب اضمحلالهم، قام غريغ فيشَر بمقارنة التطور السياسي للكيانات البدوية في أوروبا، أي القوط والفرنجة (الفرانك) والواندال بعد سقوط روما، بالعرب الغساسنة والمناذرة. وهو يرى أن القبائل الغربية نجحت في التحول من أشباه دول إلى دول يافعة، فيما فشل بدو الشرق الأدنى، أي الغساسنة والمناذرة، في تطوير كياناتهم السياسية، وهذا دليل واضح على اعتمادهم على الرعاية الإمبراطورية.[٤٦٦] نفترض، في ضوء هذا التحليل، أن نهاية الحرب المملوكية الإيلخانية وتفكك المغول إلى دول عدة بعد انهيار الدولة الإيلخانية عام ١٣٣٥م قلصا كثيرا من أهمية العقيليين كوكلاء سياسيين وعسكريين. بدأت رعاية السلطنة المملوكية للقبيلة بالتراجع، فأخذت تسير نحو الأفول. وكما بين ولكنسون، فإن هذه التبعية إحدى سمات الدول في المناطق الطرفية.[٤٦٧]

والفرضية الثانية التي يمكن طرحها في هذا السياق هي أن تحول العقيليين إلى تجار محترفين وقادة قوافل أفرز وضعا اقتصاديا جديدا ساهم في تغيير بنيتهم القبلية اجتماعيا وسياسيا وأثر على نمط حياتهم. وبموجبه قلصت القبيلة أنشطتها العسكرية البدوية التي تطلبت قيادة مركزية في السابق وبدأت تعيد تنظيم نفسها بما يقتضي وجود قادة عدة لجماعات أصغر من التجار أو الأسر. وربما كان لهذه المجموعات القبلية الأصغر من تجار القوافل أولوياتها المختلفة. ولعل مصالحهم الأسرية الخاصة كانت على حساب المصالح المشتركة للقبيلة ككل، ما أدى إلى الصراعات وبالتالي الانحدار السياسي.

وعلى الرغم من هذا الانحدار السياسي وفقدان القيادة السياسية المركزية

(466) Greg Fisher, *Between Empires*, 126-127.

(٤٦٧) حول المناطق الطرفية في العصور ما قبل الحديثة، انظر المناقشة في المقدمة.

الموحِّدة لجميع فروع بني عقيل والقبائل والجماعات الأخرى، إلا أن البنية الاجتماعية والاقتصادية للعقيليين بقيت تمارس الشكل الجديد من التجارة، وأخذت المدن تُصَرِّف شؤونها وفق نظام دولة-المدينة الذي يظهر مباشرة في وسط وشرقي الجزيرة العربية بمجرد غياب سلطة مركزية كبرى. ومن المحتمل أن إمارة بني جروان العبقسية التي جاءت المعلومات عنها مشوهة كما سنرى في القسم القادم، هي من أدار الإقليم مؤقتا بعد بني عقيل.

وستكون الصورة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر غامضة، إذ لا أحداث كبرى تم تدوينها في المصادر المتاحة، باستثناء إمارة الجروانيين في الأحساء والقطيف. وفي مطلع القرن الخامس عشر سيفرز المجتمع البحريني قيادة سياسية جديدة تمثلت بأسرة حاكمة من بني عقيل أيضا يطلق عليها اسم الأسرة الجبرية، وذلك ابتداء من عام ١٤١٧م، غير أن هذا التاريخ خارج نطاق هذا البحث.

٤ - الإمارة الجروانية

بعد انهيار الكيان السياسي للعقيليين تولى زعامة مدن الإقليم سلالة عرفت باسم بني جروان. ووفقاً للنسابة ابن عنبة الحسني (ت: ٨٢٨هـ/ ٥٢٤١م) في كتابه *الفصول الفخرية* (باللغة الفارسية)، فإن بني جروان أسرة تنتمي إلى قبيلة عبدالقيس، وعدهم ملوك بلاد الأحساء، حيث يحكمون من بلد القارة،[٤٦٨] وهي قرية فيها جبل بالقرب من قرية البطالية حاليا. ويضيف المؤرخ والعالم الديني ابن حجر العسقلاني (توفي ١٤٤٨م) في معجمه للتراجم *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* معلومة إشكالية حول الحكام الجروانيين: سعيد بن مغامس وجروان المالكي وابنه ناصر وحفيده إبراهيم. فيقول إن جروان جد

(٤٦٨) جمال الدين بن عنبة الحسني، *الفصول الفخرية*، تحقيق مير جلال الدين أرموي (تهران: وزارت فرهنگ و آموزش عالى، شركت انتشارات علمى و فرهنگى، ١٣٦٣م، ص٦٠-٦١.

إبراهيم أخذ الحكم من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي عام ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥ م وحكم إقليم البحرين بأكمله. وعندما مات جروان تسلم ابنه ناصر القيادة ومن ثم ابنه إبراهيم الذي كان على قيد الحياة عام ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧م. ويسميهم ابن حجر «كبار الروافض» (غلاة الشيعة)، ويجعل الجروانيين حكام القطيف متحدرين من بني مالك أحد فروع قريش،[٤٦٩] مخالفا بذلك النسابة ابن عنبة.

وهذه المعلومة إشكالية لأربعة أسباب: أولا، لا ينسجم وصف سعيد بن مغامس بالقرمطي مع السياق التاريخي. فالقرامطة كدولة هزموا قبل أكثر من مئتي عام على ذلك، وهذا التقرير محتمل في حالة واحدة فقط: استخدم ابن حجر كلمة «قرمطي» كمرادف لإسماعيلي أو شيعي متطرف، أو يمكن ربط هذا التقرير بالصورة النمطية للبحرين بوصفه بلد القرامطة. ثانيا، إن الاسم الكامل لسعيد وانتماءه القبلي مجهولان. فيرد اسم سعيد بن مغامس في قائمة ابن ناظر الجيش (توفي ١٣٨٤م)، ولكننا نجهل إن كان الشخص نفسه أو أحد أقاربه أو مجرد تشابه أسماء. ثالثا، يصعب علينا قبول إسناد نسب جروان إلى قبيلة قريش لأن العقيليين في ذلك الوقت كانوا القوة المهيمنة في الإقليم. وربما تكون كلمة قرشي خطأ من الناسخين، والاسم الصحيح هو القيسي الذي يحيلنا إلى عبد القيس القبيلة البحرينية الحضرية أو إلى قيس إحدى فروع بني عقيل. رابعا، إذا قمنا بحساب الأعوام من ١٣٠٥م إلى ١٤١٧م يكون الحاصل ١١٢ عاما، وهي فترة طويلة جدا لثلاثة حكام فقط، أي أن المعدل الوسطي لكل حاكم جرواني هو ٣٧ عاما في السلطة. وبموجبه تكون معلومات ابن حجر مليئة بالأخطاء ولا تساعد في السرد التاريخي. حاول الحميدان التصدي لهذه المعلومات الإشكالية بتحليل مفصل لاختبار مدى

(٤٦٩) ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣)، ج١، ص٧٣-٧٤.

انسجامها مع السياق. وعلى الرغم من قبوله إياها، إلا أنه رفدها بتصويبات جوهرية، فصوب اسم قريش إلى عبد القيس واقترح أن العام ٧٠٥ خطأ لا محالة ولا بد من وجود رقم آخر غير الصفر في الوسط.[٤٧٠] من الصعب تحديد تفاصيل مهمة حول هذه الإمارة، غير أنها إمارة تنتمي لبني مالك بن عامر من عبدالقيس، ومدحهم ابن المقرب في ديوانه،[٤٧١] وحكمت في الفترة الانتقالية المحصورة بين سقوط العقيليين حوالي ١٣٥٠م وقيام الجبريين عام ١٤١٧م.[٤٧٢]

٥ – خاتمة الفصل الخامس

ركزنا في هذا الفصل على تاريخ البحرين بعد سقوط الإمارة العيونية من ثلاثينيات القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي. كان الإقليم موزعا بين سلطة محلية وسلطات متعاقبة من الساحل الشرقي للخليج. حكمت الدولة العقيلية المناطق الداخلية كالأحساء والواحات والصحاري في البحرين ووسط الجزيرة العربية. وخضع ميناء القطيف وجزيرة أوال للدول الإيرانية المتعاقبة التي بدأت بأتابكة فارس السلغوريين (١٢٣٦-١٢٨٢م) ليعقبهم المغول (١٢٨٢-١٢٩١م) وأتباعهم من سلالة الطيبي (من ١٢٩١ إلى حوالي ١٣٣٥م) ولاحقا مملكة هرمز (حوالي ١٣٣٥-١٤٧٥م). تنافست هذا الدول لفرض هيمنتها السياسية والاقتصادية على الخليج. لكن هذا الموضوع يفتقر إلى المصادر، ولا سيما المحلية.

---

(٤٧٠) عبد اللطيف الحميدان، «إمارة العصفوريين»، ص٦٢-٦٦.

(٤٧١) مجهول، *شرح ديوان*، ج. ٢، ص٦٨٧، ٧١٠؛ عبدالله المهيري، *بائية مفاخر وأنساب عبدالقيس* (د. م: د.م، ٢٠١٢)، ص٧٦ – ٧٨.

(٤٧٢) حول الجبريين انظر كتاب خالد الخالدي وإيمان الخالدي، *السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية* (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١).

كانت أوال والقطيف في ظل هذه الدول الإيرانية بمثابة محطتين في شبكة التجارة البحرية في الخليج، وبقيتا خارج سيطرة الإمارة العقيلية في معظم القرنين الثالث عشر والرابع عشر. والمعلومات المتعلقة بشؤونهما الداخلية قليلة. ويبدو أن اقتصادهما قد تحسن نتيجة ارتباطهما الأفضل بتجارة الخليج. أسس الطيبيون تجارة خيول مزدهرة واختاروا القطيف مكانا لتربيتها، واجتذبت هذه المهنة العقيليين فيما بعد، حيث نقلوا الخيول إلى مصر والهند كما تخبر المصادر المملوكية. وشهدت أوال والقطيف إصلاحات دينية تمثلت ببناء مسجد في القطيف وإضافة مئذنة ثانية لمسجد الخميس وتوسعته، علاوة على إنشاء الأوقاف الدينية لمرتاديه. ومع ذلك، يبدو أن أوال والقطيف ظلتا منطقتين طرفيتين. وحجتنا على هذا مبنية على ثلاث ملاحظات رئيسة. أولا، نادرا ما يرد ذكر المدينتين في المصادر الكتابية. ثانيا، في حال ذكرهما، يتم تصويرهما ملجأ للمهزومين من المطالبين بالعرش. ثالثا، حتى مع وجود تقارير كهذه، فإن أوال تظهر كمكان يفتقر إلى السلطة المركزية. حكم القادة المحليون الجزيرة أحيانا لفترة مؤقتة إلى حين وصول الملك وإنهاء الفوضى السياسية.

تنطبق على الإمارة العقيلية أوصاف «الدولة البدو-حضرية»، وهو مفهوم ابتكره روتون وطبقه هايدمن على الإمارات البدوية في شمال الشام والعراق. في هذا الصنف من الدول يقيم الحاكم البدوي في المدينة، حيث يقدم نفسه حاكما حضريا، فيما يحافظ في الوقت ذاته على قوته العسكرية في البادية. وعلى الأرجح لم يحافظ العقيليون على نمط الحكومة الحضرية لأسلافهم العيونيين ولم يطوروه. ولذلك فإن فترة العقيليين تعد خطوة إلى الوراء في مسيرة التحضر، إلا أنها لا تخلو من ميزات بالطبع.

انتزع العقيليون بقيادة راشد وابنه عصفور السلطة من العيونيين، وأقاموا إمارة في الأحساء والقطيف في ثلاثينيات القرن الثالث عشر بعد أن قررت

النخبة العيونية من ملاك الأحساء وتجارها عدم قدرة الأمراء العيونيين على حماية مصالحهم الاقتصادية من العقيليين والقيسيين. وهكذا وافقوا على تقديم ولائهم إلى القائد العقيلي القوي، راشد أو ابنه عصفور، القادر على صيانة ممتلكاتهم.

انتقلت قيادة القبيلة من قائد أسرة عقيلية إلى آخر. وغالبا لم تقدهم سلالة وحيدة متحدرة من شخص واحد، هو عصفور، كما اقترحت الدراسات السابقة. لذا نرى أن من الأدق تسمية هذه الإمارة «الإمارة العقيلية» عوضا عن «العصفورية»، مع أن عصفوراً وبعض أبنائه قادوا القبيلة في المرحلة المبكرة للإمارة.

وبعد سقوط الخلافة العباسية في يد المغول عام ١٢٥٨م، وظهور المماليك قوة سياسية في مواجهتهم، لعب العقيليون دور كيانات حاجزة بين القوتين العظميين، واجتذبهم المماليك إلى صفهم ضد المغول بعد معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م. وعلى الرغم من تذبذب العقيليين بين الجانبين بما يخدم مصالحهم الخاصة، إلا أنهم ظلوا مؤيدين للمماليك خلال معظم فترة الحرب (١٢٦٠-١٣٢٣م). تحالف المماليك مع العقيليين لسببين، الأول سياسي وعسكري، فقد عهدوا إليهم بمهاجمة قوافل الحج والتجارة القادمة من أراضي المغول عبر طرق صحاري البحرين ووسط الجزيرة العربية. كما أوعزوا إليهم بالإغارة على القبائل الموالية للمغول وعلى مدينة البصرة التي كانت خاضعة لسطة المغول أيضا. والسبب الثاني كان اقتصاديا، فقد استطاع العقيليون أن يقدموا للمماليك طريقا بريا بديلا لبضائع الشرق القادمة إلى موانئ الخليج. في المقابل، زود المماليك قادة العقيليين بالمخصصات والهدايا الفاخرة وقلدوهم مراتب رسمية لصيغ التخاطب الدبلوماسي وفقا للتشريفات المملوكية. كما فتحوا أسواق مصر أمام العقيليين الذين ما لبثوا أن تحولوا إلى تجار استفادوا من الازدهار الاقتصادي الحديث في الخليج.

ضعف حكم العقيليين للإقليم تدريجيا نتيجة الصراعات الداخلية. وقد قدمنا فرضيتين لشرح عوامل انقسامهم وسقوطهم سياسيا. العامل الأول سياسي اقتصادي: أسفر انعدام اهتمام الإمبراطوريات بخدماتهم كجيش رديف بعد نهاية الحرب المملوكية الإيلخانية عام ١٣٢٣م عن تقليص رعايتها لشيوخ القبيلة ماديا ومعنويا، وبما أنهم كانوا يعتمدون على الرعاية، فربما أدى نقص المعونات المالية إلى حرمانهم من إبقاء أفراد القبيلة تحت القيادة المركزية. ثانيا، العامل الاجتماعي الاقتصادي: إن تحول العقيليين من محاربين في المقام الأول -وهو أمر اقتضى المركزية السياسية- إلى تجار وقادة قوافل أدى إلى تغير البنية الاجتماعية للقبيلة وتفككها إلى مجموعات أسرية أصغر تنشد كل منها مصالحها التجارية الخاصة التي قد تتضارب مع مصالح المجموعات الأخرى. وربما كان لغياب قائد قوي قادر على الحفاظ على تلاحم القبيلة من خلال تنظيم التجارة بين المجموعات الأسرية دور في هذا الاضمحلال.

من المرجح أن دور العقيليين الاقتصادي كتجار وقادة قوافل كان مشابها لدور الجرهيين القدماء في شرقي الجزيرة ومعاصريهم الأنباط في شمالها وكذلك قريش مكة قبيل الإسلام. ولعل أنشطة العقيليين التجارية شكلت الجذور القروسطية لقادة القوافل الحديثين المعروفين باسم التجار العقيلات أو العجيل الذين واظبوا على نشاطهم حتى أربعينيات القرن العشرين. تولت إمارة بني جروان قيادة الإقليم سياسيا لفترة إلى أن قامت إمارة بني جبر في مطلع القرن الخامس عشر.

الفصل السادس
الأدب في بلاد البحرين (١٠٥٠-١٤٠٠م)

١ – مقدمة

كان الأدب الذي أنتج في بلاد البحرين في الفترة بين حوالي ١٠٥٠–١٤٠٠م قليلا، ومع ذلك فإن اطلاع العالم الخارجي عليه، ولا سيما في العراق ومصر، كان أفضل من معرفته بالتاريخ السياسي للبحرين. يستعرض هذا الفصل الشعر والنثر في فترة الإمارتين العيونية والعقيلية. ولا معلومات لدينا حول الأدب البحريني في ظل حكم دول الساحل الشرقي. وبما أن التفاصيل المتاحة في مصادر تلك الفترة تقتصر فقط على عدد من الشعراء والكتّاب البحرينيين، فسوف نستخدمها لمناقشة فئة «الأدباء» في ظل غياب معلومات مؤكدة حول علماء آخرين ربما كانوا حاضرين في الإقليم.[٤٧٣] سنناقش أيضا العلاقة بين الأمراء والشعراء.

يتمثل نثر تلك الفترة بـ: (أ) الرسائل الموجهة إلى الخلافة في بغداد، والتي تبين وجود كتبة رسائل محترفين؛ (ب) شرح *ديوان ابن المقرب* الشعري. سنتعرف على الشعر من خلال الشعراء الذين عاشوا في فترة الإمارة العيونية، وثلاثة من فترة الإمارة العقيلية. وقد ورد ذكر هؤلاء الشعراء في كتابي الإصفهاني *خريدة القصر* و *تكملة خريدة القصر* و مخطوطات الشعر النبطي. يزودنا هذان المصدران بمقتطفات من قصائدهم كذلك.

(٤٧٣) إن علماء مثل راشد بن إبراهيم وأحمد بن سعادة وعلي بن سليمان وميثم بن علي وغيرهم، ممن اعتُقد لفترة طويلة أنهم بحرينيون، هم موضوع الفصل الأخير الذي يتناول العلماء والأنشطة العلمية في بلاد البحرين، حيث يناقش حقيقة انتمائهم للبلاد.

ومع أننا تناولنا شرح *ديوان* علي بن المقرب في الفصول السابقة بوصفه وثيقة تاريخية، لكننا سنتعامل معه هنا كنص أدبي معتمدين في الجزء الأكبر من مقاربتنا على دراسات باحثين معاصرين لشعره. ويحاول هذا الفصل أيضا استبناء سيرته الذاتية.

٢ - النثر

إن النص البحريني الأطول الذي وصلنا من العصور الوسطى هو شرح *ديوان* علي بن المقرب، الذي اعتمدنا عليه كمصدر تاريخي في الفصول السابقة.[٤٧٤] لكن لا يوجد تقريبا أي دراسة مطولة للشرح بوصفه عملا أدبيا بمعزل عن الشعر. في المقابل، احتل شعر ابن المقرب معظم الدراسات الأكاديمية. ويقتصر عملي هنا على جانبين: (أ) مناقشة هوية المؤلف المجهول وفترة كتابة النص؛ (ب) تقديم ملاحظات عامة حول أسلوب المؤلف.

إن هوية شارح الديوان مجهولة، لكن ثمة اقتراحات قدمها مؤرخون معاصرون. اقترح صفاء خلوصي أن الشارح هو أبو البقاء العكبري (توفي ١٢١٩م) الذي شرح ديوان الشاعر الشهير المتنبي (توفي ٩٦٥م). واقتراحه هذا مبني على التشابه في أسلوب الشرح وعلى صداقة العكبري مع ابن المقرب.[٤٧٥] لكن هذا الرأي يبدو مستبعدا، ذلك إن الديوان لم يكن مكتملا حينما سافر ابن المقرب إلى العراق، فنجد العديد من القصائد والشروحات التي تصف أحداثا وقعت بعد وفاة ابن العكبري عام ١٢١٩م.

---

(٤٧٤) انظر المقدمة بخصوص مناقشة مخطوطات الكتاب.

(475) Safa Khulusi, ‘A Thirteenth Century Poet from Bahrain’ Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 6 (1976): 92;

وانظر كذلك: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٧٥٣-٧٥٩.

ويقترح الجنبي أن القسم الأكبر من الشرح قد أملاه ابن المقرب أو كتبه شخصيا، مع احتمال مساهمة شارح آخر مجهول في العمل. ويقدم الجنبي عشرة أمثلة من *شرح ديوان* تظهر استخدام أسلوب سرد المفرد المتكلم وكلمات مصاغة بضمير المفرد المتكلم. مثلا، يظهر المثال الأول في بيت لابن المقرب يقول فيه «النطف الحرام»، حيث يضيف الشارح: «أعني أولاد الزنى». ويرد المثال الثاني في أثناء تعليق الشارح على البيت (يخال الضيف يقرص حاجبيه ولاسيما إذا احتضر الطعام)، فيكتب: «وأجزتُ للراوي أن يرويها: ينمِصُ حاجبيه».[٤٧٦] وبالفعل، يبدو الشرح غير متناسق أسلوبيا. والأرجح هو أن أكثر من شخص كتب شروحات وأضاف قصصا تشرح الخلفية التاريخية لبعض الأبيات الشعرية. ونلاحظ أيضا أن الشرح يتضمن معلومات مفصلة حول أسماء الواحات والآبار والعيون وأصناف النخيل والتمور والقبائل الصغرى والأسر، بل والكلمات المحلية في البحرين، الأمر الذي يرجح احتمال تأليفه بواسطة أدباء بحرينيين محليين. أضف إلى ذلك، بما أن الشرح يقدم معلومات حول الأحساء والقطيف أكثر من أوال، فلنا أن نقترح إقامة الشارح (أو الشُرّاح) في الأحساء أو القطيف.

وربما كُتب الشرح خلال الفترة المتأخرة للإمارة العيونية أو بعد سقوطها بوقت قصير. ومجددا، يقدم الجنبي أمثلة يصف من خلالها الشارح السلالات الحاكمة والحوادث الكبرى في القرن الثالث عشر على أنها معاصرة له. فيكتب، معلقا على بيت يتحدث عن المغول، أن التتر في أيامنا قبيلة تركمانية جاءت من الصين وخربت أراضي المسلمين إلى أن وصلوا إلى مراغة، فقتلوا ورحلوا الكثير من المسلمين. وبناء على هذا، استنتج الجنبي أن الشرح كتب حوالي عام ١٢٢١م، أي عام غزو المغول لمراغة.[٤٧٧]

(٤٧٦) مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص١٤١-١٤٢.

(٤٧٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص١٤١-١٤٢.

يمكننا تلخيص السمات العامة للشرح بوصفه نصا أدبيا على النحو الآتي: يعلق المؤلف (أو المؤلفون) على أبيات مختارة ويقدم تفسيرات موجزة لكلمات يعتقد أنها غير مألوفة للقارئ. وهذه التفسيرات موجرة للغاية وتشبه أسلوب المعاجم العربية المختصرة. وفي بعض الأحيان، يضيف المؤلف أمثالا عربية، وحكايات من التراث العربي، وأساطير، وآيات توضيحية موازية من القرآن، وأحاديث وقصائد وشعراء آخرين لتفسير معاني الكلمات والأبيات ودلالاتها. ويقدم، في أحيان أخرى، معلومات أساسية ويلخص سبب كتابة أبيات بعينها. كما يسوق تفسيرات تأصيلية لعدد من الكلمات. ويتجنب الشرح الإكثار من تقديم التفسيرات العميقة والنقدية التي تبرز جماليات القصائد. وثمة مسألة أخرى جديرة بالملاحظة سبق أن ناقشناها في فصل سابق حول العيونيين، هي الركاكة اللغوية التي تتخلل وصف الشارح لحوادث معينة. وهذا التناقض مسوغ آخر لقبول الاقتراح الذي يرى أن العمل كُتب بواسطة أكثر من مؤلف تباينت مستويات مقدرتهم اللغوية.

ويوجد نص نثري بحريني آخر يبدو مستقلا عن شرح *ديوان* على الرغم من إدارجه فيه. هذا النص هو رسالة العوام بن محمد الزجاج أمير أوال إلى الخليفة العباسي في حوالي عام ١٠٦٤م.[٤٧٨] ولكن الرسالة لا تحمل توقيع الكاتب الحقيقي ولا يتطوع شارح الديوان بإخبارنا عنه. ولعل كاتبها كان الأمير العوام شخصيا أو رجل عمل كاتبا عنده.[٤٧٩] وفي كل الأحوال، تظهر الرسالة مستوى عاليا من المهارة اللغوية والفنية. فقد صاغ المؤلف النص بأسلوب السجع. والرسالة غنية بالكلمات والتعابير المنمقة. وهي تعكس براعة في الكتابة الدبلوماسية ومعرفة بالألقاب السياسية واللغة الدينية

(٤٧٨) حول مناقشة تاريخ هذه الإمارة، انظر الفصل الثاني، وكذلك: مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٨٨-٩٩٥.

(٤٧٩) انظر الفصل الثاني.

السياسية بما يتخللها من ابتهالات إلى الله بمؤازرة العباسيين ودعوتهم في مواجهة عقائد دينية أخرى، ولا سيما القرمطية والإباضية.[٤٨٠]

وعلينا أن نتذكر أن العيونيين كان لهم ديوان إمارة ودواوين أخرى، وقد اضطلع المقرب، والد الشاعر علي، بإدارة أحدها.[٤٨١] وكما سنبين أدناه، استخدمت كلمة «كاتب» لوصف بعض الشعراء. ويمكننا أن نفترض، في ظل وجود ديوان رسائل عيوني وكتبة الرسائل والسجلات أو اللفائف والشرح والرسالة، وجود تعليم لغوي في البحرين طغى على مجالات أخرى من العلم.

ويمكن أيضاً عدّ ملحق شرح *ديوان ابن المقرب* من فترة حكم الإمارة السلغورية لجزيرة أوال، وهذا موضوع بحاجة إلى دراسة معمقة.

٣ - الشعر والشعراء

٣-١ - الشاعر مؤمَّل الأحساوي (عاش حوالي ١١٤٢-١١٥٣م)

مؤمل الأحساوي من أقدم الشعراء البحرينيين الذين عاشوا في فترة الإمارة العيونية، وهو أقدم من ابن المقرب العيوني. ألقى قصائده في مجلس أمير القطيف العيوني أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي (حكم حوالي ١١٤٢-١١٥٤م). ويرد ذكر هذا الشاعر في *خريدة القصر* للإصفهاني الذي كان له صديق في البصرة اسمه علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري، ولعله من أبناء تجمع عبد القيس في البصرة. ويبدو أن عليا هذا سافر مرارا إلى إقليم البحرين، حيث كان له الكثير من الأصدقاء، من بينهم أدباء في الإقليم. وقد شكل مصدرا غنيا لمعلومات الإصفهاني عن البحرين.

(٤٨٠) انظر مضمون الرسالة في الفصلين الثاني والسابع.

(٤٨١) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص١٠٠٨-١٠٠٩.

طلب الأمير الحسن، الذي يبدو أنه كان على دراية بالشعر ومحبا له، من المؤمل الأحساوي نظم قصيدة على غرار القصيدة المشهورة التي مطلعها: «يا سلسلة الرمل باللويلب فالحال». فاستجاب المؤمل بأن نظم قصيدة أرسلها لاحقا إلى علي العبدي، فنقلها هذا بدوره إلى الإصفهاني الذي لم يوردها كاملة للأسف، واكتفى ببيت واحد فقط.[٤٨٢]

٣-٢ - إبراهيم بن أحمد بن يوسف السكوني العبدي (عاش حوالي ١١٥٩م)

يذكر الإصفهاني في تكملة *خريدة القصر* وجريدة *العصر* (قسم شعراء العراق) شاعرين من القطيف عاشا في القرن الثاني عشر الميلادي نقلاً عن مصدره علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري، الذي أخبره عام ١١٦٢م أنه سافر إلى القطيف عام ١١٥٩م، في فترة حكم قِوام الدين بن المنصور العزيز بن المقلد بن عبد الله بن علي العبدي[٤٨٣] الذي استضافه في منطقة تدعى العطش. وقد التقى هناك بالشاعر إبراهيم بن أحمد بن يوسف السكوني العبدي (نسبة إلى قبيلة عبد القيس) وقاضي القطيف علي بن أبي الهوارس كذلك. طلب السكوني من البصري تعليمه بعض مبادئ العروض، فوافق ودرّسه إلى أن برع فيه. ألقى السكوني آنذاك بعض قصائده، فنقلها البصري إلى الإصفهاني.[٤٨٤] تتمحور قصائد السكوني، من حيث الموضوعات والخصائص، حول الحكمة والأسى والرغبة في العزلة وانتقاد جهل المجتمع وفسوقه وظلم الحكام.

وينتقد السكوني في الكثير من أبياته العرب لظلمهم، فيقول إنهم كانوا

(٤٨٢) عماد الدين الإصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر*: *قسم شعراء الشام*، تحقيق شكري فيصل (دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٥٩)، ج٢، ص٢٤٥: يقول مؤمل:

يا مَنْزِلَ سَلمى بذي الكَهنْبَل فالضّالْ   غـاداكَ من المُزْنِ كلُّ أسْحَـمَ هطّالْ

(٤٨٣) لا يكتب اسم «العيوني».

(٤٨٤) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: (قسم شعراء العراق)*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠)، ص٨٥١-٨٥٩.

ظالمين قبل مجيء الرسول محمد، لكنهم ازدادوا سوءا بعد الإسلام. وقد استنتج محمد بهجة الأثري، محقق الكتاب، من هذه الأبيات أن الشاعر كان قرمطيا مستترا، لكننا نعتقد أن هذا الرأي مبالغ فيه، إذ أن أي رجل ذي معاناة قد يتبنى مثل هذه النظرة النقدية التشاؤمية. وفي كل الأحوال، يبدو أن الشاعر كان منتقدا للأمراء العيونيين.

٣-٣- الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي الجذمي (عاش حوالي ١١٥٥م)

شاعر القطيف الثاني المذكور في معجم تراجم الشعراء للإصفهاني هو الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي الجذمي الذي ينحدر أيضا من قبيلة عبد القيس وفرع جذيمة. ومجددا، يستقي الإصفهاني معلوماته من صديقه علي بن الحسن العبدي البصري الذي يصف الجذمي بالشاعر والكاتب والنسابة الذي فر من القطيف إلى عمان عام ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م، حيث توفي فيها لاحقا. تعرّض الجذمي للاضطهاد في القطيف وسُجن على يد الأمير أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي. ويذكر البصري أنه قابل أخا الشاعر في القطيف، كما التقى في أثناء زيارته لجزيرة تاروت بشخص يدعى أبا شكر عبد القيس بن علي أخبره أن الجذمي ألف قصيدة طويلة في فترة اعتقاله خاطب فيها أقاربه مستنفرا رابطة الدم التي تجمعه بهم عسى أن يساعدوه فيقنعوا الأمير بإطلاق سراحه. يذكر الشاعر في هذه القصيدة حوالي خمسين فرعا لقبيلة عبد القيس، ما قد يجعل منها مصدرا قيما لنسب عبد القيس.[٤٨٥] وقد قام عبد الله المهيري بإعادة تحقيق هذه القصيدة البائية وشرحها نَسَبيا ولغويا وتاريخيا.[٤٨٦]

---

(٤٨٥) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: (قسم شعراء العراق)*، ص٨٦٠-٨٦٧.

(٤٨٦) عبد الله المهيري، *بائية مفاخر وأنساب عبد القيس من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر نظم الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي* (د. م: د، ن، ٢٠١٢).

٣-٤ - علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري (مطلع القرن الثالث عشر)

أتينا على ذكر هذا الشاعر في الفقرات السابقة أعلاه بوصفه مصدرا لمعلومات عماد الدين الإصفهاني. ومن غير الواضح إن كان بصري الأصل أو من القطيف. وهو ينتسب إلى قبيلة عبد القيس، ويروى أنه عمل في بغداد. وقد رافق الإصفهاني في رحلته إلى البصرة، حيث زوده هناك بمعلومات حول الشعراء البحرينيين بموجب سفره المتكرر إلى الإقليم. ويصف الإصفهاني عليا العبدي بأنه شاب من أهل العلم وأصحاب الحديث من دون تحديد مكان تلقّيه العلم.[٤٨٧] ألقى علي العبدي مجموعة قصائد على مسمع الإصفهاني يركز في إحداها على عدم ارتياحه وانزعاجه من الإقامة في القطيف وجزيرة تاروت عام ١١٥٩م، حيث كابد الجوع. ولا نعرف إن اقتصر هذا الجوع عليه وعلى أسرته أم أنه بمثابة إشارة إلى مجاعة. وهو ما يمكن عده علامة على تراجع اقتصاد إقليم البحرين. وللأسف، فإن الإصفهاني شديد التحفظ في تقديم تفاصيل تخص الوضع السياسي والأحداث في البحرين، فاكتفى بتقديم معلومات موجزة عن السيرة الذاتية ومختارات من الأبيات.

توصف أم علي العبدي بالمؤدِّبة. وقد كانت شاعرة تبادلت الرسائل مع ابنها شعرا. واسمها الرشيدة بنت الفقيه أبي الفضل بن محمد بن علي بن مؤمل بن تمام التميمي المالكي، ويبدو أنها كانت ابنة فقيه سني مالكي من قبيلة بني تميم. ولا تسمح لنا سيرتها الذاتية الموجزة وأبياتها الشعرية القليلة بالحسم في مسألة علاقتها بالبحرين، بمعزل عن ابنها وزوجها طبعا، اللذين كانا بحرينيي الأصل.[٤٨٨]

---

(٤٨٧) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: (قسم شعراء العراق)*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٦)، ج٢، قسم ٤، ص٦٨٣-٦٨٤.

(٤٨٨) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر*، ج٢، قسم ٤، ص٦٥٨-٦٧٠.

٣-٥- محمد بن يوسف البحراني الإربلي (توفي ١١٨٩م)

اسمه أبو عبد الله موفق الدين محمد بن يوسف بن محمد بن قائد البحراني الإربلي. يوصف بأنه كان شاعرا مشهورا ولغويا وناقدا بارزا برع في العروض وأساليب الشعر المختلفة. ويروى أيضا أنه درَس الفلسفة والهندسة وكان له اهتمام خاص بالرياضيات، ما دفعه إلى التعليق على عمل إقليدس. وقد أنتج ديوانا شعريا وكتب رسائل علمية عدة.

ووفقا لليافعي (توفي ١٣٦٧م)، ولد هذا الشاعر ونشأ في البحرين لأب كان يعمل تاجر لؤلؤ. وتعلم فنون الشعر من بدو البحرين، ثم انتقل لاحقا إلى شهرزور في شمال العراق (إقليم كردستان حاليا)، فأمضى فيها بعض الوقت قبل أن يغادرها إلى دمشق، حيث خدم صلاح الدين الأيوبي (حكم ١١٧٤-١١٩٣م) ومدحه. ومدح أيضا حاكم إربيل أبا المظفر.[٤٨٩] ومجددا، لا نعلم إلى أي مدى بقي على صلة بالبحرين بعد أن غادرها، لكنه لا شك استفاد من شعراء الإقليم. ولعل انتقاله من البحرين إلى العراق، ومنه إلى الشام طلبا لمعرفة الفلسفة والرياضيات، وعمله في خدمة حكام بارزين، أمور تعكس رؤيته للبحرين منطقةً غير قادرة على إرضاء تطلعاته لما تتسم به من محدودية في المعرفة وافتقار إلى الفرص.

(٤٨٩) عبد الله اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان*، تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج٣، ص٣٢٧؛ صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تحقيق سْفين ديديرنغ (شتوتغارت: كوميسيونسفيرلاغ فرانز شتاينر، ١٩٩١)، ج٥، ص٢٥١.

٤ - علي بن المقرب العيوني (١١٧٦-١٢٣٠/ ٤٠م): سيرته وشعره

نال الشاعر البحريني جمال الدين أبو عبدالله علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار العيوني شهرة واسعة، إذ يرد اسمه ومقتطفات من شعره عند عدد كبير من كتاب التراجم، منهم من قابله شخصيا واستقى المعلومات منه مباشرة.[٤٩٠] على سبيل المثال، أخبر ابن المقرب ابن النجار البغدادي (توفي ١٢٤٥م) وابن الشعار الموصلي (توفي ١٢٥٦م) أنه ولد عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م في الأحساء في منطقة تدعى العيون.[٤٩١]

نعرف القليل حول تعليم ابن المقرب المبكر وشخصيات أساتذته. ونستنتج من كُتّاب التراجم العراقيين الذين قابلهم أنه كان شاعرا بالفعل حينما ذهب إلى العراق. وهذا دليل على تلقيه العلم في الأحساء أو القطيف. ولكنه، للأسف، لا يشير إلى تعليمه في شعره، فيما لا يوضح كُتّاب سيرته شيئا حول الأمر. وحتى الشارح المجهول لديوانه لا يذكر أبدا ما يتعلق بهذا الموضوع في الكتاب. ومع ذلك، كما أسلفنا الذكر، كان ابن المقرب ابن موظف في ديوان رسائل العيونيين، وهذا دليل على تلقيه تعليما لغويا كي يخلف والده من بعده، فهذا الصنف من المناصب كان ينتقل من الأب إلى الابن عادة، خصوصا في ظل غياب وجود المدارس واحتكار المعرفة. ويلمح الشاعر أيضا في الكثير من أبياته إلى قضائه وقتا طويلا في العيون مسقط رأسه، وفي مسقط رأس أمه، اليمامة في وسط الجزيرة العربية. فيقول في شعره إن أمه

---

(٤٩٠) حول قائمة شاملة بالدراسات المتعلقة بعلي بن المقرب العيوني بالعربية والإنجليزية، انظر: صلاح كزارة، *علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره في المصادر العربية والأجنبية* (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين، ٢٠٠٢).

(٤٩١) المبارك بن شعار الموصلي، *ذيل تاريخ بغداد* (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ)، ج٥، ص٦٦-٧٠.

انتسبت إلى قبيلة بني حنيفة من بكر بن وائل.(٤٩٢) وقد لاحظ العمّاري أن ابن المقرب شديد التأثر بالشعر الجاهلي وأساطير قبيلتي بكر وتغلب كما يتجلى بوضوح في بعض قصائده.(٤٩٣) وعليه نفترض أنه اكتسب أيضا مهاراته اللغوية والبلاغية من أخواله وأدباء وشعراء اليمامة في نجد.

تطورت علاقة معقدة بين الأمراء العيونيين الأواخر وأسرة الشاعر، فاضطُهد أبوه في عهد الأمير العيوني محمد بن ماجد الذي سجنه وجرده من ممتلكاته وثرواته الشخصية، لتعاد إليه فيما بعد. وقد تعرض الشاعر شخصيا لاضطهاد مماثل، لكن هذه المرة على يد ابن الأمير، ماجد بن محمد بن ماجد الذي لم يُعد إليه ممتلكاته أبدا، مع أنه حاول مرات عدة استجداء عطفه من خلال قصائد مدحه فيها.(٤٩٤) وما زال سبب هذا الاضطهاد غامضا. وربما اتسمت العلاقة بينهما بالتناقض كما يرى العمّاري بسبب إحباط ابن المقرب من طريقة قيادة الأمير للدولة وخضوعه للبدو، علاوة على رغبته في رؤية دولة موحدة عوضا عن الإمارة العيونية المنقسمة.(٤٩٥) وقد نضيف إلى هذا أن ابن المقرب ربما عُرف بميله إلى أمراء فرع الفضل بن عبد الله بن علي العيوني وتفضيله إياهم، إذ عمل والده في ديوان الإمارة الخاص بهم، كما ربطته علاقة قرابة من الأم بفرع الفضل.(٤٩٦) وبسبب علاقته المضطربة بالأمراء ورغبته في توسيع شبكة علاقاته والتعرف على أهل العلم سافر ابن المقرب مرات عدة

---

(٤٩٢) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٢٤٢.

(٤٩٣) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية* (الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م)، ص١٧١.

(٤٩٤) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٢-١٧.

(٤٩٥) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية*، ص١٥٩-١٦٩.

(٤٩٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٠، ٦٣٨.

إلى العراق، حيث قابل العلماء والشعراء وكبار المسؤولين وألقى قصائده في مجالس الحكام، مثل باتكين حاكم البصرة (توفي ١٢٤٢م)[٤٩٧] وبدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل (توفي ١٢٥٩م).[٤٩٨] ويذكر صلاح نيازي أن شرح *ديوان ابن المقرب* يقدم معلومات تاريخية حصرية حول هذه الأماكن غير متوفرة في مكان آخر.[٤٩٩]

تكررت زيارات ابن المقرب للعراق. وبحسب الجنبي فقد انحصرت رحلاته بين الأعوام ٦٠٥ و ٦٢٧ هـ/ ١٢٠٧ و ١٢٣٠م.[٥٠٠] وفي بغداد قابل الكثير من الشخصيات، مثل الحافظ محمد بن الدبيثي (توفي ١٢٤٠م) مؤلف *ذيل تاريخ مدينة السلام*، وابن نقطة البغدادي الحنبلي (توفي ١٢٣٠م). كما زار المدرسة النظامية، والتقى بكادرها التدريسي والإداري وقرأ بعضا من شعره، فنال الثناء، ولا سيما من ابن النجار.[٥٠١]

---

(٤٩٧) كان باتكين مولى أم الخليفة العباسي الناصر، وقد عُهد إليه بحكم البصرة. ويصفه الصفدي بالحاكم العادل الذي اضطلع بمشاريع عدة، مثل تجديد المسجد الرئيس وبناء المدارس ومستشفى وسور حول البصرة وقبة لمقام طلحة بن عبد الله صحابي الرسول الذي حارب علي بن أبي طالب في معركة الجمل وقتل بعد انسحابه منها عام ٦٥٦ م. انظر: صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠)، ج١٠، ص٤١؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص٣٥١.

(٤٩٨) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٧٣٢.

(499) Salah Niazi, ‘An Edition of the Diwan of Ali ibn al-Muqarraband a critical Study’ (PhD diss., University of London, 1975), vol.1, 12-13.

(٥٠٠) مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٣-١٨ حاشية ٣٥، ٤٥، ٤٩.

(٥٠١) صلاح كزارة، *علي بن المقرب العيوني*، ص٢٢-٢٦، حيث يستشهد بمخطوطين. الأول: ابن نقطة البغدادي، «الاستدراك والمستدرك على كتاب الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب». من دار الكتب المصرية، رقم ١٠، ٦٢٩-أدب. والثاني: ابن الدبيثي «ذيل تاريخ بغداد». من معهد المخطوطات العربية في القاهرة ومكتبة شهيد علي في اسطنبول، رقم ١١٠٧؛ ابن نجار البغدادي، *ذيل تاريخ بغداد*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١٩، ص١٢١.

وسافر أيضا إلى إربيل والموصل وواسط والبصرة. ويذكر ياقوت في معجم *البلدان*، مادة العيون، أنه قابل شاعرا من العيون في الموصل عام ١٢٢٠م اسمه علي بن المقرب ألقى قصيدة مديح في مجلس حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ (توفي ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩م) بعد أن حاول الوصول إلى ديار بكر لحضور مجلس الملك الأشرف الذي كان قد غادر البلد لمحاربة الصليبيين في دمياط في مصر. لكن قصائد ابن المقرب لم تعجب ياقوت خلافا لكُتّاب تراجم آخرين، مثل ابن النجار.[٥٠٢]

ولسنا متأكدين من تاريخ وفاة ابن المقرب ومكانها. ويقدم المؤرخون المعاصرون له ثلاثة تواريخ: (١) عام ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م في البحرين وفقا لابن المنذري؛ (٢) عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م في البحرين وفقا لابن الشعار؛ (٣) عام ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م في الأحساء وفقا لابن النجار.[٥٠٣] بالإضافة إلى هذه الآراء، يذكر مخطوط كُتب بواسطة مؤلف مجهول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، محفوظ حاليا في دار الكتب والوثائق القومية في مصر، أن ابن المقرب توفي في قرية عمانية ساحلية تدعى طيوي.[٥٠٤] وقد قام الجنبي وزملاؤه بزيارة هذه القرية واستعلموا من سكانها حول أخبار ابن المقرب. وفوجئوا حين علموا أن الناس على دراية به، بل وبإمكانهم قص حكاية شعبية عنه وعن سبب مجيئه إلى قريتهم. دل السكان الجنبي على ما يُعتقد أنه قبر ابن المقرب. ومن جانب آخر قص مُسِنّو قرية

---

(٥٠٢) ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٤، ص١٨٠-١٨١؛ مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٧-١٨.

(٥٠٣) المبارك بن الشعار الموصلي، *ذيل تاريخ بغداد*، ج٥، ص٦٦-٧٠؛ ابن النجار البغدادي، *ذيل تاريخ بغداد*، ج١٩، ص١٢٢؛ عبد العظيم الحافظ المنذري، *تكملة لوفيات النقلة* (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٦ ه[١٩٧٦ م])، ج٣، ص٣٢٥-٣٢٦ (مادة: ٢٤٣٤).

(٥٠٤) يستشهد محقق شرح *ديوان*، ج٣، ص٢١٦ بمخطوط من المكتبة الوطنية المصرية، رقم ٦٣٧/ تاريخ.

البطالية في الأحساء في العربية السعودية حكاية شعبية أخرى على الجنبي مفادها أن ابن المقرب قد فر إلى عمان.

وبموجبه، يبدو أن ثمة إجماع على مكان وفاته بين السكان الحاليين للأحساء وقرية طيوي في عمان يختلف عما جاء في معاجم التراجم العراقية. ويميل الجنبي إلى الاعتقاد بعدم صحة التواريخ الواردة عند كتاب التراجم وبأن الشاعر عاش حتى عام ٦٥١ هـ/ ١٢٥٤م. وهو يستند في هذا على ثلاثة أدلة. أولا، يرى أن ملحق *شرح ديوان*، الذي يضم قائمة بالأمراء العيونيين ممن عاش آخرهم حتى ١٢٣٦ أو ١٢٣٩م، كان قد أملي بواسطة ابن المقرب على الشارح. ثانيا، يذكر الحر العاملي (توفي ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣م)، أحد كتاب التراجم الاثني عشرية، في المادة المتعلقة بابن المقرب في معجمه *أمل الآمل* أنه قرأ قصائد للشاعر من عام ٦٥١ هـ/ ١٢٥٤م، لكنه لم يسجلها. ثالثا، يعتمد الجنبي على حكاية شعبية عند سكان الأحساء تروي أن ابن المقرب قتل عددا كبيرا من البدو بواسطة الخديعة بعد أن يئس من تحكمهم بالإمارة. وقد نفذ هذه العملية كما يلي: بنى على مقربة من أحد الجداول قصرا أعمدته من الملح، ثم حفر قناة صغيرة لربط الجدول بالأعمدة الملحية، لكنه فصلها بحاجز. وبعد أن أنهى التحضيرات، دعا البدو إلى وليمة في القصر، وحينما دخلوا وبدؤوا بأكل الطعام نزع الحاجز بين القناة الصغيرة والأعمدة الملحية فانهار القصر عليهم. ولتحاشي انتقام ذويهم أشاع ابن المقرب خبر وفاته، ثم فر من الأحساء إلى عمان سرا. وربما انتشرت شائعة وفاته هذه عام ١٢٣٣م، ووصلت إلى كتاب التراجم العراقيين.[٥٠٥] لكن هذه الأدلة تفتقر إلى التماسك، ولا يوجد طريقة محددة للبت في مسألة تاريخ وفاة ابن المقرب ومكانها.

شكل شعر ابن المقرب محورا للدراسات النقدية منذ الستينيات، فصدر

(٥٠٥) مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص٢١٦-٢٢٠.

حوله عدد كبير من المنشورات، من رسائل جامعية وكتب وأوراق مؤتمرات ومقالات في دوريات محكمة، وأخرى في الصحف والجرائد. ويتضمن شعره أغراض وأساليب عدة، كالمديح، والسرد، والهجاء والرثاء، وموضوعات مختلفة، كالحنين والحكمة والفخر.

كان ابن المقرب شاعر بلاط ألقى قصائده في مجالس عدة، بما في ذلك مجلس الأمراء العيونيين الذين نالوا حصة الأسد من مديحه. كما خص بقصائده الخليفة العباسي الناصر (حكم ١١٨٠-١٢٢٥م)، وخليفته المستنصر (١٢٢٥-١٢٤٢م)، وباتكين حاكم البصرة، وبدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل، وموظف عباسي يدعى المحسن بن هبة الله الدوّامي، والملك الأشرف حاكم ديار بكر الأيوبي الذي أرسل إليه قصيدة مديح في مصر. بالإضافة إلى هؤلاء، مدح ابن المقرب علماء سُنّة، مثل محب الدين الواسطي الشافعي وأبي البقاء العكبري (توفي ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م)، وعلماء وشخصيات شيعية، كالنقيب تاج الدين يحيى بن النقيب العلوي الحسيني. وقد لاحظ العمّاري أن ابن المقرب اختتم مدائحه للحكام بطلب المال.[٥٠٦]

يشكل الشعر السردي الجزء الأهم من نتاج ابن المقرب. ويتداخل هذا الصنف أحيانا مع قصائد الفخر، فيقدم الشاعر قدرا كبيرا من المعلومات التاريخية الفريدة حول الإمارة العيونية، كالأحداث الكبرى والانتصارات السياسية والعسكرية وأسماء الأمراء والمعارك والفرسان والقادة والقبائل وزعمائها. وتصف هذه القصائد أيضا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاد البحرين العيونية. كما يتضمن شعره قدرا كبيرا من المعلومات الجغرافية. وقد شكل هذا الصنف مصدر تاريخ الإمارة العيونية كما أظهرنا سابقا.

---

(٥٠٦) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية*، ص١٧٢.

جرت مقارنة شعر الفخر عند ابن المقرب بأسلوب أبي فراس الحمداني. فالاثنان خاطبا الأمراء بقصائدهما في فترة السجن، مع اختلاف الأسباب، وعزفا على وتر فخر العرب ونبلهم ومروءتهم ملتمسين الإفراج عنهما.(٥٠٧)

أما شعر ابن المقرب الهجائي فطال بعض المسؤولين والقبائل، ولا سيما العقيليين، وحتى بعض الأمراء العيونيين. على سبيل المثال، كان الشاعر قاسيا في هجائه لابن الدبيثي، جامع ضرائب مدينة واسط، لأنه فرض ضريبة على الحديد الذي كان ينقله من بغداد إلى البحرين لأغراض التجارة والبناء.(٥٠٨) وهجا بأبيات أخرى بدر الدين لؤلؤ نزولا عند رغبته في طلب المتعة.(٥٠٩)

ونظم الشاعر أيضا المراثي. ولعل المثالين الأهم هما القصيدتان الهمزية والعينية في رثاء أهل البيت والإمام الحسين، حيث تتجلى نزعاته الشيعية.(٥١٠) وهذه المسألة محط جدل بين المؤرخين. كما رثى ابن المقرب أصدقاءه، كالقاضي محمود بن إبراهيم المستوري، قاضي القطيف أو أوال وفقا لفرضية الجنبي.(٥١١)

---

(٥٠٧) فهد بن وريدة، «ابن المقرب العيوني: حياته وشعره» (أطروحة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٧٣)، ص٤٣.

(٥٠٨) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٤٠٢-٤٠٨، ج٢، ص٩١٠-٩١٤.

(٥٠٩) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٠٩.

(٥١٠) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٤٠، حاشية ١١٣-١١٤، ٥١٦-٥٢٥. لا ترد القصيدة الهمزية كاملة في الديوان. وقد كتب الشارح البيت الأول منها ووصفها بـالغديرية (نسبة إلى غدير خم) التي تتعلق بأهل بيت الرسول. ثم يضيف أن الديوان بالمكان المناسب لكتابتها كاملة. ويعلق الجنبي أن الشارح البحريني ربما حذف القصيدة كاملة خوفا من الحكام السلغوريين السنة. لكن مصادرنا تظهر أن السلغوريين لم يكونوا متعصبين أو معادين للشيعة.

(٥١١) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٥١١-٥١٥.

واستنتج العماري أن ابن المقرب حاول محاكاة شعر أبي الطيب المتنبي (٩١٥-٩٦٥م)، لكنه لم يصل أبدا إلى مشارف مخيلته وإبداعه. كما انتقد العماري في شعر ابن المقرب افتقاره إلى الجاذبية والجيشان، ولاحظ أن أساطير البدو، ولا سيما أساطير قبيلة بكر بن وائل، كانت مصدرا مهما لقصائده.[٥١٢]

٥ - الشعراء الذين حملوا نسبة البحراني في العراق والشعراء الذين زاروا البحرين

شاع استخدام النسبة (إلى المدن والمهن والقبائل والأسر) على نطاق واسع في الثقافة الإسلامية. فمَن لم ينتسب إلى قبيلة أو أسرة استخدم اسم بلده الأصلي أو مكان إقامته نسبةً، ولا سيما في حال انتقاله من بلد إلى آخر. أعطيت هذه النِسَب بداية للمهاجرين الجدد أو تبنوها بأنفسهم. وإذا اتخذ قادم جديد إلى بلد أو مدينة نسبة ما أو أطلقها الآخرون عليه، فإنها قد تنتقل إلى نسله لأجيال. وإذ نقرأ، على سبيل المثال، نسبة المصري في بغداد، فليس من الضروري أن الشخص المعني ولد في مصر وانتقل حديثا إلى بغداد، فربما قدم أحد أجداده من مصر. والمصريون الأصليون لم يستخدموا نسبة «المصري»، إنما عرّفوا أنفسهم من خلال صفات مشتقة من اسم قبيلة أو مهنة أو قرية. وبموجبه، ليست النسبة وحدها دليلا كافيا لتحديد المكان الأصلي الحالي للشخص.

يميل كتاب التراجم، عند توثيقهم انتقال شخص من مكان إلى آخر، إلى ذكر نسبتين أو ثلاث تفصل بينهم أحيانا كلمة «ثم». ومن الأمثلة على شخص عرف بنِسَب ثلاث عند ابن العديم: «سالم بن إسحاق بن الحسين بن

(٥١٢) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية*، ص١٧٠-١٧٢.

البزاز أبو الغنائم المعري ثم الدمشقي ثم البغدادي، من معرة النعمان، وسكن دمشق وبغداد فنسب إليهما».(٥١٣) وفي بعض الأحيان يختار تلاميذ أحد العلماء أو المتبعين لآثارهم أن يضيفوا نسبة إلى شيخهم تشير إلى المكان الذي استوطنه، وذلك في النسخ الخاصة بهم، كما يفعل الأمر ذاته الوراقون. وغني عن القول أن العلماء أحيانا يضيفون النسبة إلى المكان الذي يعيشون فيه وقت تأليفهم الكتب من أجل الدعاية لأنفسهم وتعريف الناس بمحل إقامتهم. وتوطدت هذه الممارسة في العصور المتأخرة، حيث قام العلماء بتدوين نسبتهم بأنفسهم، وأصبحت جزءا من أسمائهم.

وفي ضوء هذا التصور نلج إلى موضوع إشكالي يتعلق بشعراء منسوبين إلى البحرين. تخبرنا المصادر أنه يوجد ثلاثة شعراء يحملون نسبة القطيفي، يروى أن أحدهم زار البحرين. الشاعر الأول من الفترة قيد الدراسة هو أبو أحمد بن منصور بن علي القطان القطيفي البغدادي (توفي ١٠٨٧م). ويذكر كُتّاب سيرته الذاتية أنه قدم إلى بغداد ومدح حاكمها بقصائده. وأقام هناك حتى وفاته ودفن في مقبرة قريش. وقد نظم قصيدة للإمام الحسين يذكر في أحد أبياتها أنه لم يكن بصدد تغيير عقيدته، ولم يؤمن في الوقت نفسه بعقيدة الرافضة. ولعل هذا دليل على اعتناقه الشيعية المعتدلة التي لا تتضمن الكراهية والإهانات لأصحاب النبي. ويرى عدنان العوامي أن هذا الشاعر كان فعلا من القطيف لأن كتّاب سيرته الذاتية يذكرون أنه «قدم إلى بغداد»، ما يعني أنه ولد في مكان آخر.(٥١٤) وإذ لا يعد هذا دليلا كافيا بذاته، لأنه قد يكون جاء من مكان ثالث، فبمقدورنا أن نفترض أنه كان قطيفي الأصل بالنظر إلى

(٥١٣) كمال الدين ابن العديم، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، بلا تاريخ)، ج٩، ص٤١٠١.

(٥١٤) عدنان العوامي، «الحس الوحدوي في شرق الجزيرة العربية»، *مجلة الواحة* (٢٠٠٢): ص١٣٢.

نسبتيه، القطيفي والبغدادي، لكنه حمل نسبة البغدادي عندما قدم إلى بغداد وأقام فيها. ويبقى هذا مجرد احتمال، ولا يمكننا تثبيت هذا الاستنتاج إذا لم نحصل على مواد إخبارية أخرى.

الشاعر الثاني هو أبو الفضائل زاكي بن كامل بن علي القطيفي الهيتي (توفي ١١٥١/ ٥٢م). ولقباه هما «أسير الهوى» و«قتيل الريم»، ولعل الريم اسم محبوبته. ويذكر ياقوت في كتابه *معجم الأدباء* بعض أبيات هذا الشاعر ويثني عليها، لكنه لا يورد أي شيء بخصوص مكان ولادته أو وفاته.[٥١٥] أما كُتّاب التراجم اللاحقون، كابن العديم (توفي ١٢٦٢م) والصفدي (توفي ١٣٦٣م)، فيذكرون نسبة القطيعي (عوضا عن القطيفي) مع اسم مختلف لجده: المسلم. ويقول ابن العديم إن زاكي كان من أبناء مدينة هيت، وسافر لاحقا إلى الموصل وحلب ودمشق.[٥١٦] ويرى عدنان العوامي أن نسبة القطيفي هي الأصح لأن ياقوت سابق على كُتّاب التراجم الآخرين.[٥١٧] ومع ذلك، فإذا سلمنا بصحة نسبة القطيفي، فلا يوجد ما يؤكد كون البحرين أو القطيف مكان ولادته أو إقامته أو وفاته، ولعله ورث هذه النسبة عن جد قد هاجر من القطيف، ربما إلى هيت في العراق.

الشاعر الثالث هو أبو علي الحسن بن علي الرحبي (توفي ١١٥٥م) الذي يرد ذكره في *خريدة القصر* للإصفهاني. وبموجب خبرٍ نقله علي العبدي للإصفهاني، وقد كان وسيطاً بينه وبين الشاعر، فإن الشاعر أسمعه بعض قصائده في البحرين قبل عودته إلى البصرة، ومنها غادر إلى مكان آخر وتوفي

(٥١٥) ياقوت الحموي، معجم *الأدباء*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ج٣، ١٣١٤-١٣١٥.

(٥١٦) كمال الدين ابن العديم، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، ج٨، ص٣٧٢٨-٢٩.

(٥١٧) عدنان العوامي، «الحس الوحدوي»، ص١١٩-١٢٠.

عام ١١٥٥ م. وقد نستشف من هذا الخبر أن الشاعر كان مقيما في البصرة في الأصل، لكنه سافر إلى البحرين لفترة من الوقت ثم عاد إلى البصرة. ولعله كان أحد أبناء تجمع عبد القيس في البصرة، حيث شكلوا حوالي خُمس سكانها في العصر الإسلامي الباكر.[٥١٨]

نظم أبو علي الرحبي قصيدة امتدح فيها الأمير الحسن بن عبد الله بن علي. وهي تصف عشيقة اسمها هند، وتعكس أبياتها الثمانية مستوى عاليا من الملكة الشعرية. كما هجا مجموعة من سكان أوال عرفوا باسم بني بَشَار، لم ينج منها إلا بيتان فقط. ولا معلومات لدينا حول هذه المجموعة، لكن من غير المستبعد أن المحقق أساء قراءة اسمهم في المخطوط.[٥١٩]

٦ - شعراء الإمارة العقيلية: كلبي بن ماجد العامري العقيلي وهلال بن أبي الحسن العامري العقيلي وحمزة العامري

نَظَم البدو الشعر وقدّروه بشكل عام، ولم يكن عقيليو البحرين استثناء. وعلى الرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بالعقيليين، فثمة تفاصيل موجزة حول شعرائهم. يزودنا ابن حجر العسقلاني، الذي اعتمد على ذهبية *العصر* لابن فضل الله العمري، بمعلومات حول الشاعر كلبي بن ماجد العامري العقيلي. فقد التقى هذا الشاعر بالمؤرخ ابن فضل الله عام ١٣٣٢م وأسمعه بعضا من قصائده، لا نعرف منها إلا بيتين فقط يتعلقان بامرأة تدعى سليمة ربما كانت محبوبته. ويوصف كلبي بأنه كان من أمراء البحرين وتجاره الذين

---

(٥١٨) صالح العلي، *التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري* (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٣)، ص٤٩-٥٠.

(٥١٩) عماد الدين الإصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام*، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٥.

دأبوا على الوفود على سلاطين المماليك محملين بالخيول الأصيلة.[٥٢٠] ويرد اسمه في كتاب *تثقيف التعريف* لابن ناظر الجيش بوصفه واحدا من الأمراء العقيليين الذين تمتعوا بعلاقة دبلوماسية وطيدة مع المماليك.[٥٢١]

والشاعر العقيلي الثاني هو هلال بن أبي الحسين العامري العقيلي الذي قابل أيضا ابن فضل الله العمري وأسمعه بعض قصائده على حد ذكر ابن حجر العسقلاني. وأبياته الموثقة قليلة، يتخللها ذكر اسم محبوبته أم سليم. وعلى غرار ابن عمه سابق الذكر، عمل هلال في تصدير الخيول العربية إلى السلطان المملوكي الناصر بن محمد بن قلاوون.[٥٢٢] وربما كان هو وابن عمه قادة قوافل.

علاوة على ما سبق، تتضمن الطبعات المنشورة حديثا لمخطوطات الشعر العربي النبطي بعض أعمال شاعر يدعى حمزة العامري الذي يعد، وفقا للأنثربولوجي سعد الصويّان، أقدم شاعر نبطي معروف في الجزيرة العربية (يجب عدم الخلط هنا مع اللغة النبطية أو الأنباط، فالمقصود هو الشعر المنظوم باللهجات العربية المحكية). وتحيل بعض أبيات حمزة إلى الفترة التي عاش فيها، فقد امتدح شريف المدينة (٧٢٥-٧٢٨هـ/ ١٣٢٥-١٣٢٨م) كبش [كُبَيش] بن منصور بن جماز بن شيحة بن هشام بن قاسم بن مهنا. ويشير الشاعر أيضا إلى إقامته في نجد، ما يؤكد وجود علاقة بين الحجاز ونجد. ولا

---

(٥٢٠) ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، ج٤، ص٣١٤؛ سلطان سعد القحطاني، «الشعر في شرق الجزيرة العربية: دراسة في الحركة الشعرية من بعد الدولة العيونية إلى نهاية القرن ١٢ هـ-١٩ م»، في: أحمد قدور (إعداد)، *دورة علي بن المقرب العيوني: أبحاث الندوة ووقائعها*، ص٣٢٥-٣٢٧.

(٥٢١) انظر الفصل الرابع.

(٥٢٢) ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، ج٦، ص١٧١-١٧٢.

يمكننا استخلاص معلومات تاريخية أخرى مهمة من شعر حمزة كما قدمه لنا الصويّان لأن معظمه من شعر الغزل المكرس لمحبوبته أميمة.(٥٢٣)

٧ – العلاقة بين شعراء البحرين والأمراء العيونيين

كما لاحظنا أعلاه، إن ندرة المعلومات المتعلقة بالأدباء والشعراء تحرمنا من بلوغ فهم يقيني لطبيعة العلاقة التي ربطتهم بالأمراء العيونيين. لكننا نستطيع، بما يتوفر لدينا من معطيات قليلة متناثرة، تسليط الضوء على جانب من هذه العلاقة التي تبدو معقدة. وثمة مظاهر مشتركة بين هؤلاء الشعراء البحرينيين والأدباء هي السجن ومصادرة الأملاك والهجرة من الإقليم. فقد تعرض الحسن بن ثابت والمقرب بن ضبار العيوني وابنه علي بن المقرب للسجن وصودرت أملاكهم. وهاجر الشعراء العبدي والإربلي وابن المقرب من البلاد، وكان شعرهم شاهدا على موقفهم الغاضب من سياسة حكامهم وأحيانا المجتمع. فانتقد العبدي القطيف في شعره بعد أن غادرها إلى العراق، فيما عبر ابن المقرب عن إحباطه من الأمراء العيونيين بسبب سياساتهم غير الحكيمة، ومستشاري الأمراء الذين اتهمهم بعدم الولاء للإمارة، والبدو الذين اعتقد أنهم المهيمن والحاكم الفعلي للبلاد. وثمة شعراء تمتعوا بعلاقة طيبة بالحكام، كالمؤمل الذي تظهر المعلومة الوحيدة عنه أنه حافظ على علاقة طيبة بالأمير الحسن.

وفي المقابل، لقي الشعراء العراقيون حفاوة لدى الأمراء العيونيين الذين اتخذوا مجلسا وأكرموا المداحين منهم، كالتغلبي الذي مدح الأمير أبا سنان محمد بن الفضل ومن ثم عزيز بن الفضل،(٥٢٤) والشاعرين علي بن محمد

---

(٥٢٣) سعد الصويّان، *الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص* (الرياض: د.ن، ١٤٢١هـ[٢٠٠٠م])، ص٢٣٨، ٢٥٥-٣٤٤.

(٥٢٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص١٠٠٢-١٠٠٣.

بن علي التميمي العنبري (توفي ١١٢٨م) وحسام الدولة محمد بن مغيث الحنفي اللذين مدحا أيضا الأمير أبا سنان محمد بن الفضل.[٥٢٥] وبالطبع، لم ينتقد هؤلاء المداحون الأمراء كما فعل بعض الشعراء البحرينيين. وقد لقي المداحون العراقيون استقبالا ممتازا لمساهمتهم على الأرجح في تعزيز مكانة الأمراء في عيون رعيتهم.

قد تعكس سياسة الكيل بمكيالين التي تبناها الأمراء العيونيون في معاملتهم للشعراء الخارجيين والمحليين رغبتهم في تثبيط الأنشطة الثقافية في البحرين. ولعل هذه السياسة ناجمة عن هشاشة حكمهم ونزاعهم المستمر مع أعضاء الأسرة الحاكمة والبدو. ولهذا ربما لم يتجرأ الأمراء العيونيون على المخاطرة بتأسيس، أو السماح بنمو، قوة منافسة إضافية يمثلها الشعراء والكتاب والعلماء المؤثرين في الإقليم. وأدى هذا التثبيط للأنشطة العلمية إلى إبقاء البحرين إقليما قليل الأهمية في حقل التعليم والبحث والإنتاج العلمي، وهو ما قد يفسر الهجرة المتكررة للشعراء البحرينيين من الإقليم إلى العراق ومناطق أخرى مركزية. وتعكس هذه الظاهرة البعد الثقافي والفكري لمنزلة البحرين كمنطقة طرفية.

٨ - خاتمة الفصل السادس

جرى توثيق التراث الأدبي في البحرين بواسطة مصادر من تلك الفترة مثل شرح *ديوان علي بن المقرب* و*خريدة القصر وجريدة العصر* للإصفهاني وتكملته، وبعض المصادر المملوكية لابن فضل الله العمري وابن حجر العسقلاني، إضافة إلى مخطوطات الشعر النبطي المدون حديثا. تقدم هذه

(٥٢٥) ابن النجار البغدادي، *ذيل تاريخ بغداد*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١٩، ص٧-٩؛ عماد الدين الإصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر*، ج٢، فقرة ٤، ص٧٠٨.

المصادر معلومات حول عدد من الكتاب والأدباء، والشعراء البحرينيين، والشعراء العراقيين الذين زاروا البلاط العيوني. وقد نال ابن المقرب حصة الأسد في مناقشتنا.

يبين تحليل المعلومات القليلة المتعلقة بشعراء البحرين والشعراء العراقيين الذي زارو هذا الإقليم أن الأمراء العيونيين اتخذوا موقفا عدائيا من الشعراء المحليين والأدباء في دولتهم. تعرض بعض الشعراء البحرينيين، ممن نمتلك معلومات حولهم، للسجن وفر آخرون كُثر من الإقليم. في المقابل، استقبل الأمراء العيونيون في مجالسهم عددا من الشعراء العراقيين ببالغ الحفاوة والكرم. ولعل التفسير المحتمل لهذا التناقض الجلي هو التنافس المستمر بين الأمراء والبدو: لم تكن البيئة السياسية مناسبة لتشجيع الأنشطة العلمية والثقافية وتمويلها، كالشعر والدين، اللذين ربما شكلا منافسا سياسيا إضافيا لحكمهم غير المستقر. وقد يفسر هذا الوضع أسبابَ سجن الشعراء البحرينيين والترحيب بالمداحين العراقيين. وبناء على ما تقدم، يبدو أن البحرين أنتج أدبا قليلا وكان إقليما غير ملائم لازدهار العلم. وهكذا بقي منطقة طرفية وهامشية على المستوى الفكري والثقافي في الشرق الأدنى.

الفصل السابع
الطوائف الدينية في بلاد البحرين
(حوالي ١٠٥٠-١٤٠٠م)

١ - مقدمة

يبحث هذا الفصل في الطوائف الدينية في إقليم البحرين في ظل إمارة آل الزجاج والعيونيين والعقيليين والسلغوريين والمغول والطيبيين والهرمزيين في الفترة حوالي ١٠٥٠-١٤٠٠م. نعتمد في موضوعنا على المصادر الكتابية والأثرية، فهي تزودنا بمنظورين: تكشف المصادر الكتابية عن مزيد من المعطيات حول معتقدات الناس العاديين وممارساتهم، فيما توفر المصادر الأثرية معلومات إضافية عن الانتماء الديني لأصحاب السلطة.

يظهر تقييمُ المصادر الكتابية المتمثلة بكتب الرحلات والموسوعات الجغرافية أن الرحالة، مثل الإدريسي (توفي ١١٦٦م) وياقوت (١٢٢٩م) وابن مجاور (١٢٩١م) وابن بطوطة (١٣٧٧م)، تحاشوا الكتابة عن حكام البحرين وموظفيه. وركزوا، في المقابل، على الناس العاديين الذين وُصِفوا بالشيعة مع تقديم تصنيفات مختلفة، مثل «بلاد القرامطة» (الإدريسي)، «روافض سبّائيين» (ياقوت)، «إمامية» (ابن مجاور)، «رافضية غلاة» (ابن بطوطة).[٥٢٦]

(٥٢٦) الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ج١، ص٦٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٤، ص١٥٠؛ يوسف بن مجاور، *تاريخ المستبصر*، تحقيق م .دي خويه (لايدن: بريل، ١٩٥١-١٩٥٤)، ص٣٠١؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ج١، ص٢١٠. يستخدم السنة مصطلح رافضة/ روافض/ رافضية لوصف الشيعة الذين يعتقدون بعدم شرعية أبي بكر وعمر وعثمان. انظر: =

وتكمن المشكلة الأولى هنا في أنه من غير المؤكد فيما إذا زار هؤلاء الرحالة البحرين شخصيا وأسهبوا حول مشاهداتهم، باستثناء ابن بطوطة الذي زار القطيف وقدم وصفا خاصا لشكل شيعي للأذان. وقد ارتكب الإدريسي خطأً جغرافيا في وصفه للأحساء كمدينة مطلة على الخليج لا مدينة داخلية. ولم يزر ياقوت البحرين، بل جزيرة قيس وعمان، وربما استقى معلوماته حول البحرين من هناك. وبالغ ابن مجاور في عدد قرى جزيرة أوال الصغيرة، فادعى أن الرقم الإجمالي يبلغ ٣٦٠.

أما المشكلة الثانية مع هذه المصادر فتتعلق بالتصور التقليدي الذي يرى أن الإقليم كان مأهولا بالقرامطة لا غير. استمرت هذه الصورة التنميطية في المؤلفات التاريخية ومعاجم التراجم حتى القرن الخامس عشر، على الرغم من سقوط القرامطة في منتصف القرن الحادي عشر.[٥٢٧] على سبيل المثال، كتب ابن سعيد المغربي في القرن الثالث عشر أن أوال كانت مأهولة ببقايا القرامطة. وفي أواخر القرن الخامس عشر نقل محمد الحميري (توفي ١٤٩٥م) عن الإدريسي (توفي ١١٦٦م) حرفيا فوَصف أوال والأحساء ببلاد القرامطة من دون تحديث معطياته.[٥٢٨] لذا لا بد من توخي الحذر عند

= W. Montgomery Watt, 'The Rāfiḍites: 'A Preliminary Study' *Oriens* 16 (1963): 110-121; Etan Kohlberg, 'The Term "Rāfida" in Imāmī Shīʿī Usage' *Journal of the American Oriental Society* 99, 4 (1979): 677-679.

(٥٢٧) يحتفل ابن المقرب بهزيمة القرامطة الذين يعدهم غير مؤمنين وزنادقة. انظر: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٣٩-٩٤٣. ويقول في بعض أبياته:

سل القرامط من شظى جماجمهم	فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا	شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
وما بنوا لله مسجدا نعرفه	بل كل ما أدركوه قائما هدما
حتى حمينا على الإسلام	وانتدبت منا فوارس نجلوا الكرب والظلما

(٥٢٨) محمد الحميري، *الروض المعطار في أخبار الأقطار*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠)، ج١، ص١٤.

التعامل مع تقارير المؤرخين. ومع ذلك، فأنا لا أرفض التقارير التي قدمها الرحالة وأعتقد أن علينا القبول بأن التيارات الشيعية في البحرين في الفترة من القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي انتشرت بين الطبقات الشعبية، خصوصا الفلاحين، وتمثل هذه التيارات الإسماعيلية والتشيع المتشدد غير المؤصل علميا الذي يعطى تسمية القرمطية، والاثنتان اضمحلتا نهاية القرن الثاني عشر مع بدء انتشار شكل بدائي غير واضح المعالم للمذهب الاثني عشري ربما تبناه بعض الأمراء. ويبدو أن المذاهب السنية كانت ممثلة بشكل كبير من قبل النخبة الحاكمة، وبعض سكان الواحات، والبدو. فقد ظهر المذهب السني مع آل الزجاج في خمسينيات القرن الحادي عشر، ومع يحيى بن عياش أمير القطيف وعبدالله العيوني اللذين اتفقا مع ممثلي السلاجقة على إقامة الخطبة للخليفة العباسي، ثم المذهب الشافعي مع السلغوريين في ثلاثينيات القرن الثالث عشر.

ستعتمد مناقشتنا للمذاهب السنية في البحرين على الدليل الأثري والمصادر الكتابية لتلك الفترة، مثل *مرآة الزمان* و شرح *ديوان ابن المقرب* و*فتاوى ابن تيمية* (توفي ١٣٢٨م). إن قراءة سياقية لتاريخ أوال والقطيف في ظل الدول السنية الشافعية المتعاقبة، كالسلغوريين والهرمزيين لما يزيد على قرن ونصف من الزمن، توضح هذه المسألة. في الواقع، لم ينل موضوع السنة في البحرين حقه من النقاش في الدراسات الحديثة.

يتنامى سجال ساخن ومحوري فعلا بين عدد من المؤرخين الحديثين للإمارة العيونية ومحققي شرح *ديوان* ومفسريه، يتعلق بهوية ابن المقرب الدينية، ويطال مسألة الدين في شرقي الجزيرة العربية وأوال. لقد تعزز هذا السجال مع التطورات السياسية الأخيرة في الخليج، كالثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م ونتائجها، وقضية الشيعة في المنطقة الشرقية للملكة العربية السعودية والبحرين، والطائفية بين السنة والشيعة في دول الخليج العربي وامتداد هذه

المشكلة إلى العراق. وهكذا برزت منافسة لإعادة كتابة الماضي المذهبي للإقليم في مجالات عدة، مثل الكتب والمقالات الأكاديمية وغير الأكاديمية، والمقالات الصحفية، والمؤتمرات، ومنتديات الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، والبرامج التلفزيونية والإذاعية.

يجادل بعض المؤرخين المعاصرين، ممن يقدومون أنفسهم سُنّة، بأن الشيعية الاثني عشرية ليس لديها تاريخ طويل في الإقليم، فيزعمون أنها انتشرت فقط في الفترة الصفوية (١٦٠٢-١٧١٧م) ومؤخرا مع هجرة وتجنيس الإيرانيين والأهوازيين والشيعة العراقيين.[٥٢٩] وفي المقابل، يؤكد المؤرخون المعارضون، ممن يقدمون أنفسهم شيعة، على أن أصول سكان البحرين كمشايعين لعلي بن أبي طالب تعود إلى حياة الرسول. ويرون أن الرسول بعث سفراء إلى حكام البحرين ممن كانوا أصدقاء علي بن أبي طالب، كما يصرون على أن عدد السكان السنة بدأ بالتزايد فقط مع تأسيس الإمارة الجبرية المالكية في منتصف القرن الخامس عشر، حيث جاء حكامها من الحجاز ونجد، وأنه تعزز مع الهجرات الحديثة والتجنيس.[٥٣٠]

في واقع الأمر، لقد تناول الطرفان المسألة بضيق أفق، متجاهلين عمدا الكثير من مؤشرات التعايش بين العديد من الطوائف على مختلف الأصعدة. سنحاول في الأقسام أدناه مناقشة الطوائف التي تعايشت في الإقليم.

(٥٢٩) عبد العزيز البداح، *التشيع في البحرين: تاريخه، أهدافه* (د.م: د.ن، ٢٠١١)، ص٤٣-٨٦؛ حسن الشيخي، «أكاذيب شيعة البحرين»، مدونة الشيخي، ٢ مايو، ٢٠١١: http://alshiakhi.blogspot.co.uk/2011/05/1.html؛ حسن الشيخي، «أكاذيب شيعة البحرين -٢ أكذوبة الغالبية»، مدونة الشيخي، ٢ مايو، ٢٠١١: http://alshiakhi.blogspot.co.uk/2011/05/2.html

(٥٣٠) علي البلادي، *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين*، ص٢٠-٣٩؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج٣، ص٢٠٥؛ وحول الجبريين، انظر: عبد اللطيف الحميدان، «التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق شبه الجزيرة العربية»، *مجلة كلية الآداب* جامعة البصرة ١٦ (١٩٨٠)، ص٣١-١٠٩؛ وكذلك:

G. Rentz, 'Djabrids' in EI2.

٢ - السنة

توجد المعلومات الأقدم حول المذهب السني في البحرين في الفترة قيد الدراسة في كتاب *مرآة الزمان* لسبط بن الجوزي (توفي ١٢٥٧م) الذي استشهد بغرس النعمة محمد بن هلال الصابئ (توفي ١٠٨٧م). عاد المذهب السني إلى الظهور في أوال في خمسينيات القرن الحادي عشر مع الأمير العوام بن محمد الذي أطاح بالقرامطة في جزيرة أوال. وتوطد حضور السنة لاحقا مع الدول الإيرانية التي حكمت أوال والقطيف منذ ثلاثينيات القرن الثالث عشر الميلادي.

على الرغم من تناولنا ثورة العوام على القرامطة في الفصل الثاني، إلا أننا سنعيد النظر في جانبها الديني هنا. كتب غرس النعمة وسبط بن الجوزي أن سكان أوال التي كانت خاضعة للقرامطة ثاروا ونصّبوا أبا البهلول عزام [عوّام] بن محمد بن يوسف الزجاج. فاستوزر أخاه وخطب للخليفة العباسي القائم. وقد كتب سبط بن الجوزي بإيجاز حول المعركة بين جيش أبي البهلول والقرامطة، لكنه أسقط الرسالة التي وجهها أبو البهلول إلى الخليفة بعد تأسيس إمارته. يقول ابن الجوزي: «واستوزر [أبو البهلول] أخاه الوليد، وكتب إلى بغداد بالفتح، وشرح الحال إلى أبي منصور بن يوسف».[٥٣١] وكان أبو منصور هذا شخصية مرموقة في بغداد، متصدقا ثريا ومقربا من علماء الحنابلة، عمل مستشارا عند الخلفاء والأمراء. ويبدو أنه لعب دور وسيط بين ثوار أوال وديوان رسائل الخلافة. وتوفي عام ١٠٦٨ م.[٥٣٢]

وربما تمكن مصدرنا من القرن الثالث عشر، شرح *ديوان*، من الوصول إلى كتاب غرس النعمة، إذ يستشهد برسالة أبي البهلول التي تقدم تفاصيل

(٥٣١) يوسف سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان*، ج١٩، ص١٨٧.

(٥٣٢) يوسف سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان*، ج١٩، ص٢٠٤-٢٠٦.

محدودة حول أتباعه السنة. كتب مؤلف *شرح ديوان* المجهول أن أبا البهلول كان ضامن خراج أوال. وكان له أخ تقي من المتظاهرين بالسنن (من مُتّبعي سنن الرسول) خطيب اسمه أبو الوليد. وفي الرسالة يصف أبو البهلول قبيلته بأنها كانت تؤمن بالإسلام وتؤيد الخلفاء الراشدين والعباسيين حتى ظهور القرامطة. وهو يشتم القرامطة ويتهمهم بتغيير تقاليدهم السنية. ويقول إن المسلمين [الحقيقيين؟] تعرضوا للاضطهاد على يد القرامطة الكفار، إلا أن سكان أوال ما زالوا متمسكين بدينهم. ثم يذكر أبو البهلول أنه بمجرد أن استشعر ضعف القرامطة قرر الثورة لاستعادة الولاء للخلافة العباسية والالتزام بالدعوة الهاشمية. ويضيف أن قبيلته اتبعت أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة وبأنهم بنوا المسجد الوحيد في الجزيرة، حيث أقيمت الصلوات يوميا وجُعِلت الخطبة للخليفة العباسي القائم. ويعلن في نهاية الرسالة أنه تكلم مع الشيخ أبي يعلى ظافر بن علي الرحبي الذي كان حاضرا في أوال وعاين وضعهم.[٥٣٣] وعليه، كان المذهب السني/ الحنفي موجودا في أوال في خمسينيات القرن الحادي عشر الميلادي، وكان أبو الوليد الزجاج إمام صلاة وخطيبا سنيا. ومن المرجح أن جماعة سنية من التجار والعمال وصيادي اللؤلؤ صارت جزءا من تركيبة أوال الدينية وربما تركيبة مدن بحرينية أخرى. وحتى الجماعة الحنفية قد تكون استمرت آنذاك.

إن المعلومات التي لدينا حول السنة في فترة الإمارة العيونية (١٠٧٧-١٢٣٦م) قليلة. ولعل أهمها هي أن مؤسس الإمارة عبد الله بن علي العيوني اتفق مع ممثلي السلاجقة على تقديم الولاء للخلافة والسلطنة السلجوقية فيما لو نجحت ثورته. وبالفعل، فأول ما قام به بعد الإطاحة بالقرامطة كان الخطبة للخلافة العباسية في الأحساء، وهو أمر يتنافى مع أساس المذهب الشيعي الذي ينص على ضرورة الاعتراف بسلالة علي أئمة دينيين وسياسيين، ويصعب القول

(٥٣٣) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص٩٨٨-٩٩٦.

إن العيوني كان يطبق مبدأ التقية، فقد كان منتصرا وفاتحا، وفاق أتباعه في بلده التركمان السنة عدداً.(٥٣٤) بالإضافة إلى ذلك، فإن المذهب الإثني عشري في ذلك التاريخ لم يُجِز إقامة صلاة الجمعة بدعوى انتظار المهدي في آخر الزمان.

ولكننا نجد مع الأمير الحسن بن عبد الله بن علي العيوني أن مذهب بعض الأمراء أخذ منعطفا نحو التشيع، حيث تجلى هذا التوجه في الشعار الشيعي الذي سُكّ على النقود الخاصة بالحسن، وهو شعار «علي ولي والله». وقد ناقشنا هذه النقود في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

من المرجح أن المذهب الشافعي وجد طريقه إلى البحرين كذلك، ربما ابتداء بأتابكة فارس السلغوريين الذين حكموا أوال والقطيف من ١٢٣٦ إلى ١٢٨٢م، ولا بد أنهم أحضروا موظفيهم وكوادرهم وجنودهم الشافعية، فاستوطن كثير منهم أوال والقطيف.(٥٣٥) وكانت العديد من مدن إيران شافعية في المقام الأول، مثل شيراز ويزد وتبريز وأردبيل وبشكين وإصفهان وقزوين وبهار وسنجان ومزدقان وجربذقان وأهار ونخجوان كما يذكر حمد الله مستوفي قزويني (توفي ١٣٤٠) في القسم الجغرافي من كتابه *نزهة القلوب*.(٥٣٦) وقد وُصِف الأتابك أبو بكر بن سعد بالسني الورع الذي عمل على رعاية عدد من العلماء، وتفيد التقارير بأنه قام ببناء وتجديد المساجد

---

(٥٣٤) مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ص ٩٦٠-٩٦٧.

(٥٣٥) حول الشافعية والعلم في شيراز، انظر:

John Limbert, *Shiraz in the Age of Hafez: The Glory of a Medieval Persian City* (Seattle: University of Washington Press, 2004), 89-119, 123;

وانظر كذلك: محمد موسى هنداوي، *سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية: عصره، حياته، ديوانه البستان* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥١)، ص١٣٦-١٤٢.

(536) Ḥamdullāh Muswafī Qazwīnī, *The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub*, ed. G. Le Strange (Leiden: E. J. Brill Imprimerie Orientale, 1919), 67, 68, 72, 77, 80, 84, 85, 86, 90, 113.

والأضرحة والمدارس في فارس. وعمل قضاة شافعيون كثر في دولته، كان الأكثر أهمية بينهم مجموعة من القضاة الرؤساء: إسماعيل بن يحيى بن تِكروز (حوالي ١٢٦٣-١٣٥٥م)،[٥٣٧] وسعيد جمال الدين أبو بكر مصري، والعالم الشافعي المشهور أبو القاسم عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (توفي ١٢٩٢م) الذي وضع عددا من الكتب في الفقه الشافعي وأصول الفقه وتفسير القرآن والتاريخ. ومن مؤلفاته *نظام التواريخ*، وهو مصدر للمعلومات عن السلغوريين.[٥٣٨] بنى الأتابك أبو بكر بن سعد في شيراز ضريح الفقيه والمتصوف الشافعي الشيخ الكبير أبي عبد الله الكفيف الشيرازي.[٥٣٩]

وربما طالت إصلاحات أبي بكر ورعايته الدينية الأراضي التابعة له، بما في ذلك أوال والقطيف. وبما أن هاتين المدينتين خدمتا كمحطتين في شبكته للتجارة والنقل، فكان لا بد إذاً من القضاة لفض النزاعات بين التجار والسكان المحليين. ولعل فارس زودت أوال والقطيف بالقضاة الشافعيين. علاوة على ذلك، ربما كان الجنود والموظفون الذين أداروا أوال والقطيف فعليا لصالح أتابك فارس من أتباع مدرسته السنية ذاتها.

يبدو أن السنة في الأحساء وقراها افتقروا إلى العلماء، ومع ذلك كان لهم مناقشاتهم الداخلية بخصوص المسائل الشرعية والعقائدية، كصلاة الجمعة وإمكانية رؤية غير المسلمين الله في الحياة الآخرة. ويروى أنهم

---

(٥٣٧) تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق محمد الطناحي وعبد اللطيف الحلو (القاهرة: فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤)، ج٩، ص٤٠٠-٤٠٣؛ وانظر قائمة العلماء في:
John Limbert, *Shiraz in the Age of Hafez*, 108-111.

(٥٣٨) تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ج٨، ص١٥٧-١٥٨؛ وانظر: ناصر الدين البيضاوي، *نظام التواريخ*، ص١٢٣-١٢٥.

(٥٣٩) للمزيد من التفاصيل حول الحكم السلغوري للقطيف وأوال، انظر الفصل الرابع.

أرسلوا الموفدين والرسائل إلى علماء الشام والعراق. فقد استقبل الإمام الحنبلي البارز أحمد بن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨م) في دمشق وفدا من بلاد البحرين استفتاه في شؤون الممارسات والعقائد الدينية. فحمّل ابن تيمية الوفد البحريني رسالة تخاطب السنة المقيمين في قرى البحرين الذي كانوا محاطين - كما توضح الرسالة - ببدو غير ملتزمين دينيا. أوصاهم ابن تيمية بإقامة صلاة الجمعة وحثهم على نبذ خلافاتهم والاتحاد.[٥٤٠] وربما كان هذا الوفد مكونا من تجار بني عقيل الذين تحدثنا عنهم في الفصل الخامس.

كان المغول مرحبا بهم من قبل علماء الاثني عشرية على عكس السنة الذين رأوا فيهم العدو الذي أسقط خلافتهم السنية، فتولى الاثنا عشرية العديد من المناصب في الإيلخانية، وكان أهمهم عطا ملك الجويني وأخوه، بالإضافة إلى نصير الدين الطوسي. وعندما وقعت الحرب بين المغول والمماليك، ساند العقيليون في البحرين المماليك، وقد يكون لهذا علاقة بمذهبهم السني. وهو أمر زادت رجاحته بسبب استفتائهم لابن تيمية في دمشق، الذي كان مؤيدا معروفا للماليك، ومحاربا للمغول، حيث شارك ضدهم في معركة شقحب (٧٠٢ هـ/ ١٣٠٣م) التي وقعت في عهد الحليف القوي للعقيليين، السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون.

سجّل العالم الشافعي شمس الدين الذهبي (١٢٧٤-١٣٤٨م) في كتابه *الأمصار ذوات الآثار* الأقاليم التي افتقرت إلى علماء الحديث في زمانه وتلك التي خلت منهم تماما. وقد أدرج البحرين بينها.[٥٤١]

(٥٤٠) أحمد بن تيمية، مجموع *فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم (المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤)، ج٦، ص٤٨٥-٥٠٦، ج٢٤، ص١٦٣-١٦٧.

(٥٤١) شمس الدين الذهبي، *الأمصار ذوات الآثار*، تحقيق قاسم سعد (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦)، ص٢٢٦-٢٣٠.

وثمة دليل أثري محتمل حول حضور المذهب السني في فترة حكم سلالة الطيبي لأوال: نقش شاهد أساس بناء المئذنة الثانية في مسجد الخميس في أوال عام ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٤ م. ويتخلله لقب «محيي الجهاد» الذي استخدم على الأرجح من قبل حاكم سني. فالجهاد لم يكن ضمن تعاليم الشيعة الاثني عشرية في ذلك الوقت، نظرا لكونهم يعيشون في زمن «الغيبة الكبرى».[٥٤٢]

ويشير دليل أثري من فترة ممكلة هرمز إلى أن مسجدا كان قد بُني بأمر من الملك تهمتن الثاني (توفي ١٣٧٧) في القطيف، ولم يبق منه إلا شاهد أساس البناء فقط، وهو موجود في متحف الدمام بالمملكة العربية السعودية.[٥٤٣] وكما بينا أعلاه، نجح الملك الهرمزي تهمتن الثاني في احتلال أوال والقطيف حوالي ١٣٣٥م. وحكم خلفاؤه المدينتين كليهما حتى سبعينيات القرن الخامس عشر، حين أعطي حكم أوال للجبريين السنة المالكيين لإقامة تحالف. ووصف ابن بطوطة تهمتن الثاني بالسني الذي حكم أغلبية إباضية في عمان.[٥٤٤] وكتب بيدرو تيشيرا نقلا عن كتاب *شاهنامه* للمؤرخ توران شاه أن ملك هرمز كان سنيا على الرغم من وجود بعض الشيعة في جزيرة هرمز.[٥٤٥] وأضاف تيشيرا أيضا أن مملكة هرمز جندت خريجي مدارس شيراز لإدارة الدولة كوزراء وأمناء خزينة.[٥٤٦] ولا تحدد مصادرنا المذهب الفقهي السني الذي ساد في هذه المملكة، لكننا نرجح المذهب الشافعي لانتشاره في بلاد فارس. وكما

(٥٤٢) انظر الفصل الخامس، وكذلك:

Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 27.

(٥٤٣) انظر الفصل الخامس.

(٥٤٤) ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ج١، ص٢٠٣.

(545) Pedro Teixiera, *The Travels of Pedro Teixiera*, 168.

(546) Pedro Teixiera, *The Travels of Pedro Teixiera*, 185;

وكذلك: أحمد جلال التدمري وإبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، ص١٤٣.

هو الحال مع فترة حكم السلغوريين، ربما عززت السيطرة الهرمزية على أوال والقطيف الممارسة الشافعية من خلال جماعة النخب الحاكمة، كالموظفين والإداريين والقضاة والجنود الهرمزيين الذين ربما رافقتهم أُسَرهم. ونعرف أحد هؤلاء النخبة بالاسم واللقب: المعظم صاحب خواجة جمال الدين علي بن منصور بن محمود كردزيد الذي ربما كان حاكم أوال الهرمزي في عهد توران شاه بن تهمتن (١٣٤٦-١٣٧٧م)، والذي جدد مسجد الخميس وتبرع بالكثير من ممتلكاته كأوقاف. وقد سجل شروط الوقف على نقش حجري مؤرخ في عام ١٣٧٤ م. ويتخلل أحكامه أمرٌ برعاية من يحضرون صلاة الجمعة ويتلون القرآن في رمضان وتقديم التمور لهم. ولعله كان يسعى بذلك إلى تأسيس مدرسة قرب المسجد أو ضمنه. وقد تطرقنا للطابع السياسي للنقش في فصل سابق.[٥٤٧] أما حاكم القطيف الثاني الذي عينه تهمتن الثاني فكان المُكرّم كمال الدولة والدين عبد الرحيم بن إسماعيل. ونُقش اسماهما على شاهد أساس بناء المسجد الواقع في مقبرة الحباكة في القطيف.[٥٤٨]

٣ - الإسماعيلية/ القرامطة

بحسب المصادر العباسية المعادية للدولة الجانبية القرمطية في البحرين، وصلت الإسماعيلية، أو فرع منها يختلف عن إسماعيلية الفاطميين، إلى الإقليم على يد مجموعة من الدعاة، كأبي زكريا الطمامي وحمدان قرمط وأبي سعيد الجنّابي مؤسس الدولة القرمطية عام ٨٩٩ م. ولم تكن عقيدتهم على انسجام تام مع السلطة المركزية للإسماعيليين والخلافة الفاطمية لاحقا، ربما بسبب علاقتهم السياسية المضطربة والمتعارضة أحيانا، وبسبب عدم

(547) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 28-30.

(٥٤٨) محمود الهاجري، «شاهد أساس بناء مسجد بالقطيف: القطيف في القرن الثامن الهجري»، مجلة *الواحة* ١٨ (٢٠١١). تاريخ الوصول ٢٠/ ١/ ٢٠١٥:
http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=844

اتفاقهم على هوية المهدي المنتظر.[٥٤٩] لا نعرف سوى القليل عن القرمطية البحرينية كعقيدة لأن معظم المعلومات حولها مستمدة من معاديهم من العلماء ومؤرخي الدولة العباسية الذين كانوا يعملون في دواوين الإنشاء. ووفقا لفرهاد دفتري الذي عدهم فرقة إسماعيلية بحق، آمن القرامطة بسبعة أئمة، بدءا بعلي بن أبي طالب وانتهاء بالإمام محمد بن إسماعيل الذي توقعوا عودته كمهدي ورسول جديد ينهي دور الإسلام ويعلن الحقيقة الباطنية للأديان السابقة. لكن عندما أعلن القائد الإسماعلي عبد الله (أو عبيد الله) نفسه مهديا عوضا عن محمد بن إسماعيل عام ٨٩٩ م ثار عليه القرامطة، بما فيهم جماعة البحرين، وانفصلوا سياسيا ودينيا.[٥٥٠]

وبحسب المصادر العباسية المعادية أيضا، أعلن أبو طاهر الجنّابي عام ٩٣١ م أن رجلا فارسيا قدم من إصفهان إلى الأحساء هو المهدي المنتظر. ونقل السلطة السياسية إليه، فأعلن الإصفهاني انتهاء الإسلام كسلطة دينية وعقيدة وبدء مرحلة جديدة. ويروى أن المهدي الجديد شرع في ممارسات وطقوس دينية هدامة. إذ أمر، على سبيل المثال، بشتم النبي محمد وجميع الأنبياء الآخرين، وحرق الكتب المقدسة، وعبادة النار. أصيب أبو طاهر بخيبة الأمل وقتل المهدي المزعوم، الذي أقر باحتياله، بعد ثمانين يوما. عاد القرامطة حينها إلى معتقداتهم السابقة واعترفوا بالمهدي المستتر (محمد بن إسماعيل).[٥٥١] إلا

(549) Bernard Lewis, *The Origins of Ismāʿīlism: A Study of the Historical Background of the Fāṭimid Caliphate* (Cambridge: W. Heffer & sons, ltd, 1940), 76-89.

(550) Farhad Daftary, ‘Carmatians’, *Encyclopaedia Iranica*.

(551) Farhad Daftary, *The Ismaʿilis: Their History and Doctrines*, second edition, 150, 161-162; Istvan Hajnal, ‘The pseudo-Mahdī intermezzo of the Qarāmiṭa in Baḥrayn’ in *Proceedings of the Arabic and Islamic Sections of the 35th International Congress of Asian and North African Studies (ICANAS)*. Part One, ed. K. Dévényi, T. Iványi (1998): 187-201.

أن هذا التوصيف لمذهب القرامطة مشكوك فيه، لأن القرامطة أحدثوا تغييرات كثيرة في مواقفهم، منها أنهم تصالحوا مع العباسيين وأقاموا الخطبة للخليفة العباسي واعترفوا بشرعيته، وهذا يناقض الإيمان بالمذهب الإسماعيلي. علينا أن نعترف بأن مذهب القرامطة في البحرين في غاية الغموض. ويبدو لي أننا نحمل الأمر فوق ما يحتمل، ولا يلزم أن يكون للجنابيين مذهب مؤصل. فقد تكون لهم ميول شيعية فقط دون التزام بطقوس وشعائر.

لم تكن الممارسة الدينية من اهتمامات القرامطة عند زيارة ناصر خسرو للأحساء، عام ١٠٥١م. ويذكر خسرو، الذي كان إسماعيليا، أن الصلاة والصيام كانا محظورين وأن أهل الإحساء قد لُقّنوا القول إنهم على مذهب أبي سعيد ويؤمنون بعودته كمخلص. ويذكر خسرو عدم وجود مسجد أو إقامة صلاة الجمعة.[٥٥٢] لكنه لم يأت على ذكر الإسماعيلية، ولا حتى على سبيل نفي ذلك عنهم.

وقد تعكس هذه اللامبالاة الدينية موقف الطبقة الحاكمة، لكنها لم تشمل جميع سكان البحرين بالضرورة. وعلى الأقل، ربما حافظ بعض سكان الإقليم على معتقداتهم في صنف من الإسلام المتداخل مع مبادئ القرمطية أو الإسماعيلية، وانتشر نسبياً لفترة قرن ونصف حتى اندلاع ثورات البحرين في أوال والقطيف والأحساء ١٠٥٨-١٠٧٧م. ويعلمنا مصدرانا، *مرآة الزمان* وشرح *ديوان*، أنه في عام ١٠٥٨م رفضت مجموعة من سكان أوال خطبة العوام بن محمد السُنّية للخليفة العباسي القائم في صلاة الجمعة وطالبت بجعل الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر عوضا عن ذلك.[٥٥٣] وهكذا، على الرغم من عدم إمكانية التوسع في هذا الموضوع في ظل نقص المصادر، يبدو لنا أن المذاهب

---

(٥٥٢) ناصر خسرو، *سفرنامه*، ص١٠٩-١١٠.

(٥٥٣) يوسف سبط بن الجوزي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج١٩، ص١٨٧؛ مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٨٣.

الإسماعيلة أو القرمطية بقيت حتى أواخر الفترة القرمطية أو استمرت بعد ذلك، فالأديان والمذاهب لا تضمحل عادة بشكل مفاجئ وتام، بل تدريجيا. ووفقا لتكهنات المحقق أحمد الأثري، ربما بقي الشاعر البحريني السكوني (كان على قيد الحياة عام ١١٥٩م) قرمطيا في الفترة الباكرة للإمارة العيونية.(٥٥٤)

٤ - الاثنا عشرية والاثنا عشرية الشعبوية

يعود الدليل الأقدم والأوضح حول حضور الجماعة الاثني عشرية في أوال - إن صح فعلا ولم يكن مزورا - إلى عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤-٢٥ م. وهو نقش شاهد أساس بناء مئذنة مسجد الخميس في أوال، حيث كتبت أسماء الرسول وفاطمة والأئمة الاثني عشر على التوالي.(٥٥٥) ويُسَمّى الإمام الثاني عشر بلقبه: الحجة. ونقرأ أيضا أن المئذنة بنيت في عهد محمد بن الفضل عام ١١٢٤/ ١١٢٥م بموجب أوامر موظف، أو ربما تاجر، يدعى معالي بن الحسن بن علي بن حماد.(٥٥٦)

وجاء الدليل الأثري الثاني من أوال كذلك. لقد اكتشفت الآثارية فينيتا بورتر عددا من الأختام والتمائم المنقوشة في «حي التجار أو السوق» في قلعة البحرين. وتعود هذه اللقى إلى القرن الرابع عشر الميلادي وتحمل أسماء الأئمة الاثني عشر مكتوبة باتجاه عكسي وبخط حاد الزوايا متصل الحروف. وعثرت في قبر من أطلال الزاوية الغربية للقلعة على حجر تعبد طيني «تربة» يحمل أسماء الأئمة الاثني عشر. توحي الكتابة على هذا الحجر بأن صناعته تعود إلى مدينة مشهد.(٥٥٧) وهو أمر يشير إلى احتمالين: إما سفر بحرينيين

(٥٥٤) عماد الدين الإصفهاني، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر*، ص٨٥١-٨٥٩.

(٥٥٥) لقد ناقشنا هذا الدليل في الفصل الثالث.

(556) Ludvik Kalus, *Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain*, 18-19.

(557) Venetia Porter, 'Arabic Inscriptions from Qal'at al-Bahrain Excavations', 201-207.

إلى مشهد أو طوس لزيارة ضريح الإمام الرضا (توفي ٨١٨م) أو ربما هجرة أناس من مشهد/ طوس إلى أوال. وقد تكون هذه القطعة إحدى البضائع التي صدرتها مشهد إلى البحرين. في الواقع، اقترحت إحدى الدراسات أن الأتابك أبا بكر بن سعد «كان له علاقات طويلة الأمد مع بلاد ما وراء النهر».[٥٥٨] ولعل السلعة وصلت إلى أوال عبر هذا الطريق الذي يمر بخراسان حيث مدينة طوس التي سميت لاحقا مشهد.

يوجد بضعة تقارير كتابية حول الإمامية والرافضية في كتب الرحلات لابن مجاور وابن بطوطة، نرى أن من الضروري مناقشتها بالنظر إلى استخدام المؤرخين الحاليين لها كأدلة على انتشار الاثني عشرية في البحرين. بموجب وصف الرحالة ابن مجاور، فإن جزيرة أوال، التي يسميها البحرين، كانت تضم ٣٦٠ قرية إمامية.[٥٥٩] ويمكننا تسجيل ملاحظتين حول هذا التقرير بشأن عدد القرى ومصطلح إمامي. أولا، يبدو أن الرقم ٣٦٠ مبالغ فيه. وعلى نحول مماثل، يقتبس المصدر الأقدم، *مرآة الزمان*، عن محمد بن هلال الصابئ الذي نقل بدوره عن فقيه اسمه أبو حفص الريحاني: «وقال محمد بن هلال الصابئ: حدثني أبو حفص الريحاني أحد المتفقهة حديث القرامطة، وكان قد اجتاز بهم [في بعض أسفاره]. قال: إن جزيرة أوال ثلاثة عشر فرسخا ضياعا ومزارع ونخيلا وأشجارا، ونَفَسُ البلد لطيف، وعدد قراه مئة وثلاثين قرية، منها قرية تشتمل على مئة وثلاثين مسجدا تسمى تُسْتَر».[٥٦٠] ويبدو هذا التقرير باطلا وزائفا، أولا لأن تستر تقع في غرب إيران، وثانيا لأن وجود مثل

(558) James Watt et al. ed., *When Silk was Gold: Central Asian and Chinese Textiles* (New York: Metropolitan Museum of Art, 1997), 135.

(٥٥٩) يوسف بن مجاور، *تاريخ المستبصر*، تحقيق م. دي. خويه (لايدن: بريل، ١٩٥١-١٩٥٤)، ص٣٠١.

(٥٦٠) يوسف سبط بن الجوزري، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج١٩، ص١٨٩.

هذا العدد من المساجد في قرية واحدة غير قابل للتصديق كليا. وفيما يخص مصطلح «إمامي»، لم يقتصر استخدامه في فترة ابن مجاور (مطلع القرن الثالث عشر الميلادي) على الاثني عشرية، بل شمل أيضا الإسماعيليين وأحيانا العباسيين. على سبيل المثال، وصف ابن خلدون (١٤٠٦م) إسماعيليي اليمن الصليحيين (القرن الحادي عشر) بممارسة الدعوة الإمامية.[٥٦١] كما استخدم التعبير كمصطلح جامع لكل الفرق الشيعية التي تؤمن بفكرة إمام منصوص عليه باستثناء الزيدية.[٥٦٢] وقد وصف الرحالة ابن جبير (١٢١٧م) بغداد بأنها حضرة الخلافة العباسية ومثابة الدعوة الإمامية القرَشية.[٥٦٣] بالإضافة إلى ذلك، يدرج عالم الفرق والمذاهب عبد القاهر البغدادي في كتابه *الفَرق بين الفِرَق* خمس عشرة فرقة شيعية لما يسميها إمامية، من بينها الإسماعيلية والاثنا عشرية.[٥٦٤] ولا نزعم بهذا أن ابن مجاور لم يقصد اعتناق سكان البحرين الاثني عشرية، إنما نريد أن نبين أنه ليس بمقدرونا التيقن، كما هو حال بعض المؤرخين المعاصرين، من مراده من هذا الوصف.

ويبين وصف ابن بطوطة للأذان في القطيف أنه كان مشابها لأذان الشيعة، لكن مع وجود بعض الاختلافات. إذ تضمن عبارات مثل «علي ولي الله» و «حي على خير العمل» و «محمد وعلي خير البشر ومن خالفهما فقد

---

(٥٦١) عبد الرحمن بن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، تحقيق خليل شهادة وسهيل زكار (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، ج٤، ص٢٧٥.

(٥٦٢) عبد الرحمن بن خلدون، *المقدمة*، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلا تاريخ)، ج٢، ص٥٨٧-٥٩٨. ويقول: «قد توصف الاثني عشرية بالإمامية، خاصة عند الكتاب اللاحقين».

(٥٦٣) محمد بن جبير، *رحلة ابن جبير* (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ)، ص١٩٣.

(٥٦٤) عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفِرَق*، تحقيق محمد عثمان الكشت (القاهرة: دار ابن سينا، بلا تاريخ)، ص٥٦.

كفر».[٥٦٥] وفيما يتعلق بعبارة «حي على خير العمل»، فإنها ترد في أذان الزيدية والإسماعيلية والشيعة الاثني عشرية. على سبيل المثال، أمر الفقيه الإسماعيلي أبو حنيفة النعمان المغربي (توفي ٩٧٤م)، مؤلف *دعائم الإسلام*، بتلاوة هذه العبارة لأنها – وفق اعتقاده- كانت تتلى في فترة الرسول وأبي بكر ومطلع خلافة عمر، الذي قام بتغييرها خشية ثني المسلمين عن الجهاد.[٥٦٦] كما أوعز الفقيه الاثنا عشري شيخ الطائفة الطوسي (توفي ١٠٦٧م) بتضمين هذه العبارة في الأذان.[٥٦٧] وفيما يخص تقارير ياقوت وابن بطوطة حول رفض سكان البحرين سلطة أبي بكر وعمر وعثمان وشرعيتهم، فثمة توافق بين الإسماعيلية والاثني عشرية على هذا الاعتقاد والممارسة.

ويعبر الداعية الإسماعيلي جعفر بن منصور اليمن بن حوشب (توفي ٩٥٨م) في مؤلفه *كتاب الكشف* عن رأيه الفظ في أبي بكر وعمر وعثمان الذين اغتصبوا الخلافة من علي بن أبي طالب كما يعتقد.[٥٦٨] إذاً، لا توضح تقارير ياقوت وابن بطوطة الطائفة الشيعية التي سادت في القطيف على وجه التحديد.

ووفقا لمومِن «يمكن القول إن الإسلام الشيعي ينطوي على ثلاثة جوانب في تعبيراته الدينية: الدين الشعبوي للجماهير، والدين الباطني للصوفيين، والدين العلمي والشرعي لطبقات رجال الدين (العلماء)».[٥٦٩] وحول الدين

(٥٦٥) ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ج١، ص٢١٠.

(٥٦٦) أبو حنيفة النعمان المغربي، *دعائم الإسلام*، تحقيق آصف فيضي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١)، ج١، ١٧٢-١٧٥.

(٥٦٧) شيخ الطائفة الطوسي، *المبسوط في فقه الإمامية*، تحقيق محمد الكشفي (بيروت: دار الكتاب الإسلامي)، ج١، ص٩٩.

(٥٦٨) جعفر بن منصور اليمن، *كتاب الكشف*، مصطفى غالب (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤)، ص١١٥-١١٦.

(569) Moojan Momen, *An Introduction to Shiʿi Islam* (New Haven: Yale University Press, 1985), 184.

الشعبوي/ الفلكلوري يقول هوبرت كنوبلاوخ «يتضمن الدين الشعبوي أشكالا من المعتقدات والممارسات والأشياء المادية التي تم تكييفها أو تحويلها أو خلقها بواسطة أناس عاديين، وتُعَد أحيانا استمرارا لأعراف أكثر تقليدية»، ويضيف شارحا «إن سبب هامشية الدين الشعبوي، أو إقصائه غالبا، عائد إلى أنه يختلف عن الدين الرسمي للخبراء الدينيين مِن كهنة وواعظين وأنبياء ورهبان، ويفترض وجوده مسبقا. يحيل الدين «الرسمي» إلى تلك الأشكال من الدين التي يمثلها الخبراء الدينيون وتنال شرعيتها من المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها من المؤسسات المجتمعية. يمكننا أخذ الدين الشعبوي لوصف العناصر الهرطقية [البدعية] في المعتقدات والممارسات والمواد الدينية، أما الدين «الرسمي» للخبراء والتنظيمات الدينية فيمثل القطب القويم للحقل الديني.»[٥٧٠]

في ضوء هذا الفهم، فإن عناصر الشيعية الشعبوية أو الفلكلورية في البحرين تظهر في مصادرنا. وهي تتجلى في العبارة الواردة في أذان القطيف (محمد وعلي خير البشر ومن خالفهما فقد كفر)، وهي عبارة غير معتمدة في النصوص والفتاوى الفقهية الاثني عشرية الخاصة بباب الأذان، وإن ذُكرت فيتم اعتبارها رواية شاذة. ولعلها اختُرعت محليا أو تم تبنيها من قبل عوام الناس، ربما تعبيرا عن سوء علاقتهم بفئات سنية قد تكون ممثلة بالسلطة والتجار والقبائل البدوية. ولعلها مثال على البعد الشعبوي والفلكلوري للشيعية البحرينية، بوصفها تعبيرا حماسيا وغنائيا عن هوية تفتقر إلى دعم التقاليد الشرعية.

يبدو أن أمراء الدولة العيونية لم يعتنقوا مذهبا موحدا، ولا تظهر النصوص والآثار أنهم كانوا ذوي تعصب ديني أو مذهبي. ولذا فإن تحديد مذاهب

(570) Hubert Knoblauch, 'Popular Religion', in *Encyclopedia of Global Religion*, ed. Mark Juergensmeyer and Wade Clark Roof (Thousand Oaks: Sage Publications, 2012) Accessed 21/4/2015: http://dx.doi.org.ezproxy.is.ed.ac.uk/10.4135/9781412997898.n572.

الأمراء مسألة صعبة للغاية، وينبغي تجنب التعميم في الوصف، فما انطبق في بداية الإمارة لم يستمر بالضرورة إلى نهايتها، وما كان ممارسا في مدينة قد لا يكون ممارسا في المدن الأخرى.

وفي سياق توضيح مظاهر الشعبوية في التدين الاثني عشري في البحرين يظهر عنصر آخر للاثني عشرية الشعبوية في النقش العيوني الذي يخلد بناء المئذنة في أيام أبي سنان (توفي ١١٣٠م). يقع هذا النقش إلى جوار نقش آخر يتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر، بما في ذلك الحجة، من عهد أبي سنان أيضا كما يقول نصه (انظر الفصل الثالث). لا نقرأ في النص أن أبا سنان هو الباني، لكننا نستدل أنه بني في عهده. وفي هذا النقش أُعطِيَ أبو سنان العيوني لقب «القائم في رضى رب العالمين». وهذا يطرح عددا من الأسئلة المثيرة للاهتمام: هل كان يُسمح لاثني عشري باتخاذ لقب القائم أم أنه استُبقي للإمام الثاني عشر فقط؟[٥٧١] هل ادعى أبو سنان أنه المخلص المنتظر لينال دعم الناس المحليين؟ هل كان من أعطاه لقب القائم هذا مدركا لدلالته العقائدية فاختار تدوينه عمدا؟ أم أن الكلمات اختيرت بالمصادفة؟ هل كان يصفه بالحاكم الذي يبتغي مرضاة الله، وهو المعنى الحرفي للجملة، وبهذا لا يمكن عده شيعيا اثني عشريا؟ للأسف، إن نقص المعلومات المتوفرة يجعل الإجابة على هذه الأسئلة أمرا صعبا، وإذا سلّمنا باثني عشرية هذا اللقب، فهو يدل على فهم للعقيدة مختلف عن فهم علماء الحواضر لها، خصوصا في بغداد وقُم، وهم الذين قدموا النسخة المؤصَّلة للمذهب الاثني عشري.

---

(٥٧١) انظر:

Abdulaziz Sachedina, *Islamic Messianism: The Idea of Mahdi in Twelver Shi'ism* (Albany: State University of New York Press, 1981), 60-64; Jassim Hussain, *The Occultation of the Twelfth Imam* (A Historical Background) (London: The Muḥammadi Trust, 1982).

طرح عدد من المؤرخين الشيعة المعاصرين، كالعريبي والجنبي وآخرين، تصورا مفاده أن بلاد البحرين كانت اثني عشرية منذ تبلور المذهب الاثني عشري.(٥٧٢) وربما كان نور الله شوشتري (توفي ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠م) أول من أرجع شيعية بلاد البحرين وسكانها الأصليين إلى الأيام الأولى للإسلام في كتابه *مستطاب مجلس المؤمنين*.(٥٧٣) وكرر هذه الحجة علي البلادي (توفي ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٢م) واضع معجم تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين (أوال) المعنون *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين*، حيث كرس مقدمته لشرح هذا الرأي والتوسع فيه بدرجة عالية من المبالغة.(٥٧٤) وهذا ما جعل المؤرخين الشيعة المعاصرين يسلمون بهذا الطرح على أنها حقيقة غير قابلة للجدل ويتكلمون عن الشيعية الاثني عشرية بوصفها طائفة عميقة الجذور في الإقليم. ويبدو أن الجنبي ومعظم المؤرخين الشيعة المعاصرين مقتنعون بالطبيعة الاثني عشرية للإقليم، فبلغ الأمر بالجنبي أن وصف إقليم البحرين والشاعر وقبيلة عبد القيس بأكملها بـ «الشيعة» والبحرين بـ «الشيعي الصرف».(٥٧٥)

في الواقع، يبدو أن إقليم البحرين لم يكن أبدا موطنا لمذهب واحد. عوضا

(٥٧٢) مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص٢٠٥؛ وانظر كذلك:

Ali al-Oraibi, ‘Shīʿī Renaissance: A Case Study of the Theosophical School of Bahrain in the 7th/13th Century’ (PhD diss., McGill University, 1992), 15-18.

(٥٧٣) ضياء الدين نور الله شوشتري، *كتاب مستطاب مجالس المؤمنين* (طهران: كتابفروشي إسلاميه، ١٣٧٧ هـ [١٩٨٨ م])، ج١، ص٧٥.

(٥٧٤) علي البلادي، *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين*، ص٢٠-٣٩.

(٥٧٥) يقول الجنبي: «وعرفنا من كل ما تقدم، أن شاعرنا علي بن المقرب العيوني شيعي بالأصالة، فهو شيعي لأنه من إقليم البحرين المشهور بالتشيع وشيعي لأنه من قبيلة عبد القيس القبيلة المشهورة بالتشيع إلى حد اشتهار أي فرد منها يخالفها في هذا المذهب.» مجهول، *شرح ديوان*، ج٣، ص١٩٩، ٢٠٥.

عن ذلك، لقد شهد العديد من التحولات المذهبية. ففي الفترة الإسلامية الباكرة كان موطنا لفرقة النجدات الخارجية وخوارج عبد القيس في العصر الأموي، ثم موطنا للمذاهب الإسماعيلية والقرمطية. وفي وقت لاحق خضعت أوال لحكم آل الزجاج السنة الأحناف. وبعد ذلك، خضع البحرين بداية لحكم العيونيين مختلطي المذاهب ومن بعدهم السلغوريين والهرمزيين السنة الشوافع لقرنين ونصف تقريبا. وفي ضوء هذا، نرى أن الحجة القائلة بمقاومة جميع سكان البحرين لهذه الكيانات السياسية القوية وحفاظهم على عقيدتهم الشيعية بشكلها الاثني عشري من دون أي تأثر إشكالية علمية حقيقية. يعتقد الجنبي أن الأمير أبا البهلول العوام بن محمد، الذي أعلن عقيدته السنية الحنفية في رسالة وجهها إلى الخلافة العباسية حوالي عام ١٠٦٤م، كان شيعيا في السر، وقد فسر إعلان سنيته على أنها خدعة أراد منها تأمين دعم العباسيين والسلاجقة لخدمة طموحاته السياسية. لكن هذا التصور يبدو غير مقبول لأن أبا البهلول برهن على سنيته بأن اتخذ ثلاث إجراءات واضحة: بنى مسجدا، وخطب فيه أخوه الشيخ الوليد للخليفة العباسي، وانخرط الاثنان في مناظرات مع سكان أوال المحليين من الإسماعيلية الذين أرادوا جعل الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر عوضا عن ذلك.[٥٧٦] ولعل من الأفضل القول إن العوام اعتنق المذهب السني بدافع من طموحاته السياسية، هذا إن اعتنقه حقا ولم يكن سني الأصل.

وعلى الرغم من وجود جماعة اثني عشرية في البحرين كما يبين الدليل الأثري، إلا أن مصادر تلك الفترة لا تخبرنا عن أي عالم اثني عشري أو حتى إسماعيلي أو سني بين خمسينيات القرن الحادي عشر وخمسينيات القرن الرابع عشر الميلادي. وفي هامش نسخة مخطوط اكتشف حديثا يوجد نص رسالة وجهها سكان أوال المحليون إلى العالم الصفوي علي الكركي

(٥٧٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٢، ص٩٨٢-٩٩٦. انظر محتوى الرسالة وتحليلها في الفصل الثاني.

(١٥٣٣-٣٤م) يسألونه فيها عن مسألة تقصير الصلوات في أثناء سفرهم لزيارة مساجد أخرى في أوال.(٥٧٧) وربما يوحي هذا بأن الجزيرة كانت تفتقر إلى العلماء المؤهلين للإجابة على سؤال كهذا.

أضف إلى ما تقدم أن يوسف البحراني (توفي ١٧٧٢م) يذكر أن أول عالم بعلم الحديث في أوال هو علي بن سليمان القَدَمي من الفترة الصفوية (توفي ١٦٥٣م).(٥٧٨) وهذا يعني أن اعتقاد البحرينيين بالاثني عشرية قبل القَدَمي لم يكن قائما على الأحاديث النبوية ومرويات الأئمة، بالنظر إلى افتقار الإقليم إلى علماء الحديث. ومع ذلك، تبين معاجم التراجم تزايد أعداد طلاب الاثني عشرية وعلمائها منذ مطلع القرن السادس عشر فصاعدا.

تذكر المصادر الأحدث عددا من العلماء الذين يحملون نسبة البحراني، لكنها لا تقدم أدلة أصيلة، كمصادر معاصرة من تلك الفترة أو أسانيد، تدعم صلتهم بالبحرين كمكان ولادة أو إقامة أو وفاة. هؤلاء العلماء الذين يحملون نسبة البحراني هم: محمد بن محمد، وابن الشريف أكمل، وراشد بن إبراهيم، وأحمد بن سعادة، وعلي بن سليمان، وحسين بن علي، وميثم بن علي، وفضل بن جعفر، وأحمد بن المتوَّج. ومع ذلك، فهذا لا يعني خُلُو الإقليم من أي عالم أو طالب اثني عشري. فربما موّل بعض التجار الأثرياء أبناءهم للسفر إلى مراكز التعليم الاثني عشرية في العراق أو الشام أو إيران. أيضا، لاحظنا في الفصل السابق انتقال الشعراء من البحرين إلى العراق والعكس. ولعل

(٥٧٧) المخطوط من المجموعة الخاصة لمحمد صالح العُريبي في البحرين (توفي ٢٠٠٠م)، انظر: حسين محمد حسين، «قرية الدِراز: بين الحقائق التاريخية والأساطير المروية»، الوسط (مملكة البحرين)، ١٤ مارس، ٢٠١٥. تاريخ الوصول ٤ إبريل ٢٠١٥: http://www.alwasatnews.com/4571/news/read/970877/1.html

(٥٧٨) يوسف الدِرازي البحراني، *لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث*، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٨)، ص١٥-١٧.

العلماء والطلبة قاموا برحلات مشابهة، لكن لا دليل لدينا على أن العلماء سالفي الذكر (ممن يحملون نسبة البحراني) كانوا من بينهم. وسنناقش هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل اللاحق.

٥ – أديان أخرى

سجل الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي (توفي ١١٧٣م) أن القطيف كان فيها جالية يهودية قدّرَ عددها بخمسة آلاف نسمة.[٥٧٩] ويبدو أن العدد الذي قدمه مبالغ فيه. وبحكم انفتاح موانئ البحرين على التجارة وحرية الحركة في شبكة محطات الدول الإيرانية، يبدو من غير المستبعد وجود أقوام من الهندوس الهنود والمجوس الفرس الذين عملوا في مهن عدة، فالعلاقات بين مناطق الخليج العربي وسواحل المحيط الهندي قوية ومتشابكة.

٦ – معتقدات علي بن المقرب المذهبية

ثمة سجال كبير حول المذهب الإسلامي الذي اتبعه علي بن المقرب: فهل كان سنيا أم شيعيا؟ ينبع هذا السجال من حقيقة أن الشاعر لم يصرّح عن معتقداته الدينية. أضف إلى ذلك أن شعره، الذي يُفترض أنه يعكس معتقداته، يتضمن طيفا واسعا من العقائد المتنوعة التي لا يمكن التوفيق بينها لتحديد مدرسة دينية بعينها. فلربما ادعى التزامه بأحد المذهبين. ومع ذلك، فإن نزعته الشيعية أكثر وضوحا من البديل السني كما سنبين أدناه.

مِن المؤرخين الذين جادلوا باتباع ابن المقرب المذهب السني العمران والخضيري والخطيب وكزارة. وقد قدموا حججا عدة، يبدو معظمها ضعيفا.

---

(٥٧٩) بنيامين التطيلي، *رحلة بنيامين التطيلي ١١٦٥-١١٧٣*، ترجمة عزرا حداد (لندن: شركة دار الوراق للنشر، ٢٠١١)، ص١٩٦.

وهي تتضمن: غياب المعلومات المتعلقة بزيارة ابن المقرب لأضرحة النجف وكربلاء (العمران والخطيب)،[٥٨٠] وعلاقاته الجيدة بعلماء سُنّة (العمران، والخضيري، والخطيب)،[٥٨١] وامتداحه حكاما سُنّة وإشادته ببنائهم مدارس سنية (الخضيري).[٥٨٢] كما أنكر هؤلاء المؤرخون أصالة القصيدة العينية التي تمتدح أهل البيت بأسلوب شيعي جلي. ويقوم إنكارهم على ثلاث حجج. أولا، يبدو أن القصيدة كانت مدرجة في مخطوط واحد فقط من المخطوطات المتوفرة (العمران، الخطيب).[٥٨٣] ثانيا، يتخللها نقاط ضعف واضحة من ناحية البلاغة والعروض (العمران، الخطيب).[٥٨٤] ثالثا، أشار كزارة إلى وجود شاعرين مختلفين يحملان الاسم الأول والثاني نفسيهما لكن نسبتيهما مختلفتان: الأول هو الشاعر المعروف علي بن المقرب العيوني المتوفى حوالي عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م، والثاني هو علي بن المقرب الأحسائي المتوفى عام ١١١١ هـ/ ١٦٩٩-١٧٠٠م؛ فادعوا أن الثاني هو المؤلف الحقيقي للقصيدة العينية. بالإضافة إلى ذلك، لاحظ كزارة أن كتاب التراجم الشيعة الأوائل لم يذكروا ابن المقرب كشاعر شيعي. لكن بعد أن وقع الخلط بين الشاعرين اللذين يحملان الاسم نفسه عند كتاب التراجم الشيعة الأواخر،

---

(٥٨٠) عمران العمران، *ابن مقرب: حياته وشعره* (١٤١٤ ه [١٩٩٣ م])، ص٣٩؛ أحمد موسى الخطيب، «الشاعر علي بن المقرب العيوني: دراسة موضوعية وفنية (٢)»، الوثيقة ١٢/ ٢٤ (١٩٩٤)، ص١٨-٧٧، ٥٩.

(٥٨١) عمران العمران، *ابن مقرب: حياته وشعره*، ص٣٩؛ علي الخضيري، *علي بن المقرب: حياته وشعره* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)، ص٩٣-٩٥؛ أحمد موسى الخطيب، «الشاعر علي بن المقرب»، ص٦٠.

(٥٨٢) علي الخضيري، *علي بن المقرب: حياته وشعره*، ص٩٥.

(٥٨٣) عمران العمران، *ابن مقرب: حياته وشعره*، ص٣٩؛ علي الخضيري، *علي بن المقرب: حياته وشعره*، ص٩٤.

(٥٨٤) أحمد موسى الخطيب، *«الشاعر علي بن المقرب»*، ص٥٦-٥٨.

أخذوا يصنفون علي بن المقرب ضمن الشخصيات الشيعية، فنسبوا إليه زورا القصيدة العينية التي لم ينظمها.[٥٨٥]

حاول الجنبي وزملاؤه دحض معظم الحجج التي قدمها المؤرخون المشار إليهم أعلاه. على سبيل المثال، فيما يتعلق بالقصيدة العينية، اكتشفوا ثلاثة مخطوطات إضافية تتضمنها. كما تصدوا لمن قال بضعفها اللغوي بأن بينوا أن المراد من هذا الصنف من القصائد التذكارية هو أن تكون بسيطة وخالية من الكلمات والجمل الصعبة بحيث يتمكن الإنسان العادي من فهمها وتلاوتها خلال احتفالات عاشوراء. وقارنوا القصيدة بأعمال الشاعر الشيعي الشريف الرضي (٩٣٠-٩٧٧م) واضع الكتاب الشهير *نهج البلاغة*، والذي ألف قصيدة مشابهة جدا لعينية ابن المقرب. وفيما يخص العلاقة الودية بين ابن المقرب والعلماء والحكام السنة، أظهر الجنبي وزملاؤه أن العلاقات الطيبة بين مختلف الطوائف والأديان كانت أمرا طبيعيا، ولم تحل دون احتفاظ الأفراد بآرائهم الخاصة، فالعديد من الشعراء الشيعة نظموا قصائد مديح لحكام وخلفاء سنة.[٥٨٦]

ولم يعتمد الجنبي على القصيدة العينية فقط في قوله بتشيع ابن المقرب، بل قدم أمثلة أخرى، كالقصيدة الهمزية التي نُظِمَت احتفالا بصوم غدير خم الشيعي، وهو اليوم الذي عين فيه الرسول محمد عليا خليفة له بموجب اعتقاد الشيعة.[٥٨٧]

---

(٥٨٥) صلاح كزارة، *علي بن المقرب العيوني*، ص١٠-١٧.

(٥٨٦) مجهول، شرح *ديوان*، ج٣، ص١٧٢-٢٠٧.

(٥٨٧) مجهول، شرح *ديوان*، ج٣، ص٢٠٥، ج١، ص٤٠. يقول الشارح إن ابن المقرب نظم قصيدة لأهل البيت بمناسبة يوم الغدير، لكنه لم يوردها في الديوان، واقترح جعلها في مكان آخر. من أجل المعلومات المتعلقة بالسجال حول غدير خم، انظر:

Wilferd Madelung, *The Succession to Muḥammad: A Study of the Early Caliphate* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

ومع أن الجنبي وزملاءه محقون في وصف ابن المقرب بالشيعي، إلا أن يقينهم من اثني عشريته إشكالي. ويوجد عدد من الأسباب لرفض هذا الادعاء. أولا، لا يوجد دليل واضح في شعر ابن المقرب أو سيرته الذاتية على اتباعه هذه المدرسة الشيعية بالتحديد. ثانيا، إن القول باثني عشريته يتطلب دليلا حول إيمانه بالإمام الثاني عشر، وهو المبدأ الأساسي الذي يفصل الاثني عشرية عن السبعية وحتى الزيدية الذين لا يؤمنون بخط من الأئمة المنصوص عليهم. ثالثا، عبّر الاثنا عشرية عن عدائهم لأبي بكر وعمر وعثمان لرفضهم فكرة إمامة علي بن أبي طالب، التي تعد ركنا أساسيا في عقيدة الاثني عشرية. إلا أن ابن المقرب لم يشاطر الاثني عشرية هذا الموقف. وقد نظم قصيدة مديح للأمير العيوني علي بن ماجد العيوني شبه فيها عدالته في الأحساء بعدالة عمر بن الخطاب في يثرب (الاسم القديم للمدينة المنورة).[٥٨٨] كما استخدم ابن المقرب رمز عدالة الفاروق عمر حين مدح الخليفة العباسي المستنصر بالله.[٥٨٩] وهذه الحجج التي تقف ضد وصف ابن المقرب بالشيعي الاثني عشري يمكن استخدامها أيضا لدحض القول بانتمائه إلى الإسماعيلية.

ارتأى صفاء خلوصي أن ابن المقرب كان زيديا، واقترح اعتناقه الزيدية رفضا للاضطهاد الذي كابده على يد الأمراء العيونيين السنة. وطور خلوصي هذه الحجة بعد أن لاحظ أبيات مديح لابن المقرب تذكر أبا بكر وعمر بالإيجاب، إذ

---

(٥٨٨) يقول علي بن المقرب في مجلس علي بن ماجد العيوني في شرح *ديوان*، ج١، ص١٧٧-١٧٨:

وملأتها عدلا وكانت عممت　　جورا تغور له الدنيا وتخرب

ورفعت عنها المؤذيات وطالما　　راح البلا في جوها يتصبب

حتى كأنك والمشبّه صادق　　عمرٌ بها وكأنها هي يثرب

(٥٨٩) يقول ابن المقرب في مجلس المستنصر بالله العباسي: مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص١٨٢:

فلو رأى عمر الفاروق سيرته　　لقال هذا رحى الإسلام والقطب

ليس لدى الزيديين رأي فظ بخصوصهما. وفي الوقت نفسه، قرأ خلوصي أبياتاً تظهر فضل علي وقصيدةَ رثاء للحسين بن علي تحاكي أسلوب الشريف الرضي (توفي ٩٧٧م).[٥٩٠] ومع أن خلوصي لم يدعم حجته بمصدر زيدي، إلا أن كاتب تراجم زيدي من القرن السابع عشر يدعى أحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١م) من اليمن ذكر علي بن المقرب في معجمه للتراجم ضمن المادة المتعلقة بعلي بن الحسن بن العُليف. ولم يكن متيقنا من مذهب ابن المقرب الديني، واقترح أنه ربما كان زيديا لملاحظته أفكارا في شعره تنسجم مع معتقدات الزيدية/ المعتزلة، كمبدئي العدل والتوحيد، إلى جانب القصيدة العينية المذكورة أعلاه التي تخلد ذكرى الإمام الحسين وتمدح أهل البيت.[٥٩١] لكن أبيات ابن المقرب تتناقض مع مبادئ الزيدية كما سنرى أدناه.

فسر العمّاري العديد من أبيات ابن المقرب الشعرية التي تتضمن رموزا شيعية وتعبر بوضوح عن معتقده الشيعي. إذ فكّ شيفرة أبيات معينة اعتقدَ أنها تحتوي على مبادئ أساسية للعقيدة الشيعية. وسأحاول التوسع في تفسيراته. تتضمن الرموز في شعر ابن المقرب مفهوم الوصية[٥٩٢] التي تقترح أن الرسول محمدا أوصى المسلمين بأن يكون علي بن أبي طالب خليفته.[٥٩٣] وبمعزل عن الزيدية، فإن هذا المفهوم الأساسي شائع بين الإسماعيلية والاثني عشرية. فاعتقاد الاثني عشرية به يعود على الأقل إلى مُصنَّف الحديث المبكر للكليني (توفي ٣٩٠

(590) Safa Khulusi, 'A Thirteenth Century Poet from Bahrain' *in Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 6 (1976): 92-93.

(٥٩١) أحمد بن صالح بن أبي الرجال، «مطلع البدور ومجمع البحور»، مخطوط من مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات. رقم ٧٦٨٤، ١/ ١٦٢١ ق ١٣٤-١٣٨.

(٥٩٢) يقول ابن المقرب في مجلس الأمير محمد بن أبي الحسين: مجهول، *شرح ديوان*، ج٢، ١١٠٢:

وهم نصــروا بعد النبي وصيّه ولا يستوي نصر لديه ولا خذلان

(593) Heinz Halm, *Shiʿism* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2004), 7-8; Moojan Momen, *An Introduction to Shiʿi Islam*, 11-17.

هـ/ ٩٤٠-٤١م): *الأصول من الكافي*.(٥٩٤) وفيما يخص الإسماعيلية، فإننا نقرأ هذا الحديث في كتاب *دعائم الإسلام* لأبي حنيفة النعمان المغربي (توفي ٣٦٣ هـ/ ٩٧٤م).(٥٩٥) إلا أن الزيدية رفضوا مبدأ الخط الوراثي للأئمة ونادوا بوجوب إعطاء الإمامة/ القيادة السياسية للشخص الأكثر جدارة ضمن أسرة الرسول، لكنهم أجازوا في الوقت نفسه قيادة شخص من عامة الناس، حتى لو كان وضيعا. ورأوا في علي بن أبي طالب أفضل صحابة الرسول بسبب صفاته السامية، لا إيمانا منهم بأن الرسول عينه بموجب نص.(٥٩٦) وعليه، يكون ابن المقرب في هذا السياق مخالفا للمذهب الزيدي.

ولاحظ العمّاري مفهوم سفينة النجاة عند قراءته بيت ابن المقرب الذي يخاطب الخليفة الناصر. يقول البيت:

خليفة صدق من سلالة معشر   نجا بهم نوح وأيد صالح(٥٩٧)

فهم العمّاري هذا البيت كإشارة إلى المفهوم أو الحديث الاثني عشري الذي يقول إن نوحا عندما كان في السفينة توسل شفاعة أسرة الرسول محمد كي تنقذ حياة الناس في السفينة، فنجوا. وتفيدنا بعض مصنفات الحديث الاثني عشرية بأن النبي صالح تلقى عون الله عندما توسل شفاعة أهل البيت.(٥٩٨)

---

(٥٩٤) محمد الكليني، *الأصول من الكافي* (طهران: إنتشارات علميه إسلاميه، ١٤١٠ هـ[١٩٨٩ م])، ج١، ص٣، ٣٢٥-٣٣٦؛ وانظر كذلك:
Moojan Momen, An Introduction to Shiʿi Islam, 147-179.

(٥٩٥) أبو حنيفة النعمان المغربي، *دعائم الإسلام*، ج١، ص١٧-٢٥.

(596) Wilferd Madelung, ‘Zaydiyya’ in EI2; Heinz Halm, Shiʿism, 202.

(٥٩٧) مجهول، *شرح ديوان*، ج١، ص٢٣٤.

(٥٩٨) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية*، ص١٧٦-١٧٨؛ محمد الصدوق، *كتاب الأمالي* (طهران: مؤسسة البعثة، ١٩٩٦)، ص٢٨٧-٢٨٨؛ محمد المجلسي، *بحار الأنوار* (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨ هـ[١٩٦٨ م])، ج٢٦، ص٣١٩-٣٢٠.

ولاحظ العمّاري مزيدا من الإحالات الشيعية في شعر ابن المقرب، بما في ذلك مفهوم «الفتى علي»، وطهارة بني هاشم واختيارهم من قبل الله، وطهارة جميع أسلاف الرسول وفطرتهم الإسلامية المتمثلة في إسناد نسب النبي محمد إلى تارح وليس عازر الكافر كما يبين القرآن. ولأبيات ابن المقرب التي تمتدح عددا من العلماء والنقباء الشيعة وقع شيعي خاص. وشدد العمّاري على الأبيات التي تنتقد الأمويين بقسوة وتصور العباسيين مخلِصين لبني هاشم وورثة للحق الإلهي في الحكم.[٥٩٩] ونلاحظ هنا أن ابن المقرب يبدو أكثر هاشمية من كونه علويا، وهذا يتناقض مع المفاهيم الاثني عشرية.

وختاما، ليس من السهل تحديد الطائفة الشيعية التي انتمى إليها ابن المقرب بالنظر إلى اعتناقه خليطا من معتقدات المذاهب الشيعية الثلاثة الكبرى إلى جانب المفاهيم الهاشمية/ العباسية، بطريقة لا يمكن لمذهب زيدي أو إسماعيلي أو اثني عشري أن يوفق بينها في وقت واحد. وعليه نرى أن فرضية الخلوصي بزيدية ابن المقرب واعتقاد الجنبي باثني عشريته إشكاليان. إذ يبدو أنه كان شاعرا ذرائعيا نظم قصائده بما يرضي معتقدات ممدوحيه.

٧ - خاتمة الفصل السابع

كان إقليم البحرين في حوالي ١٠٥٠-١٤٠٠ م موطنا لطوائف متعددة، هي: السنة الأحناف والشوافع والشيعة الإسماعيليون والقرامطة في القرن الحادي عشر، والاثنا عشرية الشعبوية التي ظهرت في القرن الثاني عشر. ويبدو أن كثيرا من السكان المنتمين إلى الطبقات الشعبية في المدن والقرى

(٥٩٩) فضل العمّاري، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية*، ص١٧٢-١٩٦. يقول ابن المقرب: مجهول، شرح *ديوان*، ج١، ص١٨٣-١٨٤:

لولاكم يا بني العباس ما انصدعت   عصا الخلافة صدعا ليس ينشعب
وعاد ميراثكم مــن كــف غاصبــه   فيكم وأهل الدعاوى عنكم غيب

اعتنقوا الشيعية الشعبوية/ الفلكلورية. تجلت هذه الشيعية الشعبوية في المشاعر المؤيدة لأهل البيت، وإهانة صحابة الرسول، والفهم الضعيف لألقاب الإمام الثاني عشر المستتر، واستخدام عبارة في الأذان الشيعي لا تتناسب مع مفهوم أي مدرسة شيعية «رسمية»/ شرعية. افتقر السكان المحليون إلى العلماء كذلك، ويبدو أنهم استفتوا علماء من الخارج. ولعل هذه الممارسة استمرت حتى بداية العصر الحديث، إذ نجا دليل نصي يوضح استفتاءهم العالم الصفوي الكركي (توفي ١٥٣٤م)، حيث استفتوه في تقصير الصلوات في أثناء سفرهم لزيارة مساجد شتى في أوال. ويروى أن أول عالم محلي مختص بعلم الحديث ظهر في فترة متأخرة جدا، عام ١٦٥٣ م. وهذا يعني أن البحرين خلت قبل ذلك من التمذهب الشيعي المؤصَّل علميا الذي يفترض أن يقوده العلماء.

ظهرت الجماعات السنية للعلن منذ خمسينيات القرن الحادي عشر على الأقل كما يبين شرح *ديوان*. فعبّرت إمارة آل الزجاج في أوال عن اتباعها المذهب الحنفي. وانفتح عبد الله بن علي العيوني على المذهب السني ودعا للخليفة العباسي في بداية حكمه، لكن يبدو أنه توقف عن هذا لاحقاً. كما يتضح أن تجار بني عقيل وأمراءهم كانوا من أهل السنة، وذلك لاتصالهم بالشيخ ابن تيمية حيث كانوا يستفتونه في مسائل عقائدية وفقهية، وتحالفهم مع المماليك ضد المغول الذين عينوا الاثني عشرية كوادر إدارية لهم في العراق وإيران. تأثر الأتابكة السلغوريون وأتباع المغول ومملكة هرمز، الذين حكموا أوال والقطيف لأكثر من قرن ونصف من الزمن، بالمدرسة الشافعية. انخرط هؤلاء الحكام في العديد من المشاريع الدينية، كبناء المساجد والأضرحة والمدارس في أراضيهم، وكان للبحرين نصيب من بعضها كما تبين الأدلة الأثرية كالنقوش. ويبدو أن الجماعة الشافعية في أوال والقطيف كانت ممثلة بالنخبة الحاكمة لهذه الدول، ممن كانوا في المقام الأول من

خريجي المدارس الشافعية في فارس. إن ظاهرة إرسال السكان المحليين، من سنة وشيعة، رسائل إلى علماء من خارج الإقليم لدليل على طرفية الإقليم وهامشيته، وعدم احتوائه على علماء.

لقد تبين لنا أن مسألة المذهب الديني لابن المقرب مثيرة للجدل إلى حد كبير. وبالنتيجة، يصعب تحديد المذهب الذي التزم به، إذ يبدو أنه جمع طيفا من المفاهيم الشيعية والهاشمية في قصائده بطريقة لا يمكن لعالم زيدي أو إسماعيلي أو اثني عشري التوفيق بينها في وقت واحد. وعليه نفترض أنه ربما كان مفكرا حرا لم يلتزم بمدرسة فكرية معينة أو شاعرا ذرائعيا اهتم فقط بمعتقدات الشخص الذي خصّه بالمديح.

الفصل الثامن

مسألة وجود علماء اثني عشرية في بلاد البحرين خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر للميلاد

١ - مقدمة

يركز هذا الفصل على بحث مسألة انتساب علماء من المذهب الاثني عشري إلى بلاد البحرين خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر للميلاد. وكما ناقشنا في فصل سابق، ظهرت حقا صيغة من الاثني عشرية في الإقليم منذ مطلع القرن الثاني عشر فصاعدا، ومن المؤكد إمكانية وصول هذه الفرقة إلى البحرين عن طريق حركة الناس منه وإليه، فقد لاحظنا أسفار الشعراء. وعليه، نرجح أن البحرين استقبل العلماء من مناطق بعيدة وأرسل الطلاب للدراسة في الخارج. ولكن ثمة حاجة لمعرفة فيما إذا كان بمقدورنا تحديد هؤلاء الطلاب والعلماء لتعزيز فهمنا لمسألة الدين في البحرين.

يوجد إجماع بين المؤرخين منذ عام ١٦٨٨م حتى وقتنا الحاضر على أن عددا من علماء الاثني عشرية الذين حملوا نسبة «البحراني» وعاشوا خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر للميلاد كانوا من إقليم البحرين. وهؤلاء العلماء هم: (١) محمد بن محمد البحراني (القرن ١٢م)؛ (٢) ابن شريف أكمل البحراني (القرن ١٢م)؛ (٣) راشد بن إبراهيم البحراني (توفي ١٢٠٨م)؛ (٤) أحمد بن علي بن سعادة البحراني (توفي في سبعينيات القرن

الثالث عشرم)؛ (٥) إبراهيم بن حسين البحراني (عاش حوالي ١٢٧٠م)؛ (٦) علي بن سليمان البحراني (توفي ١٢٧٤م)؛ (٧) فضل بن جعفر البحراني (توفي ١٢٧٧م)؛ (٨) ميثم بن علي البحراني (توفي حوالي ١٢٨٢م)؛ (٩) أحمد بن متوَّج البحراني (توفي ١٤١٧م).

أنتج هؤلاء العلماء مجموعة ضخمة من الأعمال في حقول متنوعة من المعرفة، كعلوم الدين والفلسفة والتصوف والعقيدة والفقه الاثني عشري والأدب. وقد درس عدد منهم على يد علماء شيعة اثني عشرية بارزين أو درّسوهم، بما في ذلك المحقق الحِلّي (توفي ١٢٨٨م)، والعلامة الحِلّي (توفي ١٣٢٥م)، وفخر المحققين الحِلّي (توفي ١٣٦٩م). وأثرت بعض أعمالهم في العلماء اللاحقين، فاستشهدوا بها، مثل حيدر الآمُلي (توفي ١٣٨٥م)، والشريف الجرجاني (توفي ١٤١٤م)، وابن أبي جمهور الأحسائي (توفي ١٥٠١م)، وشيخ بهائي (توفي ١٦٢١م)، وملا صدرا (١٦٣٦م).

لكن هذا الفصل سيتحدى الإجماع القائل بانتسابهم إلى البحرين كمكان ولادة أو إقامة أو وفاة، ويبرهن أنه لا يستند إلى أدلة متماسكة. ويبدو أن مشكلة النِسبة، مجددا، إلى جانب العوامل السياسية-الدينية في القرن السابع عشر في جزيرة البحرين/ أوال، لعبت دورا مهما في ظهور هذا التصور الذي يميل بحثنا إلى التشكيك في دقته التاريخية.

إن أول عمل يصف العلماء آنفي الذكر بالبحرينيين، مولدا ووفاة، قد ظهر في جزيرة أوال/ البحرين بعد أربعة أو خمسة قرون، خلال فترة خضوعها للحكم الصفوي (١٦٠٢-١٧١٧م)، وذلك على يد سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني (توفي ١٧٠٩م)، وهو عالم بحريني وتلميذ «شيخ الإسلام» الصفوي محمد باقر مجلسي (توفي ١٦٩٨-٩٩م). هذا العمل

هو معجم صغير لتراجم ٣٤ عالما منسوبين إلى البحرين كتبه سليمان عام ١٦٨٨م، بعنوان *فهرست علماء البحرين*.(٦٠٠)

يذكر تلميذ، أو ربما ناسخ، في مقدمة هذا المعجم أن سليمان تحمس لكتابته بناء على طلب رجل فارسي وصل إلى أوال. ويقترح آغا بزرك أن هذا الفارسي هو ميرزا عبد الله أفندي (توفي ١٧١٨م) الذي كان تلميذ المجلسي أيضا وتولى منصب إمام صلاة الجمعة. وقد ألف معجم تراجم شامل لعلماء الشيعة عنوانه *رياض العلماء وحياض الفضلاء*. استشهد أفندي عند كتابته عن العلماء الذين يحملون نسبة البحراني بمعجم سليمان.(٦٠١) إذاً، يبدو أن معجم سليمان للتراجم ساعد مشروع أفندي.

طور العالم الأخباري البحريني عبد الله بن صالح السماهيجي (توفي ١٧٢٣م) فرضيات شيخه سليمان. فحدد في الإجازة الكبرى التي منحها لتلميذه ناصر الجارودي عام ١٧١٦م مواقع قبور هؤلاء العلماء في أوال/ البحرين.(٦٠٢) ولم يعتمد سليمان أو تلميذه السماهيجي على مرجعيات سابقة

(٦٠٠) سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني، *فهرست علماء البحرين*، تحقيق فاضل الزاكي البحراني (د.م: د.ن، ٢٠٠٠)، ص٤٣-٧٤. وستكون هذه طبعتنا القياسية هنا. والطبعة الأخرى هي: سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني، *فهرست آل بابويه وعلماء البحرين*، تحقيق سيد أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٩٨٣)، ص٦٨-٧٠.

(٦٠١) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٤٣؛ عبد الله أفندي أصفهاني، *رياض العلماء وحياض الفضلاء*، تحقيق سيد أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠١ هـ [١٩٨٢ م])، ج٣، ص١١٤، ج٤، ص٤٢٨. انظر ترجمة أفندي في *زهر الرياض في ترجمة صاحب الرياض* للمحقق أحمد الحسيني في مقدمة الكتاب سالف الذكر، ص١٣-٢٤.

(٦٠٢) محمد عيسى آل مكباس، *إجازات علماء البحرين: موسوعة في التراجم والتاريخ والأدب* (آل مكباس للطباعة والنشر: ١٤٢٢ هـ [٢٠٠١ م])، ص١١٧-٢٣٠. وحول تحليل هذه الإجازة، انظر:=

في وجهة النظر هذه، فهما لا يحيلان إلى كتب سابقة أو يقدمان أسانيد تؤكد جزمهما بخصوص «العلماء البحرانيين» الذين توفوا قبل أربعة أو خمسة قرون. ومنذ أن جاء سليمان والسماهيجي بهذا الزعم، فإن المؤرخين، سواء المشتغلين بالتاريخ الثقافي والديني للبحرين أو محققي أعمال «العلماء البحرانيين»، قبلوا بالفكرة القائلة بأن هؤلاء كانوا بحرينيين من العصور الوسطى. لكن لا ينبغي القبول بهذا الافتراض من دون مساءلة.

سنبرهن في هذا الفصل أن المؤرخين المعاصرين الذين اعتمدوا جميعا على معجم سليمان للتراجم تعاملوا معه بحس غير نقدي. ومن أجل هذا، سنقدم أولا مناقشة نقدية لدراسات خوان كول وعلي العريبي في هذا الشأن. ثانيا، سنقدم تراجم هؤلاء العلماء من خلال تتبع تطور المعلومات المتعلقة بهم من المصادر الأقدم إلى الأحدث. ثالثا، سنضع تأسيس سليمان والسماهيجي لهذا الزعم في سياق البيئة السياسية والدينية والاجتماعية لأوال.

وحجتنا الأساسية في هذا الفصل هي أننا لا نملك مصادر أصلية مباشرة تبين أن هؤلاء العلماء من القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر كانوا بحرينيي الولادة أو الإقامة أو الوفاة كما زعم سليمان والسماهيجي بعد

= Sabine Schmidtke, ‘The Ijāza from ʿAbd Allāh b. Ṣāliḥ al-Samāhījī to Nāṣir al-Jārūdī al-Qaṭīfī: A Source for the Twelver Shiʿi Scholarly Tradition of Bahrain’ in *Culture and Memory in Medieval Islam: Essays in Honour of Wilferd Madelung*, ed. Farhad Daftary and Josef Meri (London: I.B. Tauris, 2003), 64-85.

وحول تحليل فكر السماهيجي، انظر:

Andrew Newman, ‘The Nature of the Akhbari/Uusuli Dispute in Late Safavid Iran: Part 1ʿAbdallāh al-Samāhijī’s ‘Munyat al-Mumārisīn’ *BSOAS* 55/1 (1992): 22-51; ‘The Nature of the Akhbārī/Uṣūlī Dispute in Late Ṣafawid Iran. Part 2: The Conflict Reassessed’ *BSOAS* 55/2 (1992): 250-261.

أربعة إلى خمسة قرون. ويوجد ثمانية أسباب تقودنا إلى هذا الاستنتاج. أولا، ليست النسبة دليلا كافيا على الأصل المباشر للشخص المعني بما أنها قد تكون أعطيت لأحد أجداده في البداية. ثانيا، لا يوجد مصدر معاصر للأحداث أو باكر يذكر أي معلومة تقول إن البحرين هو مكان إقامتهم أو وفاتهم، كما لا يوجد معلومات حول انتقالهم من الإقليم أو إليه. لكن مصدرا سابقا على معجم سليمان يذكر أن أحدهم (ميثم) توفي في بغداد كما سنرى. ثالثا، ثمة فترة من أربعة إلى خمسة قرون تفصل بين وفاتهم الفعلية وظهور المعلومات الأولى حول أماكن ولادتهم وإقامتهم ووفاتهم، بالإضافة إلى المواقع المزعومة لقبورهم. رابعا، لا يخبرنا سليمان والسماهيجي عن المصادر الأقدم التي اعتمدا عليها في زعمهما. خامسا، لا يوجد صلة مباشرة، كالإسناد مثلا، بين علماء أوال من القرن السادس عشر و «العلماء البحرانيين» من القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وإذا كان الإسناد موجودا، فإن علماء الحلة يقعون في منتصف السلسلة. سادسا، لم يتم العثور على أي مخطوط أصلي بواسطة «العلماء البحرانيين» في الإقليم حتى الآن. سابعا، إن فكرة إقامة هؤلاء العلماء المتقدمين تاريخيا في البحرين لا تتناسب مع موقعه كمنطقة طرفية وهامشية؛ فالأدلة تبين أن بعض سكان البحرين استفتوا علماء من الخارج. ثامنا، يروى أن أول عالم في جزيرة أوال/ البحرين اختص بعلم الحديث وعمل على تدريسه، وهو علم لا غنى عنه للفقه الاثني عشري وعلومه، قد عاش في وقت مبكر من القرن السابع عشر وتوفي عام ١٦٥٣م خلال فترة الحكم الصفوي للبحرين واسمه علي بن سليمان القدمي. تطرح هذه الأسباب جميعا تحديات أمام المؤرخين الذين يفترض بهم الاستناد إلى أدلة صلبة للتحقق من هذه التقارير المتأخرة التي ظهرت في الفترة الصفوية.

٢ – مناقشة لنظريتي خوان كول وعلي العريبي

حتى هذه اللحظة، تعد دراسات خوان كول وعلي العريبي حول مسألة العلم في البحرين رائدة في هذا المجال، فهي تستعرض مجمل الأدبيات الحديثة في هذا الموضوع، والتي كتبت بالعربية في المقام الأول.

ربما كان خوان كول أول باحث غربي حاول كتابة تاريخ للدين والعلماء في البحرين في العصور الوسطى، وذلك في مقالته لعام ١٩٨٧ «تنافس الإمبراطوريات على التجارة والشيعة الإمامية في شرقي الجريرة العربية ١٣٠٠–١٨٠٠».[٦٠٣] تناولت هذه الدراسة الرائدة الحكم الصفوي في البحرين كذلك، وبينت أن الصفويين أدخلوا الأصولية الاثني عشرية إلى الجزيرة، فكانت المقالة بمثابة درس أولي ممتاز. لكن كول توصل في مناقشته للبحرين في العصور الوسطى إلى عدد من النتائج التي نراها إشكالية.

ولعل خروج خوان كول بهذه النتائج الإشكالية سببه عدد من العوامل، نوجزها على النحو الآتي: أولا، لم يشكك كول في معاجم التراجم البحرينية الحديثة التي استخدمها أو يُجرِ تقييما لها، بل قبل بمعلوماتها كاملة. ثانيا، يبدو أنه غير ملم بالانفصال السياسي بين جزيرة أوال، وهي المكان المزعوم لولادة ووفاة جميع «العلماء البحرانيين»، ومدينتي الأحساء والقطيف. فأوال كانت خاضعة لحكم الدول الإيرانية، أي السلغوريين وأتباع المغول والطيبيين والهرمزيين، الذين كانوا من أهل السنة الشافعية، فيما خضعت الأحساء للإمارة العقيلية التي يشوب الغموض انتماءها الطائفي، ولعله أقرب إلى السنة بسبب

(603) Juan Cole, ‘Rival Empires of Trade and Imami Shiʿism in Eastern Arabia 1300-1800’ International Journal of Middle East Studies 19/2 (1987): 177-204.

وقد أعيد نشر هذه الدراسة في كتاب آخر سنعتمد عليه في كتابنا، هو:

Juan Cole, Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shiʿite Islam (London: I.B. Tauris, 2005), 31-57.

علاقتهم مع المماليك لا المغول الذين اتخذوا من الاثني عشرية كوادر إدارية لدولتهم الإيلخانية. إن عدم إلمام كول بهذا الانفصال السياسي والإداري بين أوال والأحساء أدى إلى الارتباك في بناء حججه. ثالثا، اعتمد على تقارير إشكالية لابن حجر العسقلاني (توفي ١٤٤٩م) والسخاوي (١٤٩٧م) تشير إلى دولة قرمطية بزعامة أسرة تدعى الجروانية قيل إنها حكمت البحرين في بداية القرن الخامس عشر الميلادي.[٦٠٤] رابعا، بنى حجته على الاعتقاد الشائع وغير الدقيق بأن العيونيين كانوا سُنّة موالين للسلاجقة، فجزم بأن سكان البحرين استبدلوا شيعيتهم الإسماعيلية الجذرية المتطرفة بشيعية اثني عشرية أكثر هدوءا لاقت اعتراضا أقل لدى السنة العيونيين. في واقع الأمر، ولد معظم هؤلاء العلماء بعد سقوط الحكم العيوني أو كانوا صغار السن وقت السقوط. خامسا، فسر كول مصطلح «رافضية غلاة» عند ابن بطوطة على أنه إشارة إلى الإسماعيلية، فزعم أن السنة استخدموا هذا المصطلح لتوصيف الإسماعيليين. لكن العريبي يختلف مع تفسيره للمصطلح، ويقارن استخدام ابن بطوطة له بمدن اثني عشرية أخرى معروفة، مثل الحلة والنجف وكربلاء.[٦٠٥]

وكما ناقشنا في الفصل السابق، لم تكن هذه المصطلحات التي توَصّف الفرق الشيعية واضحة المعالم في العصور الوسطى، فربما هي مصطلحات جامعة شملت طوائف عدة تشاركت في المعتقدات العامة، لكنها اختلفت في التفاصيل. وبما أن ابن بطوطة قدم مصطلحا عاما ووصف آراءهم وممارساتهم الشعبية المتطرفة، كالأذان التكفيري لمن لا يتشيع لعلي، فمن المرجح أنهم انتموا إلى صيغة فلكلورية للتشيع توجد عناصرها في الاثني عشرية والإسماعيلية على حد سواء.

(٦٠٤) يوجد مناقشة لهذه التقارير الإشكالية في الفصل الخامس.

(605) Ali al-Oraibi, ‘Shīʿī Renaissance: A Case Study of the Theosophical School of Bahrain in the 7th/13th Century’ (PhD diss., McGill University, 1992), 22.

يحاجج كول بأن الإسماعيلية والاثني عشرية تعايشتا في البحرين خلال القرن الرابع عشر الميلادي بسبب التشابه في تشريعاتهما: جنّد البدو الجروانيون الإسماعيليون علماءَ البحرين الاثني عشرية من خريجي العراق لشغل مناصب إدارية وقضائية. وهو يجزم بأن هؤلاء البدو استخدموا القضاة البحرينيين [الأواليين]، مثل أحمد بن المتوج الذي كان يُعتقد أنه من أوال.[٦٠٦] لكن، وعلى الرغم من صواب حجته بشأن التعايش بين الطائفتين، الذي يعود إلى فترة أقدم من التي يتحدث عنها، فإن تجنيد الجروانيين للقضاة في أوال أمر مستحيل لأنهم لم يسيطروا عليها، فقد خضعت لحكم الدول الإيرانية كما بينا في الفصل الخامس. أضف أن الجروانيين لم يكونوا بدوًا.

كتب علي العريبي أطروحة دكتوراه عنوانها «النهضة الشيعية: مدرسة التصوف في البحرين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي نموذجا» (١٩٩٢)، يحاجج فيها بوجود ما يسميها «مدرسة البحرين» في أوال/ البحرين القرن الثالث عشر الميلادي.[٦٠٧] تغطي الأطروحة موضوعات عدة، بما في ذلك تاريخ موجز للإقليم منذ العصر الإسلامي الباكر، وتراجم علماء القرن الثالث عشر الذين يحملون نسبة البحراني ممن صنّفهم بحرينيين، ومساهماتهم العلمية. كما قدم العريبي في الملحق أربعة مخطوطات غير معنونة لرسائل علمية كتبها علي بن سليمان البحراني (توفي حوالي ١٢٧٤م) وميثم بن علي البحراني (توفي ١٢٨٢م).[٦٠٨]

يحاجج العريبي بأن «إماميي البحرين لم يكونوا متحولين عن الإسماعيلية

(606) Juan Cole, Sacred Space and Holy War, 31-35.

(607) Ali al-Oraibi, ‘Shīʿī Renaissance: A Case Study of the Theosophical School of Bahrain in the 7th / 13th Century’ (PhD diss., McGill University, 1992).

(٦٠٨) اطلعت على جزء كبير من نصوصهم ووجدتها تخلو من أي إشارة إلى البحرين.

وفقاً لبعض المؤرخين، بل كانوا إماميين منذ تبلور الإمامية».[٦٠٩] إن هذا الفهم الإشكالي شائع بين المؤرخين الشيعة المعاصرين كما ناقشنا في الفصل السابق. ومع أن العريبي يقر بأن هؤلاء العلماء التحقوا بمدرسة الحِلّة وشغلوا مناصب تعليمية فيها وعاشوا معظم حياتهم في العراق، فهو يصر على اختلاق مدرسة منفصلة يسميها «مدرسة البحرين».[٦١٠] لكنه لا يقدم دليلا على وجودهم في البحرين سوى التقارير المتعلقة بقبورهم من فترة متأخرة جدا.

ويحاجج العريبي أيضا بأن ما يسميها «مدرسة البحرين» وأعضاءها أحمد بن علي بن سعادة البحراني، وتلميذه علي بن سليمان البحراني، وتلميذه ميثم بن علي البحراني، كانوا وراء إدخال الفلسفة والتصوف إلى النسيج المعرفي للشيعية الاثني عشرية حتى قبل نصير الدين الطوسي. ويضيف بأن الصوفيين الشيعة الأوائل، مثل حيدر الأمولي (توفي ١٣٨٥م)، وابن أبي جمهور الأحسائي (توفي ١٥٠١م)، وملا صدرا (توفي ١٦٣٦م)، استشهدوا بأعمالهم.[٦١١] وإذ أتفق معه في هذه النقطة، إلا أنني اختلف معه في مسألة وجودهم في البحرين.[٦١٢]

ونشر العريبي أيضاً دراسة في الموضوع نفسه عنوانها «العقلانية في مدرسة البحرين: نظرة تاريخية» (٢٠٠١) برهن فيها على نقاط عدة: أولا، التأثير الكبير لابن سينا وابن عربي على «العلماء البحرانيين»؛ ثانيا، اعتقادهم بوحدة الوجود؛ ثالثا، عدم تمكنهم من صياغة نسق فلسفي متكامل على الرغم

---

(٦٠٩) انظر: Ali al-Oraibi, ‘Shīʿī Renaissance’، ١٥–١٨، وهو يقصد الشيعية الاثني عشرية.

(610) Ali al-Oraibi, ‘Shīʿī Renaissance’, 24-31.

(611) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 33-34.

(٦١٢) قد يكون مصطلح «مدرسة البحرانيين» مقبولا بالنظر إلى اهتمامهم الخاص بالفلسفة والتصوف، ولكن على أساس اشتراكهم بالنسبة لا بالمكان الجغرافي.

من اشتغالهم في الفلسفة؛ رابعا، يحاجج بأن الفضل في تأسيس تصوف شيعي ممنهج يعود إلى «العلماء البحرانيين» لا إلى حيدر الأمولي كما يعتقد معظم الباحثين. وبرهن على استشهاد الأمولي شخصيا بعلي بن سليمان وميثم بن علي لتسويغ أفكاره وتدعيمها.[٦١٣]

٣ - تراجم العلماء البحرانيين المنسوبين خطأ إلى البحرين

توجد المعلومات الأقدم حول العلماء الذين يحملون نسبة «البحراني»، الذين زُعم أنهم ولدوا وماتوا في البحرين، في إجازات أسانيد الحديث ومعاجم التراجم ونادرا في مقدمات كتب هؤلاء العلماء ورسائلهم العلمية، هذا إلى جانب المعلومات الواردة في أعمال معاصريهم. وكما سنرى أدناه، لا يذكر أي من هذه المصادر الباكرة أن «العلماء البحرانيين» ولدوا في البحرين أو جاؤوا منه أو توفوا فيه. وهذا الزعم يعود إلى عام ١٦٨٨م، حين أورد سليمان بن عبد الله البحراني في معجمه للتراجم *فهرست علماء البحرين* عددا من علماء الشيعة ممن اعتقد أنهم كانوا بحرينيين أو اختار تصنيفهم كذلك بموجب النِسَب التي حملوها فقط.

نال سليمان بن عبد الله بن عمار الماحوزي البحراني المقام الأعلى بين أقرانه من علماء البحرين (الجزيرة) في العصر الصفوي، ولُقب بـ «محقق البحرين». وقد ولد عام ١٦٦٥ م في قرية الماحوز في جزيرة سترة من أوال/ البحرين. وسافر إلى إيران وتتلمذ على يد العالم الصفوي المشهور

(613) Ali al-Oraibi, 'Rationalism in the School of Bahrain: A Historical Perspective', in *Shi'ite Heritage: Essays on Classical and Modern Traditions*, ed. L. Clarke (New York: Global Publications Binghamton University, 2001), 332-333.

محمد باقر المجلسي (توفي ١٦٩٩م).[٦١٤] كان سليمان غزير الإنتاج، إذ يروى أنه وضع حوالي ٣٠٠ كتاب. وتوفي عام ١٧٠٩م، ودفن في القرية نفسها.[٦١٥]

بنى السماهيجي (توفي ١٧٢٣م) على معلومات شيخه سليمان في الإجازة الكبرى[٦١٦] التي منحها لتلميذه ناصر الجارودي عام ١٧١٦م، فقدم للمرة الأولى المواقع المفترضة لقبور هؤلاء العلماء في قرية سِترة في أوال. وهكذا، تفصل بين تاريخ وفاة هؤلاء العلماء والتحديد الأولي لأصولهم وأماكن وفاتهم فجوة زمنية مقدارها من أربعة إلى خمسة قرون.

وحتى وقت قريب، دأبت الكثير من معاجم التراجم والإجازات التي كتبت بعد سليمان الماحوزي البحراني وعبد الله السماهيجي على تكرار ما جاءا به من معلومات بوصفها حقائق غير قابلة للنقاش. من المعاجم الأكثر أهمية: *لؤلؤة البحرين في إجازات وتراجم رجال الحديث* ليوسف بن أحمد الدرازي البحراني (توفي ١٧٧٢م)؛ *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين* لعلي بن حسن البلادي البحراني (توفي ١٩٢٢م)؛ *منتظم الدرّين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين* لمحمد بن علي

---

(614) Rainer Brunner, 'MAJLESI, Moḥammad-Bāqer', *Encyclopædia Iranica*. http://www.iranicaonline.org/articles/majlesi-mohammad-baqer :تاريخ الوصول ٢٨/ ٢/ ٢٠١٥

(٦١٥) يوسف الدرازي البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص٩-١٤.

(٦١٦) صنف من الشهادات التي تخول حاملها نقل المعرفة وادعاء ارتباطه بمعارف شيخه وشيخ شيخه ضمن سلسلة تنتهي بمؤلفي الكتب، بل حتى بالأئمة والرسول. وكانت هذه الإجازة ضرورية لمزاولة المناصب الشرعية والاجتهاد وإصدار الفتاوى.

بن أحمد التاجر البحراني (توفي ١٩٦٧م)؛ *طبقات أعلام الشيعة* لمحمد آغا بزرك الطهراني (توفي ١٩٧٠م).[٦١٧]

لا تقدم هذه المعاجم معلومات جديدة عن العلماء المعنيين، باستثناء محاولات محدودة لتصويب بعض الأسماء والتواريخ. سيقدم القسم اللاحق من هذا الفصل معطيات حول هؤلاء العلماء في محاولة لتعقب تطور تراجمهم حتى ظهور الرأي السائد للمرة الأولى بواسطة سليمان الماحوزي. وسيحاول أيضا ردم التفاصيل المفقودة، مثل تنقلاتهم من مكان إلى آخر.

٣-١- راشد بن إبراهيم بن إسحق البحراني (توفي ١٢٠٨م) ومعاصره قوام الدين محمد بن محمد البحراني

يعد راشد بن إبراهيم بن إسحق البحراني وقوام الدين محمد بن محمد الأقدم بين «علماء البحرين الأوائل» بموجب وصف سليمان عام ١٦٨٨م. وكلاهما من رواة الحديث.[٦١٨]

يرد ذكر راشد في كتاب *الأربعون حديث* لمحمد العاملي المعروف بالشهيد الأول (١٣٣٤-١٣٨٥م)، إذ يصفه في إسناده للحديث الثالث بالقاضي واللغوي والمتكلم. ويربط الإسنادُ راشداً بشيخه العالم الاثني

(٦١٧) يوسف بن أحمد الدرازي البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص١٧٤، ٢٥٠، ٢٥٣؛ علي بن حسن البلادي البحراني، *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين* (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٤)، ص٥٦-٥٨، ٦٠، ٦٦؛ محمد التاجر البحراني، *منتظم الدُّرّين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين*، تحقيق ضياء آل سنبل (بيروت: مؤسسة طيبة لإحياء التراث، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م)، ج١، ص١٤٣، ١٧٨، ج٢، ص٤٦، ج٣، ص١٤١-٢٤٧؛ محمد آغا بزرك الطهراني، *طبقات أعلام الشيعة* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١)، ص٧، ١٨٧-١٨٨.

(٦١٨) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٦٤-٦٨.

عشري المهم فضل الله الراوندي (توفي ١١٧٦م) الذي روى عن أبي الصمصام ذي الفقار الحسن وأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي العالم الاثني عشري البارز الذي توفي عام ١٠٦٧م. وينتهي الإسناد عند جعفر الصادق (توفي ٧٦٥م) الإمام السادس عند الشيعة الاثني عشرية.[٦١٩] ويظهر كل من راشد وقوام الدين في مصنف محمد باقر المجلسي (توفي ١٦٩٨/ ٩٩م) *بحار الأنوار*، وذلك في الفصل المتعلق بإجازات المجلسي. وهذه الإجازات مصاغة على شكل سلسلة من رواة حديث، كل راوي فيها تلميذٌ لسابقه، إلى أن تنتهي السلسلة عند إمام أو عالم كبير أو مؤلف كتاب. ويقول المجلسي إنه اعتمد أحيانا على إجازات مكتوبة بواسطة هؤلاء العلماء من العصور الوسطى. وتقدم هذه الإجازات معلومات عن شيوخ «العلماء البحرانيين» وتلاميذهم، وأحيانا تواريخ وفاتهم.

ونقرأ في إجازة *بحار الأنوار* أن قوام الدين كان أيضا تلميذ العالم فضل الله بن علي الراوندي.[٦٢٠] وراشد وقوام الدين كانا شيخي أحمد بن صالح القسيني، حيث منحه قوام الدين إجازة عام ١١٩٢م.[٦٢١] ونال راشد إجازة في كتاب *السبع في القراءات* لابن مجاهد. ومنح تلميذه صفي الدين محمد بن معد الإجازة ذاتها.[٦٢٢]

وبما أن راشداً وقوام الدين كانا تلميذي فضل الله الراوندي، فلربما التحقا

(٦١٩) محمد العاملي، *الأربعون حديث*، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (قم: د.ن، ١٤٠٧هـ [١٩٨٧])، ص٢٩.

(٦٢٠) محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار* (بيروت: مؤسسة وفاء، ١٩٨٣)، ج١٠٦، ص٣٢.

(٦٢١) محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*، ج١٠٦، ص١٨-١٩.

(٦٢٢) محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*، ج١٠٤، ص١٢٩.

بمدرسته، أي المدرسة المجدية في كاشان (بين قم وإصفهان في إيران). وقد رعى هذه المدرسة مجد الدين أبو القاسم عبيد الله بن فضل بن محمود.(٦٢٣)

وتشير معلومة أخرى إلى علاقة ما بكاشان. فعلي بن عبد الجبار بن علي الطوسي كان واحدا من شيوخ راشد. وتذكر إجازة واردة في *بحار الأنوار* أن راشداً كان تلميذ علي بن عبد الجبار الطوسي الذي نال إجازته من أبيه القاضي عبد الجبار (يجب عدم الخلط بينه وبين سَمِيّه العالم المعتزلي المتوفي عام ١٠٢٥م) بتفويض من أبي جعفر الطوسي (شيخ الطائفة) (توفي ١٠٦٧م). وفي واقع الأمر، إن والد شيخ راشد هو ركن الدين عبد الجبار، قاضي كاشان في إيران.(٦٢٤) وعليه كان شيخاه، فضل الله الراوندي وعلي بن القاضي، يعيشان في كاشان.

وثمة تقرير عن تحركات راشد في العراق عند معاصره منتجب الدين بن بابويه القُمّي (توفي ١١٨٩م)، إذ كتب «درس راشد على علماء العراق وأقام في العراق لفترة».(٦٢٥) وربما سافر راشد من كاشان إلى العراق، لكن ليس لدينا تقرير يشير إلى صلته بالبحرين. ونعلم من *بحار الأنوار* أنه توفي عام ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م، بعد أن درّس تلميذه أحمد بن صالح القسيني بفترة

---

(٦٢٣) عبد الجليل الرازي، *كتاب النقد*، تحقيق جلال الدين حسيني أرماوي (د.م: د.ن، ١٣٣١ هـ [١٩٥٢ م])، ص١٦٨-١٧٠، ٤٧٣؛ علي خان المدني، *الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة*، تحقيق سيد محمد بحر العلوم (قم: منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ هـ [١٩٧٧م)، ص٥٠٦.

(٦٢٤) الحر العاملي، *أمل الآمل*، تحقيق أحمد الحسيني (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣)، ج٢، ص١٤٣.

(٦٢٥) منتجب الدين بن بابويه، *فهرست أسامي علماء الشيعة ومصنفاتهم*، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي (قم: مطبعة الخيام، ١٩٨٣/ ٨٤)، ص٧٧.

قصيرة، ومكان وفاته غير محدد.[٦٢٦] ولربما نتعرف على مكان الوفاة في حال حصولنا على معلومات مفصلة عن أحمد بن صالح القسيني.

وتظهر المعلومة الأولى حول دفن راشد في البحرين/ أوال بعد ٥٠٨ عاما على وفاته عام ١٢٠٨م، وذلك في *الإجازة الكبرى* التي منحها عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني (توفي ١٧٢٣م) لتلميذه ناصر الجارودي عام ١٧١٦م. يزعم السماهيجي، من دون ذكر أي مصدر أو إسناد، أن راشداً دفن في ضريح في النبيه صالح، وهي جريرة صغيرة على مقربة من سترة وأوال (مملكة البحرين الحالية).[٦٢٧]

ومع أن أيا من كُتّاب التراجم والمؤرخين الأوائل لا يذكر مؤلفات راشد، فثمة مخطوط حديث الهيئة منسوب إليه في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم، حققه ونشره مؤخرا محمد عيسى آل المكباس البحراني عام ٢٠٠٢ بعنوان *مختصر في تعريف أحوال سادات الأنام النبي والاثني عشر إمام*.[٦٢٨] ولا يشرح المحقق كيفية تأكده من أصالة المخطوط.

٣-٢- أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني (توفي حوالي سبعينيات القرن الثالث عشر)

أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني هو العالم الثالث الموصوف

---

(٦٢٦) محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*، ج١٠٦، ص١٩، حيث يقول «وذكر أن الفقيه راشد بن إبراهيم روى لوالده في سنة خمس وستمائة قبل وفاته بشهور قليلة وأن قوام الدين روى له في سنة ثمان و ثمانين وخمسمائة».

(٦٢٧) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٨٢.

(٦٢٨) المخطوط محفوظ في قم، مركز إحياء ميراث إسلامي، رقم ١٨/ ٧١. راشد بن إبراهيم البحراني، *مختصر في تعريف أحوال سادات الأنام النبي والاثني عشر إمام*، تحقيق محمد عيسى آل مكباس (د.م: علمية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م).

بأنه بحريني الأصل عند سليمان ومن سار على خطاه من كتّاب التراجم والمؤرخين اللاحقين.[٦٢٩] ولا يوجد أي تقرير حول تاريخ ولادته ووفاته. لكننا نستنتج من الرسالة العلمية التي كتبها، والتي يقال إن نصير الدين الطوسي (توفي ١٢٧٤م) علق عليها، أنه توفي قبل الطوسي الذي ربما عاصره. وتُنسب كتابة المقدمة إلى علي بن سليمان، تلميذ ابن سعادة.[٦٣٠] ويذكر ابن أبي جمهور الأحسائي (توفي ١٥٠١م) في إجازته ابنَ سعادة البحراني كواحد من ضمن سلسلة رواة الحديث التي يرتبط بها، من دون أي إشارة إلى مكان ولادته أو إقامته أو وفاته.[٦٣١]

وثمة التباس حول هوية شيخه. فنعلم من إجازة بن أبي جمهور الأحسائي أن ابن سعادة كان تلميذ نجيب الدين محمد السوراوي، الذي روى بدوره عن هبة الله بن رطبة السوراوي. لكن سليمان كتب لاحقا أنه كان تلميذ ابنه يحيى بن محمد السوراوي الذي روى عن الحسين بن هبة الله بن رطبة، وبهذا خفّض طبقته في سلسلة الرواة. وأيا كانت الهوية الصحيحة لشيخه، فكلاهما حمل النسبة نفسها: السوراوي. ومع ذلك، يحتمل أن تكون هذه النسبة غير دقيقة. فبموجب كتاب *رياض العلماء* كان يحيى بن محمد بن يحيى بن فرج السوراوي تلميذ الحسين بن هبة الله بن رطبة السوراوي[٦٣٢] ومحمد بن شهراشوب المازندراني (توفي في حلب عام ١١٩٢م). ويقال

(٦٢٩) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٤٥-٤٩.

(٦٣٠) نصير الدين الطوسي، «شرح رسالة العلم»، مخطوط. من كتابخانه مجلس شورى مِلّي، طهران، رقم ٣٦٠٢٣/ ١٧١٧، ص٢٠٧-٢٢٥.

(٦٣١) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية* (قم: مطبعة سيد الشهداء، ١٩٨٣-١٩٨٥)، ص١٢.

(٦٣٢) عبد الله أفندي، *رياض العلماء*، ج٥، ص٣٧٥-٣٧٦.

إن المازندراني حمل نسبة السروي.[٦٣٣] والنسبتان، السوراوي والسروي، متقاربتان من ناحية الرسم.

كتب ابن سعادة رسالة حول فلسفة المعرفة عنوانها *فلسفة العلم*.[٦٣٤] ويقال إن الطوسي كتب شرحا لهذه الرسالة لم يذكر فيها اسم مؤلفها، بل وصفه بـ «صاحب الرسالة». لكن سليمان البحراني شكك في انتساب الرسالة إلى الطوسي، ورجح أنها لميثم البحراني، فأسلوب كتابتها قريب من أسلوبه.[٦٣٥] وبالفعل، يتضمن المخطوط، الذي اطلعتُ على نسخة له، اسم كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني في الحاشية بوصفه الشارح.[٦٣٦]

اقترح كُتّاب التراجم المعاصرون أن ابن سعادة كان اثني عشريا لأن شيخه وتلميذه كانا كذلك لا أكثر، مع أن كتابه الوحيد لا يقدم أي دليل على انتمائه الطائفي. وفي مناقشته سبب انشغال ابن سعادة بالفلسفة، اقترح العريبي أن ازدهار اقتصاد البحرين جعل علماءه على اتصال مستمر مع التجار الزائرين من مناطق أبعد، ممن حملوا أفكارا دينية ومذهبية متنوعة. ولّد هذ التنوع

---

(٦٣٣) شمس الدين الذهبي، *تاريخ الإسلام*، تحقيق عمر تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧)، ج٤١، ص٣٠٩.

(٦٣٤) يوجد عدد من نسخ هذا المخطوط، وبموحب معلوماتي، فإن الأقدم بينها مؤرخة في ١٦٣٤م، وقد نسخها شخص مجهول. وهي موجودة في مكتبة المرعشي النجفي (قم)، رقم الإيداع ٢١٩١١/٣. المخطوط الثاني من حيث القدم مؤرخ في ١٦٧٢م، ومكتوب بواسطة شمس الدين محمد بن خواجة أحمد بن خليل جيلاني لهيجي، ومحفوظ أيضا في مكتبة المرعشي النجفي، رقم الإيداع ٧٨٤٤/٣.

(٦٣٥) يعتقد العريبي أن نصير الدين الطوسي هو الذي كتب الشرح وليس ميثم. انظر مناقشة هذا الموضوع في:

Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 36-38.

(٦٣٦) نصير الدين الطوسي، «شرح رسالة العلم». مخطوط. من كتابخانه مجلس شورى مِلّي، طهران، رقم ٣٦٠٢٣/١٧١٧، ص٢٠٧-٢٢٥.

الثري بيئة ثقافية أفسحت المجال لشكل من الحوار أدى إلى تشكل مدرسة البحرين العقلانية.[٦٣٧] لكن هذا الافتراض يقوم على الاعتقاد ببحرينية ابن سعادة، وهو أمر يفتقر إلى البرهان.[٦٣٨]

كتب سليمان بن عبد الله أنه سمع جماعة من المعمرين يقولون إن قبر ابن سعادة كان قريبا من قبر تلميذه علي بن سليمان البحراني في سترة.[٦٣٩] وهذا إقرار واضح من سليمان بأنه لم يعتمد في توثيقه لأحداث وقعت قبل قرون خلت على مصادر تقليدية، أي كتاب أو إسناد، بل على معتقدات شعبية، إن صح هذا الزعم طبعا. وسار السماهيجي على خطا شيخه فأضاف أن قبر ابن سعادة كان في سترة.[٦٤٠] وتكررت هذه القصة عند كتاب التراجم والمؤرخين اللاحقين حتى أيامنا هذه.[٦٤١]

٣-٣- إبراهيم بن حسين بن إبراهيم (عاش حوالي ١٢٧٠م)

عاش هذا العالم في الحلة، وجاء ذكره في الإجازة التي منحه إياها شيخه جعفر بن الحسن الحلي، المعروف بالمحقق الحلي (١٢٠٥-١٢٧٧م).

---

(637) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 31.

(٦٣٨) في الواقع، إن الاحتمال الأرجح هو أن مدينة سورا في العراق كانت مصدر التقليد الفلسفي الذي تأثر به علي بن سعادة وتلميذه علي بن سليمان. أولا، كانت هذه المدينة موطنا للسريانيين كما يقول ياقوت، وقريبة جدا من الحلة. وربما تأثر ابن سعادة بالمسيحيين في اختياره فلسفة المعرفة موضوعا. وهذا قد يفسر بشكل أفضل وجود عمل فلسفي مبكر جدا لأحد علماء الاثني عشرية. حول سورا، انظر: ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج٣، ص٢٧٨.

(٦٣٩) يرد هذا في علي البلادي البحراني، *أنوار البحرين*، ص٥٦-٥٧. يقول سليمان «وقد سمعت جماعة من المعمرين يقولون إن قبره في قرب الشيخ جمال الدين علي بن سليمان».

(٦٤٠) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٧٦.

(٦٤١) انظر الحاشية ٦١٦.

كتب المحقق في نهاية كتاب *النهاية* لشيخ الطائفة الطوسي «قرأ عليّ الشيخ الأجَلّ العالم الفقيه الفاضل الدين أبو الحسين إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم البحراني هذا الكتاب سنة تسع وستين وستمائة [١٢٧٠ م]».[٦٤٢] وقد رأى سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني مخطوط هذا الكتاب للمحقق الحلي، فذكر شهادته في معجمه *فهرست علماء البحرين*.[٦٤٣] ومجددا، ليس بمقدورنا التأكد إن كان هذا العالم حقا من البحرين.

٣-٤- جمال الدين علي بن سليمان البحراني (توفي حوالي ١٢٧٤م) وابنه حسين

يرد ذكر جمال الدين علي بن سليمان البحراني وابنه حسين في فهرست سليمان الماحوزي البحراني بوصفهما عالمين من البحرين.[٦٤٤] كتب العالم الاثنا عشري جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن مُطَهّر الحلي (توفي ١٣٢٥م)، المعروف بالعلامة، إجازة عنوانها *الإجازة الكبرى* عام ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣م إلى أبناء زهرة الحلبي، أقاربه ذوي النسب الشريف، وإلى عدد من سادات حلب. ويقول العلامة في إجازته التي تسرد أسماء شيوخه انتهاء بالرسول محمد إنه تحصل عليها من شيخه الحسين، نجل جمال الدين علي بن سليمان البحراني. ويصف العلامةُ علياً بن سليمان البحراني بالعالم الجيد

(٦٤٢) سليمان البحراني، *فهرس آل بابويه وعلماء البحرين*، تحقيق أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠٤هـ [١٩٨٤م])، ص٨٤؛ سالم النويدري، *أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٢ قرنا* (بيروت: مؤسسة العارف، ١٩٩٢)، ج١، ص٣٠٩-٣١٠. كتب المحقق الحلي «قرأ عليّ الشيخ الأجل العالم الفقيه الفاضل الدين أبو الحسين إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم البحراني كتاب النهاية». وكتب أيضا «أنهاه أيده الله قراءة وبحثا وفهما في مجالس آخرها الأربعاء سابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة كتبه جعفر بن سعيد». انظر: سالم النويدري، *أعلام الثقافة*، ج١، ص٣٠٩.

(٦٤٣) محمد التاجر البحراني، *منتظم الدرّين*، ج١، ص٢٤-٢٥.

(٦٤٤) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٥٠-٥٦.

في العلوم العقلية والفلسفة الذي كتب أعمالا مهمة. وقد اقتبس المجلسي هذه الإجازة كاملة في كتابه *بحار الأنوار*.[٦٤٥] وكان علي بن سليمان شيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني.[٦٤٦]

وأضاف سليمان نسبة جديدة لعلي بن سليمان لم أعثر عليها في المصادر الأقدم هي «السِتراوي». ويقول «السِتراوي نسبة إلى سِترة، وهي قرية كبيرة في البحرين،[٦٤٧] وتقوم على قياس لغوي شاذ».[٦٤٨] لكن، لا هو قدم تفسيرا لغويا لهذه النسبة الشاذة ولا استشهد بمصدر أقدم. وفي الواقع، فإن النسبة الصحيحة من سِترة هي السِتري لا السِتراوي وفق قواعد اللغة العربية، فكل العلماء اللاحقين الذين جاؤوا من سترة يحملون نسبة الستري بالفعل في معاجم التراجم. وهؤلاء هم: سليمان نفسه، ومحمد بن خلف الستري، وهاشم الصياح الستري، وعبد الله بن عباس الستري، وشِبر بن علي الستري، وأحمد بن صالح بن طَعّان الستري.[٦٤٩] وعليه فإن نسبة الستراوي مستهجنة. ولكن هذا الخطأ الذي ارتكبه سليمان ساهم في استبدال نسبة الستري بالستراوي عند علماء البحرين لاحقا فصار عدد منهم يتخذ اسم الستراوي. إن الكلمة نفسها عرضة للتشويه بالتحديد، ولا سيما في ضوء دوافع سليمان المحتملة لتلفيق صورة خاصة عن تقاليد تاريخية لشيعة البحرين. وقد تكون هذه النسبة محرفة عن السوراوي، فعلي بن سليمان البحراني كان شيخ أحمد بن سعادة البحراني الذي حمل شيخه نسبة السوراوي/ السروي كما لاحظنا

(٦٤٥) محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*، ج١٠٤، ص٦٠-١٣٧، بالأخص ص٦٥.

(٦٤٦) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي*، ج١، ص١٢.

(٦٤٧) سترة مهمة جدا في تاريخ بلاد البحرين، وهي جزيرة صغيرة تقع إلى الشرق من جزيرة البحرين وتقابل شبه جزيرة قطر.

(٦٤٨) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٥١.

(٦٤٩) علي البلادي البحراني، *أنوار البدرين*، ص١٣٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٧.

أعلاه. ويمكن رؤية أصداء الخطأ الذي ارتكبه سليمان في اعتقاد العريبي بأن عليا بن سليمان تلقى تعليمه في البحرين حصريا لأنه، أي ابن سليمان، لم يذكر شيخا آخر غير ابن سعادة البحراني الذي نسبه سليمان إلى سترة.[٦٥٠]

أما عن تخصص علي بن سليمان، فقد كان فيلسوفا وصوفيا اقتصرت كتاباته على هذين الموضوعين، لكن رسائله العلمية ما زالت على هيئة مخطوطات. وكتب ماديلونغ عنه في الموسوعة الإيرانية (Encyclopaedia Iranica)، فوصفه بالعالم الإمامي والفيلسوف من النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذي مال إلى التصوف. وأشار إلى أن حيدر الآملي عد ابن سليمان «من العلماء الذين وضعوا العرفانية الصوفية فوق كل المعارف الأخرى».[٦٥١]

وكتب العريبي وصفا موجزا لعدد من كتابات علي بن سليمان. إذ تتناول رسالته المعنونة *الإشارات*، وهي كتاب في الماورائيات والتصوف، مواضيع الوجود والنبوة والولاية (من الأولياء). وقد تأثر المؤلف كثيرا بكتابي *فصوص الحكم* لابن عربي (١٢٤٠م) و*مشكاة الأنوار* للغزالي (١١١١م). ويقول العريبي إن هذا الصنف من المواضيع الصوفية لم يكن جذابا في الوسط الشيعي.[٦٥٢] لكنه كان جذابا للتثاقف في شمال إيران. وكتب البحراني أيضا شرحا لكتاب *رسالة الطير* لابن سينا عنوانه *مفتاح الخير في شرح ديباجة رسالة*

(650) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 39.

(٦٥١) يستشهد ماديلونغ بـحيدر الآملي، *جامع الأبرار ومنبع الأسرار*، تحقيق هنري كوربن وعثمان يحيى (طهران وباريس، ١٩٦٩). انظر:

W. Madelung, ‘Bahrani, Jamal-al-Din’, *Encyclopaedia Iranica*.

تاريخ الوصول: ١٤/ ٦/ ٢٠١٣: http://www.iranicaonline.org/articles/bahrani-jamal-al-din-also-kamal-al-din-ali-b

(652) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 40.

الطير، اقتصر شرحه فيها على مقدمة ديباجة ابن سينا القصصية الرؤيوية.(٦٥٣) وشرح البحراني أيضا القصيدة العينية لابن سينا عن النفس في رسالة بعنوان *المنهاج المستقيم على طريقة الحكيم*.(٦٥٤) أما رسالته *معراج السلامة ومنهاج الكرامة* فتتناول مسألة الوجود الإلهي، وكان الهدف منها دحض حجج أحد معاصريه المجهولين في مسألة البرهان على منطقية رؤية الله.(٦٥٥)

حظي علي بن سليمان برعاية شخص يذكره باللقب في مقدمة رسالته *الإشارات*: وهو غياث الملة والدنيا والدين. لكنه لا يحدد اسمه.(٦٥٦) ولعله كان عطا ملك الجويني (توفي ١٢٨٣م) أو عبد العزيز بن جعفر النيسابوري (توفي ١٢٧٤م)، فكلاهما تكفل برعاية ميثم البحراني، تلميذ علي بن سليمان كما سنرى أدناه. وقد يوحي هذا بأن علي بن سليمان أقام في بغداد، حيث تبوأ هذان الراعيان المحتملان مناصب سياسية وإدراية مهمة. ومجددا، سار السماهيجي على خطا شيخه سليمان فكتب «دفن علي بن سليمان في قرية سترة بالقرب من شيخه ابن سعادة».(٦٥٧) ولا يوجد أي مصدر باكر يدعم هذا الادعاء لسليمان والسماهيجي اللذين لم يعتمدا أيضا على مرجعيات أقدم.

---

(653) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 45.

(٦٥٤) انظر: Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 42؛ وكذلك: محمد التاجر البحراني، *منتظم الدرّين*، ج٣، ص١٤١-١٤٤.

(655) Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance, 40.

(٦٥٦) انظر الملحق في: Ali al-Oraibi, Shiʿi Renaissance، ٢٤١-٢٤٩. والنسخة من مكتبة جامعة فردوس في مشهد، مخطوط رقم ٩٧٣.

(٦٥٧) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٧٥؛ يوسف البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص٢٥٣.

٣-٥- ميثم بن علي بن ميثم البحراني (توفي حوالي ١٢٨٣م)

إن كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني واحد من العلماء الذين نسبهم المؤرخون في العصر الحديث إلى البحرين في العصور الوسطى، بل وعدّوه الأهم بين علماء البحرين. إذ كان غزير الإنتاج وترك تأثيرا كبيرا على العديد من علماء الشيعة اللاحقين الذين استشهدوا بآرائه في مسائل اللغة والفلسفة والتصوف. نعرف القليل عن شيوخه، وقد صُنّف ضمن تلاميذ علي بن سليمان البحراني المذكور أعلاه في إجازات العلماء اللاحقين، مثل ابن أبي جمهور.[٦٥٨] ويقال إنه جلس مع المحقق الحِلّي (توفي ١٢٧٧م) ودخل معه في نقاش مثمر.[٦٥٩] ونذكر من تلاميذ ميثم: العلامة الحِلّي، ومحمد بن جهم الحِلّي، ومحمد بن عبد الكريم بن طاووس الحِلّي.[٦٦٠] كتب سليمان الماحوزي ترجمة موجزة لميثم في كتابه *السلافة البهية في الترجمة الميثمية* عام ١٦٩٣م، فاقتبسها يوسف البحراني بالكامل في كتابه *الكشكول*.[٦٦١] وكان سليمان الماحوزي أول مؤرخ حدد ميلاد ميثم في عام ١٢٣٩م، وذلك في كتابه *فهرست علماء البحرين*، لكنه لا يحيل إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة.[٦٦٢]

وبالفعل، كان ميثم أكثر شهرة من «العلماء البحرانيين» الآخرين، فكتبه

---

(٦٥٨) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي*، ص١١-١٢.

(٦٥٩) فخر الدين الطريحي، *مجمع البحرين ومطلع النيرين* (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٥)، ج٦، ص١٧٢.

(٦٦٠) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي*، ص١١؛ الحر العاملي، *أمل الآمل*، ج٢، ص٣٣٢؛ عبد الله أفندي، رياض العلماء، ج٥، ص٢٢٧.

(٦٦١) يوسف البحراني، *كشكول البحراني أو أنيس المسافر وجليس الخاطر* (بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٨)، ص٣٩-٤٩.

(٦٦٢) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٦٣.

ومخطوطاته وفيرة ومحفوظة جيدا. ويتخلل مقدمات كتبه بعض التلميحات حول أصله ومكان معيشته. فهو يذكر في مقدمة كتابه *شرح نهج البلاغة* أنه «غادر وطنه وأهله وقدم إلى بغداد» وذلك في عهد عطا ملك الجويني الذي تسلم السلطة عام ١٢٥٩م. لكنه لا يحدد مكان قدومه للأسف.[٦٦٣] وقد نستشف من رسالة، ما زالت على هيئة مخطوط، وجهها ميثم إلى الطوسي، أنه أمضى شبابه في البصرة.[٦٦٤] فهو يطلب فيها من الطوسي، الذي كان يشغل منصبا إداريا بارزا في بغداد، دعما ماليا لطلاب البصرة الذين هم بأمس الحاجة إلى ذلك.[٦٦٥]

علاوة على ما تقدم، كتب ابن الفُوَطي (توفي ١٣٢٣م) ترجمة موجزة لميثم يذكر فيها أنه جاء إلى دار السلام (بغداد)، حيث جلس معه. أخبر ميثم

---

(٦٦٣) ميثم بن علي البحراني، شرح نهج البلاغة، ص١٤، حيث يكتب «إلى أن قضت صروف الأيام بمفارقة الأهل والوطن وأوجبت تقلبات الأيام دخول دار السلام».

(٦٦٤) كتب ميثم: «وقد كان المملوك سمع أن نوره المتلألئ وشعاعه المتعالي قد تألق بناحية الزوراء حتى اتصل بساحة البصرة». انظر المصدر كاملا في الحاشية التالية.

(٦٦٥) يقول ميثم: «ولا شك أن المولى أيده الله بعنايته نور شعاعي من تلك الأنوار، وكوكب دري من تلك الأشجار، وسر إلهي برز إلى حيز الأطهار، ولطف رباني أهبط إلى هذه الدار، أيد الله مراتبه وشيد مناصبه، وأوسع مذاهبه، وأنار مناقبه. ولا شك أن صلاحه قد اتصل بأكثر القطر المعمور عمره الله بدوام دولته وقيام حجته، والمحاويج من قطرنا الضعيف مضطرون إلى ليف ترتيبه متشرفون إلى إفاضة شريف سيرته، وملاحظة عنايته، ومحاسن سنته خاصة المحاويج من طلبة العلم وسلاك مناهج الفضل والحلم، فمنهم شغله لجاج قلم الخراج عن النهوض إلى حيز التحقيق ومنهم من فقد مركوبه لعدم الراد عن سلوك الطريق يتحسرون على التعلي إلى أفق عليين، فيأتي وقتهم إلى أسفل سافلين، يستغيثون من ضيق الأقفاص فينادون ولات حين مناص. هذه حالتهم المفصح عنها مقالتهم، والله المستعان وعليه التكلان. فإن أمكن الأخذ بأيديهم بجميل عنايته، والاهتمام من أمورهم بجزيل إفاضته ذلك منحة من الله تعالى تغشاهم، ونفخة لديه تتلقاهم، وبها يكون الذكر الجميل والشكر الجزيل من الخلائق أجمعين في الدنيا والنعيم المقيم والرضوان من رب العالمين في الآخرة. فإنه نعم المسعى لراحة العباد والعقبى يوم التناد». ميثم البحراني، «رسالة الشيخ ميثم البحراني إلى الشيخ ناصر الدين الطوسي». مخطوط. من مركز إحياء الميراث الإسلامي، قم، ٦/٥٥٧، الورقات ٥٥٩-٥٦٢.

ابنَ الفوطي أن شيخه هو علي بن سليمان البحراني، وطلب منه أن ينسخ الرسالة التي وجهها إلى نصير الدين الطوسي، ففعل ابن الفوطي. ثم يصف ابن الفوطي ميثماً بالأديب والقاضي ذي الأخلاق الكريمة والوجه البشوش. كما يضيف أنه أقام في بيت صفي الدين بن الأعسر الحسيني.(٦٦٦) تسجل هذه المعلومات المعاصرة للأحداث انتقال ميثم من البصرة إلى بغداد، ومع ذلك لا يوجد دليل يشير إلى البحرين. ويجب أن نأخذ بالحسبان أيضا قربه من علماء الحلة المعروفين، فهو دليل على إقامته في هذه المدينة.

وتزودنا المصادر بتاريخين لوفاة ميثم، الأول هو عام ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠م بواسطة سليمان الماحوزي البحراني.(٦٦٧) وإذا صح هذا التاريخ، فقد توفي في سن الثالثة والأربعين. لكنه يبدو غير صحيح، لأن نسخة لكتاب ميثم *اختيار مصباح السالكين*، وهو شرح لـ *نهج البلاغة*، كُتبت عام ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م بموجب حاشية في نهاية المخطوط. أما التاريخ الثاني المقترح لوفاته فهو عام ٦٩٩ هـ/ ١٣٠٠م، وذلك في *كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار* لإعجاز حسين الكنتوري (توفي ١٨٦٩م).(٦٦٨) ولم يكن آغا بزرك متأكدا من هذا التاريخ حينما كتب عن ميثم في مؤلفه *الذريعة*، فيقول إنه ربما توفي بين ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠م و ٦٩٩ هـ/ ١٣٠٠م.(٦٦٩)

(٦٦٦) عبد الرزاق بن الفوطي، *مجمع الآداب ومعجم الألقاب*، تحقيق محمد الكاظم (قم: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦ ه/ ١٩٩٤م)، ج٤، ص٢٦٦.

(٦٦٧) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٦٣.

(٦٦٨) إعجاز حسين الكنتوري، *كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار*، تحقيق محمد هداية ولاية حسين (د.م: مطبعة بيتس مشن، ١٣٣٠ هـ [١٩١٢ م])، ص٣٧٥. لكن المؤلف يقول في صفحة أخرى إن ميثماً توفي عام ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠ م. انظر ص٣٢٢. وهو يستشهد في الصفحتين كليهما بكتاب *الكشكول* للبهائي، وهذا يعني أن التضارب في التواريخ قد يعود إلى خطأ مطبعي.

(٦٦٩) محمد آغا بزرك الطهراني، *الذريعة إلى تصانيف الشيعة* (بيروت: دار الأضواء، بلا تاريخ)، ج١٤، ص١٤٩.

وترد المعلومة الأقدم عن تاريخ وفاته عند إبراهيم الكفْعَمي (توفي ١٥٠٠م) الذي يذكر أن ميثماً دُفِن في دار السلام بغداد.[٦٧٠] لكن عبد الله السماهيجي كتب بعد قرنين من الزمن أنه توفي في البحرين ودفن هناك.[٦٧١] وكتب يوسف البحراني (توفي ١٧٧٢م) أن ميثماً توفي في البحرين ودفن في قرية هلتا من الماحوز، مضيفا أن قبر جده كان يقع في قرية الدونج. ثم يقول إن بعض الناس (ربما يقصد الكفعمي) زعموا أن ميثماً دفن في العراق، لكنه يرفض هذه المعلومة مع أنها سابقة على زعم السماهيجي بأكثر من ٢٠٠ عام.[٦٧٢] شكك البلادي (توفي ١٩٢٢م) في الموقع الحقيقي لقبر ميثم، إلا أنه لم يتطرق لمسألة دفنه في بغداد عوضا عن البحرين. إذ لم يكن على يقين فيما إذا كان القبر في قرية الدونج أو هلتا من الماحوز، وكلتاهما في البحرين. ويقول البلادي إنه وإن زار القبرين من باب الاحتياط، لكنه يميل إلى الاعتقاد بأن القبر الذي في هلتا كان فعلا لميثم، بالنظر إلى النتائج الفعالة للدعوات عنده والعدد الكبير من المنامات التي رآها زوّاره.[٦٧٣]

وتذكر قصة محورها حكمة ميثم وتواضعه أن علماء الحلة دعوه إلى زيارة مدينتهم والدخول في مناظرة معهم. لكنني لم أجد أي مصدر لهذه القصة سابق على كتاب *مستطاب مجالس المؤمنين* لنور الله شوشتري (توفي ١٦١٠م) باللغة الفارسية، وهو لا يتضمن أي مرجع.[٦٧٤] اقتبس سليمان بن

---

(٦٧٠) مذكور في يوسف البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص٢٥٠؛ علي البحراني، *أنوار البدرين*، ص٦٠.

(٦٧١) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٧٣.

(٦٧٢) يوسف البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص٢٥٠.

(٦٧٣) علي البلادي البحراني، *أنوار البدرين*، ص٦٠.

(٦٧٤) ضياء الدين نور الله شوشتري، *مستطاب مجالس المؤمنين* (طهران: طهران: كتابفروشي إسلاميه، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٩٨م)، ج٢، ص٢١٠-٢١٢.

عبد الله البحراني هذه القصة لاحقا وترجمها إلى العربية في *السلافة البهية في الترجمة الميثمية* الذي كتبه عام ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣م، ولعله لم يجدها في أي مصدر عربي.(٦٧٥)

تشير الأدلة الأقدم التي سقناها أعلاه إلى أن ميثماً أمضى حياته الباكرة في البصرة وتلقى فيها تعليمه الباكر. ثم سافر إلى الحلة وبغداد حيث توفي. ولا يحيل أي مصدر باكر إلى البحرين. وقد تم ربط ميثم بالبحرين للمرة الأولى بعد أربعة قرون في كتب سليمان البحراني وتلميذه السماهيجي ثم يوسف البحراني.

إن الاعتقادات الشعبية بالأولياء ومقاماتهم وحاجات أهل البحرين الروحية المتجلية في الأحلام والدعوات عند القبر هي جزء كبير من التعديل اللاحق لترجمته. وتجدر الإشارة إلى أن يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني (كان على قيد الحياة عام ١٥٦٣م)، وهو عالم من البحرين ما قبل الصفوي هاجر إلى إيران، وضع رسالة علمية موجزة تركز بشكل رئيس على علماء الاثني عشرية البارزين. وحين يدرج ميثم البحراني وأحمد بن المتوج البحراني في رسالته هذه، فإنه لا يشير إلى دفنهما في البحرين.(٦٧٦)

ومن الناحية العلمية، يُظهر مؤرخو سيرة ميثم أن نتاجه أثر على العديد من العلماء في شتى المجالات. على سبيل المثال، استشهد بكتاباته وتفسيراته اللغوي المشهور الشريف الجرجاني (توفي ١٤١٤م) في كتابيه *المصباح في*

(٦٧٥) هذه الترجمة القصيرة مقتبسة بالكامل في يوسف البحراني، *الكشكول*، ص٣٩-٤٩.

(٦٧٦) يحيى بن عشيرة البحراني، *رسالة في مشايخ الشيعة*، تحقيق نزار الحسن (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٩)، ص٥٨، ٦٣. قد يقول قائل إن هذا الكاتب لم يجد من الضروري تسجيل كل التفاصيل المتعلقة بهؤلاء العلماء، وهذا صحيح، لكنني أجد أن من الضروري ذكر هذا العمل السابق على عمل سليمان والمكتوب بواسطة شخص بحريني.

شرح *المفتاح* و *الحاشية على المطول*، حيث يصفه بـ «أحد شيوخي».(٦٧٧) واستند الشهيد الثاني (توفي ١٥٥٨م) في كتابيه شرح *اللُمعة* و شرح *شرائع الإسلام* إلى اجتهادات ميثم في تناوله عددا من المسائل، فصنفه ضمن فئة «الأصحاب المعتمدين». وبيّن محمد بن علي العاملي، تلميذ الشهيد الثاني، في كتابه *مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام* أن شيخه كان يحيل إلى ميثم بالفعل. كما ذكر شيخ بهائي (توفي ١٦٢١م) مثيماً مرات عدة في كتابه *الكشكول*.(٦٧٨) ويقال إن الفيلسوف البارز صدر الدين محمد شيرازي، المعروف بملا صدرا (توفي ١٦٤٠م)، استشهد بميثم في كتابه *حاشية شرح التجريد*، مع أن انتساب هذا العمل إلى صدرا موضع خلاف. وأخيرا، وصف ابن أبي جمهور الأحسائي ميثماً بمعلم الفلسفة الذي تفوق على أفلاطون وأرسطو.(٦٧٩)

كان فخر الدين الطريحي (توفي ١٦٧٤م) أول من كتب أن ميثماً هو شيخ نصير الدين الطوسي في الفقه، وذلك في المادة تحت الأحرف م/ ث/ م في كتابه مجمع *البحرين ومطلع النّيرين*.(٦٨٠) وقد رفض هذه المعلومة كل من العريبي ومحمد الغروي محقق كتاب *النجاة في القيامة* لميثم. وبرهنا على أنه كان يافعا جدا ليعلم الطوسي الفقه. إذ كان في الخامسة والعشرين عندما أتى الطوسي البالغ من العمر ٦٥ عاما إلى العراق عام ١٢٦٣م ليعمل موظفا عند المغول. ويضيف الغروي أنه لا يوجد أي ذكر في المصادر التي يعرفها لسفر

(٦٧٧) يوسف البحراني، *كشكول البحراني* (بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٨)، ص٤٠. كان سليمان بن عبد الله على دراية بشروحات حاشية المطول، كشرح المحقق الشلبي الذي أشار إلى «بعض الأصحاب المعتمدين»، أي كمال الدين ميثم البحراني.

(٦٧٨) يوسف البحراني، *كشكول البحراني*، ص٤٢.

(٦٧٩) محمد بن أبي جمهور الاحسائي، *غوالي اللآلي*، ج١، ص١١.

(٦٨٠) فخر الدين الطريحي، مجمع *البحرين*، ج٦، ص١٧٢.

ميثم إلى إيران أو سفر الطوسي إلى البحرين.[٦٨١] وتبدو حجة وجود الفارق العمري لصالح الطوسي الأقوى.

كان ميثم شديد الحرص على تطوير علاقته بالساسة. فاتصل بعبد العزيز النسيابوري حاكم البصرة وواسط (توفي ١٢٧٤م)، وعطا ملك الجويني خازن بيت مال المغول في بغداد، ومسعود بن كُرشَاسب. خدم ميثم في مجالس هؤلاء الموظفين ودرّس أولادهم. وهو يقول في مقدمة كتابه *النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة* إنه سُرَّ لمقابلة الحاكم العادل وحارس الطائفة أبي المظفر عبد العزيز بن جعفر النيسابوري الذي طلب منه كتابة رسالة حول مفهوم الإمامة. وكان النيسابوري رئيس شرطة البصرة وواسط، تم تعيينه من قبل عطا ملك الجويني. ويصف ميثمٌ النيسابوريَّ بالشخص المخلص لسلالة آل بيت النبي والراعي للكثير من العلماء، بما فيهم هو شخصيا. ويضيف أنه كان كريما وجعله يشعر أنه في وطنه وقلل من معاناة النأي عن الوطن والأهل. ومجددا، فهو لا يحدد البلد الذي جاء منه. ويقول إنه كان على وشك رفض طلب النيسابوري بسبب مشقة الرحلة والنأي عن الوطن والأهل، لكنه قرر البدء بإنجاز الكتاب الموعود كي لا يتُهم بجحود راعيه.[٦٨٢] ألف ميثم كتابا آخر لعبد العزيز النيسابوري هو *قواعد المرام في علم الكلام* (قبل ١٢٧٤م). ويقول في المقدمة إن الملك العظيم النيسابوري طلب منه أن يضع دراسة موجزة عن أصول الدين يدحض فيها حجج المخالفين للاثني عشرية.[٦٨٣] ولا يتخلل هذه الكتب أي إشارة إلى تاريخ تأليفها بواسطة ميثم، باستثناء حاشية

(٦٨١) ميثم البحراني، *النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة*، تحقيق محمد غروي (بيروت: مؤسسة العروة الوثقى، ٢٠٠٩)، ص١٤-١٦.

(٦٨٢) ميثم البحراني، *النجاة في القيامة*، ص٣٧-٣٨.

(٦٨٣) ميثم البحراني، *قواعد المرام في علم الكلام*، تحقيق أحمد الحسيني ومحمود المرعشي (د.م: مطبعة الصدر، ١٤٠٦ هـ [١٩٨٦ م])، ص٢٠.

سجلها ناسخ *قواعد المرام* تقول إنه كُتب في بغداد عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م. وربما يكون هذا التاريخ خاطئ لأن النيسابوري توفي قبل ١٢٧٧م بثلاثة أعوام كما يذكر ابن الفوطي (١٣٢٣م) في *مجمع الآداب ومعجم الألقاب*.(٦٨٤)

وتبرهن مقدمات كتب ميثم على علاقته بكل من المؤرخ المعروف عطا ملك بن محمد الجويني (توفي ١٢٨٣م) الذي عمل أيضا خازن بيت مال للمغول في بغداد وأخيه النافذ شمس الدين محمد الجويني (توفي ١٢٨٤-٨٥م). إذ يوضح أنه كتب شرح *نهج البلاغة الكبير*، المعروف باسم *مصباح السالكين* (في بغداد عام ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٩م)، نزولا عند رغبة عطا الجويني وأخيه. ويقول إنه قد تبين له من تردده إلى مجلس عطا ملك الجويني، الذي حاز منصبه عام ١٢٥٩م، اهتمامه بكتاب *نهج البلاغة* للشريف الرضي. وعليه قرر ميثم أن يكتب شرحا للكتاب إهداء إلى عطا ملك الجويني.(٦٨٥)

وبعد مدة قليلة شرع ميثم في تقليص شرحه الكبير لـ *نهج البلاغة*. ويقول في مقدمة هذا الشرح المختصر إن الجويني حثه على إنجاز نسخة أقصر لولديه أبي منصور محمد وأبي العباس. فأنجز الكتاب في يناير عام ١٢٨٣م.(٦٨٦) ومن غير المؤكد إن كان ميثم قد درّس ولدي عطا. لكنه وضع كتابا آخر لأبي المظفر منصور ابن عطا الجويني عنوانه *تجريد البلاغة*.(٦٨٧)

ويذكر ميثم في مقدمة *شرح المائة كلمة* أنه أهدى هذا الكتاب إلى الوزير

---

(٦٨٤) عبد الرزاق بن الفوطي، *مجمع الآداب ومعجم الألقاب*، ج١، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٦٨٥) ميثم البحراني، شرح *نهج البلاغة* (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٧)، ص١٤-١٥.

(٦٨٦) ميثم البحراني، *اختيار مصباح السالكين*، تحقيق محمد هادي الأميني (مشهد: مجمع البحوث العلمية، ١٤٠٨ هـ[١٩٨٨ م]).

(٦٨٧) محمد آغا بزرك الطهراني، *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*، ج٣، ص٣٥٢.

شهاب الدنيا والدين مسعود بن كرشاسب الذي تردد إلى مجلسه.[٦٨٨] وقد تعذر الحصول على معلومات كافية حول مسعود. لكن المحقق محمد الغروي اقترح أنه ربما كان أحد الأبناء الستة لمحمد بن محمد الجويني: محمد، وأتابك، وفرج الله، ومسعود، وزكريا، ويحيى. قتل هؤلاء الستة جميعا على يد أرغون خان (توفي ١٢٩١م) الذي اتهم أباهم بتسميم أبقا خان (١٢٨٢م) وقتله. ويظن الغروي أن كرشاسب ربما كان الاسم الفارسي الأصلي لوالد مسعود: شمس الدين محمد.[٦٨٩] ولكن من غير الواضح لماذا استخدم ميثم الاسم الفارسي لوالد مسعود في هذا الكتاب في حين استخدم اسمه العربي، شمس الدين محمد، في كتاب آخر هو شرح *نهج البلاغة*.

وضع ميثم الكثير من المؤلفات في موضوعات شتى. وتتضمن أعماله: *قواعد المرام في علم الكلام* (كتب قبل ١٢٧٤م)، *النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة* (قبل ١٢٧٤م)، شرح *نهج البلاغة* (١٢٧٩م) ونسخته المختصرة *اختيار مصباح السالكين*، *شرح المائة كلمة للإمام علي بن ابي طالب* (ربما قبل ١٢٨٢م)، و *تجريد البلاغة*. وكتب أيضا *المعراج السماوي* وشرح *الإشارات*، وهو شرح لكتاب *الإشارات* لشيخه علي بن سليمان. لكن يبدو أن نُسَخ كتابه *استقصاء النظر في إمامة الأئمة الاثني عشر* لم يكتب لها النجاة.

٣-٦- أحمد بن عبد الله المتوج البحراني (توفي ١٤١٧م)

إن أحمد عبد الله بن المتوج البحراني هو آخر علماء القرن الرابع عشر المصنفين بحرينيين. وإن خلت المصادر من تأكيد على بحرينيته، فإنه يبدو بالفعل قريبا جدا من الإقليم. وقد أثّر إلى حد ما على علماء آخرين، كما هو

(٦٨٨) ميثم البحراني، *شرح المائة كلمة للإمام علي بن ابي طالب* (بيروت: مؤسسة العروة الوثقى، ٢٠١٠)، ص٢.

(٦٨٩) ميثم البحراني، *النجاة في القيامة*، ص٢٤-٢٦.

حال ميثم، لكن بدرجة أقل. فاستشهدوا بآرائه، بل حتى بقصائده في أهل البيت. وبموجب مؤرخي ترجمته، فإنه مذكور في العديد من المصادر غير البحرينية.[٦٩٠] كما أنه مذكور في إجازة ابن أبي جمهور الأحسائي.[٦٩١]

وثمة التباس عند مؤرخي ترجمة ابن المتوج بسبب وجود عالمين حملا اسم أحمد بن عبد الله مع اختلاف الألقاب: فخر الدين وجمال الدين. وهما يختلفان أيضا في اسمي جديهما: سعيد للأول ومحمد للثاني. وهكذا يكون الأول فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن علي بن الحسن، والثاني جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن. لكن الأرجح هو أنهما الشخص نفسه، فالتخلي عن الاسم أو تغيير اللقب كان أمرا شائعا عند الناس. وفي هذه الحالة ربما تم التخلي عن الاسم سعيد.[٦٩٢]

لا نعرف مكان ولادة ابن المتوج وزمانها. لكنه تلقى تعليمه في الحلة، وتتلمذ على يد محمد ابن العلامة الحسن بن يوسف الحلي (توفي ١٣٦٩م)، المعروف بفخر المحققين،[٦٩٣] وكان صديق الشهيد الأول محمد بن جمال الدين العاملي (توفي ١٣٨٥م) كما يزعم سليمان الماحوزي البحراني.[٦٩٤]

درّس ابن المتوج عددا من العلماء المهمين، بينهم: أحمد بن فهد بن إدريس المقّري الأحسائي (توفي بعد ١٤٠٣م)، وأحمد بن فهد الحلي (توفي عام ١٤٣٧م)، وابنه ناصر بن أحمد بن عبد الله بن المتوج، وأحمد بن مُخَدَّم الأوالي، وأحمد بن محمد بن رفاعة السبعي (توفي ١٤٢٣م). ويذكر هذا

(٦٩٠) محمد التاجر البحراني، منتظم *الدرّين*، ج١، ١٤٣-١٤٥.

(٦٩١) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي*، ص٧-١٨.

(٦٩٢) محمد التاجر البحراني، منتظم *الدرّين*، ج١، ١٥٠، ١٥٥-١٥٧.

(٦٩٣) علي البلادي البحراني، *أنوار البدرين*، ص٦٥-٦٦.

(٦٩٤) سليمان البحراني، *فهرست علماء البحرين*، ص٦٩-٧٤.

الأخير في كتابه شرح *قواعد العلّامة* اسم شيخه ابن المتوج ويثني على كتابه *الوسيلة* الذي هو أيضا شرح لكتاب *قواعد العلامة*.[٦٩٥]

يروي سليمان البحراني أنه سمع بعض شيوخه، بما فيهم والده وشيخه سليمان بن علي بن سليمان، يقولون إن ابن المتوج عاد إلى البحرين (أوال) وشغل مناصب دينية رسمية، كقاضٍ ورئيس جهاز الحِسْبة.[٦٩٦] لكن هذا الزعم لا يستند إلى مصدر كتابي أو إسناد متصل.

ويخبرنا ناصر الذي نسخ كتاب *الناسخ والمنسوخ* لوالده ابن المتوج أنه توفي عام ١٤١٧م. ولم يحدد الابن مكان الوفاة. ومجددا، كتب السماهيجي أن قبر ابن المتوج كان في جزيرة النبيه صالح (أُكُل قديما) في أرخبيل البحرين.[٦٩٧]

ويذكر كُتّابُ التراجم حوالي ١٥ عملا لابن المتوج، معظمها غير متوفر للأسف. وتتضمن مخطوطاته الموجودة ثلاث رسائل علمية: *الناسخ والمنسوخ* (في دراسة القرآن)، *كفاية الطالبين* (في علوم الدين)، و *ما لا يسع المكلَّف الإخلال به* (في الفقه الجعفري). ووضع أيضا عملا فقهيا شرح فيه ٥٠٠ آية قرآنية أساسية تتعلق بالفقه الإسلامي. وقد حُقق الكتاب ونشر بعنوان *منهاج الهداية في بيان خمسمائة آية*.[٦٩٨]

---

(٦٩٥) محمد بن أبي جمهور الأحسائي، *غوالي اللآلي*، ج١، ص٦-٧.

(٦٩٦) سليماني البحراني، *فهرست آل بابويه وعلماء البحرين*، تحقيق سيد أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٩٨٣)، ص٨٩.

(٦٩٧) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٦٣-١٦٤.

(٦٩٨) أحمد بن متوج البحراني، *منهاج البداية في بيان خمسمائة آية*، تحقيق محمد بيّن (قم: قسم الأبحاث والدراسات في الحوزة العلمية بقزوين، ١٤٢٩ هـ [٢٠٠٩ م]).

٤ - السياق الاجتماعي- السياسي لمبالغة الماحوزي والسماهيجي في الجذور التاريخية للعلوم الاثني عشرية في البحرين في العصر الصفوي

ركزنا في القسم السابق من هذا الفصل على رصد تطور تراجم العلماء الذين يحملون نسبة البحراني. استغرقت هذه العملية خمسة قرون وأسفرت عن تصويرهم خطأً بحرينيي الولادة والمعيشة والوفاة، كما جرى تعيين قبور وأضرحة لهم في البحرين. سنناقش في هذا القسم السياق الاجتماعي- السياسي الذي عاش فيه علماء البحرين من العصر الصفوي، لنضع تصورا للأسباب التي أفضت إلى المبالغة في تعميق جذور العلوم الاثني عشرية وعلمائها هناك.

يلف الغموض أيضا كيفية تحول البحرين في العصر الصفوي إلى مركز علمي يضم علماء معروفين بالاسم. يبدو أن علماء الاثني عشرية بدؤوا بالظهور بشكل متزايد في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر.[٦٩٩] فقبل الغزو الصفوي للبحرين بقيادة القائد إمام قلي خان عام ١٦٠٢م لم يكن علماء البحرين والقطيف والأحساء راضين عن ممارسات الشاهَيْن الصفويين إسماعيل الأول (حكم ١٥٠١-١٥٢٤م) وطهماسب الأول (حكم ١٥٢٤-١٥٧٦م) بخصوص التمثيل السياسي والديني للاثني عشرية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر. وقد علل أندرو نيومان في دراسته لمواقف علماء العراق والحجاز والبحرين من هذين الشاهين المبكرين عدم الرضى هذا بأربعة أسباب، يشرحها على النحو الآتي: «نشأ عدم ارتياح المرجعيات الدينية لعلاقة الصفويين [بالاثني عشرية] بسبب

(٦٩٩) يتطلب هذا الموضوع بحثا منفصلا يقوم على مقاربة لا تعتمد كليا على نسبة العالِم.

فظاظة الشاه إسماعيل في التعامل مع المذهب والتحول إليه؛ والطبيعة المتطرفة للتعبير الديني الصفوي الذي أظهر، بعد ضم مدينة تبريز، مزيجا غير تقليدي من التلميحات اللا شيعية والشيعية؛ والغياب الواضح لاهتمام النخبة الصفوية بالتفاصيل المذهبية؛ والهزائم العسكرية الحرجة التي تلقاها الصفويون بعد أقل من خمسين عاما على ضم تبريز، والتي أبهتت نجاح التجربة الشيعية الصفوية الفتية». ولاحظ نيومان أيضاً أنه «لا يوجد تقارير في الخليج تبين أن علماء بارزين مثل شيخ داود بن عبد الله بن أبي شافيز، الذي كان له مدرسته الخاصة في البحرين، ومعاصره الحسين بن الحسن الغريفي (توفي ١٠٠١ هـ/ ١٥٩٣م) كان لهم أي اتصال بالصفويين».[٧٠٠]

وقعت جزيرة البحرين عام ١٦٠٢م تحت حكم الإمبراطورية الصفوية الشيعية الاثني عشرية في عهد الشاه عباس الأول (حكم ١٥٨٧-١٦٢٩)، وبقيت في أيديهم حتى عام ١٧١٧م في عهد الشاه الصفوي الأخير سلطان حسين (حكم ١٦٩٤-١٧٢٢م)، حين ضمها العمانيون اليعاربة. وقبل وقوعها تحت السيطرة الصفوية، خضعت جزيرة البحرين/ أوال للحكم البرتغالي والهرمزي منذ عام ١٥٢١م، بعد أن أطاحوا بالسلطنة الجبرية التي كانت تحكم الجزيرة منذ عام ١٤٧٥م. وكما اقترح كول، فرض البرتغاليون قيودا على الشيعة الاثني عشرية، ولا سيما العلماء، فحدّوا من رعايتهم لهم وحرموهم من تبوء منصاب إدارية. ووفقا لكول، كان الحكم الصفوي اللاحق غير مباشر، لكنه توطد عن طريق دعم العقيدة الاثني عشرية والتلاعب بالأحزاب السياسية المتنافسة. ويضيف أن الصفويين روجوا

(700) Andrew Newman, ‘The Myth of the Clerical Migration to Safawid Iran: Arab Shiite Opposition to ʿAlī al-Karakī and Safawid Shiism,’ *Die Welt des Islams* 33/1 (1993): 66-112, esp.68, 108; Andrew Newman, *Twelver Shiism: Unity and Diversity in the Life of Islam*, 632 to 1722 (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013), 166-167, 192-193.

للشيعية الاثني عشرية في البحرين بوصفها مخرجا إيديولوجيا لمشكلة استراتيجية، ألا وهي بعد الإقليم النسبي عن البر الإيراني وقربه من خصومهم العثمانيين السنة.[٧٠١]

في مثل هذه البيئة التنافسية يصبح التاريخ أداة فعالة للشرعنة السياسية وتعزيز الهوية المذهبية. ويمكن ملاحظة رعاية الصفويين للشيعة الاثني عشرية في البحرين من خلال عدد من علماء الاثني عشرية الذين هاجروا إلى إيران للعمل في الجهاز القضائي والإداري الصفوي. وقد بيّن أرجومان ونيومان أن علماء البحرين تفوقوا على أقرانهم العلماء المتحدرين من جبل عامل بلبنان في الهجرة إلى إيران الصفوية أواخر القرن السابع عشر.[٧٠٢] وهذا يشير إلى حجم المجهود الذي بذله الصفويون للترويج للاثني عشرية في البحرين في القرن السابع عشر.

وأوضح كول أن سياسة الصفويين في الترويج للاثني عشرية الأصولية في البحرين تمثلت في إنشاء مؤسسات دينية. أولا، أرسى الصفويون صلاة الجمعة،[٧٠٣] ثم شجعوا الأئمة على الدعاء بالبركة للحاكم الصفوي في ختام

(701) Juan Cole, *Sacred Space and Holy War*, 4, 44-52.

(702) Said Amir Arjomand, *The Shadow of God and the Hidden Imam: Religion, Political Order, and Societal Change in Shi'ite Iran from the Beginning to 1890* (Chicago: University of Chicago Press, 1987), 129-130; Andrew Newman, Twelver Shiism, appendix I.

تستند الأرقام التي قدمها أرجومان ونيومان إلى نِسَب العلماء التي لا تشكل وحدها دليلا كافيا حول أصولهم، لكن مصادر القرنين السابع عشر والثامن عشر تذكر فعلا أن عددا من علماء البحرين هاجروا إلى إيران. انظر على سبيل المثال: يوسف البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص١٢، ١٦، ١٧، ٣٧، ٥٩، ٦٦، ٧٠، ٨٩، ٩٨-٩٩، ١٣٢.

(٧٠٣) لم يكن الشيعة الاثنا عشرية في العصور الوسطى يقيمون صلاة الجمعة لأنهم كانوا يتبعون الفتوى الرائجة بعدم مشروعيتها نظرا لكونهم يعيشون في زمن الغيبة الكبرى للمهدي المنتظر، ويعتقدون أن هذه الصلاة لا يجوز أن تقام قبل ظهوره. ولكن بعد أن تأسست

الصلاة. ثانيا، أوجدوا منصب كبير قضاة الإمامية الاثني عشرية الأصولية ومولوه، حيث شغله سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني كعالم وإمام رسمي. وتولى إمامة المصلين يوم الجمعة، بل وكتب رسالة علمية تدعم وجوب أداء صلاة الجمعة.[٧٠٤]

ويقول يوسف البحراني (توفي ١٧٢٢م) إن أول عالم (ربما يقصد أحد العلماء الأوائل) أدخل علم الحديث إلى البحرين هو علي بن سليمان القدمي البحراني (توفي ١٦٥٣م). سافر القدمي البحراني إلى إيران وقابل الشيخ بهائي، شيخ الإسلام في الإمبراطورية الصفوية. وما إن عاد إلى البحرين تم تعيينه شيخا للعلماء ومحتسبا ورئيسا.[٧٠٥] ويقدم هذا التقرير دليلا حول شكل الاثني عشرية في البحرين قبل الصفويين. فعلم الحديث جوهري للاثني عشرية الأصولية، ولولا هذه الأحاديث الإمامية والنبوية لتعذرت الكتابة في أمور الفقه واستنباط وتأسيس مبادئ العقيدة الاثني عشرية. وعليه فإن الاثني عشرية في البحرين قبل العصر الصفوي كانت بدائية الملامح وغير مؤصَّلة علميا، وهذا يتوافق بالفعل مع الملاحظات التي سجلناها في فصول سابقة.[٧٠٦] وكما بيّنا أعلاه في الفصل السابع، لجأت جماعة اثنا عشرية في

الدولة الصفوية تبنى الشاهات رأيا جديدا يخولهم أداء صلاة الجمعة على اعتبار أن الشاه الصفوي هو ممثل الإمام. وتم تسويق هذه الفكرة وممارستها فعليا في المقاطعات التابعة للدولة الصفوية، ومنها البحرين. وهي تعبير ديني عن الولاء السياسي للدولة. وبالطبع عارض جمع من الشيعة هذا الرأي.

(704) Juan Cole, *Sacred Space and Holy War*, 45-52.

(٧٠٥) يوسف البحراني، *لؤلؤة البحرين*، ص١٥-١٧؛ وكذلك:

Cole, ‘Rival Empires of Trade and Imami Shiʿism in Eastern Arabia’, 49.

(٧٠٦) انظر مناقشة نص نقش أبي سنان الذي اتخذ لقب القائم (الفصل الثالث)، وتقرير ابن ابطوطة حول العبارة التي أدخلت إلى آذان القطيف مع أنها لا تتوافق مع الفهم الشرعي (الفصل السابع)، ومذهب ابن المقرب الديني غير المستقر (الفصل السابع).

أوال إلى علماء خارجيين للحصول على فتاوى وأحكام حول استفساراتهم الدينية. فوجهوا رسالة إلى الكركي (توفي ١٥٣٣-٣٤م) يستفتونه فيها في مسائل أساسية تخص أداء الصلاة في أثناء الزيارات.[٧٠٧]

إن مبالغة سليمان في تصوير قِدَم تاريخ علوم الاثني عشرية المبكرة في البحرين حدثت في فترة حياة شيخه محمد باقر مجلسي (١٦١٦-١٦٩٨-٩٩م) رجل الدين الاثني عشري الأكثر نفوذا وتأثيرا في الإمبراطورية الصفوية. عيّن الشاه سليمان (توفي ١٦٩٤م) المجلسي في منصب «شيخ الإسلام» عام ١٦٨٦م. وكان نشيطا جدا في تشكيل السياسات الدينية والترويج للاثني عشرية في الأراضي الصفوية.[٧٠٨] وبلغ ذروة نفوذه في عهد تلميذه سلطان حسين الذي صار شاها (توفي ١٧٢٢م) وتخلى له عن السلطة السياسية.[٧٠٩] وفي سبيل الدعم الثقافي لمشروع الصفويين السياسي وتعزيز السلطة الدينية والسياسية لعلماء الاثني عشرية، تلقى المجلسي قبل تقلده منصب «شيخ الإسلام» بفترة قصيرة تمويلا من البلاط لإنجاز مصنفه الضخم للحديث *بحار الأنوار*. تناول هذا المصنف الأئمة بالدرجة الأولى، فجعل منهم مصدرا بديلا للمعرفة في المسائل الدينية كافة.[٧١٠] وكان ميزرا عبد الله أفندي أحد تلاميذ

(٧٠٧) حسين محمد حسين، «قرية الدراز: بين الحقائق التاريخية والأساطير المروية»، *الوسط* (مملكة البحرين)، ١٤ مارس ٢٠١٥. تاريخ الوصول ٤ إبريل ٢٠١٥:

http://www.alwasatnews.com/4571/news/read/970877/1.html

(708) Said Amir Arjomand, *The Shadow of God*, 191.

(709) Rula Jurdi Abisaab, *Converting Persia: Religion and Power in the Safavid Empire* (London: I.B. Tauris, 2004), 126-130.

وتشكك رولا أبي صعب في الرواية القائلة بلجوء المجلسي إلى القوة لتشييع السنة، ص١٢.

(710) Andrew Newman, *Safavid Iran: Rebirth of a Persian Empire* (London: I.B. Tauris, 2009), 98; Abi Saab, *Converting Persia*, 129; Douglas Streusand, *Islamic Gunpowder Empires: Ottomans, Safavids and Mughals* (Westview Press: Boulder, 2011), 156-7, 166.

المجلسي، فسافر إلى البحرين وطلب من سليمان بن عبد الله الماحوزي وضع معجم لتراجم الإقليم. لبى الماحوزي الطلب وكتب *فهرست علماء البحرين*، فاستخدمه أفندي مصدرا لمعجمه الضحم للتراجم *رياض العلماء وحياض الفضلاء*. أنجر الماحوزي الفهرست (١٦٨٨م) بعد عامين من تبوء المجلسي منصب «شيخ الإسلام» في إصفهان عام ١٦٨٦م. وبموجبه، يبدو أن تلك الفترة شهدت العديد من المشاريع الثقافية في خدمة هدف واحد: جمع التراث الاثني عشري وتوثيق علماء الاثني عشرية وأعمالهم على نطاق واسع.

أما عن علاقة سليمان الماحوزي بالدولة الصفوية، فيتضح موقفه منها في بعض تفاصيل سيرته. أولا، تجدر الإشارة إلى أنه قوى صلاته بالبلاط الصفوي وحاول تقديم نفسه شخصا مفيدا للدولة. وكتب السماهيجي أن شيخه سليمان الماحوزي وضع كتابا عنوانه *الأربعون حديث في الإمامة* إكراما للشاه سلطان حسين الذي منحه ألفي درهم مكافأة. ثانيا، كان سليمان ضليعا في اللغة الفارسية، ترجم رسالة في دحض المذاهب المخالفة للاثني عشرية.[٧١١] وربما فعل ذلك للمساهمة في مشروع الدولة الكبير لتشييع السكان السُنّة في الإمبراطورية. ثالثا، يحتمل أن سليمان سعى جاهدا لمنافسة الحر العاملي (١٦٩٣م) العالم اللبناني العاملي الذي وضع معجم تراجم كرس قسمه الأول لعلماء بلده الأم، جبل عامل في جنوب لبنان. فحتى عنوان هذا الكتاب الذي أنجز عام ١٦٨٦ م في مشهد في إيران الصفوية يظهر اسم بلده: *أمل الآمل في علماء جبل عامل*.[٧١٢] وضع سليمان معجمه لعلماء البحرين بعد عامين. وربما أراد من إنجازه تعزيز سمعة بلده الأم بوصفه مكانا ذا تقاليد علمية قديمة ومتجذرة قادرا على تزويد

(٧١١) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٢٧-١٢٨.

(٧١٢) الحر العاملي، *أمل الآمل في علماء جبل عامل*، تحقيق أحمد الحسيني (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣).

الدولة الصفوية بعلماء على غرار العامليين. وكل هذا يوحي بأن سليمان كان له طموحاته الخاصة في خدمة الدولة الصفوية.

وثمة أيضا تفسير اجتماعي وروحي للمبالغة في تاريخ البحرين الاثني عشري. فكما هو الحال في العالمين المسيحي والآسيوي، كان إنشاء أضرحة لتقديس الأولياء والعلماء ظاهرة شائعة عند معتنقي الإسلام السني والشيعي على حد سواء، وهي ما زلت موجودة في أيامنا هذه، لكن بدرجة أقل. فللأضرحة وظائف عدة في المجتمع الإسلامي. إذ تلبي الحاجات الروحية، وتدعم الشرعية السياسية، وتعزز الهوية المذهبية. ومعظم الأضرحة المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي ليس لها أسس تاريخية حقيقية. وقد ساق المؤرخون وعلماء الأنثربولوجيا الاجتماعية المعاصرون تفسيرات عدة لهذه الظواهر توضح دوافع بناء الأضرحة، والاختيار الأولي للمواقع، وهوية الشخصيات المدفونة.[٧١٣] على سبيل المثال، كتب ياسر طباع في دراسته حول إعادة اكتشاف الأضرحة الشيعية وبنائها في دمشق «وخلاصة القول، إن عملية اكتشاف ضريح وتقديسه في الإسلام الشيعي لا تستند إلى أدلة مادية قابلة للبرهان، كالبقايا الأثرية، إنما هي في الغالب نتاج منام أو رؤيا يُصادَق عليها لاحقا عبر صيغة من الإجماع».[٧١٤] بالفعل، سبق أن لاحظنا ظواهر كهذه في أثناء قراءة التقارير حول «العلماء البحرانيين» الأوائل.

(٧١٣) حول الدراسات المتعلقة بتقديس الأولياء في الإسلام، انظر:

Ignaz Goldziher, ‘Veneration of Saints in Islam,’ in *Muslim Studies* (Muhammedanische Studien), trans. C.R. Barber and S.M. Stern, vol. II (London: Allan & Unwin, 1971), 255-262; Nadia Abu-Zahra, The Pure and *Powerful: Studies in Contemporary Muslim Society* (Reading: Ithaca Press, 1997); Vincent Cornell, *The Realm of the Saint* (Austin: University of Texas Press, 1998); Josef Meri, *The Cult of Saints Among Muslims and Jews in Medieval Syria* (Oxford: University Press, 2002); Yasser Tabbaa, ‘Invented Pieties: The Re discovery and Rebuilding of the Shrine of Sayyida Ruqayya in Damascus, 1975-2006’ *Artibus Asiae* 67, 1 (2007): 95-112.

(714) Yasser Tabbaa, ‘Invented Pieties: The Rediscovery and Rebuilding of the Shrine of Sayyida Ruqayya in Damascus’, 97.

وفي وقتنا الحالي، فإن الضريح الأكبر في البحرين هو ضريح ميثم بن علي البحراني. وكما بينا أعلاه، ظهرت أولى المعلومات حوله فقط في مطلع القرن الثامن عشر مع معجم السماهيجي. إذ كتب أن القبر كان في قرية غريفة في منطقة الماحوز وأن الناس كانوا يزورونه، وأضاف أن قبر جد ميثم كان في مقبرة الدونج من الماحوز أيضا.[٧١٥] لكن يبدو أن بعض شيعة البحرين كانوا غير متأكدين من الموقع الحقيقي للقبر حتى عشرينيات القرن العشرين، وفي نهاية المطاف اختاروا موقعا آخر لتشييد الضريح والمسجد: في هلتا لا الغريفة.

ويقول كاتب التراجم علي البلادي البحراني (١٩٢٢م) «وقبره [ميثم] متردد بين بقعتين كلتاهما مشهورة بأنها مشهده، إحداهما في مقبرة الدونج والأخرى في هلتا من الماحوز. وأنا أزوه فيهما احتياطا وإن كان الغالب على الظن أنه في هلتا لوفور القرائن على ذلك لظهور آثار الدعوات وتواتر المنامات.»[٧١٦]

وفي مطلع القرن العشرين أقام الشيخ جعفر بن محمد أبي المكارم مسجدا وضريحا لميثم بن علي البحراني في قرية هلتا. أعيد بناء المسجد عام ١٩٨٩ مع الضريح في داخله. والمهندس المعماري للبناء هو يوسف داوود بن صائغ الذي صممه على الطراز البحريني التقليدي.[٧١٧] ولم تعد قرية هلتا، أو هرتا، تعرف بهذا الاسم، فقد صارت جزءا من منطقة الجفير في جنوب شرق المنامة.

وعليه، لم يقتصر الأمر على ظهور المعلومة الأولى عن قبر ميثم عند السماهيجي في مطلع القرن الثامن عشر، بل إن موقع القبر الذي حدده في قرية الغريفة تغير مطلع القرن العشرين مع الشيخ جعفر بن محمد بن أبي المكارم الذي شيد مسجدا وضريحا في قرية هلتا (أم الحَصَم) مكانه.

(٧١٥) محمد آل مكباس البحراني، *إجازات علماء البحرين*، ص١٧٣-١٧٤.

(٧١٦) علي البلادي البحراني، *أنوار البدرين*، ص٦٠.

(٧١٧) إدارة الأوقاف الجعفرية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، مملكة البحرين: http://www.jwd.gov.bh/view.php?page=shikh_maythm# تاريخ عمارة المرقد.

وخلاصة القول هي إن الوضع الديني في جزيرة البحرين/ أوال في فترة تبوء المجلسي منصب «شيخ الإسلام» شهد تحولا كبيرا من شيعية فلكلورية/ شعبوية بدائية الملامح نسبيا إلى اثني عشرية أصولية واضحة الملامح نسبيا.[٧١٨] وينعكس هذا التحول في ثلاث مؤشرات: أولا، تناغم علماء الاثني عشرية في البحرين مع الدولة الصفوية؛ ثانيا، هجرة عدد كبير من رجال الدين البحرينيين إلى إيران ممن فاقوا أقرانهم القادمين من جبل عامل وبقية الأقاليم العربية عدداً، ورجوع كثير منهم إلى بلدهم لتبوّء مناصب حكومية صفوية؛ ثالثا، وهو الأهم بالنسبة لبحثنا هذا، محاولات تعميق تاريخ الاثني عشرية في البحرين بتصويره مكانا قدّم مجموعة أصيلة من علماء العصور الوسطى. وقد قام بهذه المهمة تلميذ للمجلسي هو سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني الذي كان الزعيم الديني الرسمي للبحرين الصفوي بالاشتراك مع تلميذه عبد الله بن صالح السماهيجي الذي أصبح لاحقا «شيخ الإسلام» في الإمبراطورية الصفوية خلال الهجمات الأفغانية على إيران.

٥ - خاتمة الفصل الثامن

تناول هذا الفصل مسائل تتعلق بعلماء الاثني عشرية الذين اعتقد المؤرخون منذ نهاية القرن السابع عشر أنهم بحرينيو الأصل وعاشوا وماتوا في جزيرة البحرين/ أوال في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر. ساد اعتقاد طويل أن إقليم البحرين، ولا سيما جزيرة أوال، كان مركز تعليم شيعي متطور وموطن عدد من علماء الاثني عشرية البارزين. وضحنا في هذا الفصل أن هذا التصور أرساه العالم البحريني الصفوي والموظف الرسمي سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني (توفي ١٧٠٩) الذي يسرد في معجمه المختصر للتراجم *فهرست علماء البحرين* علماء من القرن الثاني

(٧١٨) أصبحت البحرين لاحقا معقلا قويا للمدرسة الأخبارية.

عشر والثالث عشر والرابع عشر حملوا نسبة البحراني، فنسبهم إلى البحرين. طور عبد الله بن صالح السماهيجي (توفي ١٧٢٣)، تلميذ سليمان، هذا التصور بأن أضاف معلومات جديدة عن مواقع قبور هؤلاء العلماء. ومنذ ذلك الوقت، تبنى المؤرخون هذا التصور من دون إخضاعه للمساءلة، فصار محل إجماع على ما يبدو. وقد فندناه في فصلنا هذا بأن تتبعنا المعلومات الأقدم حول هؤلاء العلماء وقارناها بتفاصيل إضافية لاحقة. يمكن الاستنتاج أن ما قيل عن الهوية البحرينية لهؤلاء العلماء والتحديد المزعوم لمواقع قبورهم لا يستندان إلى مصادر قديمة. يبدو أن هذه المزاعم لم تؤسَس إلا بعد حوالي أربعة إلى خمسة قرون من وفاة العلماء المعنيين. فالأدلة الأقدم تبين أنهم كانوا وثيقي الصلة بمدن العراق وإيران، كبغداد والحلة والبصرة وكاشان.

إن السياق السياسي-الاجتماعي لمبالغة سليمان والسماهيجي في علوم الاثني عشرية في البحرين خلال العصور الوسطى كان ضمن المساعي الصفوية لاستخدام التاريخ أداة دعائية لتعزيز الشرعية السياسية والترويج للاثني عشرية الأصولية في أرجاء الإمبراطورية، بما في ذلك أوال. وربما أراد الماحوزي والسماهيجي تصوير البحرين للصفويين مركزا لعلوم شيعية ذات تقاليد قديمة، وأنها قادرة على إنتاج موظفين مؤهلين وتزويد الدولة الصفوية بهم. بالإضافة إلى ذلك، تمتع الماحوزي والسماهيجي بصلات وثيقة بالدولة الصفوية، فتبوءا مناصب رفيعة فيها. كان سليمان تلميذ المجلسي «شيخ الإسلام» في الإمبراطورية الصفوية خلال فترة إنجاز الكثير من معاجم التراجم، مثل *أمل الآمل* للحر العاملي، *رياض العلماء وحياض الفضلاء* لعبد الله أفندي، و *فهرست علماء البحرين* للماحوزي. وعليه، فقد انبثقت المبالغة في التاريخ الديني للبحرين في سياق محاولة إعادة كتابة تاريخ الاثني عشرية.

خاتمة الكتاب

تناولنا في هذا الكتاب تاريخ الجزء الشرقي من الجزيرة العربية المعروف في العصور الإسلامية باسم بلاد أو إقليم البحرين، وذلك في الفترة بين حوالي ٤٤٠-٨٠٠ هـ/ ١٠٥٠-١٤٠٠م، فركزنا على السياسة والاقتصاد والأدب والدين فيه ودرسناه من منظور تحليل المنظومات العالمية المرتبط بنظرية المركز والأطراف. لقد جرى تجاهل هذه الفترة إلى حد ما في الدراسات السابقة، ووصفها المؤرخون المعاصرون بأنها غامضة للغاية وتفتقر إلى الأدلة الجيدة. سعى هذا البحث إلى التوسع في مناقشة التصورات التقليدية وتحدّيها وطرح أسئلة جديدة. وتتعلق الأسئلة الأهم لدراستنا بالوضع السياسي والاقتصادي للإقليم في المنظومات العالمية لتلك الفترة، وأحواله الاقتصادية، والعوامل الاقتصادية والسياسية التي أدت إلى الثورات البحرينية التي أطاحت بدولة القرامطة، وطبيعة محاولات الغزو التركماني للإقليم، ومؤسسات الإمارة العيونية، والتركيبة الدينية للإقليم وعلاقة «العلماء البحرانيين» به. وللإجابة على هذه الأسئلة، اعتمد بحثنا بشكل كبير على الأدلة الأثرية الجديدة التي لم تستخدم في الدراسات السابقة لفترة ما بعد القرامطة. استعان البحث كذلك بمقاربات من العلوم الاجتماعية لفهم عدد من جوانب البحرين وسياسته، وجغرافيته السياسية ومجتمعه البدوي، وهي نقاط كانت الأدلة حولها ضعيفة.

عالجنا مسائل عدة في الكتاب. أولا، درسنا جغرافية البحرين التاريخية واقتصاده وتفحّصنا تأثير الجغرافية على المجتمع والاقتصاد والسياسة. ثانيا، بحثنا في الكيانات السياسية التي حكمته خلال الفترة حوالي ١٠٥٠-١٤٠٠م،

والتي بدأت بالثورات على القرامطة. أدت هذه الثورات إلى قيام إمارة آل الزجاج في جزيرة أوال (خمسينيات القرن الحادي عشر)، وإمارة آل عياش في القطيف (حوالي ستينيات القرن الحادي عشر)، والإمارة العيونية في الأحساء (من ١٠٧٧ إلى ١٢٣٦م) التي حكمت الإقليم حوالي ١٦٠ عاما. وبحثنا في الإمارة العقيلية التي خلفت الإمارة العيونية وحكمت المناطق الداخلية من الإقليم. كما تناولنا الدول الإيرانية التي احتلت جزيرة أوال والقطيف (من ثلاثينيات القرن الثالث عشر إلى حوالي ١٤٠٠م). ثالثا، سلطنا الضوء على ما أنتجه الإقليم من أدب، وحاولنا تقييم العلاقة بين فئة الأدباء والأمراء العيونيين. أخيرا، تناولنا مواضيع الدين والعلم والعلماء في البحرين.

كانت الجغرافية الطبيعية والبشرية للإقليم عاملا جوهريا في تشكيل السياسة والاقتصاد والدين فيه. وفّر بعده النسبي عن القوى المركزية في العراق ومصر وإيران وإحاطة البحر والصحراء بمدنه الرئيسة بيئة مميزة لتطور تقاليده الدينية والاقتصادية والسياسية-الاجتماعية الخاصة. وقد سمحت له هذه الميزات بالحفاظ على استقلاله السياسي الذي بدأ مع الدولة الجنابية القرمطية سنة ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م.

كان الإقليم بمثابة منطقة طرفية أو شبه طرفية بمعيار تحليل المنظومات العالمية في سياقه ما قبل الرأسمالي (قبل القرن ١٦م). وحوالي ١٠٥٠-١٤٠٠م، احتل البحرين موقعا تراتبيا منخفضا في الشرق الأدنى. وتجلى هذا بوضوح في اقتصاده وسياسته وجيشه ومجتمعه وثقافته. تتوافق خصائص الإقليم هذه مع وصف ديفيد ولكنسون للمناطق الطرفية وشبه الطرفية.

ويبدو أن اقتصاد البحرين كان في تراجع خلال النصف الأول من الفترة موضوع الدراسة. اقتصرت الأنشطة الزراعية الصغيرة على الواحات القليلة والمدن الثلاث في المنطقة الصحراوية التي افتقرت إلى الموارد الطبيعية،

باستثناء مخزون اللؤلؤ القريب من سواحلها. اتسمت الإمارة العيونية (١٠٧٧-١٢٣٦م) بضعف مقدراتها العسكرية ومحدودية سيطرتها على الصحراء والقبائل. وشكل البدو تهديدا حقيقيا للسطة الحضرية والتجارة البرية والأنشطة الزراعية، إذ عزلوا الإمارة العيونية عن الأقاليم المجاورة. علاوة على ذلك، فإن ضعف جيش الإمارة وافتقارها إلى الأساطيل البحرية جعلاها عرضة لغارات برية من العراق والصحراء وأخرى بحرية من الدول الإيرانية التي كانت أكثر غنى وقوة. وبعد سقوط الإمارة العيونية أُلحقت موانئ الإقليم بالدول التابعة للقوى العظمى. وخضع قسمه الداخلي لحكم دولة بدو-حضرية تأثرت كثيرا بمماليك مصر، فتحالفت معهم سياسيا واقتصاديا وتجاريا. تتجلى طرفية الإقليم في افتقاره إلى الأنشطة الثقافية والعلمية، حيث سادت فيه ممارسات دينية شعبوية وغير مؤصَّلة علميا. ونعرف القليل من الأدباء، إذ يروى أن بعضهم غادر الإقليم إلى أماكن أخرى أكثر تطورا في المناطق المركزية.

برزت دولة القرامطة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين قبل قرن ونصف تقريبا من الفترة قيد الدراسة. فبسطت هيمنتها على الجزيرة العربية كلها، مع جنوبي العراق والشام، وفرضت الضرائب على الخلافتين في بغداد والقاهرة. ومع نهاية القرن العاشر ضعفت هذه الدولة وانكمشت إلى قواعدها في شرقي الجزيرة العربية، وسقطت لفترة محدودة ثم عادت ولكن دون إحداث زخم سياسي وصنع أحداث عسكرية كبيرة. عانى القرامطة من تراجع اقتصادي حاد، فضعفت سيطرتهم السياسية على أطراف البحرين، وتشجعت أسر محلية حضرية من قبيلة عبد القيس، ممن كانوا موظفين كبارا في الدولة القرمطية، على الثورة ضدهم وأقامت إماراتها الخاصة. وقد نتج هذا التراجع الاقتصادي الحاد في أواخر فترة القرامطة عن ثلاثة عوامل رئيسة: (أ) غياب العوائد الضريبية التي كانت تُجبى من مدن وكيانات

سياسية عدة خارج البحرين؛ (ب) احتمال مقاطعة التجار العباسيين للقرامطة بسبب سوء سمعتهم وفرضهم ضرائب باهظة على من أراد استخدام موانئ البحرين؛ (ج) قيام الفاطميين بتحويل طرق التجارية البحرية من الخليج إلى البحر الأحمر خلال القرن الحادي عشر. وتوثق العديد من المصادر الكتابية هذا التراجع الاقتصادي، كما تبرهن عليه الكثير من الأدلة الأثرية، كالعملات المعدنية البخسة للقرامطة والعيونيين، واضمحلال المستوطنات التي تقع في أطراف الإقليم، خصوصا في كاظمة (في الكويت حاليا) ومروب (في قطر) والجميرة (في دبي)، بالإضافة إلى عدد كبير من قرى وادي الستار.

تظهر المقارنة بين الأنشطة الاقتصادية على جانبي الخليج أن موانئ البحرين كانت أقل نشاطا من نظيراتها الإيرانية وذات بنية تحتية أقل تطورا للتجارة البحرية. استنزف العيونيون (١٠٧٧-١٢٣٦م)، الذين حكموا الإقليم مدة ١٦٠ عاما، جهودهم في الصراعات الداخلية بين المجموعات السياسية المحلية المختلفة، ولا سيما بين الأمراء المتنافسين والبدو. ويبدو أن الأمراء العيونيين توجهوا نحو الزراعة على حساب المشاريع البحرية، فأهملوا إعادة بناء ميناء العُقير المتضرر وبناء أسطول عسكري وتجاري. وعليه، قامت الدول الإيرانية بملء الفراغ، وتحكمت تقريبا بكل الموانئ التجارية وأمّنت خطوط الاتصال بينها. شكلت جزيرة قيس، ومن ثم أتابكة فارس، ومن بعدهم أتباع المغول في فارس مثل سوغونجاق وسلالة الطيبي، وأخيرا مملكة هرمز، قوى بحرية عظمى هدفها السيطرة على جميع جزر الخليج وموانئه المهمة وربطها بشبكة تجارية. وللمرة الأولى في التاريخ الإسلامي جرى دمج موانئ البحرين في هذه الدول الإيرانية على التعاقب منذ ثلاثينيات القرن الثالث عشر إلى عام ١٤٧٥م عندما استعاد سلاطين بني جبر جزيرة أوال رسميا من الهرمزيين. ولم يكن العقيليون، الذين خلفوا العيونيين، أفضل منهم في

الشؤون البحرية، غالبا بسبب نمط حياتهم البدوي. لقد اكتفوا بأخذ إتاوات سنوية من حكام القطيف مقابل إيقاف غاراتهم.

أما نقطة ضعف العيونيين الرئيسة فتجلت في غياب السيطرة والتأثير على صحاري البحرين. إذ حققوا السيطرة فقط خلال المرحلة التأسيسية ومرحلة إعادة التوحيد. واقتصرت سلطة «دويلات المدن» العيونية على المدن لا غير خلال معظم حكمها. ولعل هذا أحد أسباب غيابهم عن المؤلفات التاريخية التي كتبت في العراق وإيران ومصر. أما العقيليون، فخوّلهم تفوقهم في طرق المواصلات البرية لعب دور محوري في سياسة الإمارة العيونية واقتصادها. نشد الأمراء العيونيون، الذين انقسموا سياسيا إلى «دويلات مدن» من ثلاثينيات القرن الثاني عشر فصاعدا، أي بعد موت الأمير أبي سنان، وكانوا في صراع مستمر مع بعضهم البعض، دعم العقيليين وولاءهم. فأعطوهم المال لقاء هذا، وأقطعوهم الأراضي والمزارع، ومنحوهم الهبات. وصار العقيليون في نهاية المطاف اللاعب السياسي الأقوى في الإقليم لتنتقل السلطة إليهم في حوالي ١٢٣٠م عن طريق تجار بحثوا غالبا عن حاكم أقوى قادر على صون أمنهم وحماية مصالحهم.

شهدت الأعوام الأولى للإمارة العقيلية تحديا متمثلا في محاولات الغزو المتكررة لتركمان العراق. وتميل الدراسات الحديثة إلى الاعتقاد بأن هذه الحملات كانت بتوجيه من السلطان السلجوقي وإشرافه. لكن بحثنا استنتج خلاف ذلك. فقد كانت على الأرجح بمثابة مبادرات من القادة العسكريين التركمان الذين تزعموا أيضا قبائلهم التركمانية التي سبق لها مساندة السلاجقة في غزو إيران والعراق والأناضول. فربما أرادوا تأسيس دولة مستقلة في منطقة بعيدة نسبيا عن السلطة المركزية للسلطان السلجوقي أو الاستفادة من العائدات الضريبية للإقليم. وفي ضوء المناقشات البحثية

الأخيرة لعلاقة السلطان بالقادة التركمان، يحاجج بحثنا بأن التركمان الذين حاولوا غزو الإقليم اتبعوا غالبا نمطا من الحملات والمبادرات على غرار ما قام به ضباط تركمان آخرون في أجزاء أخرى من الشرق الأدنى كالأناضول والشام وجنوب فارس، ولا سيما بعد معركة ملاذكرد عام ١٠٧١م.

ومع أن عدم استقرار العيونيين السياسي كان مزمنا، إلا أنهم حققوا مستوى متطورا نسبيا من الحكم والنظام الإداري المدني لم يختلف كثيرا عن نظام العباسيين. فأسسوا عددا من الدواوين في مجالات عدة، كالجيش والشرطة، والزراعة وإقطاعات الأراضي، والخزينة، وديوان الإمارة، والمراسيم الاحتفالية. فضلا عن ذلك، استقبل الأمراء العيونيون في فترات قوة الإمارة وازدهارها النسبي شعراء عراقيين في مجالسهم. وإذ كانوا أسخياء مع هؤلاء، إلا أنهم أجحفوا بحق الشعراء البحرينيين المحليين، فأودعوهم السجون وصادروا ممتلكاتهم، ليضطر الكثير منهم إلى الفرار من الإقليم. وربما تبنى الأمراء هذه السياسة مزدوجة المعايير بسبب التنافس المستمر ضمن الأسرة الحاكمة والبدو. وعلى الأرجح، سعى الأمراء في هذا الوضع السياسي إلى إجهاض الأنشطة الثقافية، كالشعر والدين، فالشعراء والعلماء قد يشكلون منافسا اجتماعيا-سياسيا إضافيا.

ظهر التقارب المتقطع بين العيونيين والخلافة في العراق في أوقات الأزمات، في سياق مسعى العباسيين لإعادة تأسيس قوتهم عن طريق إقامة علاقات مع دول إقليمية. وفيما كان الخليفة العباسي الناصر بحاجة إلى دولة قوية قادرة على حماية القوافل في الصحاري، فإن بعض الأمراء العيونيين نشدوا اعتراف الخلافة وشرعيتها لخدمة سياساتهم الداخلية وحمايتهم من غارات القيسيين والسلغوريين البحرية.

لعل مصطلح «الدولة البدو-حضرية» هو التوصيف الأنسب للدولة

العقيلية (١٢٣٠-١٤٠٠م) التي قامت في الأحساء، وهو مفهوم اقترحه روتون، عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، لبعض الكيانات السياسية البدوية في الشرق الأدنى. طبق شتيفان هايدمن هذه النظرية على الدول البدوية التي ظهرت في شمال الشام وشمال العراق في فترة قريبة من عقيليي البحرين. تقترح هذه الفرضية أن القائد البدوي في هذا الصنف من الكيانات السياسية كان يمارس دور الحاكم الحضري في المدينة ويحاكيه، فيما يعتمد على قوته العسكرية في الصحراء ويبقيها هناك. تحالف العقيليون في فترة حكمهم مع مماليك مصر الذين كانوا في «حرب باردة» مع إيلخانية المغول في العراق. ومع أنهم تذبذبوا في تحالفهم وانقسموا بين الإمبراطوريتين، لكنهم ظلوا أكثر قربا من المماليك. كان دور العقيليين في هذه الحرب مهما للغاية نتيجة تحكمهم بالطرق المؤدية إلى مكة عبر صحاري شمال الجزيرة العربية ووسطها. وكانوا مهمين للمماليك أيضا بسبب تأمينهم خطا بديلا لإمداد البضائع القادمة من الشرق إلى موانئ الخليج المزدهرة. وقد مكّنهم هذا الدور من الوصول إلى الأسواق المصرية، فتحولوا إلى قادة قوافل محترفين. ويقف وراء تحولهم من محاربين قبليين بالدرجة الأولى إلى قادة قوافل عاملان محتملان ساهما أيضا في تفرقهم السياسي وأفولهم. أولا، أدى توقف الحرب المملوكية-المغولية التي ساهموا فيها إلى توقف التمويل السلطاني الذي اعتمدوا عليه. ثانيا، إن تحول بنيتهم السياسية الاجتماعية إلى بنية أكثر ملاءمة لوضعهم الاقتصادي الجديد أدى إلى تفكك نظامهم السياسي القائم على حكم قائد واحد ليحل مكانه عدد من قادة الأُسَر التجارية التي سعت وراء مصالحها الخاصة.

لقد شوّهت العديد من الدراسات المعاصرة مسألة «الطوائف» الدينية في البحرين، ربما بسبب انطلاقها أحيانا من مشاريع طائفية. يميل المؤرخون المعاصرون إلى المحاججة بانتماء سكان البحرين إلى طائفة واحدة، سواء كان سنية أو شيعية. لكن بحثنا هذا يقترح، بما اعتمد عليه من مصادر أثرية

وكتابية إضافية، أن الجماعات السنية والشيعية، كالإسماعيلية والاثني عشرية والحنفية والشافعية، تعايشت في الإقليم خلال مراحل تاريخية مختلفة.

وجدت هذه الطوائف سبيلها إلى الإقليم بطرق عدة، أهمها التجارة والغزو. وصلت الإسماعيلية مع القرامطة ودعاتهم في أواخر القرن التاسع الميلادي. ومع أن القرامطة تقلبوا في اعتناقهم هذا المذهب، فقد ظلت بعض الجماعات تعتنقه في خمسينيات القرن الحادي عشر كما يُظهر شرح *ديوان ابن المقرب*. لكن خلافا وقع بينها وبين الجماعة الحنفية في أوال بزعامة العوام بن محمد الذي قاد الثورة على القرامطة. أعلن هذا القائد الولاء للخليفة العباسي ووجه إليه رسالة عبّر فيها عن إيمانه بالمذهب السني والمدرسة الفقهية الحنفية. ولا نعلم كم استمرت هذه الطوائف في الإقليم، لكن يرجح أنها بقيت لبعض الوقت، فليس من المعهود أن تزول الطوائف فجأة. وربما كان زوالها تدريجيا مع الانتشار الجديد للاثني عشرية الشعبوية في أوائل القرن الثاني عشر والشافعية في أوائل القرن الثالث عشر. أظهر مؤسس الإمارة العيونية عبد الله بن علي العيوني انفتاحا كبيرا على الكيانات السياسية السنية، إذ أبرم اتفاقا مع اتباع السلاجقة التركمان ينص على تقديم الولاء للخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ودفع مبالغ سنوية. وأول عمل قام به بعد فتح الأحساء هو جعل الخطبة للخليفة العباسي. إلا أن ابنه الحسن ظهرت عليه أمارات التحول المذهبي إلى التشيع غير واضح المعالم، حيث سك على نقوده عبارة «علي ولي الله» التي تشير إلى ذلك المذهب. وتبين الأدلة أن تجار البحرين وقروييه السنة في الفترة العقيلية أرسلوا وفودا إلى علماء سنة بارزين في الشام، كابن تيمية (١٢٦٣ -١٣٢٨م)، وآخرين في العراق، طلبا للفتاوى. وقد يعكس هذا الأمر مذهب التجار العقيليين السني. وتدعم بعض الأدلة الأثرية ظهور الاثني عشرية في فترة الإمارة العيونية. ولعل ميل بعض الأمراء إلى التشيع الاثني عشري كان مسوغا للتحرر من

التبعية المباشرة وعبء دفع الضرائب للخلافتين، الفاطمية الإسماعيلية في مصر والعباسية السنية في العراق.

يبدو أن الدين في البحرين غلب عليه الطابع الشعبوي أكثر من الطابع المؤصَّل علميا بسبب طرفية الإقليم وضعف اقتصاده وغياب الرعاية السياسية للبحث العلمي. ولا يوجد دليل نصي واضح حول كيفية وصول الاثني عشرية إليه. لكن الأدب يشير إلى أسفار الشعراء المتكررة بين البحرين والعراق، كما أسفرت المسوح الأثرية في البحرين عن اكتشاف مواد شيعية (تُربة) من مدينة مشهد تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ما يوحي باحتمال مجيء هذا المذهب من هناك أيضا. ومن غير المستبعد كذلك أن العلماء والدعاة والطلاب سلكوا الطرق ذاتها (العراق وإيران) وأحضروا الاثني عشرية إلى البحرين. ومع ذلك، فقد زاول البحرينيون طقوسا مميزة اختلفت عن طقوس المذاهب الاثني عشرية في المدن الأكثر تقدما: مارس أهل القطيف نسخة غير مألوفة للأذان اختلفت عن ما هو منصوص عليه في كتب الفقه الإسماعيلي والاثني عشري. ويروى أن أول عالم أرسى دراسة علم الحديث في أوال ظهر عام ١٦٥٣ م في فترة الحكم الصفوي لأوال/ البحرين. وهذا يشير إلى أن أوال كانت تفتقر، قبل هذا التاريخ، إلى أداة أساسية يمكن الاعتماد عليها في صياغة اثنية عشرية شرعية أو «مؤصّلة علميا».

تعرّض موضوع العلماء والعلم في البحرين للتشويه في بعض الدراسات الحديثة كذلك. ألقى بحثنا شكوكا حول التصور القائل إن البحرين كان موطنا لعدد من علماء الاثني عشرية الذين حملوا نسبة البحراني، بما فيهم راشد بن إبراهيم البحراني (١٢٠٨م)، وعلي بن سعادة البحراني (توفي في سبعينيات القرن ١٣م)، وعلي بن سليمان البحراني (توفي في سبعينيات القرن ١٣م)، وميثم بن علي البحراني (توفي ١٢٨٣م). ساد اعتقاد مفاده أن هؤلاء العلماء

ولدوا في البحرين وتوفوا فيه. وإذ بيّنا في هذا البحث أن الاثني عشرية ظهرت في الإقليم منذ القرن الثاني عشر في فترة الإمارة العيونية (١٠٧٧-١٢٣٠م) فصاعدا وأن علماء وطلابا اثني عشريين ربما زاروا البحرين أو عاشوا فيه، لكننا حاججنا أيضا بعدم وجود مصدر من تلك الفترة يدعم التصور القائل إن العلماء المذكورين أعلاه كانوا من بينهم. فلا أدلة تظهر أنهم كانوا فعلا من البحرين أو توفوا فيه وفقا للزعم اللاحق المبني على النسبة التي حملوها. ويحاجج كتابنا بأن الظهور الأول لهذا التصور جاء بعد حوالي أربعة إلى خمسة قرون من وفاة العلماء المعنيين، وذلك في مؤلفات عالمين بحرينيين صفويين هما سليمان الماحوزي البحراني (توفي ١٧٠٩م) وتلميذه عبد الله السماهيجي (توفي ١٧٢٣). يبدو أن عزو سليمان والسماهيجي هؤلاء العلماء إلى البحرين استند إلى النِسَب التي حملوها لا إلى مرجعيات مدونة، مثل الكتب والأسانيد والإجازات التي يتخللها معلومات عن أماكن ولادتهم وإقامتهم وقبورهم. نشطت الإمبراطورية الصفوية آنذاك في الترويج للاثني عشرية الأصولية وإعادة كتابة تاريخ الاثني عشرية. لقد وُضعت العديد من مصنفات الحديث ومعاجم التراجم في فترة المجلسي، بما في ذلك مؤلفات سليمان والسماهيجي اللذين كانا وثيقَي الصلة بالإدارة الصفوية وشغلا مناصب رسمية رفيعة المستوى.

وأخيرا، تقدم هذه الخاتمة توصيات للباحثين في دراساتهم المستقبلية. فالبحث في تاريخ البحرين في العصور الوسطى ما زال ناشئا. ويمكن اتخاذ خطوات عدة لإثراء الدراسة التاريخية. أولا، على الرغم من المجهود الطيب لعلماء الآثار الذين درسوا المخلفات الأثرية (خاصة النقوش) التي استعرضناها في هذا البحث، لكن ثمة حاجة إلى فك رموز هذه النقوش وقراءتها بشكل أفضل. ثانيا، لم تجر إلا تنقيبات أثرية قليلة في القطيف والقرى التاريخية المحيطة بها، وهو ما يفسر العثور على مواد قليلة فقط. وعليه، ينبغي

على الدراسات الأثرية التركيز على هذه المناطق في أسرع وقت ممكن قبل البدء بالمشاريع الحكومية للبنى التحتية. ثالثا، نحن بحاجة إلى مزيد من العمل على استكشاف المخطوطات العربية والفارسية في المحفوظات، ولا سيما في السعودية والبحرين والعراق وإيران وعمان. رابعا، لقد خضع كتاب شرح *ديوان* بن المقرب إلى تفسير حرفي صارم بالدرجة الأولى. ينبغي تعزيز هذه المقاربة بمقاربات حديثة للنظرية الأدبية. فربما تفضي هذه المقاربات إلى تحليل أفضل للنص وتاريخ الإمارة العيونية كذلك.

ختاما، على الرغم من أن دراسة المناطق المركزية والإمبراطوريات العظمى والسلالات والحكام ذوي الشهرة أكثر إغراء للباحثين، فقد لعبت المناطق الطرفية وشبه الطرفية أدوارا صغيرة، لكنها حساسة ومحورية، في مجريات الأحداث التاريخية. يجب دمج هذه المناطق، بما في ذلك البحرين التاريخي، في السياق الأوسع للعالم الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

١. المخطوطات

ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، *مطلع البدور ومجمع البحور*. مخطوط. من مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات. رقم ٧٦٨٤، ١/ ١٦٢١ ق.

البحراني، ميثم بن علي، *رسالة الشيخ ميثم البحراني إلى الشيخ ناصر الدين الطوسي*. مخطوط. من مركز إحياء الميراث الإسلامي، قم، ٥٥٧/ ٦.

الطوسي، نصير الدين، شرح *رسالة العلم*. مخطوط. من كتابخانه مجلس شورى مِلّي، طهران، رقم ٣٦٠٢٣/ ١٧١٧.

المستنصر، *السجلات المستنصرية*. مخطوط. من مكتبة كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، لندن، رقم ٢٧١٥٥.

٢. المصادر

٢-١- العربية والمعربة

ابن الأثير، عز الدين علي، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: محمد الدقاق (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)

ابن الجوزي، أبو الفرج، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* (بيروت: دار صادر، ١٣٥٨ هـ [١٩٣٩م])

ابن العديم، كمال الدين، بغية *الطلب في تاريخ حلب*، تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، بلا تاريخ)

ابن الفقيه، أحمد، *مختصر كتاب البلدان* (لايدن: بريل، ١٨٨٥)

ابن الفوطي، عبد الرزاق، *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*، تحقيق مصطفى جواد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٣)

ابن الفوطي، عبد الرزاق، مجمع *الآداب ومعجم الألقاب*، تحقيق محمد الكاظم (قم: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦ هـ[١٩٩٤ م])

ابن بابويه، منتجب الدين، *فهرست أسامي علماء الشيعة ومصنفاتهم*، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠٤ هـ[١٩٨٣/ ٨٤ م])

ابن بطوطة، محمد، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٢٢ هـ[١٩٠٤ م])

ابن تغري بردي، أبو المحاسن، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)

ابن تيمية، أحمد، مجموع *فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم (المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤)

ابن حوقل، أبو القاسم ، *صورة الأرض* (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢)

ابن خرداذبة، أبو القاسم، *المسالك والممالك* (لايدن: بريل، ١٨٨٩)

ابن خلدون، عبد الرحمن، *المقدمة*، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلا تاريخ)

ابن خلكان، أحمد، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)

ابن شداد، عز الدين، *تاريخ الملك الظاهر*، تحقيق أحمد حطيط (فيسبادن: فرانز شتاينر فيرلاغ، ١٩٨٣)

ابن عبد الظاهر، محيي الدين، *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور*، تحقيق مراد كامل ومحمد النجار (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١)

جمال الدين بن عنبة، *الفصول الفخرية*، تحقيق مير جلال الدين أرموي (تهران: وزارت فرهنگ و آموزش عالى، شركت انتشارات علمى و فرهنگى

ابن مجاور، يوسف، *تاريخ المستبصر*، تحقيق م .دي. خويي (لايدن: بريل، ١٩٥١-١٩٥٤)

ابن ناظر الجيش، *كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف*، تحقيق رودولف فيسلي (القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، ١٩٨٧)

أبو الفداء، إسماعيل، *تقويم البلدان* (باريس: إمبرميير رويال، ١٨٤٠)

الأحسائي، محمد بن أبي جمهور، *غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية* (قم: مطبعة سيد الشهداء، ١٩٨٣-١٩٨٥)

الإدريسي، محمد، *كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ)

الإصفهاني، الحسن، *بلاد العرب* (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٦٨)

الإصفهاني، عبد الله أفندي، *رياض العلماء وحياض الفضلاء*، تحقيق سيد أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠١ ه [١٩٨١/ ٨٢ م])

الإصفهاني، عماد الدين، *تكملة خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء العراق*، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠)

الإصفهاني، عماد الدين، *خريدة القصر وجريدة العصر*: (قسم شعراء العراق)، ج٢، المجلد ٤، تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: وزارة العلم، ١٩٧٣)

الإصفهاني، عماد الدين، *خريدة القصر وجريدة العصر*: قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل (دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٥٩)

البحراني، راشد بن إبراهيم، *تعريف أحوال سادات الأنام النبي والاثني عشر إمام*، تحقيق محمد عيسى آل مكباس البحراني (د.م، علمية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م)

البحراني، سليمان بن عبد الله الماحوزي، *فهرست آل بابويه وعلماء البحرين*، تحقيق سيد أحمد الحسيني (قم: مطبعة الخيام، ١٩٨٣)

البحراني، سليمان بن عبد الله الماحوزي، *فهرست علماء البحرين*، تحقيق فاضل الزاكي البحراني (د.م: د.ن، ٢٠٠١)

البحراني، علي بن حسن البلادي، *أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين* (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٤)

البحراني، محمد التاجر، *منتظم الدُرّين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين*، تحقيق ضياء آل سنبل (بيروت: مؤسسة طيبة لإحياء التراث، ١٤٣٠ هـ[٢٠٠٩ م])

البحراني، محمد عيسى آل مكباس (إعداد)، *إجازات علماء البحرين: موسوعة في التراجم والتاريخ والأدب* (آل مكباس للطباعة والنشر: د.ن، ١٤٢٢ هـ[٢٠٠١ م])

البحراني، ميثم بن علي، *اختيار مصباح السالكين*، تحقيق محمد هادي الأميني (مشهد: مجمع البحوث العلمية، ١٤٠٨ هـ[١٩٨٨ م])

البحراني، ميثم بن علي، *النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة*، تحقيق

محمد غروي (بيروت: مؤسسة العروة الوثقى، ٢٠٠٩)

البحراني، ميثم بن علي، *شرح المائة كلمة للإمام علي بن ابي طالب* (بيروت: مؤسسة العروة الوثقى، ٢٠١٠)

البحراني، ميثم بن علي، شرح *نهج البلاغة* (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٧)

البحراني، ميثم بن علي، *قواعد المرام في علم الكلام*، تحقيق أحمد الحسيني ومحمود المرعشي (د.م: مطبعة الصدر، ١٤٠٦ ه [١٩٨٦ م])

البحراني، يحيى بن عشيرة، *رسالة في مشايخ الشيعة*، تحقيق نزار الحسن (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٩)

البحراني، يوسف الدِرازي، *لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث*، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٨)

البغدادي، ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)

البغدادي، عبد القاهر، *الفرق بين الفِرَق*، تحقيق محمد عثمان الكشت (القاهرة: دار ابن سينا، بلا تاريخ)

البكري، عبد الله، *كتاب المسالك والممالك*، تحقيق جمال طلبة (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)

البكري، عبد الله، معجم *ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع* (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣)

البُنداري، الفتح، *كتاب تاريخ دولة آل سلجوق* (باب الخلق [القاهرة]: شركة طبع الكتب العربية، ١٩٠٠)

التطيلي، بنيامين، *رحلة بنيامين التطيلي ١١٦٥-١١٧٣*، ترجمة عزرا حداد (لندن: شركة دار الوراق للنشر، ٢٠١١)

الحسيني، صدر الدين، *أخبار الدولة السلجوقية*، تحقيق محمد إقبال (لاهور: منشورات كلية البنجاب، ١٩٣٣)

الحموي، ياقوت، معجم *الأدباء*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)

الحموي، ياقوت، معجم *البلدان* (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)

الحميري، محمد، *الروض المعطار في أخبار الأقطار*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠)

دلبوكيرك، أفونسو، *السجل الكامل لاعمال أفونسو دلبوكيرك*، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن الشيخ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٠)

الذهبي والحسيني، من *ذيول العبر* (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠)

الذهبي، شمس الدين، *الأمصار ذوات الآثار*، تحقيق قاسم سعد (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦)

الذهبي، شمس الدين، *تاريخ الإسلام*، تحقيق عمر تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧)

الذهبي، شمس الدين، معجم *الشيوخ*، تحقيق روحية السيوفي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)

الرازي، عبد الجليل، *كتاب النقض*، تحقيق جلال الدين حسيني الأرموي (د.م: د.ن، ١٣٣١ هـ [١٩٥٢ م])

سبط بن الجوزي، يوسف، *«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»*، في: الجامع في أخبار القرامطة الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، إعداد سهيل زكار (دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧)، ص٢٣٧-٢٧٤.

سبط بن الجوزي، يوسف، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق محمد الخن وكامل الخراط (دمشق: الرسالة العلمية، ٢٠١٣)

السبكي، تاج الدين، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق محمد الطناحي وعبد اللطيف الحلو (القاهرة: فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤)

الصدوق، محمد، *كتاب الأمالي* (طهران: مؤسسة البعثة، ١٩٩٦)

الصفدي، صلاح الدين، *الوافي بالوفيات* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠)

الصويّان، سعد، *الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص* (الرياض: د.ن، ١٤٢١ هـ[٢٠٠٠ م])

الطريحي، فخر الدين، *مجمع البحرين ومطلع النيرين* (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥)

العاملي، محمد الحر، *أمل الآمل في علماء جبل عامل*، تحقيق أحمد الحسيني (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣)

العاملي، محمد بن مكي، *الأربعون حديث*، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (قم: د.ن، ١٤٠٧ هـ[١٩٨٧ م])

العسقلاني، ابن حجر، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣)

العمري، ابن فضل الله، *التعريف بالمصطلح الشريف*، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)

العمري، ابن فضل الله، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق كامل الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)

القزويني، زكريا، *آثار البلاد وأخبار العباد* (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ)

القلقشندي، أحمد، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٥)

القلقشندي، أحمد، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، تحقيق يوسف طويل (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧)

القلقشندي، أحمد، *قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان*، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٢)

القلقشندي، أحمد، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠)

الكليني، محمد، *الأصول من الكافي* (طهران: إنتشارات علميه إسلاميه، ١٤١٠ هـ [١٩٨٩ م])

الكنتوري، إعجاز حسين، *كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار*، تحقيق محمد هداية ولاية حسين (د.ن: مطبعة بيتس مشن، ١٣٣٠ هـ [١٩١٢ م])

المجلسي، محمد باقر، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار* (بيروت: مؤسسة وفاء، ١٩٨٣)

مجهول، شرح *ديوان ابن المقرب*، تحقيق عبد الخالق الجنبي، علي البيك، وعبد الغني العرفان (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)

المغربي، ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق إسماعيل العربي (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٠)

المغربي، أبو حنيفة النعمان، *دعائم الإسلام*، تحقيق آصف فيضي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١)

المقريزي، أحمد، *السلوك في معرفة دول الملوك*، تحقيق محمد مصطفى زيادة (مصر [القاهرة]: د.ن، ١٩٤١)

المنذري، عبد العظيم الحافظ، *تكملة لوفيات النقلة* (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٦ هـ [١٩٧٦ م])

منصور اليمن، جعفر بن، كتاب الكشف، مصطفى غالب (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤)

الموصلي، المبارك بن الشعّار، *ذيل تاريخ بغداد* (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ)

المؤيد في الدين، *سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة*، تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٩)

الهمداني، الحسن، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق محمد الأكوع الحوالي (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠)

اليافعي، عبد الله، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان*، تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)

زكار، سهيل (إعداد)، *الجامع في أخبار القرامطة الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن* (دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧)

٢,٢. الفارسية

بيضاوي، ناصر الدين، *نظام التواريخ*، تحقيق مير هاشم محدث (طهران: بونياد موقوفات دكتر أفشار، ١٢٨٢ هـ [٢٠٠٣ م])

همداني، رشيد الدين، *جامع التواريخ: تاريخ سلغوريان فارس*، تحقيق محمد روشن (طهران: مركز پژوهشى ميراث مكتوب، ٢٠١٠)

خسرو، ناصر، *سفرنامه* (طهران: انتشارات زوار، ١٣٣٥ هـ[١٩٥٦])

كِرماني، أفضل الدين، *تاريخ أفضل يا بدائع الزمان في وقائع كرمان*، تحقيق مهدي بياني (طهران: انتشارات دانشگاه طهران، ١٣٢٦ هـ[١٩٤٨ م])

نطنزي، معين الدين، منتخب *التواريخ معيني*، تحقيق جان أوبن (طهران: كتابفروشي خيام، ١٣٣٦ هـ[١٩٥٧ م])

نيشابوري، ظهير الدين، *سلجوقنامه*، تحقيق آيش مورتون (ورمنستر: بنياد يادگار إي. جي. دابل يو، ٢٠٠٤)

قزويني، حمد الله مستوفي، *تاريخ گزيده*، تحقيق عبد الحسين نوايي (طهران: مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٨٧ هـ[١٩٨٨])

شيرازي، عبد الله، *تحرير تاريخ وصاف الحضرة*، تحقيق محمد آيتي (طهران: بنياد فرهنگ إيران، ١٣٤٦ هـ[١٩٦٧])

شبانكاري، محمد، مجمع الأنساب في ملحق:
Jean Aubin, ‘Les Princes D’Ormuz Du XIII AU XV Siecle,’ Journal Asiatique 241 (1953): 129-136, at 133.

شوشتري، ضياء الدين نور الله ، *كتاب مستطاب مجالس المؤمنين* (طهران: كتابفروشي إسلاميه، ١٣٧٧ هـ[١٩٨٨ م])

٣-٢- الغربية والمترجمة للغات الغربية

Ibn al-Athīr, The Annals of the Saljuq Turks: Selections from al-Kāmil fī al-Tārīkh of ‘Izz al-Dīn ibn al-Athīr, trans. D.S. Richards (London: Routledge Curzon, 2002)

Hirth, Friedrich and W. W. Rockhill, trans., ed., Chau Ju-Kua: His Work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Century, Entitled Chu-fan-chi (St. Petersburg: Printing Office of the Imperial Academy of Sciences, 1911)

Qazwīnī, Ḥamdullāh Mustawfī, The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub, ed. G. Le Strange (Leiden: E. J. Brill Imprimerie Orientale, 1919)

Sayyid, Ayman Fuʾad, Walker, Paul E., and Pomerantz, Alex, ed., The Fatimids and their Successors: The History of an Islamic Community: Idris ʿImad al-Din's ʿUyun al-Akhbar (London: I.B. Tauris, 2002)

Sinclair, William F., ed., The Travels of Pedro Teixeira with his Kings of Harmuz and Extracts from his Kings of Persia (London: The Hakluyt Society, prior to 1923)

Yule, Colonel Henry, ed., The Book of Ser Marco Polo, The Venetian, Concerning the Kingdoms and Marvels of the East (London: John Murray, 1857)

٣. المراجع

٣-١- العربية

إبراهيم، عبد العزيز، *نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقات نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر* (١٧٥٠م-١٩٥٠م) (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤)

ابن وريدة، فهدة، «*ابن المقرب العيوني: حياته وشعره*» (أطروحة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٧٣)

الأحسائي، محمد، *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد*، تحقيق حمد الجاسر (الرياض: مطبعة الرياض، ١٩٦٠)

إدارة الأوقاف الجعفرية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، مملكة البحرين: #http: //www.jwd.gov.bh /view.php?page=shikh_maythm تاريخ عمارة المرقد

آل ثاني، عبد الله جاسم، *الحياة السياسية والاقتصادية في إقليمي عمان*

والبحرين (الحادي عشر والثالث عشر الميلادي) (بيروت: دار العلوم العربية، ٢٠٠٨)

آل خليفة، مي، *من سواد الكوفة إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠)

البصير، عبدالرزاق، «تسمية الخليج بالخليج العربي»، بحث قدم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس ١٥ – ٢١ شباط ١٩٦٥م في بغداد (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥)

التدمري، أحمد جلال، وخوري، إبراهيم، *سلطنة هرمز العربية* (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ١٩٩٩)

الجاسر، حمد، «*إلى الأستاذ الجنبي: حول ديوان ابن المقرب*»، الجزيرة ٢٣ ربيع الأول ١٤٢١ هـ [٢٧ يوليو، ٢٠٠٠]. تاريخ الوصول ١٠ يناير ٢٠١٤:

الجاسر، حمد، «تعليق لمجلة العرب»، الوثيقة ٢،٣ (١٩٨٢): ٧٥-٧٦.

جاسم، صباح، «*التنقيب في مستوطنة جميرة بإمارة دبي*،» مجلة سومر ٣٦، ٢-١ (١٩٨٠): ٦٣ – ١٠٠.

حسين، حسين محمد ، «*قرية الدِراز: بين الحقائق التاريخية والأساطير المروية*»، الوسط (مملكة البحرين)، ١٤ مارس، ٢٠١٥. تاريخ الوصول ٤ إبريل ٢٠١٥:
http://www.alwasatnews.com/4571/news/read/970877/1.html

حسين، حسين محمد، مسجد الخميس: *الحوزة الأولى وأول مسمار في نعش القرامطة* (المنامة: شركة دار الوسط للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)

الحسين، فهد، «*الأحوال المناخية وأثرها على بدو شبه الجزيرة العربية خلال القرن الخامس الهجري: تغريبة بني هلال أنموذجا*»، مجلة جامعة الملك

سعود ١، ٢٢ (٢٠١٠): ٦٧-٨٤.

الحسين، فهد، «*النشاط الزراعي في إقليم البحرين خلال عصر الدولة الأموية: رؤية إثنوغرافية*»، مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المنامة (٢٠٠٦): ٣٣٧-٣٨٧.

الحسين، فهد، *آثار المنطقة الشرقية* (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٣ هـ [٢٠٠٣ م])

الحسين، فهد، *الآثار الإسلامية بقرية البطالية* (الرياض: وزارة المعارف، ٢٠٠١)

الحميدان، عبد اللطيف، «*إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية*»، الوثيقة ٣، ٢ (١٩٨٣): ٢٦-٧٤.

الخالدي، خالد، والخالدي، إيمان، *السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية* (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١)

الخضيري، علي، *علي بن المقرب: حياته وشعره* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)

الخطيب، أحمد موسى، «*الشاعر علي بن المقرب العيوني: دراسة موضوعية وفنية (٢)*»، الوثيقة ٢٤، ١٢ (١٩٩٤): ١٨-٧٧.

خليل، عماد الدين، *الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام* (٤٦٥-٨١٢ هـ/ ١٠٧٢-١٤٠٩م): أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠)

خليل، محمد محمود، *تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية* (٤٦٩-٩٦٣ هـ/ ١٠٧٦-١٥٥٥م) (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦)

الدويش، سلطان، *كاظمة البحور دراسة تاريخية أثرية* (الكويت: إدارة البحوث والدراسات في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠١٧)

الرشيدي، بدر، *الخليج وآسيا في العلاقات التاريخية* (الكويت: مكتبة آفاق، ٢٠١٥)

الشرعان، نايف، *نقود الدولة العيونية في البحرين* (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢)

الطهراني، محمد آغا بزرك، *الذريعة إلى تصانيف الشيعة* (بيروت: دار الأضواء، بلا تاريخ)

الطهراني، محمد آغا بزرك، *طبقات أعلام الشيعة* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١)

الظاهري، أبو عبدالرحمن عقيل، *أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء* (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٣)

العبودي، ناصر حسين، «*مدن القوافل المكتشفة في دولة الامارات العربية المتحدة*»، المجلة العربية للثقافة - تونس ٢٤، ٤٧ (٢٠٠٥): ص٦٤-٦٥.

العقيلي، محمد رشيد، *الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة* (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣)

العلي، صالح، *التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري* (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٣)

العمّاري، فضل، *ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية* (الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٣ هـ[١٩٩٢ م])

العمران، عمران، *ابن مقرب: حياته وشعره* (د.م: د.ن، ١٤١٤ هـ[١٩٩٣ م])

العوامي، عدنان، «الحس الوحدوي في شرق الجزيرة العربية»، مجلة الواحة (٢٠٠٢)، تاريخ الوصول ٣ مارس ٢٠١٣: http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=466

الغنيم، عبد الله يوسف، *كتاب اللؤلؤ* (الكويت وبيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨)

فوزي، فاروق عمر، *الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط* (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٠)

القاسمي، سلطان، *«المن وحدة قياس الوزن»*، الموقع الخاص لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. تاريخ الوصول ٢٠ يونيو ٢٠١٣.

القحطاني، سلطان سعد، *«الشعر في شرق الجزيرة العربية: دراسة في الحركة الشعرية من بعد الدولة العيونية إلى نهاية القرن ١٢ هـ-١٩ م»*، في دورة علي بن المقرب العيوني: أبحاث الندوة ووقائعها، إعداد أحمد قدور، ٢٨١-٣٥٧.

قلعجي، قدري، *الخليج العربي* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥)

كزارة، صلاح، *علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره في المصادر العربية والأجنبية* (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين، ٢٠٠٢)

كمال، محمد، *«غرس النعمة (محمد بن هلال الصابئ)»*، الموسوعة العربية، إعداد محمود السيد وآخرون (دمشق: هيئة الموسوعة العربية، رئاسة الجمهورية، ١٩٩٨-٢٠٠٨)

كيرفارن، مونيك، وآخرون، *حفريات قلعة البحرين* (١٩٧٧-١٩٧٩) (البحرين: وزارة الإعلام، ١٩٨٢)

ماجد، عبد المنعم (إعداد)، *السجلات المستنصرية* (مصر [القاهرة]: دار الفكر العربي، ١٩٥٤)

ماجد، عبد المنعم، *«سياسات الفاطميين في الخليج العربي، مستمدة من السجلات المستنصرية، وثائق فاطمية معاصرة»*، في البحوث المقدمة لمؤتمر شرق الجزيرة العربية، الدوحة، ١٩٧٦.

المدني، علي خان، *الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة*، تحقيق سيد محمد بحر العلوم (قم: منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ ه [١٩٧٧م)

المديرس، عبد الرحمن، *الدولة العيونية في البحرين* (٤٦٩-٦٣٦ هـ/ ١٠٧٦-١٢٣٨م) (الرياض، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)

الملا، عبد الرحمن، *تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية* (الكويت: مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢)

الملحم، محمد، *تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري* (الدمام: نادي الشرقية الأدبي، ١٩٩٧).

المهيري، عبد الله، *بائية مفاخر وأنساب عبد القيس من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر نظم الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي* (د. م: د، ن، ٢٠١٢)

النبهاني، محمد بن خليفة، *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية* (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٩)

النزر، خالد، آل عصفور: *أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين عاما* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)

النويدري، سالم، *أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٢ قرنا* (بيروت: مؤسسة العارف، ١٩٩٢)

الهاجري، محمود، «شاهد أساس بناء مسجد بالقطيف: القطيف في القرن الثامن هجري»، *مجلة الواحة* ١٨ (٢٠١١). تاريخ الوصول ٢٠/ ١/ ٢٠١٥: http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=844

الهمداني، حسين ف. والجهيني، حسن، *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ* (صنعاء: منشورات المدينة، ١٩٨٦)

هنداوي، محمد موسى، سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية: عصره، حياته، ديوانه البستان (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥١)

الوردي، علي، *دراسة في طبيعة المجتمع العراقي* (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥)

الوزان، فيصل، *تاريخ أرض الكويت في العصور الإسلامية* (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١٨)

٣-٢- الفارسية

إشتياني، عباس إقبال، *مطالعات در باب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس* (طهران: إنتشارات أساطير ١٣٨٤ هـ [٢٠٠٥ م])

هنرفر، لطف الله، *گنجينه آثار تاريخى اصفهان: آثار باستاني وألواح كتيبه هاي تاريخي دار أستان اصفهان* (إصفهان: كتابفروشي ثقفي، ١٩٧١ [١٣٥٠ هـ])

٣-٣- الغربية

- * The Encyclopaedia of Islam, Second Edition is edited by P. Bearman; Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, and W.P. Heinrichs.
- Abisaab, Rula Jurdi, Converting Persia: Religion and Power in the Safavid Empire (London: I.B. Tauris, 2004)
- Abu-Lughod, Janet, Before European Hegemony: The World System A.D. 1250-1350 (New York: Oxford University Press, 1989)
- Abu-Zahra, Nadia, The Pure and Powerful: Studies in Contemporary Muslim Society (Reading: Ithaca Press, 1997)

- al-Hamdānī, Ḥusain F., 'The Letters of Al-Mustanṣir Billāh,' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 7, 2 (1934): 307-24.
- al-Hasan, Ahmad Soud, 'The Tribe of ʿAbd al-Qays in Pre-Islamic and Early Islamic Times to the End of the Umayyad Period' (PhD diss., The University of Manchester, 1990)
- al-Mutairi, Rakan, 'Military Organization under the Early ʿAbbāsid Caliphate (AH 132-228 / AD 750-843)' (PhD diss., The University of Edinburgh, 2002)
- al-Naboodah, Hasan, 'Bahrain,' in Medieval Islamic Civilization: An Encyclopedia, ed. Josef Meri (New York: Taylor and Francis, 2006)
- al-Oraibi, Ali, 'Rationalism in the School of Bahrain: A Historical Perspective', in Shiʿite Heritage: Essays on Classical and Modern Traditions, ed. L. Clarke (New York: Global Publications Binghamton University, 2001), 331-343.
- al-Oraibi, Ali, 'Shīʿī Renaissance: A Case Study of the Theosophical School of Bahrain in the 7th/13th Century' (PhD diss., McGill University, 1992)
- Amitai-Preiss, Reuven, 'Ghazan, Islam and Mongol Tradition: A View from the Mamlūk Sultanate,' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 59, 1 (1996): 1-10.
- Amitai-Preiss, Reuven, Mongols and Mamlūks: The Mamlūk-Ilkhānid War, 1260-1281, (Cambridge: Cambridge University Press, 1995)
- Arjomand, Said Amir, The Shadow of God and the Hidden Imam: Religion, Political Order, and Societal Change in Shiʿite Iran from the Beginning to 1890 (Chicago: University of Chicago Press, 1987)
- Aubin, Jean, 'Les Princes d'Ormuz du XIIIe au XVe Siècle,' Journal Asiatique 241 (1953):77-138.

- Aubin, Jean, 'Y a-t-il eu interruption du commerce par mer entre le Golfe Persique et l'Inde du XIe au XIVe Siècle?' Studia 11 (1963): 165-171.
- Ayalon, David, Studies on the Mamlūks of Egypt, 1250-1517 (London: Variorum, 1977)
- Bacharach, Jere L., Islamic History through Coins: An Analysis and Catalogue of Tenth-Century Ikhshidid Coinage (Cairo: The American University in Cairo Press, 2006)
- Belgrave, James, Welcome to Bahrain, 3rd edition (al-Manama: James Belgrave, 1957)
- Blake, Stephen, Half the World: The Social Architecture of Safavid Isfahan 1590-1722 (Costa Mesa: Mazda Publishers, 1999)
- Bosworth, C.E., 'Salghūrids', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 07 July 2013 http://www.brillonline.nl/entries/encyclopaedia-of-islam-2/salg-h-urids-SIM_6531
- Bosworth, C.E., The Cambridge History of Iran (Cambridge: Cambridge University Press, 1968)
- Bosworth, C.E., 'Ukaylids', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, acsessed 02/05/2014: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/entries/encyclopaedia-of-islam-2/ukaylids-COM_1274?s.num=0&s.q=ukaylid
- Bowersock, G. W., Roman Arabia (Cambridge: Harvard University Press, 1983)
- Bramoullé, David, 'The Fāṭimids and the Red Sea (969-1171)' Navigated Spaces, Connected Places: Proceedings of Red Sea Project V held at the University of Exeter, 16–19 September 2010, ed. Dionisius A. Agius et al. (Oxford: Archaeopress, 2012), 127-136.
- Burckhardt, J.L., Notes on the Bedouins and Wahabys (London: H. Colburn and R. Bentley, 1831)

- Brunner, Rainer, 'MAJLESI, Moḥammad-Bāqer', Encyclopædia Iranica. Accessed 28/2/2015: http://www.iranicaonline.org/articles/majlesi-mohammad-baqer
- Bulliet, Richard, Cotton, Climate, and Camels: A Moment in World History (New York: Columbia University Press, 2011)
- Cahen, Claude, 'The Turkish Invasion: The Selchukids,' in A History of the Crusades, vol.1, ed. K. M. Setton (Madison: University of Wisconsin Press, 1969), 153-176.
- Cahen, Claude, 'Atabak', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online. Accessed1 01 October 2012: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/entries/encyclopaedia-of-islam-2/atabak-SIM_0831?s.num=0&s.f.s2_parent=s.f.book.encyclopaedia-of-islam-2&s.q=atabak
- Cahen, Claude, 'Artuḳids', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill, 2012. Brill Online. Accessed 18 April 2012: http://www.brillonline.nl/subscriber/entry?entry=islam_SIM-0743
- Cahen, Claude, 'Iḳṭāʿ', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill, 2012. Brill Online. Accessed 10 May 2013: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/entries/encyclopaedia-of-islam-2/ik-t-a-SIM_3522?s.num=0&s.q=ikta
- Carter, Robert, 'The History and Prehistory of Pearling in the Persian Gulf,' Journal of the Economic and Social History of the Orient 48, 2 (2005): 139-209.
- Cole, Juan, Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shiʿite Islam (London: I.B. Tauris, 2005)
- Cornell, Vincent, The Realm of the Saint (Austin: University of Texas Press, 1998)
- Daftary, Farhad, 'Carmatians', Encyclopaedia Iranica, accessed 10/5/2014: http://www.iranicaonline.org/articles/carmatians-ismailis
- Daftary, Farhad, The Ismāʿīlis: Their History and Doctrines

(Cambridge: Cambridge University Press, 2007)

- De Goeje, M. J., ‘La fin de l’empire des Carmathes du Bahrain,’ Journal Asiatique 5 (1895): 5-30.
- Diez, Ernst, ‘Eine Schiitische Moschee-Ruine auf der Insel Bahrein’ dans Jahrbuch der asiatischen Kunst II (1925): 101-105.
- Duri, A. A., ‘Diwan’, Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 05 May 2013 http://www.brillonline.nl/entries/encyclopaedia-of-islam-2/di-wa-n-COM_0170
- Ehrenkreutz, Andrew, ‘Monetary Aspects of Medieval Near Eastern Economic History’ in Monetary Change and Economic History in the Medieval Muslim World, ed. Jere L. Bacharach (Hampshire: Variorum, 1992), 37-50.
- Facey, William, The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia (London: Stacey International, 2000)
- Fisher, Greg, Between Empires: Arabs, Romans, and Sasanians in Late Antiquity (Oxford: Oxford University Press, 2011)
- Floor, Willem, ‘Hormuz ii. Islamic Period’ Encyclopaedia Iranica, accessed 09/04/2014: http://www.iranicaonline.org/articles/hormuz-ii
- Gellner, Ernest, ‘Tribalism and the State in the Middle East’ in Tribes and State Formation in the Middle East, ed. Philip Khoury and Joseph Kostiner (Berkeley: University of California Press, 1990), 109-126.
- Glueck, Nelson, Deities and Dolphins: The Story of the Nabataeans (New York: Straus and Giroux, 1965)
- Gills, B. and Frank, A., ‘5000 Years of World System History: The Cumulation of Accumulation’ in Core/Periphery Relations in Precapitalist Worlds, ed. Christopher Chase-Dunn and Thomas Hall (Boulder: Westview Press, 1991), 67-112.
- Goldziher, Ignaz, ‘Veneration of Saints in Islam,’ in Muslim

Studies (Muhammedanische Studien), trans. C.R. Barber and S.M. Stern, vol. II (London: Allan & Unwin, 1971), 255-262.

- Guérin Alexandrine, and Al-Naimi, Faisal, "Preliminary pottery study: Murwab horizon in progress, ninth century AD, Qatar," Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 40 (2010): 17–34.
- Hajnal, Istvan, 'The pseudo-Mahdī intermezzo of the Qarāmiṭa in Baḥrayn' in Proceedings of the Arabic and Islamic Sections of the 35th International Congress of Asian and North African Studies (ICANAS). Part One, ed. K. Dévényi, T. Iványi (1998): 187-201.
- Hall, Thomas D., 'World-Systems: An Appraisal' in World-Systems Theory in Practice: Leadership, Production and Exchange, ed. Nick Kardulias (Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, 1999), 1-23.
- Halm, Heinz, Shiʿism, trans. J. Watson and M. Hill (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2004)
- Hanne, Eric J., Putting the Caliph in His Place: Power, Authority, and the Late ʿAbbāsid Caliphate (New Jersey: Rosemont Publishing & Printing Corp., 2007)
- Heidemann, Stefan, 'Arab Nomads and the Seljuq Military' in Shifts and Drifts in Nomad-Sedentary Relations, ed. Stefan Leder and Bernhard Streck (Wiesbaden: Dr. Ludwig Reichert Verlag, 2005), 289-305.
- Heidemann, Stefan, Die Renaissance der Städte in Nordsyrien und Nordmesopotamien: Städtische Entwicklung und wirtschaftliche Bedingungen in ar-Raqqa und Ḥarrān von der Zeit der Beduinischen Vorherrschaft bis zu den Seldchukuken (Leiden: Brill, 2002)
- Hillenbrand, Carole, A Muslim Principality in Crusader Times: The Early Artuqid State (Istanbul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1990)

- Hiyari, M. A., 'The Origins and Development of the Amīrate of the Arabs during the Seventh/Thirteenth and Eighth/Fourteenth Centuries,' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 38, 3 (1975): 509-524.
- Holt, P.M., The Age of the Crusaders: The Near East from the Eleventh Century to 1517 (London: Longman, 1986)
- Hoyland, Robert, Arabs and Arabia: From the Bronze Age to the Coming of Islam (London: Routledge, 2001) http://www.alwasatnews.com/4571/news/read/970877/1.html
- Hussain, Jassim, The Occultation of the Twelfth Imam (A Historical Background) (London: The Muhammadi Trust, 1982)
- Insoll, Timothy, 'Three Gold Dinars from Bahrain,' Numismatic Chronicle 163 (2003): 395-398.
- Irwin, Robert, The Middle East in the Middle Ages: The Early Mamlūk Sultanate, 1250-1382 (Carbondale: Southern Illinois University Press, 1986)
- Kalus, Ludvik, Inscriptions Arabes des Iles de Bahrain: Contribution a l'Histoire de Bahrain Entre Les XIe ET XVIIe Siècles (Ve-XIe De L' Hégire) (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1990)
- Kauz, Ralph, 'The Maritime trade of Kish' in Beyond the Legacy of Genghis Khan, ed. Linda Komaroff (Leiden: Brill, 2012)
- Kennedy, Hugh, The Armies of the Caliphs: Military and Society in the Early Islamic State (London: Routledge, 2001)
- Kennedy, Hugh, 'The City and the Nomad', in The New Cambridge History of Islam Volume 4: Islamic Cultures and Societies to the End of the Eighteenth Century, ed. Robert Irwin (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 274-289.
- Kennedy, Hugh, ed., The Historiography of Islamic Egypt (c.950-1800) (Leiden: Brill, 2000)

- Kennedy, Hugh, ‘The ʿUqailids of Mosul: The Origins and Structure of a Nomad Dynasty’, in Union Europeenne d’Arabisants et d’Islamisants (ed.), Actas del XII Congreso de la U.E.A.I. Madrid (1986), 391-402.
- Kennet, Derek, ‘An Outline Archaeological History of the Northern Emirates in the Islamic Period’, in Second International Conference on the Archaeology in the UAE. Abu Dhabi, ed. D. Potts and P. Hellyer (Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage), 189-201.
- Kennet, Derek, ‘The Decline of Eastern Arabia in the Sasanian Period,’ Arabic Archaeology and Epigraphy 18 (2007): 86-122.
- Kennet, Derek ed., Kadhima: Kuwait in the Early Centuries of Islam (Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters of the State of Kuwait 2014(
- Kervran, Monik, ‘La mosquée al-Khamis à Bahrain: son Histoire et ses inscriptions. I. Le Monument,’ Archeologie Islamique 1(1990): 7-51.
- Khalidi, T., Arabic Historical Thought in the Classical Period (Cambridge: Cambridge University Press, 1994)
- Khulusi, Safa, ‘A Thirteenth Century Poet from Bahrain,’ Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 6 (1976): 91-102.
- Kindermann, H., ‘ʿUḳayl’ in Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 29 January 2013: http://referenceworks.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/ukayl-COM_1273
- Kohlberg, Etan, ‘The Term “Rāfida” in Imāmī Shīʿī Usage,’ Journal of the American Oriental Society 99, 4 (1979): 677-679.
- Knoblauch, Hubert, ‘Popular Religion’, in Encyclopedia of Global Religion, ed. Mark Juergensmeyer and Wade Clark Roof (Thousand Oaks: Sage Publications, 2012) Accessed 21/4/2015: http://dx.doi.org.ezproxy.is.ed.ac.uk/10.4135/9781412997898.n572.

- Lancaster, William and Lancaster, Fidelity, 'Concepts of Leadership in Bedouin society,' in The Byzantine and Early Islamic Near East, VI: Elites Old and New in the Byzantine and Early Islamic Near East (Papers of the Sixth Workshop on Late Studies in Late Antiquity and Early Islam): 1, 6 (2004): 34-43.
- Lange, Christian and Mecit, Songul, ed., The Seljūqs: Politics, Society, and Culture (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2012)
- Lewis, Bernard, 'The Fatimids and the Route to India,' Revue de la Faculte des Sciences Economiques d'Istanbul 11 (1953): 50-54.
- Limbert, John, Shiraz in the Age of Hafez: The Glory of a Medieval Persian City (Seattle: University of Washington Press, 2004)
- Little, Donald, 'The History of Arabia during the Bahri Mamlūk Period according to Three Mamlūk Historians' in Donald Little, History and Historiography of the Mamlūks (London: Variorum Reprints, 1986), IV, 17-22.
- Little, Donald, An Introduction to Mamlūk Historiography (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1970)
- Lockhart, L., 'Hurmuz' in Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 01 February 2013 :http://referenceworks.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/hurmuz-SIM_2964
- Lowick, Nicholas, 'Trade Patterns on the Persian Gulf in the Light of Recent Coin Evidence,' in Near Eastern Numismatics, Iconography, Epigraphy and History: Studies in Honor of George C. Miles, ed. Dickran Koumjian (Beirut: American University of Beirut, 1974)
- Madelung, W., 'Alids' in Encyclopaedia Iranica, accessed 16/05/2014: http://www.iranicaonline.org/articles/alids-of-tabarestan-daylaman-and-gilan

- Madelung, W., ‘Baḥrānī, Jamal-al-DĪn’ in Encyclopaedia Iranica, accessed 10/08/2013: http://www.iranicaonline.org/articles/Baḥrānī-jamal-al-Dīn-also-kamal-al-Dīn-ali-baccessed in 14/06/2013
- Madelung, W., ‘Ḳarmaṭī’, in Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 29 October 2012: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/search?s.q=karmati&s.f.s2_parent=s.f.book.encyclopaedia-of-islam-2&search-go=Search
- Madelung, W., The Succession to Muḥammad: A Study of the Early Caliphate (Cambridge: Cambridge University Press, 1998)
- Madelung, Wilferd, ‘Zaydiyya’ in Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 15 October 2013: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/entries/encyclopaedia-of-islam-2/zaydiyya-COM_1385?s.num=1&s.q=Zaydiyya
- Martines, Lauro, Power and Imagination: City-States in Renaissance Italy (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1988)
- Mecit, Songul, The Rum Seljūqs: Evolution of a Dynasty (London: Routledge, 2014)
- Melville, Charles, ‘From Adam to Abaqa: Qadi Baidawi’s Rearrangement of History,’ Studia Iranica 30 (2001): 67-83.
- Melville, Charles, ‘Historiography, iv. Mongol Period’, in Encyclopædia Iranica, accessed 08/04/2014: http://www.iranicaonline.org/articles/historiography-iv
- Melville, Charles, ed., Persian Historiography: A History of Persian Literature Vol. X (London: I.B. Tauris, 2012)
- Meri, Josef, The Cult of Saints Among Muslims and Jews in Medieval Syria (Oxford: University Press, 2002)
- Modelski, G. and Thompson, W., Leading Sectors and World Powers: The Coevolution of Global Economics and Politics (Columbia: University of South Carolina Press, 1996)

- Momen, Moojan, An Introduction to Shiʿi Islam: The History and Doctrines of Twelver Shiʿism (New Haven: Yale University Press, 1985)
- Morgan, David, The Mongols (Oxford: Blackwell, 1986)
- Mujani, Wan Kamal, 'The Fineness of Dinar, Dirham, and Fals during the Mamlūk Period' Journal of Applied Sciences Research 7, 12 (2011): 1895-1900.
- Newman, Andrew, 'The Nature of the Akhbari/Uusuli Dispute in Late Safavid Iran: Part 1: ʿAbdallāh al-Samāhijī›s ‹Munyat al-Mumārisīn,' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 55, 1 (1992): 22-51.
- Newman, Andrew, 'The Nature of the Akhbārī/Uṣūlī Dispute in Late Ṣafawid Iran. Part 2: The Conflict Reassessed' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 55, 2 (1992): 250-261.
- Newman, Andrew, 'The Myth of the Clerical Migration to Safawid Iran: Arab Shiʿite Opposition to ʿAli al-Karaki and Safawid Shiism,' Die Welt des Islams 33, 1 (1993): 66-112.
- Newman, Andrew, Safavid Iran: Rebirth of a Persian Empire (London: I.B. Tauris, 2009)
- Newman, Andrew, Twelver Shiism: Unity and Diversity in the Life of Islam, 632 to 1722 (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013)
- Niazi, S., 'An Edition of the Diwan of Ali Ibn Muqarrab and a Critical Study' (PhD diss., School of Oriental and African Studies, 1975)
- Nöldeke, Theodor, A review of W. Robertson Smith book Kinship and Marriage in Early Arabia, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, 40 (1886): 148-187.
- Peacock, Andrew, Early Seljūq History: A New Interpretation (London: Routledge, 2010)

- Peacock, Andrew, Mediaeval Islamic Historiography and Political Legitimacy: Balʿami's Tarikhnamah (London: Routledge, 2007)
- Peacock, Andrew, The Great Seljuk Empire (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2015)
- Pfeiffer, Judith, 'Reflections on a 'Double Rapprochement': Conversion to Islam among the Mongol Elite During the Early Ilkhanate,' in Beyond the Legacy of Genghis Khan, ed. Linda Komaroff (Leiden: Brill, 2012), 369-389.
- Philipp, Hans-Jürgen, Geschichte und Entwicklung der Oase al-Hasa (Saudi-Arabien) (Saarbrücken: Breitenbach, 1976)
- Piacentini, Valeria Fiorani, 'The Mercantile Empire of the Ṭībīs: Economic Predominance, Political Power, Military subordination', Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 34, Papers from the thirty-seventh meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 17-19 July 2003 (2004): 251-260.
- Porter, Venetia, 'Arabic Inscriptions from Qalʿat al-Bahrain Excavations' in Islamic Remains in Bahrain, ed. K. Frifelt (Moesgard: Jutland Archaeological Society, 2001), 201-207.
- Potts, D.T., 'Kish Island,' Encyclopaedia Iranica, Online Edition, July 20, 2004, accessed June 30, 2012: http://www.iranicaonline.org/articles/kish-island
- Rentz, G., 'Djabrids', in Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 09 July 2013: http://www.brillonline.nl/entries/encyclopaedia-of-islam-2/d-j-abrids-SIM_8483
- Rentz, G. and Mulligan, W.E., 'al-Baḥrayn', Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 02 December 2012: http://www.brillonline.nl/entries/encyclopaedia-of-islam-2/al-bah-rayn-COM_0089
- Rowton, M. B., 'Urban Autonomy in a Nomadic Environment' Journal of Near Eastern Studies 32, 1/2 (1973): 201-215.

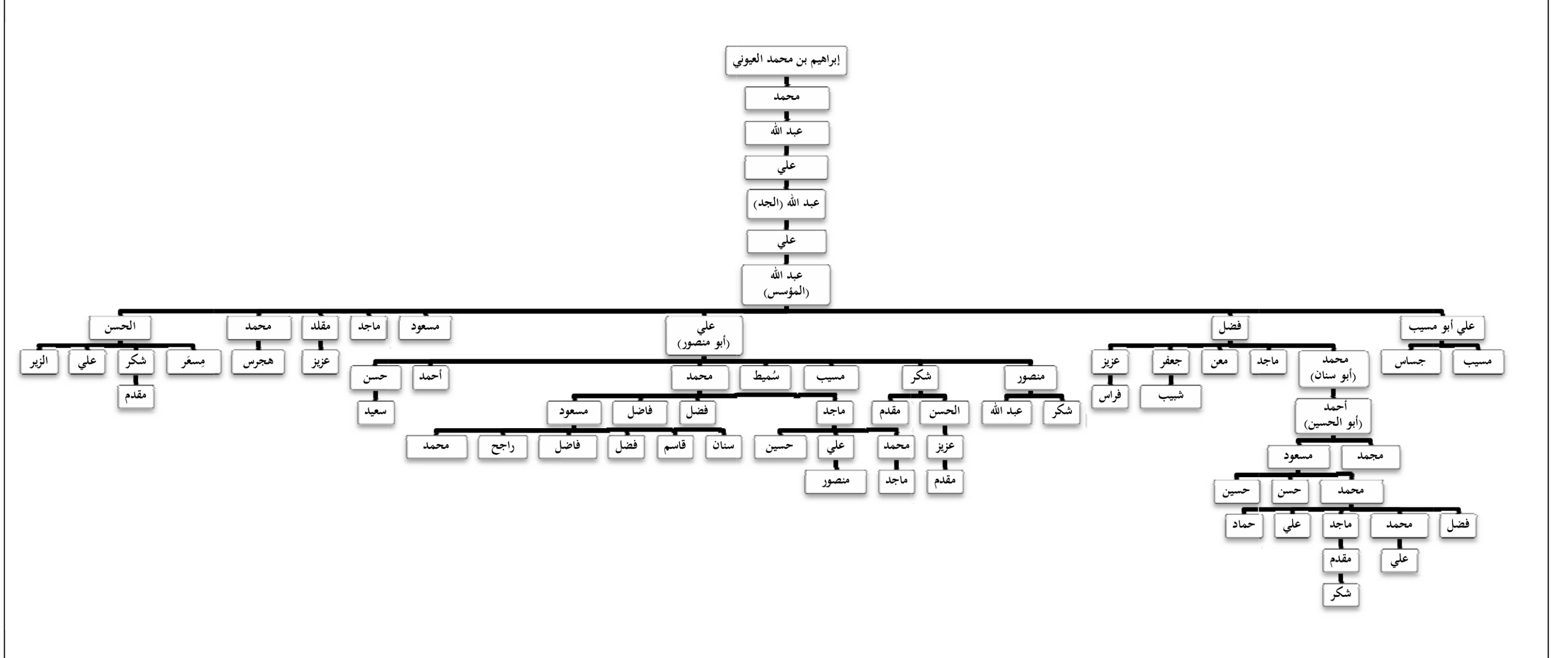
- Sachedina, Abdulaziz, Islamic Messianism: The Idea of Mahdī in Twelver Shīʿism (Albany: State University of New York Press, 1981)
- Safi, Omid, The Politics of Knowledge in Premodern Iran: Negotiating Ideology and Religious Inquiry (Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 2006)
- Schmidtke, Sabine, ‘The Ijāza from ʿAbd Allāh b. Ṣāliḥ al-Samāhījī to Nāṣir al-Jārūdī al-Qaṭīfī: A Source for the Twelver Shiʿi Scholarly Tradition of Bahrain’ in Culture and Memory in Medieval Islam: Essays in Honour of Wilferd Madelung, ed. Farhad Daftary and Josef Meri (London: I.B. Tauris, 2003), 64-85.
- Smith, G.R., ‘ʿUṣfūrids’, Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Brill Online, accessed 02 December 2012: http://www.brillonline.nl.ezproxy.is.ed.ac.uk/entries/encyclopaedia-of-islam-2/us-furids-SIM_7743?s.num=0&s.q=U%E1%B9%A3f%C5%ABrids
- Spuler, B., ‘Atabakan-e Fars’, Encyclopaedia Iranica, accessed 09/04/2014: http://www.iranicaonline.org/articles/atabakan-e-fars-princes-of-the-Salghūrid-dynasty-who-ruled-fars-in-the-6th-12th-and-7th-13th-centuries-initially-with-
- Spuler, Bertold, Die Mongolen in Iran: Politik, Verwaltung und Kultur der Ilchanzeit 1220-1350 (Berlin: Akademie-Verlag, 1955)
- Starcky, Jean, ‘The Nabataeans: A Historical Sketch,’ The Biblical Archaeologist 18, 4 (1955): 81-106.
- Streusand, Douglas, Islamic Gunpowder Empires: Ottomans, Safavids and Mughals (Boulder: Westview Press, 2011)
- Tabbaa, Yasser, ‘Invented Pieties: The Rediscovery and Rebuilding of the Shrine of Sayyida Ruqayya in Damascus, 1975-2006,’ Artibus Asiae 67, 1 (2007): 95-112.
- Tapper, Richard, ‘Anthropologists, Historians, and Tribespeople on Tribe and State Formation in the Middle East’ in Tribes and State Formation in the Middle East, ed. Philip Khoury and

Joseph Kostiner (Berkeley: University of California Press, 1990)

- Tetley, Gillies, The Ghaznavid and Seljūq Turks: Poetry as a Source for Iranian History (London: Routledge, 2009)
- Tor, D.G., ''Sovereign and Pious': The Religious Life of the Great Seljūq Sultans' in The Seljūqs: Politics, Society, and Culture, ed. Christian Lange and Songul Mecit (Edinburgh: Edinburgh niversity Press, 2012), 39-62.
- Wallerstein, Immanuel, The Modern World-System I: Capitalist Agriculture and the Origins of European World-Economy, 1600-1750 (New York: Academic Press, 1974)
- Watt, James, et al, When Silk was Gold: Central Asian and Chinese Textiles (New York: Metropolitan Museum of Art, 1997)
- Watt, W. Montgomery, 'The Rāfiḍites: 'A Preliminary Study,' Oriens 16 (1963): 110-121.
- Whitehouse, David, 'Maritime Trade in the Gulf: The 11th and 12th Centuries,' World Archaeology, Islamic Archaeology 14, 3 (1983): 328-334.
- Whitehouse, David, 'The al-Khamis Mosque on Bahrain: A Note on the First and Second Phases,' Arabian Archaeology and Epigraphy 14, 1 (2003): 95-102.
- Wilkinson, David, 'Cores, Peripheries and Civilizations,' in Core / Periphery Relations in Precapitalist Worlds, ed. Christopher Chase-Dunn and Thomas Hall (Boulder: Westview Press, 1991)
- Wood, John E., 'The Rise of Timurid historiography,' Journal of Near Eastern Studies 46 (1987): 81-108.

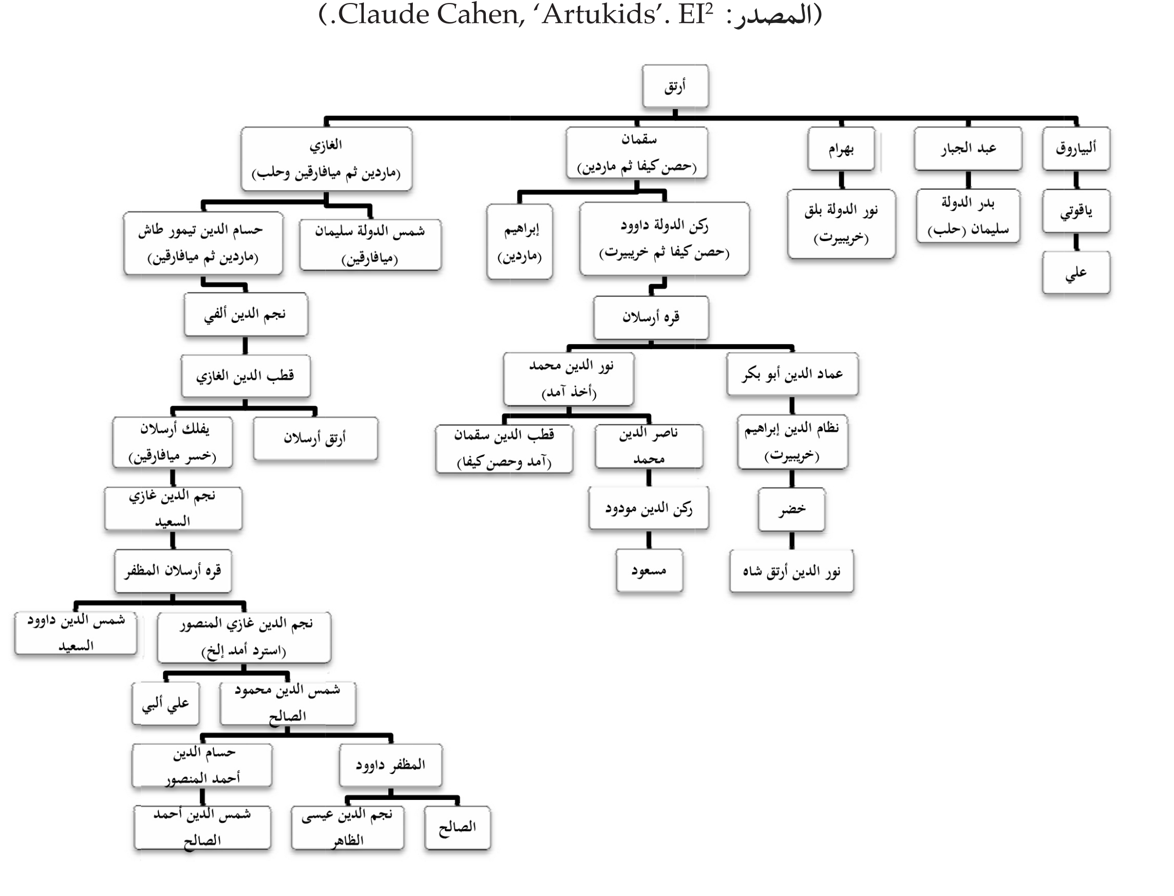
ملحق (١): مشجرة الأسرة العيونية

(المصدر: مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، تحقيق عبدالخالق الجيني وآخرون، ج٣٠، ص٥٥١.



ملحق (٢): مشجرة نسب الأرتقيين

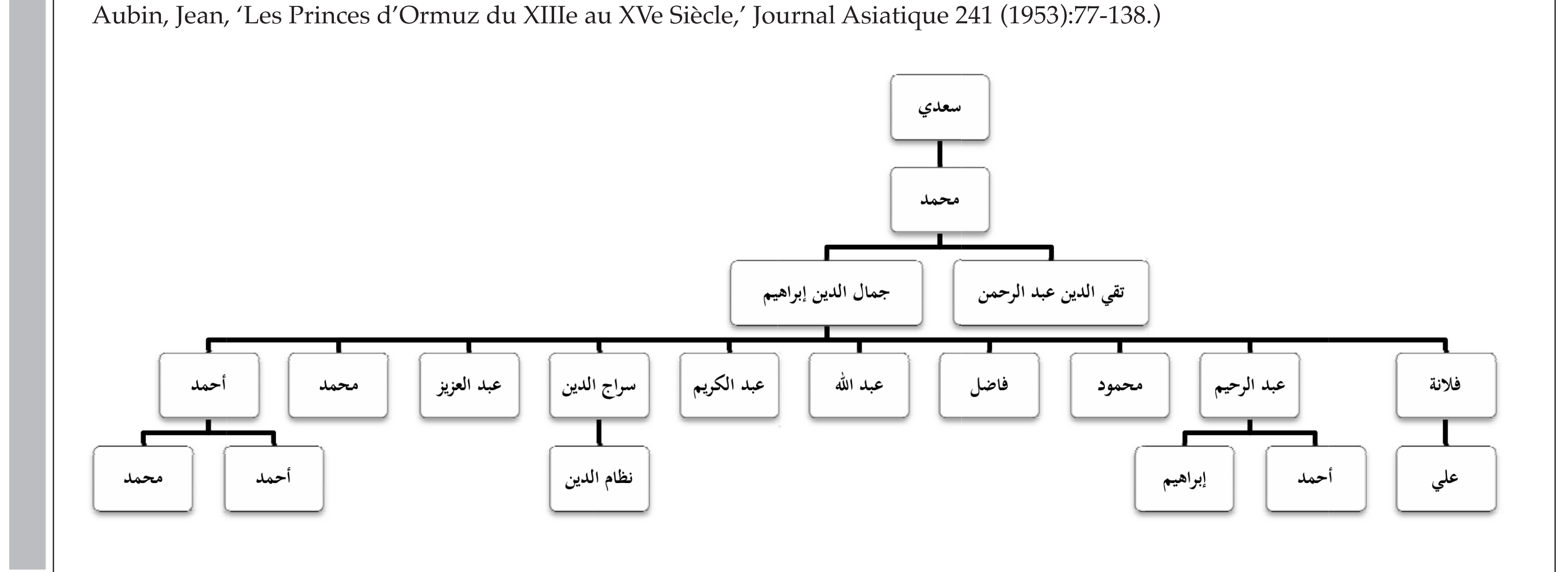
(المصدر: Claude Cahen, ‘Artukids’. EI[2].)



ملحق(٣): مشجرة نسب الطيبيين

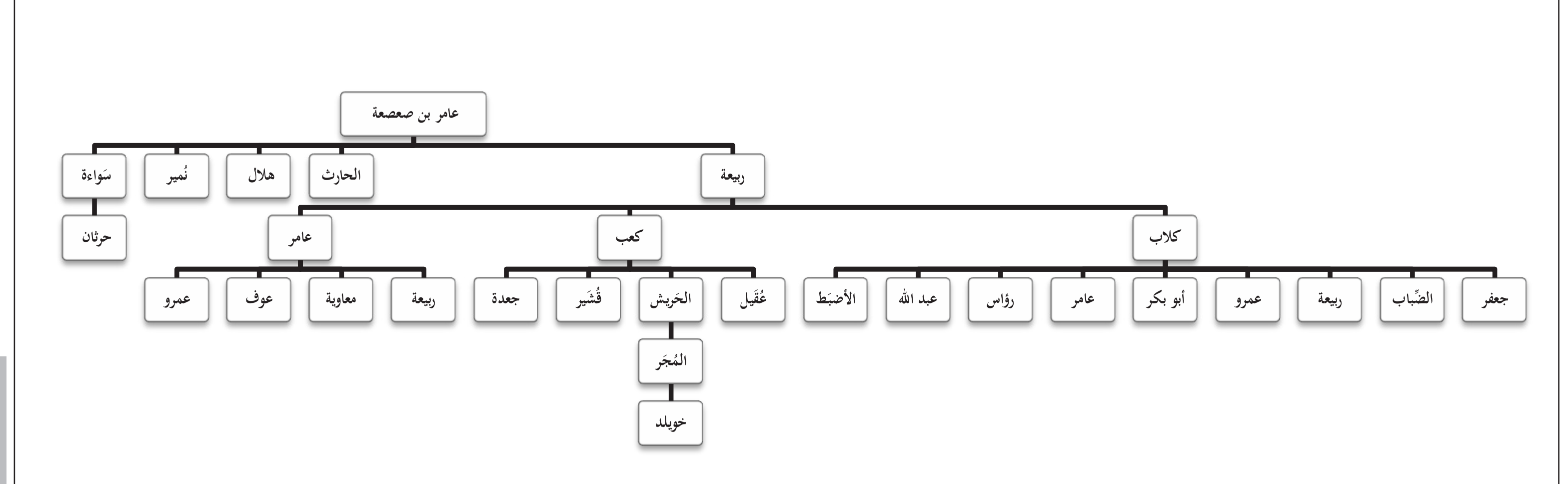
(المصدر:

Aubin, Jean, ‘Les Princes d’Ormuz du XIIIe au XVe Siècle,’ Journal Asiatique 241 (1953):77-138.)



ملحق(٤): مشجرة قبيلة عامر بن صعصعة

(المصدر: مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، تحقيق عبدالخالق الجنبي وآخرون، ج ٣٠، ص٥٥٣.





ملحق(٥): مشجرة قبيلة بني عقيل بن كعب

(المصدر: مجهول، *شرح ديوان ابن المقرب*، تحقيق عبدالخالق الجيني وآخرون، ج٣٠، ص٥٥٥.

- عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
  - ربيعة
    - عمرو
    - غُويمر
  - عامر
    - عوف
      - خويلد
        - عقال
        - الأعلم
        - ربيعة
        - أبو حرب
      - عمرو
      - ربيعة
        - مالك
          - عوف
            - عامر
              - نباتة
                - قديمة
                  - شبانة
                    - عُقيلة
                      - سنان
                        - المفدّى
                          - حسين
                          - إبراهيم
                          - أحمد
                            - محمد
                        - عُميرة
                          - ماجد
                            - علي
                              - مانع
                          - محمد
                            - سرحان
                              - أبو عاصم
                          - راشد
                            - عصفور
                              - مانع
                                - حسين
                                - حسن
                                - محمد
                                - بدران
                                  - مانع
                                  - ماجد
                                    - كلبي
                                - راشد
                                - زيد
                                - معمر
                      - شبانة
                      - غجرش
                      - المفدى
                      - السُّبيع
                      - الجحّاف
                        - مفرج
                          - شكر
                      - أبو منبّه
                      - داؤد
                      - رافع
                      - رفيع
    - ربيعة
    - أبو عدي
      - غُويمر
    - المنتفق
      - قيس
      - عوف
      - عامر
      - مالك
  - معاوية
  - عمرو
    - خفاجة
      - عامر
      - معاوية
      - حَزْن
        - معاوية
          - قيس
  - عبادة
    - حَزْن
      - طهفة
        - جوثة
          - قيس
            - يزيد
              - عبد الله
                - المهيّا
                  - عمرو
                    - جعفر
                      - قرمطي
  - عوف
    - عامر
      - عوف
      - كعب

الفهارس التفصيلية

فهرس القبائل والجماعات والكيانات السياسية

فهرس أسماء الشخصيات

فهرس الأماكن

يكشف هذا الكتاب عن فترة شبه مجهولة من التاريخ الإسلامي لشرقي الجزيرة العربية أو بلاد البحرين، وهي الفترة التي أعقبت الدولة الجنابية "القرمطية". برز فيها آنذاك عددٌ من الإمارات في الأحساء والقطيف وجزيرة أوال، حيث كانت مستقلة عن الخلافة العباسية والفاطمية. وهذه الإمارات هي: إمارة آل الزجّاج، وآل عياش، وآل إبراهيم العيونيين، وإمارة العقيليين أو العصفوريين، بالإضافة إلى حكم السلغوريين والمغول والطيبيين والهرامزة.

ومن خلال نظرية المركز والأطراف سيقارب هذا الكتاب وضعَ بلاد البحرين بالنسبة للكيانات السياسية المحيطة بها في الفترة الممتدة من ١٠٥٠م إلى حوالي ١٤٠٠م، وستتضح جوانب من مظاهر السلوك والممارسة السياسية، والإمكانيات الاقتصادية والاستراتيجية، ومعالم النشاط الأدبي، وشكل التديُّن وتنوعه في مجتمعات كانت تتكون من الحضر والبدو.

